

رسم التسجيل :
الموسوعة الصوفية

أعلام الصوف والمكرين عليه والطرق الصوفية

تأليف : دكتور عبد المنعم الحفني



الموسوعة الصوفية
أعلام الصوفى والمتمكنين عليهم والطرق الصوفية

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م



طبع . نشر توزيع
دار الإكتفاء للطباعة والنشر ، ط ١ ، ٢٩٣٤٦ - ٢٩٩٢١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه الموسوعة كانت أملى وقد تحقق على تواضع ، وكان منهجى فيها كما قال الشعرانى لم أذكر إلا من كان له كلام فى الطريق ومن كان له كتاب يشرح فيه فلسفته ، وكما يقول الشعرانى ما تركت ذكر من تركت استهانة بحقهم ، فعدد الأولياء كثير ، والفلاسفة منهم قليل ، وكما قيل لا يخلو زمان من وجود مائة ولى وأربعة وعشرين ، والترجمة لكل هؤلاء يخرج عن نطاق هدفى وغايتى ، وأنا لست سوى محب للفلسفة ويستهيونى كلام الصوفية مما اعتبره من مجالات الفلسفة الإسلامية ، ولقد قيل إن التصوف هو فلسفة المسلمين ، وهو علمهم فى الأخلاق ، كما قيل إن الفقه هو منطق المسلمين ، ومن هذه الزاوية كتبت هذه الموسوعة ، فهى دائرة معارف فلسفية صوفية ، وقد حذفت الأسانيد عن كثير مما ذكرت ، واقتصرت على متون الأخبار والآثار اختصاراً للوقت والجهد . وهؤلاء الصوفية الذين أقدمهم كانوا كما قيل كالأنجم يزهو بهم زمانهم ، وأرجو بذكرهم بقاء الذكر لهم ، فإنهم عاشوا بأئس الرب سرّاً ، وذاقوا من شراب الحب ، وكل واحد نلت منه علماً أو أدباً فهو إمامى ، وكان لى بأئسهم سلوان ، وإنى لأرجو بذكرهم أن يشفعوا لى عند رب العالمين فى يوم الشفاعة ، وأن يدعو لى كل قارئ محب لهم فى الله ، وقد قيل فى المحبة إنها صفاء الود مع دوام الذكر ، والذى يحب شيئاً يكثر من ذكره ، وطوبى لمن شرب من عجة الله فملئ قلبه حباً لكل خلقه ومخلوقاته . وقد ذكرت من الصوفية العرب أشهرهم ، ومن الصوفية الإسلاميين أجلّهم وأخطرهم ، ومن النقاد لهم من عاب طريقتهم وكانت له أسانيد وحجبه ، وكان دافعه لنقدهم غيرته على الدين وحبه لله تعالى من منطلق مختلف . وقد

أشركت مع هؤلاء كبار الكتاب والمفكرين الذين اهتموا بعرض أفكارهم أو آراء معارضيهم ، سواء منهم من كان على دين الإسلام أو من أبناء غير ذلك من الملل والمذاهب ، وأعطيت كلاً حقه من التحريض ، وقد يبدو أن المساحة المخصصة لأحدهم أكبر وكان ينبغي أن تكون أصغر ، أو قد يبدو أنني فضّلت أحدهم على غيره ، وذلك ما كنت أتخاشاه قدر طاقتي ، وقد استلهمت دائماً مكانة الصوفى أو الناقد له وما يقوله عنه أهل زمانه وما صار إليه شأنه فى بلادنا وعند غير العرب والمسلمين ، وأدعو الله أن أكون قد وفقت فما قصدت إلا الخير ، وصدق قول القائل فى تعريف العارف إنه الذى بذل مجهوده فيما لله ، وتحققت معرفته بما مَنَّ الله ، وصح رجوعه من الأشياء إلى الله ، وما أجد ما أختتم به كلامى إلا قول القائل :

يا لهفَ نفسى على قوم مضوا فقَضَوْا لم أقض منهم وإن طاولتُهم وطرى
هم الخافيتُ فما كَبِرَ الملوك إذا أبصرتهم قلت إضمارٌ بلا صور

عبد المنعم الحفنى



الآملی

بهاء الدين حيدر بن علي العبيدي (المتوفى بعد ٧٩٤هـ) علوى من آمل من طبرستان، يجمع بين الشيعة والحقيقة، ويرجع في سلسلة خرقته إلى أبي يزيد البسطاسي، وله «جامع الأسرار ومنبع الأنوار في أن عقائد الصوفية موافقة لمذاهب الإمامية الإثنا عشرية»، ألفه في العراق بناء على طلب الشيعة هناك، وله كتاب شرح فصوص الحكم لابن عربي، وكان فقيهاً ومتكلماً شيعياً متعصباً، واستمر كذلك مدة عشرين سنة، ثم تحول إلى التصوف فرغب عن التعصب، واختار رأى أصحاب وحدة الوجود ويسميه أرباب التوحيد، وهاجم المباحية والحلولية والاتحادية والمعطلة وأخرجهم من التصوف، واختار ليثبت انتساب التصوف للتشيع أقوالاً من أقطاب الشيعة كابن المطهر الحلبي من كتابيه منهاج الكرامة وكشف الحقي، ومن أقطاب السنة كالغزالي وابن عربي ليدل على أن العلوم اللدنية والحقائق الإلهية مخصصة بعلّي رضى الله عنه دون غيره من الأولياء، من الأزل، وقال إن الفرق بين الشيعي والصوفي أن الأول مؤمن عادي، والثاني مؤمن ممتحن، والناس ثلاث طبقات، الأولى الصوفية، والثانية الشيعة، والثالثة العوام. والصوفية اختصاصهم بالأسرار الإلهية وهم لذلك الشيعة الخاصة، وذكر أن الحسن البصري كان تلميذاً لعلی، وأن إبراهيم بن أدهم أخذ عن علي بن الحسين، وأن أبا يزيد البسطامي أخذ عن جعفر الصادق، وأن شقيقاً البلخي أخذ عن موسى بن جعفر، وأن معروفاً الكرخي أخذ عن علي بن موسى الرضا، وكلهم أوصلوا ما اكتسبوه من علم

وإرشاد إلى مريدتهم . وقال إن كل أئمة الشيعة أصحاب علوم كشفية وخرقة صوفية ، والمهدى هو إمام الشيعة وقطب الصوفية ، وفسر التقية بأنها تعنى الاحتراز عن إفشاء الأسرار الإلهية الذى يأخذ الصوفية به أنفسهم ، وقسم التوحيد إلى توحيد الأنبياء الظاهري وتوحيد الأولياء الباطنى ، وأقام تعليله لوحدة الوجود على براهين من إخوان الصفا فقال إن الواحد أصل الأعداد ، ومن تكراره تنشأ الأعداد وتزايد ، والعقل الأول على ذلك يقابل الوجود الأول الفائض من الله :

كثيرة لاتتناهى عددا قد طوتها وحدة الواحد طى
وقال إن أصل الحقيقة المحمدية أن محمداً وأهله من نفس وحقيقة واحدة باعتبارهم أشرف الخلق وأكملهم ، وعلياً من نفس محمد ، وهو خليفته ، والإنسان الكامل هو على ، وهو خاتم الأولياء والمهدى لأنه مظهر باطن النبى .



الإباحية

فرقة من المتصوفة أو المندسين فى الصوفية أو المتشبهين بهم ، دخلوا التصوف ظاهراً وهم فى الباطن كفرة ، وقالوا إذا كانت السعادة والشقاوة قد كتبت علينا ، وأن الأعمال فى الأصل لا تتراد إلا لاجتلاب السعادة ودفع الشقاوة ، فإن الأولى أن تتوجه العبادة إلى مساعدة المقدور على الوقوع بأن نترك النفوس على سجيئتها ولا نمنعها عن ملذوذ مقدور لها تحصيله . وقالوا إن الله كما وصف نفسه مستغن عن أعمالنا وغير متأثر بها سواء فى المعصية أو الطاعة ، وإذن فلا ينبغى إلا أن نترك أمورنا على سجيئتها بحسب أن كلاً ميسرٌ لما خلق له . وزعموا أن الله هو الرحمن الرحيم ، والرحمة أليق به ، فلا موجب للخوف من العقاب أو العذاب ولا وجه لحرمان النفوس والأجسام مراداتها . ومنهم جماعة راضوا نفوسهم على المجاهدات ولكنهم لم يحققوا لها الخلاص من كدوراتها ، فاستباحوا كل محرم ، فقد ظنوا أن التصوف هو الخلاص من الصفات البشرية وإزالة مافى الطبع بالرياضة ، وما علموا أن الله قد خلق الشهوات لفائدة ، إذ لولا شهوة الطعام لهلك الإنسان ، ولولا شهوة النكاح لانقطع النسل ، وإنما المراد من الرياضة كف النفس عما يؤذى من جميع ذلك ، وردها إلى الاعتدال فيه ، ولذلك فن طلب الرياضة لتغيير الطبع فقد ادعى المحال ، ومنهم جماعة راضوا أنفسهم على الرياضة وظنوا أنهم بلغوا بها غاياتهم ، وأنهم قد تجوهروا فقالوا إذن لانبالى مايصدر منا سواء كان مع

الشرع أو ليس معه ، لأن الشرع للعوام ، ولو قد بلغوا مبلغنا وحققوا ما حققنا وتجوهرنا كما تجوهرنا لسقطت عنهم الأوامر والنواهي . وادعوا أن الشريعة القصد منها ضبط العوام ، وأن هؤلاء ليسوا من العوام حتى يمكن أن يشملهم التكليف ، حتى لقد قالوا إن الكمال لا يتحقق إلا لمن يتخلص من الحمية ، وجعلوا مقياس الخلاص منها أن يرى الواحد منهم أهله مع الأجنبي فلا يهيمه من ذلك شيء . وقالوا في مرتبة الكمال ترتفع الغيرة ، وكمال النفس أن يكون التفاتها لحظوظها وليس لحظوظ الناس من حولهم . وذكر ابن الجوزي وابن جرير أن هؤلاء الإباحية كانوا يستحلون الحرمات فيدعو الرجل منهم الجماعة إلى بيته فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته . ومنهم جماعة قالوا بالمواخاة بين الرجال والنساء ، فيقول أحدهم للمرأة تؤاخيني على ترك الاعتراض فيما بيننا .

وقيل من هؤلاء ابن خفيف البغدادي كان شيخ الصوفية في شيراز ، وكان يتكلم في المخدرات والوساوس ويحضر حلقاته ألوف من الناس ، كما يروى أبو القاسم بن علي التنوخي ، واستغوى الضعفاء ، وحدث أن رجلاً من أصحابه مات ، وخلف زوجة صوفية ، فاجتمع بها النساء الصوفيات ، فلما فرغ العزاء دخل ابن خفيف هذا يعزيها ، وقال لها لماذا الهموم وتعذيب النفس بها ، ولماذا نترك امتزاج الأجسام لتلتقي الأنوار وتصفو الأرواح وتحصل البركات ، وما زال بها حتى رضيت هي والنساء اللاتي معها ، واختلط الرجال بهن طول الليل ، وذلك هو مذهبهم أي الممازجة في الوطء بدعوى أن في جسم كل واحد منهم نوراً إلهياً ، والوطء يمزج الأنوار ويكون به التقاؤها فيتحصل الخير وتنزل البركة .



الأبياري

عبد الهادي نجا بن رضوان الأبياري المصري (١٢٣٦ - ١٣٠٥هـ) له «زهرة الطلع النضيد على إرشاد المريد»، و«باب الفتوح لمعرفة أحوال الروح»، و«زكاة الصيام بإرشاد العوام»، و«نشوة الأفراح في شرح راحة الأرواح». وقد ترجم عنه المستشرق أرنو Arnaud مختارات من كلامه عن الصوفية (١٨٨٩م). والأبياري نسبة إلى قرية أبيار من قرى محافظة الغربية حيث ولد، وكان تعليمه بالأزهر واختير للإفتاء، وله نحو الأربعين كتاباً في التصوف والأدب ومصطلح الحديث.

ابن أبي الخير

أبو سعيد فضل الله (٣٥٧ - ٤٤١ هـ) له المقامات في التوحيد، صاغها شعرا بالفارسية في شكل رباعيات، وقيل فيه إنه أول من أبدع الشعر الصوفي، وأول من استخدم الرمزية والقصص فيه، وأول من روج الرباعيات ويسرها للأفكار الصوفية، وتابعه على طريقته شعراء الصوفية الفرس كفريد الدين العطار وجلال الدين الرومي، وقد صنف في ترجمته ابن عم له يدعى محمد بن المنور كتاباً أعطاه عنوان «أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد» اعتمده فريد الدين العطار في تذكرة الأولياء وعبد الرحمن جامي في نفحات الأنس في شرح مذهبه وسيرته.

وأبو سعيد من مواليد مينة بخراسان ودرس الفقه الشافعي، وأخذ التصوف عن أبيه، وتلقى الخزقة من أبي عبد الرحمن السلمى، وحياته في مرحلة الرياضة كلها زهد وتشف، وكان فيها يلزم نفسه بخدمة المريدين في الرباط ويكنس المساجد وينظف المغاسل حتى الحوائط، وقد ساح بالغياض مدة سبع سنوات يتنذى على أوراق الشجر والعشب ويصلى بالليل والنهار ويصوم بالأيام، ولما بدأ يعظ الناس التف حوله المريدون يرون فكانوا بالآلاف وانهاالت عليه الصدقات والمنح والهبات فكان ينفق ببذخ على مريديه ويجالس السماع التي يعقدها، وكانوا ينشدون شعره ويصفقون ويرقصون فإذا غلبهم الوجد وأخذتهم الجذبة خلموا الجبب وألقوا العمام وشقوا القمصان، وتضايق الناس من هذه المجالس فشكوه إلى السلطان، وقيل إن الذين شكوه هم الشيعة والكرامية، إلا أن أبا سعيد كان يعتمد على الفراسة واستغلها أقصى استفلال في قراءة أفكار خصومه والإيقاع بينهم فتركوه وشأنه مجالسه، وكان يقول إن غايته إدخال السرور على قلوب أتباعه، وكان شعاره صل من قطعك، واعط من حرمك، واغفر لمن ظلمك. واتهمه مناوؤه بأنه كان يصعد المنبر في خطبة الجمعة فيتلو الشعر وليس القرآن والحديث، وقد وصمه ابن حزم الأندلسي بالكفر، وقال عنه نيكلسون المستشرق أنه حلولى على مذهب الفرس والبسطامي خصوصاً، وأخذ عليه ابن حزم أنه يلبس الحرير كثيراً والصوف أحياناً، ويصلى مرة ألف ركعة، ومرات لا يصلى إطلاقاً، وذلك في المرحلة الثانية من حياته والتي يعيرون فيها على الصوفية أنهم وقد ظنوا أنهم وصلوا فإنهم قد يهملون العبادات، ويروون أنه صدرت عنه مرة قولة مثل قولة الحجاج «أنا الحق»، واستبد به الوجد أثناء إلقائه موعظة من عظاته فقال مثله «ليس في الجبة إلا الله»، وعندها ضرب سبابته في جبهته فشققها، وظل يحتفظ بالشق ليذكره بغلطته.

وعندما ذهب يزور القشيري صاحب الرسالة انزعج القشيري من المقابلة فقد كان قد سمع بأسلوبه في السماع وإسرافه على نفسه وعلى مريديه في مجالسهم وبذخه وجمعه للمنح والصدقات قسراً كلها أعوزه المال للإنفاق على هذه المجالس ، وهي أمور ذكرها القشيري في باب النقائص والمثالب عند بعض الصوفية . وكان القشيري قد عاقب أحد المريدين حيث ارتكب غلطة بأن قضى بنفيه من المدينة ، وحضر أبو سعيد المجلس فاختلف معه وذكره بأنه كان من الممكن أن يعاقبه بطريقة أرفق بأن يرسله في مهمة تستوجب السفر . وعندما مات أبو سعيد بالغا من العمر ثلاثة وثمانين عاماً قام ابنه أبو طاهر على رباطه وتوفر على خدمة الفقراء من أتباع طريقة أبيه كما كان الحال معه ، إلا أنه لم تكن له شخصيته وكان لا يحفظ من القرآن سوى سورة الفتح فانفرط عقد الطريقة ، ولما دخل السلطان مسعود خراسان قتل من أفراد أسرته ما لا يقل عن مائة فرد ، على أن واحداً من المريدين هاجر إلى بغداد وأقام بها رباطاً صغيراً يحيي فيه الطريقة . ومن شعره (ترجمة الدكتور الشواربي) :

قلت : حدثني عن جالك .. من الذي يفوز بهجته وسناه
فقال : أنا وحدي الفائز به .. مدمت في الوجود والحياة
فإنى أنا وحدي العاشق والمعشوق والعشق في منتهاه
وإنى أنا وحدي العين المبصرة والجمال الزاهي والمرأة !

* * *

لا تلمني يا سيدي إذا احتسيت الخمر والشراب
وإذا قضيت في الخمر والعشق أيام الشيب والشباب
فأنا في إفاقتي أعاشر الأحباب وغير الأحباب
ولكنني متى سكرت لا أجالس غير الأصحاب !

* * *

حدثت طبيبي عن آلامى الكثيرة الخافية
فقال لى كف الحديث ولا تتكلم إلا عن صفاته العالية
وحذار أن تجعل لك زاداً إلا من دماء قلبك الغالية
وحذار أن تفكر فى الدار الفانية أو الباقية

* * *

يا إلهى أنا فى عشرتى ارتجى عفوكم ورضاكم
وأنا فى ذلتى ابتغى رحتك ونداك
ولن أفعل كسائر الناس فاحتمى بهذا أو ذاك

وليس من حام ولا واق فى العالمين سواك!

* * *

ويقال إنه لما أشرف على الموت طلب أن يكتبوا على قبره هذين البيتين :

سألتك بل أوصيك إن مت فاكتبى على لوح قبرى كان هذا متبى
لعل شجيا عارفا سنن الهوى يمر على قبر الغريب مسلما

■ ■ ■

ابن أبى العشائر

أبو السعود بن أبى العشائر، من مشايخ مصر وصاحب طائفة توجه بهيمته إلى الأخلاق وتربية المريدين، وكان مولده بواسط بالعراق ووفاته بالقاهرة سنة ٦٤٤ هـ، وله رسائل إلى إخوانه من باب النصح والوعظ يصف فيها أصول الطريق وآداب التصوف، ويقول إن الأخلاق الشريفة كلها تنشأ من القلوب، والأخلاق الذميمة كلها تنشأ من النفوس، فالصادق فى الطلب يشرع فى رياضة نفسه وطهارة قلبه حتى تبدل أخلاقه فيبدل الشك بالتصديق، والشك بالتوحيد، والمنازعة بالتسليم، والسخط والاعتراض بالرضا والتفويض، والغفلة بالمراقبة، والتفرقة بالجمعية، والغلظة باللين واللفظ، ورؤية عيوب الناس بالغض عنها ورؤية المحاسن، والقسوة بالرحمة. والسالك ينبغي أن يجعل كتابه قلبه، وصلاح القلب فى التوحيد والصدق، وفساده فى الشرك والرياء، وعلامة صدق التوحيد شهود واحد ليس معه ثان، مع عدم الخوف والرجاء إلا من الله تعالى، وأما الصدق فهو التجرد عن الكل، ومحو كل ذات ظهرت، وفقد كل صفة بطنت. والسالك عليه إذا رأى من نفسه خلقاً سيئاً من كبر أو شرك أن يدخل نفسه فى ضد مادعت إليه، ثم يقبل على ذكر الله حتى تضعف أخلاق نفسه. وأصول الطريقة التى ينبغى أن يبنى المريد عليها أمره أربعة: اشتغال اللسان مع حضور القلب بالذكر، وقسر القلب على المراقبة، ومخالفة النفس والهوى، وتصفية اللقمة لعبوديته.

وابن أبى العشائر لا يقول بالجوع ولا الفقر ولا انقطاع عن الدنيا ولكن ما يهجه هو أكل الحلال، ويقول إن أكل الحلال أو تصفية اللقمة بتعبيره هى القطب وبها تزكو الجوارح. ويبرر مخالفته للمعهود فى التصوف أن النفس ينبغى أن تعطى حظها من

المأكل والمشرب ، وأن تمنع فى نفس الوقت عما يطغىها منه ، لأنها أمانة الله عند العبد ومطيته التى يسير عليها ، فظلمها كظلم الغير بل هو أشد لما ورد فى خلود قاتل نفسه دون قاتل غيره ، إلا أن النفس من جهة أخرى لا ينبغي مطاوعتها على هواها ، والنفس إذا استولت على القلوب أسرتها وصارت الولاية لها ، ومع ذلك فالسالك يجب أن لا يشتغل بالكلية بمقاومة نفسه ، فإن من اشتغل بمقاومتها أوقفته ، ومن أهلها ركبت ، بل يخدعها بأن يعطيها راحة دون راحة ، ثم ينتقل إلى أقل من ذلك ، ومن قاومها وصار خصمها شغلته ، ومن أخذها بالخدع ولم يتابع هواها تبعته .



الأحمدى

أبو الفضل الأحمدي (المتوفى سنة ٩٤٢هـ) مصرى من شيوخ عبد الوهاب الشعرانى فقد صحبه خمس عشرة سنة ووصفه بأنه من أعرف أولياء الله بطريق الله وبأحوال الدنيا والآخرة وله كلام محل اعتبار فيها ، ومذهبه فى التصوف حسن الاعتقاد بربط القلب مع الله ، وتنظيف الباطن من الحرص والغل والخذ وكل الأخلاق المذمومة ، وإصلاح الطعمة فإنها أساس الدين ، والتجرد عن الأسباب ، والتعلم من كل من اختصه الله من فضله كائناً من كان لا سيما أهل الحرف النافعة فإن عندهم من الأدب ما لا يوجد عند خصوص الناس . وكلامه للمريدين عن الأدب يقول لا تقربوا من الأولياء إلا بالأدب ولو باسطوكم فإن قلوبهم مملوكة ونفوسهم مفقودة وعقولهم غير معقولة فيمقتون على أقل من القليل ، ولا تتكلموا قط مع من فنى فى التوحيد فإنه مغلوب ، وكلوه إلى مشيئة الله ، ولا تشتغلوا بالإكثار من مطالعة كتب التوحيد فإنها توقفكم عما أنتم مخلوقون له ، واحفظوا ألسنتكم مع أهل الشرع فإنهم بوابون لحضرة الأسماء والصفات ، واحفظوا قلوبكم من الإنكار على الأولياء فإنهم بوابون لحضرة الذات ، وإذا صحبتكم كاملاً فلا تؤولوا له كلاماً إلى غير مفهومه الظاهر . ويضع الأحمدي شروطاً للمشايخ عند تلقين الذكر للمريدين وإلباسهم الخرقة وإرخائهم لهم العذبة ، فأما تلقين الذكر فشرطه أن يكون للشيخ من القوة والتمكين وكمال الحال ما يستطيع به أن يمنح المريد عند قوله لا إله إلا الله جميع علوم الشرائع المنزلة إذ هى كلها أحكام لا إله إلا الله ، وكلما كان المريد متمثلاً بشيخه كان ذلك أيسر على الشيخ ، والتلقين الحقيقى لا يكون إلا لمن اتحد بشيخه اتحاداً كاملاً حتى صار كأنه هو ، وأما إلباس الخرقة

فشرطه أن يكون الشيخ من التمكن بحيث أنه عند أمره للمريد بأن يخلع قميصه أو قلنسوته فإنه يخلع عنه في الواقع جميع أخلاقه المذمومة فيتعطل عن استعمال شيء منها إلى أن يموت ذلك المريد، ثم يخلع على المريد مع إلباسه تلك الخوذة جميع الأخلاق المحمودة التي هي غاية درجة المريد في علم الله فلا يحتاج بعدها إلى علاج خلق من الأخلاق، وأما إرخاء العذبة فشرطه أن يقدر الشيخ على أن يخلع على المريد حال إرخائها له سر النور والزيادة لكل شيء يمس ذلك المريد أو ينظر إليه، لتكون تلك الزيادة المرخاة من العمامة علامة وإشارة إلى التحقيق لتلك المرتبة من باب التحدث بالنعم.

ابن إدريس

أبو العباس أحمد بن إدريس (١١٧٢ - ١٢٥٣ هـ) مؤسس الطريقة المحمدية الأحمديّة، وتشتهر في اليمن والحجاز ومصر والشام والهند وحضرموت والسودان وجيبوتي والحبشة وجاوه والمغرب وليبيا والصومال. وكانت ولادته في ميسور من قرى فاس بالمغرب، وبها نشأ وتعلم، ثم تتلمذ على الشيخ عبد الوهاب التازي الذي لازمه وأخذ عنه الطريق. وارتحل إلى مصر ثم مكة حيث استقر بها مدة ١٤ سنة، ثم عاد إلى مصر وأقام بالزينية مدة خمس سنوات، وعاد إلى مكة وأقام بها اثنتي عشرة سنة، ثم انتقل إلى اليمن وأقام بها تسع سنوات، وبها توفي ودفن في قرية صيبا. وأخذ عنه فضلاء وقته مثل محمد السنوسي صاحب الجبل الأخضر، ومحمد حسن المدني، والسيد عثمان الميرغني، والشيخ المجذوب السواكني، وإبراهيم الرشيد. ولد مؤلفات ومجالس علمية، ككتاب العقد النفيس في نظم جواهر التدريس، والصلوات المسماة بالمحمد الثمانية. وهو شريف حسنى من نسل الحسن بن علي. ولإبراهيم الرشيد المتوفى سنة ١٢٩١ هـ كراسة في مناقبه أطلق عليها اسم «عقد الدر النفيس في بعض كرامات ومناقب أحمد بن إدريس»، وكذلك للشيخ محمد خليل الهجرسي «الفتوحات المدنية الهجرسية على الصلوات القدسية الإدريسية» وغنصر له هو «الجوهر النفيس على صلوات إدريس»، وأيضاً لصالح بن محمد الجعفرى كتاب «المنتقى النفيس في مناقب قطب دائرة التقديس الإمام أحمد بن إدريس». ويقول الميرغني إن طريقة ابن إدريس تأخذ من الطريقة النقشبندية والطريقة الشاذلية، وعنوانها الطريقة الشاذلية، ويُطلق عليها اسم الأحمديّة نسبة إلى ذاته، ومبناها وطريقة

سلوكها هو الإقبال بالكلية على تدبر معانى كتاب الله، والتعرض لنفحات أسرار علومه ولطائف رفاقته وفهومه، واتباع الكتاب والسنة. وكان ابن إدريس يقول إن التصوف هو تجريد القلب لله تعالى، وهو علم الوراثة الذى نتيجته العمل المشار إليه بحديث فن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم. وهذه الطريقة تسمى محمدية، ووجه اختصاصها بالانتساب إلى النبي ﷺ، فع أن الكل راجع إليه ومستمد منه، إلا أن صاحبها بعد تصحيح بدايته وسلوكه على مناهج الاستقامة المبينة فى الكتاب والسنة، يشتغل بالصلاة على النبي، صلاة إلى أن يثوى على قلبه ويتخامر لتعظيمه ويهتز لدى سماع ذكره، فيسبح الله عليه نعمته ظاهرة وباطنة، ولا يجعل مخلوق عليه مئة، إلا النبي ﷺ فيراه يقظةً ومناماً، ويسأله عما يريد، ومن ثم جعل الصلاة العظيمة مدخلاً لطريقته، كما ضمنها طلب الجمع به عليه الصلاة والسلام، يقظةً ومناماً. وعنده أن الاستقامة هى غاية الكرامة، واتباع النبي ﷺ، خطوة بخطوة، وقدماً بقدم. وفى رسالة له تسمى القواعد ينصح مريديه بترك الراحة والرقاد، والقيام لله على قدم الصدق، وعدم الاستناد إلى البطالة، وعدم الاغترار بالدنيا، فإنه لا أضر على الفقير الصادق من طمعه فى الخلق.

وما يتعلق بالأذكار من طريفته ما يسميه التهليل والعظمية، وصيغته لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لحظة ونفس، عدد ما وسعه علم الله. و فاتحة الأوراد التى تستعمل أوائل كل عمل هى اللهم إنى أقدم إليك بين يدي كل نفس ونحة وطرفة بطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض، وكل شيء هو فى علمك كائن أو قد كان، أقدم إليك بين يدي ذلك كله. وكفارة المجلس هى سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. عملت سوءاً وظلمت نفسى فاغفر لى، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. والعدد فى التهليل فى الطريقة الأحمدية بحسب الطاقة، وكذلك فى كل ذكر، إلا أن الاستغفار فى السحر يعين بالسبعين. وفى رسالة «مختصر الأنوار القدسية فى الطريقة المحمدية الأحمدية الإدرسية» كلام عن التهليل أنه يشفى الغليل. وقراءة الوردتين والحزبين المسمى أحدهما بالسر الأعظم والكنز المطلسم، والآخر بالتجلى الأكبر والسر الأفخر، ويسمى أيضاً بالتجلى الأقدس والنور المقدس فى حضرة القدس، من لوازم الطريقة.

ولفظ الاستغفار الكبير: استغفرك الله العظيم الذى لا إله إلا هو، الحى القيوم، غفار الذنوب، ذا الجلال والإكرام، وأتوب إليك من جميع المعاصي كلها

والذنوب والآثام، ومن كل ذنب أذنبته، عمداً وخطأً، ظاهراً وباطناً، قولاً وفعلاً، فى جميع حركاتى وسكناتى وخطراتى وأنفاسى، كلها، دائماً أبداً، سرمداً، من الذنب الذى أعلم، ومن الذنب الذى لا أعلم، عدد ما أحاط به العلم وأحصاه الكتاب وخطه القلم، وعدد ما أوجدته القدرة وخصصته الإرادة، ومداد كلمات الله، كما ينبغى لجلال وجه ربنا وجماله وكماله، وكما يحب ربنا ويرضى.

إبن أدهم

إبراهيم، الأمير الشحاذ كما يصفه المستشرقون، والذين شبهوا بدايته فى التصوف ببداية بوذا، وزادوا بأن قالوا إن حكاية ابن أدهم كلها قد صيغت نقلاً عن حكاية بوذا. وإبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أبو إسحق، التيمى العجلي، زاهد مشهور، من كورة بلخ، توفى سنة ١٦١ هـ، وقيل فى روايات كثيرة بمختلف اللغات فى بلاد الإسلام، وأنشدت فيه القصائد، وكانت حياته مليحة ومستنبهة للهمم الإبداعية للكثيرين، ومن ذلك أن يقال إنه ابن ملوك، فقد ظن المستشرقون أن ذلك القول على الحقيقة، فلما تحروا أن يكون على بلخ أو خراسان أو العراق ملك أو سلطان، أو حتى وال يقال له أدهم، ولم يجدوا، أطلقوا القول بأن القصة مختلقة من أساسها، وأنه لم يوجد متصوف مسلم اسمه إبراهيم بن أدهم، وإنما قصته ملفقة وترجمة لقصة بوذا. وقالوا إن المشابهة بين أقوال ابن أدهم فى الزهد والتوكل والحب الصوفى وبين أقوال الصوفية فى زمنه متعذرة، ومن ذلك ما يذكره المستشرق فان أريندوك أنه من العبث أن نجد أى أثر فى تصوف معاصريه للنزعة النظرية عنده.

ويحكى ابن أدهم عن بدايته أن أباه حبب إليه الصيد، وكان من المياسير، فخرج راكباً فرسه وكلبه معه، فبينما هو كذلك ثار أرنب أو ثعلب، فحرك فرسه ناحيته، فسمع من ورائه: ليس لذا خلقت، ولا بهذا أمرت؛ ويقول إبراهيم: فوقفت أنظر بينه ويسره فلا أرى أحداً، فقلت لعن الله إبليس، ثم حركت فرسى، فأسمع نداء من قروبس سرجى: يا إبراهيم ما لذا خلقت، ولا بهذا أمرت، فوقفت وقلت: أنبت أنبت. جاءنى نذير من رب العالمين. والله لا عصيت الله بعد يومى ذا ما عصمتى ربي، فرجعت إلى أهلى، فخليت عن فرسى، ثم جئت إلى راع لأبى،

فأخذت منه جبة وكساء، وألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق، أرض ترفعني، وأرض تضعني، وعملت بالعراق أياماً فلم يصف لي منها شيء من الحلال، فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقالوا لي: إذا أردت الحلال (يقصد الشغل) فعليك ببلاد الشام، فصرت إلى بلاد الشام، فقيل لي إن أردت الحلال فعليك بطرسوس، فتوجهت إليها، وعملت بها أياماً أنظر البساتين (أى يحرسها) وأحصد الحصاد، فبينما أنا كذلك جاء صاحب البستان مع أصحابه وقعد في مجلسه ثم صاح: ياناظور، فقلت هو ذا أنا، فقال اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه، فأتيت بأكبر رمان، فأخذ واحدة فكسرها فوجدها حامضة، فقال لي: ياناظور، أنت في بستاننا منذ كذا وكذا، تأكل فاكهتنا، وتأكل رماننا، لا تعرف الحلو من الحامض؟ قال إبراهيم: قلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيئاً، وما أعرف الحلو من الحامض!! فلم يكن إبراهيم يأكل إلا من عمل يده، ولا يطعم إلا ما يوافق دينه. ويروى أن شقيقاً البلخي التقى به في الشام فسأله لماذا ترك خراسان، فقال إبراهيم: ما تنيت بالعيش إلا في بلاد الشام (يقصد لأنه يأكل من عمل يده)، أفر بديني من شاق إلى شاق، ومن جبل إلى جبل، فن يراني يقول موسوس (يقصد مجنوناً)، ومن يراني يقول هو حمال، ثم قال: يا شقيق، لم ينبل عندنا من نبل (يقصد من كان على طريقة ابن أدهم في التصوف) بالحج ولا الجهاد، وإنما نبل عندنا من نبل مَنْ كان يعقل ما يدخل في جوفه (يعنى طعامه) من حيلة، ثم قال: يا شقيق، إن الله أنعم على الفقراء (يقصد الصوفية)، لا يسألهم يوم القيامة، لا عن زكاة، ولا عن حج، ولا عن جهاد، ولا عن صلة رحم، وإنما يسأل هؤلاء المساكين (يقصد الأغنياء)!! وفي رواية أخرى لإبراهيم بن بشار الصوفى الخراسانى قال: أمني مع إبراهيم بن أدهم ذات ليلة وليس معنا شيء نفطر عليه، ولابنا حيلة، فرآني مغتصباً حزناً فقال: يا ابن بشار: ماذا أنعم الله تعالى على الفقراء (الصوفية) والمساكين (الأغنياء) من النعم والراحة في الدنيا والآخرة، لا يسأل الله الفقراء يوم القيامة عن زكاة، ولا عن حج، ولا عن صدقة، ولا عن صلة رحم، ولا عن مواساة، وإنما يسأل ويحاسب عن هذا هؤلاء المساكين، الأغنياء في الدنيا، والفقراء في الآخرة، أعزة في الدنيا، أذلة يوم القيامة. لا تنعم ولا تحزن، فرزق الله مضمون، سيأتيك، نحن والله الملوك الأغنياء، نحن (يقصد الصوفية) الذين تصجلنا الراحة في الدنيا، ولانبالى على أى حال أصبحنا وأمني إذا أطعنا الله عز وجل!!! وهناك الكثير من القصص التي فيها مقارنة بين أحوال الغنى عند أهل الدنيا، وأحوال الفقر عند أهل الله من الصوفية الزهاد، وتنسق مع كون إبراهيم بن

أدهم من المياسير الذين خلفوا كل جاه وسلطان وهال وولد، طوعاً وبالإرادة، طلباً لله. ولا يفهم من ذلك أن إبراهيم يدعو إلى التواكل وترك الأسباب، فقد كان يتعيش من الزرع والحصد وطحن القلال وماشابهه، إلا أنه لم يدع مع ذلك إلى الامتناع عن المسألة، لأنها فرصة لممارسة الإحسان من المحسن، واشترط فيها أن لا تكون تكسباً للعيش، وهو يقول: المسألة مسألتان، مسألة على أبواب الناس (أى اضطراراً ودفعاً للهلاك -جوعاً، وحتى وهى كذلك فإن السائل عليه أن يسمى فى طلب القوت بطلبه من الناس بأن يمر عليهم فى بيوتهم)، ومسألة يقول الرجل فيها أألزم المسجد وأصلى وأصوم وأعبد الله، فمن جاءنى فى شىء قبلته، فهذه شر المسألتين، والآخذ بها هو المُلحَف من المسألة. وإذن طريقة إبراهيم هى طريقة العمل والآخذ بالأسباب مع التوكل على الله. وقد حدث أنه كان مع إخوانه أمام بيته، وأحدهم كان بادی الفقر، ومظهره شديد البؤس، فقال له إبراهيم: أدخل أدخل حتى لا يمر بك إنسان فيظن أنك سائل فيعطيك شيئاً!! ويروى إخوانه فى الطريق أنهم رأوه يأكل الطين عشرين يوماً، ويقول لولا أنى أتحوف أن أعين على نفسى (يعنى أن أجور على نفسى) ما كان لى طعام إلا الطين حتى ألقى الله عز وجل، حتى يصفو لى الحلال من أين هو. ويصف إبراهيم طريقته فيقول: لو علم الملوك وأبناء الملوك (لاحظ مرة أخرة ذكره للملوك وأبنائهم) ما نحن فيه من السرور والنعم لجالدونا بأسيا فهم أيام الحياة على ما نحن فيه من لذة العيش وقلة التعب!!! وكان إبراهيم يلبس فى الشتاء فروة ليس تحتها قيص، ولم يكن يلبس خفين ولا عمامة، وفى الصيف له شقتان بأربعة دراهم، يأتمر بواحدة ويرتدى بأخرى، ويصوم فى السفر والحضر، ولا ينام الليل، وكان يتفكر، فإذا فرغ من الحصاد أرسل بعض أصحابه فحاسب صاحب الزرع، فيجيئون بالدراهم لا يمسه بيده، فيقول لأصحابه: اذهبوا كلوا بها شهواتكم!! وقيل فى إبراهيم إنه كان قلما يتسم، وقد حدث ذلك ثلاث مرات، وفى إحداها كان سبب ابتسامته أنه نظر الفروة التى عليه فلم يميز بين شعرها وبين القمل لكثرة (القشيري فى الرسالة)، ويعلق على ذلك أحد المستشرقين أن القصة الحق بالتصوف الهندى والسريانى منها بالتصوف الإسلامى، غير أن هذا الفقير هو ما كان يطلبه إبراهيم، وعلى ذلك كانت تسمية الصوفية بالفقراء، وإبراهيم يقول: الفقر كثر فى السماء، يهبه الله للمخلصين من عباده، ومن علامة العارف بالله أن يكون أكبر همه العبادة. ويروى عنه أنه فى بغداد التقى بالإمام أبى حنيفة وحضر مجلسه فاشمأز تلاميذه من رثاء ثياب ابن أدهم، فقال لهم أبو حنيفة أنتم مشغولون بأبدانكم، وهذا

شُغله بالله!! وحدث يوماً وكان ينظر كَرَمًا أن مر به أحدهم وأمره أن يعطيه من الكرم، فقال إبراهيم: ما أذن لى صاحبه، فجعل الرجل بقلب سوطاً فى يده وأمسك إبراهيم من موضع الشيب فى رأسه، ويهدده، وإبراهيم يطأطئ رأسه ويقول: إضرب رأساً طالما عصى الله، فأعجز الرجل عنه، وهى قصة يقول المستشرقون فيها إن طريقة إبراهيم كما تصورها تجعله متأثراً بالتصوف المسيحى، وقد كانت منطقة طرسوس وما حوّلها حيث لبث إبراهيم نحو أربع وعشرين سنة يكثر فيها النصارى، وكثيراً ما كان إبراهيم يعمل عندهم، إلا أن طريقة إبراهيم كانت هى الطريقة المحمدية، وطريقة الآباء والإسلام. وإبراهيم قد جاهد فى سبيل الله وغزاه، وكان الناس يركبون وإبراهيم على رجله ويأبى الركوب، ولم يكن يأكل من الغنائم لكى لا يكون جهاده فى غير سبيل الله، ومات فى إحدى الغزوات ضد البيزنطيين فحملوا جثمانه إلى صور حيث دفنوه، وقيل دفن فى جبلة بالقرب من اللاذقية، وقالوا إنه مدفون فى دمشق أو فى بغداد، وقال البخارى: إن وفاته سنة ١٦١ هـ، وقال ابن عساكر سنة ١٦٢ أو ١٦٣ هـ. وفلسفة إبراهيم قوامها: أطب مطعمك ولا حرج عليك إن لم تقم الليل ولم تصم النهار. وطريقته أساسها أن درجة الصلاح لا ينالها المريد إلا إذا جاز ست عقبات، الأولى: أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة، والثانية: أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل، والثالثة: أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد، والرابعة: أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر، والخامسة: أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر، والسادسة: أن تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت.

والفقر بطريقة ابن أدهم يعادل الشهادة عند الله، وهو مقام لا يعطيه إلا لمن أحبه، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط، والساخط معذب، ودليل كل ماسبق قوله تعالى: «لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم».

وإبراهيم لا يصدر عن فلسفات هندية أو سريانية أو مسيحية كما يقول المستشرقون، وليست القصص عنه خيالية رومانسية كما يدعون. وحتى كلامه فى الحب الذى يكنه للحق لم يكن سابقاً على زمانه، ولم يكن مقلداً للمسيحيين، فهو قد أسلم أمره لله، وزهد فيما كل ما يمكن أن يشغله عن الله. وقد حدث يوماً أن رسولا جاءه بدنانير فردّها على صاحبها قائلاً ما حاجتى إلى شىء لا يبقى على. وحدث أن نام إبراهيم يوماً فى العراء والمطر ينهمر وقد غطى نفسه، فكشف أصحابه غطاءه ولا موه

فقال : طَلَبَ المَلُوكُ شيئاً ففاتهم ، وطلبناه فوجدناه (يقصد الطريق إلى الله ومحبة الله) .
وهو يشكو القلق دائماً ، ولكنه ليس الدنيوى ، ويقول مخاطباً الحق : اللهم إن كنت
أعطيت أحداً من المحبين لك ما سَكَنْتَ به قلوبهم فأعطني ذلك فقد أضربى القلق .
ويروى أنه رأى فى نفس الليلة فى المنام أن الله تعالى يقول له : يا إبراهيم ، أما
استحييت منى ؟ تسألنى أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائى ؟ وهل يسكن قلب
المشتاق إلى غير حبيبهِ ؟ أم هل يستريح المحب إلى غير من اشتاق إليه ؟ فقال إبراهيم :
قلت : يارب ، تُهت فى حبك ، فلم أدر ما أقول !!! وبمثل ذلك قعد إبراهيم أصول
طريقته ، فهى لم تقم على الصدفة والروايات والتأثير والتأثر ، بمثل ما قامت على
الأصول ، وهو يسأل مرة شقيقاً البلخى فى الأصول : علامَ أَصَلْتُمْ أصولكم ، ويحيب
البلخى : إذا رُزِقْنَا أكلنا ، وإذا مُنِعْنَا صبرنا ، فيرد إبراهيم رداً حاسماً هكذا كلاب
بلخ ، إذا رُزِقْتَ أَكَلْتَ ، وإذا مُنِعْتَ صَبَرْتَ . إِنَّا أَصَلْنَا أصولنا على أَنَّا إذا رُزِقْنَا
آثَرْنَا ، وإذا مُنِعْنَا حَمَدْنَا وشكرنا !!! (وذلك ما يميز الإنسان الصوفى أو الإنسان العابد
homo religioso عن الإنسان ، أى إنسان ، أو عن الحيوان) . ويروى أن البلخى
وقد سمع رد ابن أدهم أسرع وقعد بين يديه وقال : أنت أستاذنا !!

أربرى

أرثر أربرى Arberry مستشرق بريطانى (١٣٢٣ — ١٣٩٠هـ ، ١٩٠٥ — ١٩٧٠م) من أعضاء المجمع العلمى العربى بدمشق ، تعلم بمدرسة اللغات الشرقية فى
بورتسموث وكلية مبروك فى كيمبردج ، وأتقن العربية والفارسية ، ورأس قسم
الدراسات القديمة فى الجامعة المصرية من سنة ١٩٣٢ إلى سنة ١٩٣٤م ، وعين أميناً
لمكتبة ديوان الهند ووزيراً للأتباء فى الهند ، ثم استأذناً للعربية فى جامعة لندن . ونشر
فى التصوف كتاب التعرف للكلاباذى ، واللمع للسراج ، والمواقف للنفرى ،
والتوهم للمحاسبي ، والصدق لأبى سعيد الخراز ، وترجمات من الشعر الصوفى
الفارسى ، وبحوثاً فى الغزل الصوفى عند حافظ ، ورباعيات الرومى وأبى دنيا والشيخ
شهاب الدين عمر السهروردى ، والتصوف الإسلامى فى الدراسات البريطانية ، وسير
الصوفية ، وتراجم لذى النون المصرى والقشبرى وغيرهم ، وله كذلك المدخل لتاريخ
التصوف .

الاسفرايينى

أبو المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد الاسفرايينى الفقيه الأصولى المفسر الشافعى، توفي بطوس سنة ٤٧١ هـ، ومن مصنفاته «تفسير الكتاب الكريم» بالفارسية، و«الأوسط» فى الملل والنحل. وله «التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين» المعروف بين أهل العلم بالتبصير، وأيضاً بكتاب الملل والنحل، ويعتبر الصوفية من الفرق الناجية ويقول إن الصوفية ليسوا من أهل البدع، لأن أهل البدع لم يكن لأحد منهم حظ من دقائق وحقائق علم التصوف، بل إن هؤلاء كانوا محرومين مما فيه من الراحة والحلاوة والسكينة والطمأنينة. ويذكر الاسفرايينى أن عبد الرحمن السلمى قد أورد فى طبقاته من أعلام الصوفية قريباً من الألف، وجمع إشاراتهم وأحاديثهم، ولم يكن فيمن أورد أساءهم أحد ممن يمكن أن ينسب إلى شىء من بدع القدريّة والروافض والخوارج، ويتساءل وكيف يمكن أن يتصور فيهم من هؤلاء وكلامهم، أى الصوفية، يدور على التسليم والتفويض والتبرى من النفس والتوحيد بالخلق والمشيئة، بينما أهل البدع ينسبون الفعل والمشيئة والخلق والتقدير إلى أنفسهم، وذلك بمعزل عما عليه أهل الحقائق من التسليم والتوحيد.

ويقول الاسفرايينى فى باب فِرَق البدع الذين ينتسبون إلى دين الإسلام ولا يعدون فى زمرة المسلمين أن هؤلاء الحلولية وهم فرقة ظهرت فى دولة الإسلام وكان غرضهم إفساد التوحيد على المسلمين، ومن جملتهم الخلاجية المنتسبون إلى أبى المغيث الحسين بن منصور الخلاج من أرض فارس، من بلد يقال له بيضاء، وكان فى أول أمره يتكلم على لسان الصوفية ويتعاطى العبارات التى تسميها الصوفية الشطح، وهو أن يتكلم بكلام يحتل معنيين، أحدهما مذموم والآخر محمود، وكان يدعى فى كل علم، وافتتن به أهل العراق وجماعة من أهل طالقان خراسان، واختلف المتكلمون والفقهاء والصوفية فى حاله. أما المتكلمون فأكثرهم على أنه من الحلولية، وكان محتالاً ممخراً، وإليه ذهب القاضى أبو بكر (الإمام محمد بن الطيب الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ) وحكى فى كتابه كثيراً من حيله، وجماعة من متكلمى البصرة يقال لهم السالية، وهم من جملة الحشوية، يتكلمون ببدع متناقضة، وقالوا إنه كان صوفياً محققاً وله كلام فى معان دقيقة فى حقائق الصوفية. وكذلك الفقهاء اختلفوا فى حاله فقد سئل بعضهم عن حاله لما أريد قتله فتوقف فيه، وأفتى بعضهم بجواز قتله. وكذلك أهل التصوف اختلفوا فى حاله، فردّه عمرو بن عثمان المكى وأبو أيوب الأقطع، وردّوا من كلامه أنه قال

يوماً للجنيد أنا الحق، فقال له الجنيد أنت بالحق أى خشبة تفسد، فظهرت فراسته حتى صلب بعد ذلك . وقبله أبو العباس بن عطاء وأبو عبد الله بن خفيف وأبو القاسم النصر آبادى وفارس الدينورى . وقالوا أظهر الله عليه أحوال من الكرامات وكان من حقه أن يحفظ سره فيها، فعاقبه الله تعالى بتسليط من كان يرده عليه حتى بقى حاله مشكلاً ملبساً، وقالوا: والدليل على صحة باطنه أنه كان يُقطع يده ورجله ويقول حسب الواحد أفراد الواحد . وحكى عنه أنه سئل عن دينه فقال: ثلاثة أحرف لا عجم فيها، ومعجومان وانقطع الكلام . قالوا أراد به التوحيد، والذين قالوا بتكفيره إنما قالوه لما حكى عنه أنه كان يقول: كل من هذب نفسه فى الطاعة وصبر على اللذة وصفا حتى لا يبقى فيه شيء من البشرية حل فيه روح الإله كما حل فى عيسى عليه السلام، ولا يريد شيئاً إلا كان كما أراد، ويكون جملة فعله قول الله تعالى . وكان يدعى لنفسه هذه المنزلة، ووجد له كتب كتبها إلى أتباعه عنوانها «من الهو هو رب الأرباب، المتصور فى كل صورة، إلى عبده فلان» . وأتباعه كانوا يكتبون إليه «يا ذات الذات ومنتهى غاية اللذات، نشهد أنك تتصور فيما شئت من الصور، وأنت الآن متصور فى صورة الحسين بن منصور، ونحن نستجيرك يا علام الغيوب» . ويقال إنه اختدع جماعة من خواص المقتدر، فخاف المقتدر فتنة فعرض حاله على الفقهاء، واستفتى فيه الفقهاء فوافق مراده فتوى أبى بكر بن داود فأمر حتى ضرب ألف سوط، وقطعت يده ورجلاه وصلب يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذى القعدة سنة تسع وثلاثمئة، ثم أمر حتى أنزل من خشبته وأحرق وطرح رماده فى دجلة، وأتباعه الذين من أهل طالقان قالوا إنه حى، وأن الذى قتل كان شخصاً ألقى عليه شبهة، والله أعلم بحقيقة الأمر.



الإسنوى (عماد الدين)

محمد بن الحسن بن على بن عمر القرشى الإسنوى الأموى الأشعرى (٦٩٥ هـ - ٧٦٤ هـ) صاحب كتاب «حياة القلوب فى كيفية الوصول إلى المحبوب»، وميلاده بإسنا وتعلم بالقاهرة والشام واستوطن حماة مدة، وعاد إلى مصر فتاب بالحكم فى القاهرة ومنوف وتوفى بالقاهرة، والكتاب فى أربعة فصول فى حد علم التصوف وحقيقته وشرفه ومعنى التصوف وأحوال الصوفية وأدبهم مع الحق والخلق ومعنى الولاية وكرامات الأولياء ولغة التصوف، وهو يقول إن علم الباطن هو علم القلب أو علم

التصوف ، وهو أجل العلوم وأشرفها ، ويعرف منه أحوال النفس فى الخير والشر وكيفية تنقيتها من عيوبها وآفاتنا وتطهيرها من الصفات المذمومة والردائل والنجاسات المعنوية التى ورد الشرع باجتنابها ، والاتصاف بالصفات المحمودة ، وهى الصفات التى طلب الشرع تحصيلها ، وكيفية السلوك والسير إلى الله تعالى . وفائدة هذا العلم وثمرته هى النجاة فى الآخرة ، والفوز برضا الله تعالى ، ونيل سعادة الأبد ، وموضوعه هو الباطن أى القلب من ناحية ما يعرف له من اللمحات والخطاطر والهواجس والوساوس والعلوم والنيات والقصود والعزائم والاعتقادات وحديث النفس وغير ذلك . ومسائل هذا العلم هى الأحكام المتعلقة بهذه الخطاطر والهواجس والنيات والقصود والعزائم وسائر أحوال النفس . وشرف هذا العلم أن أهله هم الصفوة بمد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهو العلم الذى درج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وهو العلم الذى لم يبعث الله الأنبياء إلا لأجله ، وقد سماه فى كتابه فقهاً وعلمياً وضياءً ونوراً وهدى ورشداً ، وهو مستخرج من القرآن والسنة ، وهو علم يقين المقربين . والتصوف أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة ، فالعلم يكشف عن المراد ، والعمل يعين على المطلوب ، والموهبة تبلغ غاية الأمل ، وأهله على ثلاث طبقات ، مرید طالب ، ومبتدئ ، ومنتهى ، فالمرید صاحب وقت ، والمتوسط صاحب حال ، والمنتهى صاحب نفس ، وأفضل الأشياء عندهم عد الأنفاس ، فالمرید طالب متعوب فى طلب المراد ، والمتوسط السالك مطالب بآداب المنازل ، وهو صاحب تلوين لأنه يترقى من حال إلى حال ، وهو فى الزيادة ، والمنتهى الواصل محمول قد جاوز المقامات ، وهو فى محل التمكن لا تغيره الأحوال . ومقام المرید المجاهدات والمكابدات وتحمل المشاق وتجرب المرارات وبجانبه الحظوظ ، ومقام المتوسط ركوبه الأحوال فى طلب المراد ومراعاة الصدق فى الأحوال واستعمال الأدب فى المقامات ، ومقام المنتهى الصحو والتمكين وإجابة الحق من حيث دعاه . والتصوف له ظاهر وباطن ، فظاهره استعمال الأدب مع الخلق بالأخلاق الحسنة معهم ، وباطنه منازلة الأحوال والمقامات مع الحق ، فالظاهر علامة الباطن ، والباطن حقيقة الظاهر . ويوصى الأموى المرید بأن يكون شديد التوق والاجتناب لمحدثات الأمور ، وليكن حريصاً على التفتيش عن أخبار الصحابة وسيرهم ، ويحذره من التغلى عن السنة وآدابها ، وبوجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوباً على الكفاية ، ويتأكد وجوبه على المرید والسالك ، والدليل عليه قوله تعالى وليتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

الأصم (حاتم)

أبو عبد الرس حاتم بن علوان، وشهرته حاتم الأصم، ولم يكن أصم على الحقيقة وإنما جاءت امرأة تسأله مسألة فاتفق أن يخرج منها ريح له صوت فخبجت المرأة، فقال حاتم إرفعى صوتك زاعماً أنه لم يسمع ما صدر منها، فدخل المرأة السرور لذلك، ومن معها غلب عليه اسم الأصم. وهو أعجمي من بلخ، وصفه بعض أصحابه بأنه ألكن ليس يكلمه أحد إلا يقطعه، وتوفي سنة ٢٣٧هـ، وكان يقال فيه حاتم الأصم لقمان هذه الأمة، قيل تتلمذ على شقيق البلخي، وتلمذ عليه أحمد بن خضرويه، وروى عنه أبو تراب النخشي. وطريقته تقوم على إيثار الأدم والأعم، والأخذ بالألزم والأقوم، ويؤسسها على التوكل والتيقن، ويفلسف توكله بأنه قد علم بأن رزقه لن يأكله غيره فاطمأنت نفسه، وعلم بأنه لا يخلو من عين الله حيثما كان فاستحيى منه، وأن له أجلاً يبادره فهو منتظر له. ويضرب المثل بنفسه فقد كانت له أربعة نسوة وتسعة أولاد ولم يقدر الشيطان أن يوسوس له في شيء من أرزاقهم. ولما سأله أستاذه شقيق ماذا تعلمت مني منذ أن صحبتني، أجابه تعلمت ست كلمات، أولهن رأيت كل الناس في شك من أمر الرزق، والله يقول وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، فعلمت أنني من هذه الدواب فلم أشغل نفسي بشيء قد تكفل لي به ربي، والثانية رأيت لكل إنسان صديقاً يفشى إليه سره ويشكو إليه أمره، فقلت أنظر لي صديقاً، فكل صديق رأيته قبل الموت فأردت أن أتخذ صديقاً يكون لي بعد الموت، فصادقت الخير ليكون معي إلى الحساب ويجوز معي إلى الصراط ويثبتني بين يدي الله عز وجل، والثالثة رأيت أن كل الناس لهم أعداء فقلت أنظر من يكون عدوى، فالذي يعطيني أو يأخذ مني ليس عدوى، وإنما عدوى هو الذي يأمرني بالمعصية كلما كنت في طاعة الله، وذلك هو إبليس وجنوده فاتخذتهم عدوى، ونصبت الحرب بيني وبينهم، والرابعة رأيت الناس لهم طالب يطلب كل واحد منهم في يوم من الأيام وذلك هو الموت، ففرغت له نفسي فإذا جاء أكون مستعداً للمضي معه، والخامسة رأيتني أحب وأبغض حسداً للناس فطرحت الحسد من قلبي وأحببت الناس كلهم، فكل شيء لم أرضه لنفسي لم أرضه لهم، والسادسة رأيت الناس كلهم لهم بيت وماوى يهتمون بتعميره، ولكن مآلهم إلى القبر وليس ما يعمرونه به، فقلت أفعل كل ما أقدر عليه من الخير حتى أعمر به قبري.

والموت من يقينيات الأصم، وله فيه كلام يعظ به مريديه وكانوا كثيراً حتى أنه لما دخل الرى فى سياحة كان بصحبته ثلاثمائة وعشرون رجلاً من الصوفية يقول لهم من دخل مذهبنا فليضع نصب عينيه الموت، وهو ليس هذا الموت الحسى الذى نعرفه كنهاية للحياة على الأرض، ولكنه موت الصوفية، ومنه موت أبيض هو الجوع، وموت أسود هو احتمال أذى الناس، وموت أحمر هو مخالفة النفس، وموت أخضر هو طرح الرقاق بعضها على بعض. والصوفى المراقب لنفسه هو الذى يذكر نظر الله إليه إذا عمل، ويذكر سمع الله له إذا تكلم، وعلم الله فيه إذا سكت. وليس من يدعى حب الله من غير ورع عن محارمه، أو حب الجنة من غير إنفاق ماله، أو حب النبى من غير محبة الفقراء إلا كذباً. ورأس الأمر كله فى الثقة بالله، ثم التوكل، ثم الإخلاص، ثم المعرفة، والأشياء كلها تتم بالمعرفة، ومذهب الأصم يؤصله على المعرفة وهى الأثرم والأقوم للصوفى، وبها يكون العارف عارفاً.



ابن الأعرابى

أبو سعيد أحمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابى (٢٤٦ - ٣٤١هـ) بصرى نزيل مكة وبها مات، وله التصانيف المشهورة ومنها طبقات النساك، والاختصاص (فى ذكر الفقر والغنى)، والإخلاص، ومعانى علم الباطن، ومعانى الزهد وأقوال الناس فى صفة الزاهدين، والمواعظ والقوائد. وصحب ابن الأعرابى الجنيد وعمر بن عثمان المكي وأبا الحسين النورى، وأسند الحديث ورواه، وكان شيخ الحرم المكى فى وقته، ويفرق بين علوم الظاهر وعلوم الباطن، والأولى مدارجها الوسائط والثانية مدارجها المكاشفة، والتصوف ترك للفضول، والمعاملة كلها مبنية على استعمال الأولى فالأولى من العلم، فإذا زهدت فيلزمك أن تأخذ فقط ما لا بد منه، وإذا توكلت فعنى ذلك أن تطرح عن نفسك الكنف، وإذا رضيت فذلك معناه أنك تركت الاعتراض، وأما مقام المحبة فهو إيثار المحبوب على الكل، وفى الصبر تتلقى البلاء بالرحب، فإذا فوضت فإنك تطمئن تماماً، وعند تحقق اليقين تترك الشكوى وتكون الثقة بالله وأنه أعلم بك وبمصالحك منك بنفسك. والنفس هى آفة المريد، والاشتغال بها يقطعه عن عبادة ربه، والاشتغال بهوم الدنيا يقطعه عن هوم الآخرة، والأقرب إلى التوفيق من تنبه من الغفلة والنسيان برحمة من الله فيعرف نفسه بالعجز والذل والضعف وقلة الحيلة

فيتواضع لله وللخلق، وهكذا الفقراء أو الصوفية فأخلاقهم ستكون عند الفقر واضطراب عند الوجود وأنس بالهموم ووحشة عند الأفراح.

أق شمس الدين

ولى البيرامية، محمد شمس الملة وولى الدين بن حمزة، له «رسالة فى دوران الصوفية ورقصهم»، ولد سنة ٧٩٢هـ فى دمشق، وقيل إنه من نسل محمد بن شهاب الدين السهروردى، وكان قدومه إلى قاواق سنة ٧٩٩هـ، وتوفى أبوه وهو فى السابعة، وانخرط فى دراسة الدين، واشتهر بدر الدين بن قاضى سماونة بأنه كان من شيوخه، واشتغل مدرساً للقرآن، وانضم للطريقة البيرامية وسرعان ما اختاره ولها حاجى بيرام شيخاً سنة ٨٣٠هـ، وكانت له كرامات علاجية قرّبه من السلطان محمد الثانى، وكتب عدداً من الكتب الطبية والصوفية التى لم تنشر بعد ولكن البيرامية الشمسية يتداولون مخطوطاتها بينهم، وكان له دور كبير فى استبعاد الملامتية من الطريقة فانفصلوا بطريقتهم وتسموا باسم الملامتية البيرامية وشيخهم عمر دده البورسوى. (أنظر البيرامية)

الأقصرى

يوسف بن عبد الرحيم بن يوسف البغدادى (نحو ٥٥٠ — ٦٤٢هـ) وشهرته أبو الحجاج الأقصرى نسبة إلى مدينة الأقصر بصعيد مصر التى أقام به بعد رحيله إلى مصر من العراق حيث موطنه ومثوى آبائه، وكان من أخلص مريدى عبد الرحيم القنائى، وقيل فيه إنه كان عظيم الشأن فى مواجهه وأحواله ومكاشفاته وكراماته، واتسعت دائرته وانتسب إليه خلق كثيرون. ويذكر شهاب الدين السهروردى فى كتابه جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب طرفاً من الحكايات عن الأقصرى وهو فى بغداد، ومنها نفهم أنه كان يعمل حائناً قبل أن يرحل إلى مصر، وكان له حانوته الخاص، وكان رحيل الأقصرى إلى مصر ولم يبلغ الأربعين، وصحبه أولاده الأربعة، وأسلمت على يديه راهبة الأقصر تريزة بنت القيصر لما رأت إيمانه ووهبته كنيسة فأقام عليها مسجده

والحق به مدرسة لتدريس علوم الباطن لمريديه، ويبدو من الترجمات التي تناولته أنه حارب البدع في مجتمع الأقصر وأنه استطاع أن يخرج من حياة الجحود والتخلف إلى السعى في الدنيا والآخرة. وطريقته في التصوف هي التزام الكتاب والسنة، ومن تعاليمه أن المريد الصادق لا يخوض قط في الذات تعظيماً لجنان الله، وكان يحذر من الحلوليين والاتحاديين ويقول كل مريد سمعتموه يقول حقيقتي الله أو لا موجود إلا الله فعرّفوه بذنبه فإن لم يتب فاقتلوه لأنه زنديق. وله منظومة في التوحيد ضممتها تسعة وتسعين باباً، وتتكون من نحو ألف وأربعمائة بيت ويستهلها بقوله :

الحمد لله العلي الصمد	الأول الآخر بلا أمد
ويقول في ذات الله وصفاته :	
وكل ضد لصفات ذاته	يستحيل ذاك في صفاته
كالعجز والموت والنام	والجهل والمانع للكلام
وما يتنافى سمعه وبصره	جلّ الإله ربنا ما أكبره
ويستحيل أن تكون ذاته	كذات لمخلوق كذا صفاته
ولا له حد ولا مثال	ولا تسفير ولا زوال

والأقصرى له منهجه في التربية الصوفية، والمريد الصادق لا يرجع عن الطريق ولو قاسى كل الأهوال، ومن شروطه أن لا يصحب شيخه بنفس ولا ملك ولا اختيار، ومن كان له حسد لإخوانه فلا ارتقاء له أبداً. ومن أشهر تلاميذ الأقصرى أبو الفوث مفرج الدماميني المتوفى سنة ٦٤٨هـ والمدفون بدمامين من أعمال قوص، وله كلام حسن في الطريق، وموسى بن الحسن بن يوسف المعروف بالصباغ وبالظهير القوصي والمتوفى سنة ٧١٠هـ وقد تخرج عليه الكثيرون ومنهم تاج الدين الدشناوى، وكمال الدين عبدالظاهر الجعبري القوصي المتوفى سنة ٧٠١هـ وقد استوطن أخيم وانتفع به خلق كثير.

الأنصاري (زكريا)

شيخ الإسلام، نشأ فقيراً معلماً حتى أنه قال أنه كان يخرج في الليل من شدة الجوع فيلتقط قشر البطيخ ويغسله ويأكله، ولما ظهر فضله تنابعت عليه العطايا حتى

كان دخله قبل أن يتولى منصب القضاء نحو ثلاثة آلاف درهم، فأكثر من الصدقة واقتنى نفائس الكتب، واشتغل بالتعليم والتأليف، وله المصنفات والشروح، وتلمذ عليه الشعراني، وقال فيه إنه في أواخر عمره الذي امتد أكثر من مائة عام (ولد سنة ٨٢٣ هـ ومات سنة ٩٢٦ هـ) لم يكن في مصر كلها إلا من كان من طلبته أو من هو لا يزال يدرس عليه، وكان صوفياً ذا كرام، يشرح كلام أهل الطريق على أتم حال ويحيب عنه بالأجوبة الحسنة إذا أشكل على الناس شيء من كلامهم. وكان يقول إن الفقيه إذا لم تكن له معرفة بمصطلح ألفاظ القوم فهو كالخبز الجاف من غير إدام. ولما وقعت فتنة برهان الدين البقاعي في إنكاره على ابن الفارض ألفاظه، كان يقول: لا يجوز لمن لا يعرف مصطلح القوم أن يتكلم في حقهم بشر، لأن دائرة الولاية تبدأ من وراء طور العقل لقيامها على الكشف، يعني أن علم الصوفية كشفى من دائرة وراء العقل، أي أن الكلام فيه ليس بالعقل. وكان هو نفسه كثير الكشف لا تحيب فراسته فيمن يجادته. وكان وهو شاب يحب طريق الصوفية ويحضر أذكارهم حتى أن أهل الفقه كانوا يعدون ذلك نقيصة فيه، ولا يستبشرون فيه خيراً للفقه، لكثرة مطالعته لكتب الصوفية. وقال عن نفسه إنه سافر إلى المحلة الكبرى ليلتقى بالشيخ الغمري وأقام عنده أربعين يوماً قرأ عليه فيها كتابه قواعد الصوفية كاملاً وأخذ عنه لبس الخزقة وتلقن الذكر.

الأنطاكي

أبو عبد الله أحمد بن عاصم المتوفى سنة ٢٣٩ هـ، من أقران بشر الحافي والسري السقطي والحارث المحاسبى، ومن أجل ذلك يدور كلامه على المراقبة والمحاسبة، ويسميه الداراني لهذا السبب جاسوس القلب، ويطلق الأنطاكي على الصوفية اسم أهل الصدق، ومجالستهم لذلك تكون بالصدق لأنهم جواسيس القلب، وعلم التصوف هو علم معاملات القلوب. يقول: إذا صارت المعاملة إلى القلب استراحت الجوارح، وكل نفس مسئولة فتعدها بالمحاسبة، واستح من قبلك من نفسك دعواها الصدق، والحكيم من نظر بعين القلب، والقلوب تحتاج من أصحاب النفوس الحية إلى دوام الرعاية، وإجمام القلوب يكون بقلّة المخالطة وترك الطلب، ورفقها تستجلب بدوام مجالسة أهل الذكر من أهل العقول، ونورها يُتحصل بدوام الحزن، واستفتاح الحزن يكون بطول الفكر، والتماس الفكر يكون في مواطن الخلوات.

والأنطاكي من الذين أمعنوا التفكير في أحوال عصره، وقرأ كثيراً، ووازن بين مختلف العلوم، وصارت له رؤياه الخاصة. يقول: أدركت من الأزمنة زماناً عاد الإسلام فيه غريباً كما بدأ، وعاد وصف الحق فيه غريباً كما بدأ، إن نزعنا فيه إلى عالم وجدته مفتوناً بالدنيا، يحب التعظيم والرياسة، ويأكل الدنيا بعلمه ويقول أنا أولى بها من غيره، وإن ترغّب فيه إلى عابد تجده مفتوناً جاهلاً في عبادته، مخدوعاً لنفسه ولإبليس، قد صعد إلى أعلى درجات العبادة وهو جاهل بأدناها، فكيف بأعلاها، فقد صارت العلماء والعباد سباعاً ضارية، وذئاباً مختلصة، فهذا وصف أهل هذا الزمان من أهل العلم والقرآن ورعاة الحكمة، فاعتبروا يا أولى الأبصار. والأنطاكي بحث عن الحل وقد تبهر العلوم وجرب الأصول، وطالع الحكمة ودارس الموعظة، وتدبر القول بالمعقول، فلم يجد من العلم ما هو أشقى للصدر، وأتقى للهم وأحي للقلب، وأجلب للخير وأذهب للشر، من علم معرفة المعبود وتوحيده، والإيمان واليقين بآخرته ليصح الخوف من عقابه والرجاء لثوابه والشكر على نعمه. ويوجز الأنطاكي مذهبه في هذه العبارة «كفى بالعبد عارا أن يدعى دعوة ثم لا يحققها بفعله»، ويلخص حياته ومجاهداته الروحية وحقيقة تصوفه في هذه الأبيات يعلم بها مرديده:

ألم ترى أن النفس يريدك شرها
فن ذا يريد اليوم للنفس حكمة
هلم إليّ الآن إن كنت طالباً
فعندي من الأنباء علمٌ مجربٌ
أخبر أخباراً تقادّم عهدُها
وكيف نما حتى استتم كماله
ومن بعد ذا عندي من العلم جوهرٌ
وعلماً غزيراً جالى الرين والصدى
فأصبحتُ بالتوفيق للحق واضحاً
لأننى فى دهر تغرّب وصفه
فأحوج ما كنا إلى وصف ديننا
عجائب من خير وشر كليهما
فقد ندب الإسلام أحمد ندبة
فأول ما أبداً بالحمد للذى
وصيرنى إذا شاء من نسل آدم

وأنت مأخوذ بما كنت ساعياً
وعلماً يزيد العقل للصدر شافياً
سبيل هدى أو كنت للحق باغياً
فمنه بإلهام ومنه سماعياً
وكيف بدا الإسلام إذ كان بادياً
وكيف ذوى إذ صار كالشوب بالياً
يفيلك علماً إن وعيت كلامياً
عن القلب حتى يترك القلب صافياً
وذاك بإلهام من الله ماضياً
فصار غريباً موحش الأهل قاسياً
ووصف دلالات العقول زمانياً
فإن كنت سماعاً بدا للقلب واعياً
كما ندب الأموات ذو الشجو شاجياً
برانى للإسلام إذ كان بارياً
ولم أك شيطاناً من الجن عاتياً

ولا شاء من إبليس صير مخرجي
ولكنه كان باللطف سابقا
وصيرني من بعد في دين أحد
وفهمني نورا وعلماً وحكمة
فن أجل ذا أرجو إذ كان غافراً
ومن أجل ذا أرجوه إذ لم يكافني
فلا كنتُ ذا عقل لما قد رجوته
ولو كنت أرجوه لحسن ضيعة
فشكري له إذ صيرت بالحق عالماً
ومن بعد ذا وصفني لنفسى وطبعها
فهذا من الأنبياء وصف غرائب
فكيف به إذا كان بالحق عالماً
وذاك لأن الناس قد آثروا الهوى
فهذا زمان الشر فاحذر سبيله

فكنت مضلاً جاحد الحق باغياً
وإذ لم أكن حياً على الأرض ماشياً
وعلمني ما غاب عنه سؤالياً
فشكري له في الشاكرين موازياً
ومن أجل ذا قد صح مني رجائياً
ولكن بلطف منه كان ابتدائياً
لقد كنتُ ذا خوف وشكري محاذياً
شكرت فصح الآن مني حيائياً
ولشر ووصافاً وللخير واصبياً
ووصفي غيري إذ عرفت ابتدائياً
فن كان وصفي لكان بحالياً
فهيات لاينجبه إلا الفافياً
على الحق سرا ثم جهراً علانياً
فإن سبيل الشر يردى المهاوياً

الأنطاكى

داود بن عمر البصير، وكان ضريراً، صاحب التذكرة الطبية المشهورة، من مواليد أنطاكية، وله كتاب «تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق»، وكان قد هبط مصر وعاش بها وصار له شأن في الطب فيها، ووجدها كما يقول: «ملاعب جنة»، ويعقد في كتابه فصلاً عن العشق الإلهي يذكر فيه أن المحبة قسمين، أشرفها الحب في الله، لأنه يفنى متعلقه ولا يفضل شئ في الحقيقة، إذ ماسواه أوهام تضمحل وتزول، وأعراض تفنى وتحول. ويعرف المحبة فيقول إنها ميل نفساني إلى المراد يعضده الجزم بالاعتقاد ورؤية ماسوى المطلوب من الفساد، وغاية ذلك الثبات على الحب. ثم لهذه المحبة أوصاف وشروط، منها ألا يبالى المحب بما يرد من المحبوب، وأن يؤثر رضاه على نفسه فيتلذذ فيه بالبلاء كالعطاء، وبالغية كالخضور، والهجر كالوصل، والفناء كالبقاء، إذا كان ذلك رضا المحبوب:

فكل الذى ترضاه والموت دونه به أنا راضٍ والصبر صابة أرضت

وكذلك السالك لم يزل يلتقى مرادات نفسه حتى إذا وصل انطوى فى دائرة المحبوب فلم يبق له مطلوب . وشرط المحبة أنها ميل بلا نيل ، وشرط بلا جزاء ، لئلا تزول عند زوال العوض . وقيل فى قوله عز وجل «إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين» أن أيوب لم يزل يأكله الدود حتى لم يبق غير قلبه ولسانه ، فأكل بعضه بعضاً حتى بقيت واحدة فدبت إلى قلبه . فقال أى ربى ! لم أخف من بلاء ما دام قلبى عارفاً بحلاوة ذكرك ، فأوحى الله إليه : بما تنظر إلّى غدا ؟ فقال بهاتين العينين . قال : لا ، ولكن أخلق لك عيين يستيان البقاء لتنظر إلى لقاء بالبقاء . ويذكر الأنطاكى فيمن استشهد من المحبين شوقاً إلى حضرة رب العالمين عبدالواحد بن زيد وسعدون المجنون وعتبة الغلام والشبلى ورياح القيسى ورابعة العدوية .

❦ ❦ ❦

الأنطاكى (عبد الله بن خبيق)

أبو محمد ، أصله من الكوفة ولكنه سكن أنطاكية ، وهى ثغر أهل فى رباط ، وابن خبيق من زهاد الصوفية المرباطين ، وطريقته طريقة الثورى ، ولقد صحبه يوسف بن أسباط وردد كثيراً كلام الثورى ، وكلامه يدور على الأخلاق ، وكان من المحدثين ، وما تحدث به عن رسول الله ﷺ يدور حول معاملات المسلم الورع مع إخوانه ومع الدنيا ، ومع زوجاته ، وأحواله فى الجهاد ، وما أعد للآخرة ، والمضمون الأخلاقى للإسلام . وأقواله مواعظ ، ولأنه أحتك بأهل الكتاب من المسيحيين واليهود فى أنطاكية فهو يروى عنهم المواعظ . يقول مثلاً : كان حبر من أحبار بنى إسرائيل يقول : يارب كم أعصيك ولا تعاقبنى ! فأوحى الله إلى نبي من أنبياء بنى إسرائيل : قل له : كم أعاقبك وأنت لا تدري ! ألم أسلبك حلاوة مناجاتى ؟ ويقول ابن خبيق أن مبادئ الأخلاق أربعة أشياء : العينان واللسان والهوى والقلب ، فانظر عينيك لا تنظر بها إلى ما لا يحل لك ، وانظر لسانك لا تقل به شيئاً يعلم الله خلافه من قلبك ، وانظر قلبك لا يكن فيه ثَمَل ولا دَغَل على أحد من المسلمين ، وانظر هواك لا تهوى شيئاً من الشر ، وإذا أردت أن تعيش حياً فى حياتك فلا يسكن الطمع قلبك ، ولا تنغم من شىء يضرك غداً ، ولا تفرج إلا بشىء يسرك غداً . وسأله أحدهم : بماذا ألزم الحق فى أحوالى ، فقال : بإنصاف الناس من نفسك ، وقبول الحق ممن هو دونك . وإن استطعت أن لا يسبقك إلى مولاك أحد فافعل ، ولا تؤثر على مولاك شيئاً . واعلم أن

طول الاستماع إلى الباطل يطفىء حلاوة الطاعة من القلب. وسئل عن أنفع الخوف وأنفع الرجاء فقال: أنفع الخوف ما حجزك عن المعاصي، وأطال منك الحزن على ما فات، وألزمك الفكرة في بقية عمرك. وأنفع الرجاء هو ما سهل عليك العمل لإدراك ما ترجو. ولا يستغنى حال من الأحوال عن الصدق، ولو صدق عبد فيما بينه وبين الله لأطلع على خزائن من خزائن الغيب، ولكان أمينا في السموات والأرض. وقال واعظاً أصحابه: تعلموا صحة العمل من سقمه فإني أتعلمه في اثنتين وعشرين سنة. وإياكم أن تكونوا من قرائي الأسواق، يقصد الذين يعلمون القرآن ولا يعملون به. يقول إذا دنا الرجل القاريء من المعصية ناداه القرآن من صدره، والله ما لهذا حملتني، فلو أن العاصي سمع ذلك الصوت لمات حياءً من الله تعالى.



أوران

نصر الدين وشهرته أخى أوران، وله طريقة في التصوف تضم بين فئاتها طبقتين، الأولى من العمال الذين تجمع بينهم أخوة الإسلام، ورباط الطريقة، والانثناء للشيخ، والعمل في ميدان من الميادين كالدباغة أو الحرف الأخرى التي تنتشر في المدن، والثانية من السالكين الذين لا يحددون العمل ولا يقدرّون عليه وحياتهم مخصصة للعبادة، ويركنون إلى التكايا، ويتعيشون مما يتصدق به عليهم الإخوان العمال. والعامل العضو في الطريقة لا يجد أى إعانات أنه يعمل إخوانه من الدراويش. ولا تعرف بالتحديد تاريخ ميلاد و وفاة أخى أوران، إلا أنه عاش في القرن التاسع الهجرى، وضريحه باستنبول. والأخوة تعنى الفتوة والانتصار للحق وخدمة الخلق ونصفة المظلوم وقضاء حوائج الناس والبذل لهم والسمى من أجل خيرهم وتأكيد معانى السلام بينهم. وكان قيام الطريقة على منوال مملكة النحل، سوى أن الأخوة الصوفية قوامها فريقان، العمال الغُبَاد، والعمال الحرفيون، والجميع على الأخلاق الصوفية العالية ويضمهم علو المهمة والتقوى والورع، وهمة العابد في عبادته كما أن همة العامل في عمله، ولذلك راجت الطريقة بين العمال الأتراك فقد كانت تشبع فيهم الناحية الدينية، وتؤلف بينهم على أهداف سامية فيها إعمار القلوب وإعمار الأرض، ويعملهم باستمرار في حالة تأهب للبذل والعطاء، وكان منهم مجاهدون أشاوس، ودفعهم ذلك للإجادة والتفوق في كل شىء، حتى أنهم برعوا في القضاء والحكم، وأقام العثمانيون في وقت من الأوقات

دولتهم بفضل مساعداتهم. والأخ في بداية الطريقة اسمه يكيك أى فتى، واليكيك فى أوله من القولية، أى عضو بالقول فقط، فإذا تدرجت به الحال وداوم على الاتصال والتلقى من الإخوة والعمل بما ينبغى منه صار من السيفية أى حملة السيف، أى أنه يصبح عضواً عاملاً، والشارة التى يحملونها هى غطاء الصوف الأبيض للرأس يتدلى طرفه بمقدار ذراع وعرض الإصبعين. ودخول المريد فى الجماعة له طقوس فبالإضافة إلى محفوظاتهم القرآنية وأداعيهم وأذكارهم فإن الغاية الأخيرة كانت تقليد الأخ المنطقة التى هى العوض عن الخرقه الصوفية وتناسبه أكثر كعامل، ويقص شعره، ويمطى سكيناً يدخله منطقته باعتبار شعارهم أن من لا يزعه القرآن يزعه السلطان، أى القوة. وكان الإخوة سبباً فى الكثير من الفتن حتى صار السلاطين يخشونهم، وكان أن انتسب لهم السلطان مراد. والإخوة مثلهم مثل الأتراك على المذهب الحنفى. ومعنى أوران بالتركية التنين، أى أنه أخى الجبار، والقول المأثور لأخى أوران أن الإنسان به قوى خفية لو تحركت لزعزحت الجبال، وأن الإيمان بالله وعمالة الحق كفيلا بأن يجعلاً للفرد قوة، يزيدها ويصونها أن يعمل من خلال الجماعة وفى إطار أهدافها، ولا عجب لذلك أن أصبحت هذه الجماعة قوة سياسية اجتماعية واقتصادية ودينية يعتد بها ويحسب حسابها. ويذكر ابن بطوطة فى كتابه «الرحلة» أن الإخوة أو الإخوان اجتماعهم فى المساء فى الرباط فيقدمون لشيخهم بعضاً مما ربحوه فى يومهم، ويتعاونون فيما بينهم، ويتكفل الشيخ بمن لا يستطيع العمل منهم أو المتبطل، ويعتقد لهم المآدب ويدعى إليها الضيوف، وكان ابن بطوطة ممن استضافهم الإخوة، ويروى عنهم أنه كان لهم شأن سياسى واجتماعى عظيم بمقاولة الطغاة وتفريق أنصارهم.

الأويسية

عند الشيعة الإيرانية وتنسب لأويس القرنى، وأعضاؤها هم القرنيون، ولم يدرك أويس رسول الله ﷺ، ولم تكن له معه صحبة، ولكنه رأى رجلاً رأوه، وبلغه عن حديثه، وقد منعه عن رسول الله ﷺ أنه ما كان يستطيع أن يأتى إلى مسجده من العرى، وما كان يترك أمه التى كان يرعاها، وفيه قال رسول الله ﷺ أويس القرنى خير التابعين بإحسان. والدعوة الأويسية بدأها أبو الفتح سراج الدين محمود بن محمود الصابونى وكان قد ارتحل إلى مصر، يتلقى عن الاسماعيليين وليكون من

المرشدين، وأخذ عنه الخرقه فيها روزبهان البقلي، الملقب شطاح فارس والذي استمرت إقامته بمصر مدة ١٥ سنة، وسمى لذلك بروزبهان المصري، وقيل من مريديه حافظ الشيرازي، ومن بعده نجم الدين كبرى وهو أشهر صوفية الفرس، ومن تلاميذه بهاء الدين ولد أبو جلال الدين الرومي، وفريد الدين العطار، وشهاب الدين السهروردي. وتذكر لنجم الدين رباعيات فارسية واثنان وعشرون كتاباً ورسالة حول التصوف، ومنها رسالة الخائف الهائم عن لومة اللائم، ورسالة منهاج السالكين، ورسالة سكينه الصالحين وهي بالعربية. وخلفه رضى الدين على لالك وهو من نسل الشاعر سنائي، واشتهر بأنه صاحب مائة وثلاث عشرة خرقه. ومن شيوخ الطريقة السمناني (٦٥٠ - ٧٣٦هـ)، وله آداب السفرة، وبيان الإحسان لأهل العرفان وختام المسك، وسر السماع، والفوائد في التصوف، وعلى الهوانى الذى هاجر إلى الهند وكان له دور كبير فى نشر الإسلام وتوفى سنة ٧٧٠هـ، ومحمد نور الدين بخش (٧٩٥ - ٨٦٩هـ) الذى اتهم بادعائه المهدية ومنح نفسه لقب نور بخش أى واهب النور، وله سلسلة الذهب، والرسالة المعراجية، ورسالة مكارم الأخلاق، والواردات، ونقل عنه مؤلف رياض العارفين بعض الأشعار.





بابا طاهر

كردى من همدان، توفى سنة ٤١٠ هـ، وكان يكتب الشعر فى رباعيات اشتهرت عنه بغزلياتها التى يتنافس بها عمر الخيام، ومن الصعب تمييز عبارات الحب الصوفى فيها من عبارات الحب الدنيوى، ويصور فيها نفسه قائلاً إنه صوفى قلندرى، كثير السياحة، لم يعرف له بيت، ولم يأو تحت سقف، وسادته أى حجر يصادفه، ويرين على صدره الهم، ويملاً قلبه الأسى، ويستبد به القلق الروحى، وحتى الربيع بما فيه من آيات الجمال والأشواق فإنه لا يخلف فيه إلا الشقاء والبؤس والشعور بالوحدة. ويعترف فى شعره بخطاياہ ويطلب من الله العفو عنه، ويتذلل له ويتمسح بالأعتاب، ويطلب منه الموت لجسده لعله يشفى من آلامه وتنتهى به عذاباته. ويحكى عن الصراع فى نفسه بين التعلق بالحياة ونشدان الموت، ويقول إن عينه تتعلق بأسباب العيش، وقلبه يتمرد عليه بين جوائحه ولا يدعه فى حاله، ويتساءل هل صرخاته هذه التى يطلقها فى أشعاره هى صرخات أسد هصور ممتلىء شجاعة وجرىء غير هياب، أم أنها صرخات نمر من النور. ويناجى قلبه هاتفاً: لماذا لا تكف عن مجاهدتى وتتوقف عن مصارعتى؟ أيها القلب سأسفع دمك لو وقعت بين يدى، لأرى من أى لون أنت!

وشعر بابا طاهر الصوفى يباين شعر الخيام، والبعض يقول إن شعر الخيام صرخات مدوية لنفس ثائرة ولكنها فى الأعماق مؤمنة بالله تعالى، إلا أنه من جهة أخرى يجد الخلاص لها فى اللذة، فهى الماء الذى يغسلها، والظهور الذى يزيح عنها الرين، والموت فيه راحة من كل مجاهدات، وأما بابا طاهر فشعره متأجج بالأشواق والعشق

للحق ، وهو يشرح فلسفته الصوفية فى رسالات أو كلمات قصار كما يسميها يختار لها عناوين من الأمثال السائرة ، فهناك باب الحقيقة المشاهدة بعد علم اليقين ، وباب الوجد وفقدان الموجودات ووجود المفقودات ، وباب من يحل به قضاء الله فيبقى بلا حركة ولا إرادة ، وباب من يقتله الجهل فكأنه لم يعيش مطلقاً ، ومن يقتله الذكر فإنه لا يموت أبداً .

وهناك شروح عربية كثيرة عليها منها شرح لعين القضاة الهمداني المتوفى سنة ٥٣٣هـ بعنوان الفتوحات الربانية فى إشارات الهمدانية .

وبابا طاهر كشاعر صوفى له كرامات كما كان للشعراء الصوفية فى الفارسية كفريد الدين العطار وجلال الدين الرومى ، وقد تساءل مرة كيف السبيل إلى المعرفة ، فأشاروا عليه أنه سيحصل عليها لو قضى ليلة شتاء فى صهرج من الماء الثلج ، ففعل ، ويقول مريدوه إن حرارة إيمانه أذابت الثلج ، وما أن أنبلج الصبح حتى كان قد استنار ، فقال قولة أثرت عنه «أمسيت كردياً وأصبحت عربياً» . ويبدو أن الطائفة التى يقال لها أهل الحق تعتقد فيه وتنزله منها منزلة الأولياء كما تفعل مع مشاهير الصوفية حيث يسمون الأماكن بأسمائهم على اعتقاد بأنهم يحلون فيها أو أن بركاتهم تحل بها .

البابائية

تنسب لمؤسسها بابا رسول ، وقيل هو بابا إسحق الكفر سودى التركمانى الذى دعا أتباعه للثورة سنة ٦٣٨هـ ، وقيل هو بابا إلياس ، وأما بابا إسحق فكان رسولاً لشيخ الطريقة واسمه بابا فقط ، وقيل إن بابا إلياس هو الذى خلف إسحق على الطريقة بعد قتله ، ويبدو أنها كانت طريفة شيعية حيث كان شعارها لا إله إلا الله البابا ولى الله ، وقد زعم البابائية أنهم يقتدون بالخلفاء الراشدين ، ولذلك فقد أطلق البابا على نفسه اسم أمير المؤمنين ، ويقول مؤرخو الطريقة أن مؤسسها كان صوفياً يتخذ المجاهدة والشعبذة ، وأنه كان يتعاطى السياسة ويستولى على عقول أتباعه بأن يمتيهم بحياة أفضل تحت زعامته الروحية ، وقد اصطدمت الحركة بالسلطة ، وأسر البابا وزميله ، وقيل قُتل أحدهما أو قُتل الاثنان ، أو أن بابا إسحق اغتيل قبل المعركة الفاصلة ، وقُتل أصحابه جميعاً عن بكرة أبيهم ، والإجماع كما يقول الدكتور الشيبى أن

هذه الطريقة كانت ذات اتصال بالتشيع الغالى، وأن بكتاش مؤسس الطريقة البكتاشية كان من أتباع بابا إسحق، أو أنه كان من أعوان بابا إلياس وهاجر مثله من خراسان إلى تركيا أمام زحف التتار.



ابن باخلا

داود الكبير بن باخلا، شيخ محمد وفا الشاذلى، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولكنه تكلم فى الطريق بكلام عال، وله كتاب عيون الحقائق، والحقائق التى يعنىها هى الحقائق العرفانية، ونظريته فى المعرفة الصوفية أن الموجودات موضوع علوم الدنيا أو علوم الظاهر، وما كان فوق إدراك العقل لا يمكن البحث فيه إلا بآلة عرفانية هى القلب، ومعرفة القلوب معرفة نورانية تتحصل لا بالدليل ولكن بالوهب، وأهل العلم جوابون فى عوالم الحس، وأهل المعرفة جوابون فى أفق العوالم الأعلى. والإنسان مخلوق ليعلم ويعرف، وهو أبداً فى عوالم ثلاثة، فعالم بالوصف الإنسانى الطينى له الجهل والنسيان، وعالم بالوصف الشيطانى له التكذيب والكفران والجحود والطفیان، وعالم بالوصف الروحانى له التصديق والإذعان ثم اليقين والعرفان ثم الشهود والعيان. وغاية العلم تنظيم أحوال الإنسان المعيشية، وأما المعرفة فتوجهها إلى الذات، والإنسان فى شوق دائم أن يعرف نفسه، ومن يعرف نفسه يعرف ربه. والإنسان كلما زاد علمه زاد افتقاره ومطلبه من العلم وعلت همته إليه لأنه فى حال جهله لا يطلب سوى أن يعلم، ولكنه فى حال علمه يطلب ما فوق العلم وهو أن يجلو العلوم والمعلومات. ويتفاوت الناس بإزاء الحقائق بحسب استعداداتهم، وما يبدو لهم منها يصنع علومهم، وأما ما يبدو فيهم فإنه ما يسميه العرفانيون علوم الكشف، ومن دأب أهل العلوم العلمية أن يقتنعوا بما يسمعون ويرون ويستدلون عليه بالعقول، بينما أهل المعرفة أصحاب العلوم الكشفية فإن إقناعهم يكون بالشهود، ويسمى بن باخلا العلوم العلمية لذلك بعلوم الظاهر أو العلوم العقلية، ويطلق على العلوم الكشفية اسم علوم الباطن، ويقول إن علوم الظاهر تضبطها الأصول والنقول، وعلوم الباطن تضبطها أنوار القلوب. ويقول عن علوم الظاهر أنها علوم سلوكية أى أن مناطها الأخير هو تنظيم سلوك الإنسان فى حياته ومع مجتمعه، بينما العلوم الباطنة الكشفية منها ما قد يباح إظهاره، ومنها علوم مسررة غير مباح إظهارها بالمرة. والعلوم الكشفية مرة أخرى منها علوم إلهامية من نصيب الأولياء

العارفين، وعلوم وحى موكول بها الأنبياء. والفرق في معرفة النبي ومعرفة الولي، أن حقائق النبي غيبية ومع ذلك له رقائق في عوالم الشهادة تقتضيها منه هذه العوالم، وحقائق الولي من عوالم الشهادة إلا أن للأولياء مع ذلك رقائق من عوالم الغيب. والغاية العظمى للمعرفة هي الانطواء بالفناء الأكبر في ظل الحق، والمرء مع من أحب، ومن أحب الله تعالى أحب كل ما كان سبباً منه، والعارف لا يرضيه أن يقصر معرفته على نفسه ولكنه يطلبها للناس، وهو إن لم يطلبه الناس ليصلوا بواسطته إلى الله تعالى طلبهم هو لاقتضاء حق الله تعالى، وما يتكلم بكلمة واحدة إلا انتفع بها كل من يسمعها، وما تكلم بكلمة إلا غاب فيها وجود المستمع، وهو في الدنيا لغيره لالنفسه بينما غيره لنفسه لا لغيره، ورسالة العارفين إنقاذ الغرقى وتحليص الأسرى وتحمل أكراد الدنيا عن الضعفاء، والعارف مع مرده لا بد له أن يتنزل لدرجته ليربيه وقلب العارف يكتب وأما قلب المريد فيكتب فيه، وسماع المريد كلمة أدب من العارف أفضل من سماعه لأبيه، لأن العارف يؤدب روحه وأبوك أو معلمك في الظاهر يؤدب نفسك، ومن سقاك من جسدك فقد ظلمك على الحقيقة، وكذلك من سقاك من نفسك ومن سقاك من عقلك، وأما من سقاك من شراب قلبك فقد أحيأك. والمريد الصادق في حضوره لمجلس العارف يسمع كلامه بقلبه.



بارجيس

Bargés (١٨١٠ — ١٨٩٦) أستاذ العربية بجامعة مرسليليا، وقد نشر ديوان ابن الفارض وعلق على قصيدتيه الخمرية وسائق الأظعان، وقدم دراسة عن الصوفي الكبير أبي مدين الغوث.



باعلوى

أو آل علوى، عشيرة كبيرة ذات جاه، ومنها الكثيرون من السادات والصوفية في حضرموت خصوصاً في قرى تريم، نوه محمد بن أبو بكر الشلّي المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ بذكرهم في كتابه المشرح، وأورد أكثر من ٢٨٠ سيرة لأفراد من آل علوى، عرفوا بالعلم والأدب والتقوى والصلاح. وجدهم الأكبر علوى بن عبد الله بن أحمد بن عيسى المهاجر بن على العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على

زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فهم أشراف من آل البيت، ومنهم محمد بن علي بن محمد العلوي، الملقب بالأستاذ الأعظم والفقير المقدّم (٥٧٤هـ - ٦٥٣هـ) وكان من مشايخ صوفية الجزيرة العربية، وصاحب طريقة علوية، وله رسائل منها «بدائع علوم المكاشفات والتجليات»، وخالف الصوفي سفيان الثوري اللحجي حين زار حضرموت واستنزل المطر بعد طول الجذب، وتأثر عن طريق عبد الله صالح بن علي المغربي وعبد الرحمن المُقعد بن محمد الحضرمي بأقوال أبي مدبر شعيب بن الحسين التلمساني، وكان أول من أدخل التحكم الصوفي في حضرموت. ويصف الثلي الطريقة العلوية فيقول إنها طريقة الآباء. ومن الصوفية العلوية علوي بن محمد العلوي المتوفى سنة ٦٦٩هـ، وابنه عبد الله العلوي (٦٣٨ - ٧٣١هـ) وهما يتقدمان فرع باعلوي. ومنهم محمد بن علي بن علوي (٧٠٥ - ٧٦٥هـ) وقد جعل رباطه في مكان يقال له يتحر فلقبوه بمولى الدويلة، أي البلد القديم ببحر، وابنه عبد الرحمن السقاف جد آل السقاف والعيدروس. ومنهم عمر بن عبد الرحمن العلوي الملقب صاحب الحمراء، وله رسائل صوفية قصيرة، وكتاب في السيرة الصوفية لأبي بكر العيدروس الشاذلي، أطلق عليه اسم «فتح الله الرحيم الرحمن في مناقب عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن». ومنهم محمد بن علي بن علوي الملقب جرد، وله رسائل في التصوف، وكتاب النفحات، وغرر البهاء الصوفي في مناقب السادة الصوفية بنى علوي. ومنهم سالم بن أحمد بن سيحان العلوي (٩٩٥ - ١٠٤٦هـ) أدخله في طريق السالكين أحمد الثناوي المتوفى سنة ١٠٢٨هـ. وكتب سالم عدة كتب في التصوف، سجلها ابنه أبو بكر في رسالة ضمنها ثلثي سيرته في كتابه المشرع، منها «بلغة المريد وبغية المستفيد»، وهو شرح على الجزئين الرابع والخامس من الجواهر الخمس لمحمد غوث الله خطير الدين، و«السفر المستور للدراية في الدر المنثور للولاية»، و«مصباح السر الالامع بفتح الجفر الجامع»، و«غرر البيان عن عمر الزمان»، و«البرهان المعروف في موازين الحروف». ومنهم عقيل بن عمر عمران العلوي (١٠٠١ - ١٠٦٢هـ) الملقب أبو المواهب، ومن آثاره «العقيدة» وقد شرحها أحمد القشاشي وعلي بن عمر باعمر، و«فتح الكريم الغافر في شرح حلية المسافر» وهو شرح على قصيدة صوفية لسعيد بن عمر بلحاف. ومنهم محمد بن زين بن السمط العلوي (١١٠٠ - ١١٧٢هـ) وله «غاية القصد والمراد» في مناقب شيخه عبد الله بن علوي الحداد المتوفى سنة ١١٣٢هـ، و«قرة العين» في مناقب شيخه أحمد بن زين بن علوي المتوفى سنة ١١٤٥هـ، وللأول ملخص هو بهجة

الفؤاد، والثاني ملخص هو لب الألباب. ومنهم عبد الله بن حسين بن طاهر العلوي، ولقبه «الجاوي» والمتوفى سنة ١٢٧٢ هـ، وله كتاب «سُلم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق»، وعليه شرح عنوانه «مرفاة صعود التصديق لمحمد نوى الجاوي». ومنهم عبد الرحمن بن محمد بن حسين بن عمر العلوي، المتوفى نحو ١٢٥٠ هـ، وكان مفتي حضرموت، وله «بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة المتأخرين»، و«غاية تلخيص المراد في فتاوى ابن زياد». ومنهم فضل بن علوي بن محمد بن سهيل العلوي، المتوفى سنة ١٢٨٣ هـ، والملقب مولى أو والى الدولة، وله «سبيل الأذكار والاعتبار» و«عقد الفرائد من نصوص العلماء الأماجد». (انظر السقافية والعيدروسية).



الباعوني

اسم أسرة اشتهرت بالقضاء والأدب والتصوف، أصلها من قرية باعون أو باعونة في حوران الشام، وتنحدر من ناصر بن خليفة بن فرج الناصري الباعوني الشافعي، بدأ حياته ناسجا، وتصوف واستقر في الناصرة، وابناه اسماعيل أصبح صوفياً وناب في قضاء الناصرة، وأحمد، تصوف أيضاً وتقلد القضاء في مصر، وما يذكر له أنه رفض أن يوافق للسلطان برقوق بسلفة من أموال الأوقاف، فجر عليه ذلك غضبه، وإذلاله وحبسه، ومات في دمشق سنة ٨١٦ هـ. وله قصيدة «العقيدة». وابراهيم بن أحمد، وكان ينمت بقاضي القضاة حيث ناب عن أبيه في قضاء دمشق، وذاعت شهرته حتى أطلقوا عليه شيخ الأدب في الديار الشامية، ومن تلاميذه الشوكاني صاحب السير، وله خطب ورسائل وديوان شعر، وتوفي سنة ٨٧٠ هـ. ومحمد بن أحمد (٧٧٦ — ٨٧٠ هـ) وكان خطيباً للجامع الأموي بدمشق وناظراً للأوقاف، وله تلخيص منظوم لتاريخ الإسلام، وقضى سنيه الأخيرة متصوفاً زاهداً، ونظم أرجوزة في السيرة النبوية، وله كتاب منحة اللبيب. ويوسف بن أحمد (٨٠٥ — ٨٨٠ هـ) تولى قضاء صفد وطرابلس وحلب ودمشق، وعاش متصوفاً، وكان ينظم الأراجيز في السير. ومحمد بن يوسف (٨٥٧ — ٩١٦ هـ) عاش زاهداً كآبيه، ونظم الأراجيز مثله، وله بهجة الخلد في نصيح الولد. وعائشة بنت يوسف، وكانت نابغة فحفظت القرآن وهي دون الثامنة، واكتملت فيها في هذه السن ملكات

الأدب ونزعات التصوف الماثورة عن أسرتها، وورثت إلى جانب ذلك استقلالاً فى الفكر والرأى بدا فى مصاحبته للرجال من معاصريها، وتراسلها معهم بالشعر، ودرست لبعض الوقت بالقاهرة. ولعل أشهر آثارها «البديعية» فى مدح الرسول، وعنوانها الفتح المبين فى مدح الأمين، وكتبت عليها شرحاً، وتابعها على طريقته عبد الغنى النابلسى فى كتابة بديعته «بسمات الأزهار» وتدبيج شرحها، ودأب على المقارنة بين أبيات عائشة الباعونية وأبياته المقابلة. وتشمل مصنفاتها «كتاب الممالك الشريفة والآثار المنيفة» و«الفتح الحنفى» وكلاهما فى موضوع التصوف، وكتاب مولد النبى، وبعضه شعر، وبعضه نثر، ونظمت «المعجزات والخصائص النبوية» للسيوطى، واختصرت رسالة الهروى «منازل السائرين» فى أرجوزة عنوانها «الإشارات الخفية فى المنازل العلية»، كما اختصرت فى أرجوزة أخرى «القول البديع فى الصلاة على الحبيب» للسخاوى. وتوفيت بدمشق سنة ٩٢٢هـ.

باقى بالله

خواجه أبو المؤيد رضى الدين، ويعرف أيضاً بعبد الباقي، أو محمد باقى بن عبدالسلام، أوىسى نقشبندى، ولد فى كابول سنة ٩٧١هـ، وتوفى بدلهى سنة ١٠١٢هـ، ودرس فى سمرقند، ونزع إلى التصوف، وتوجه إلى الهند للعمل ولكنه بدلاً من ذلك بدأ يبحث عن السالكين والصوفية، ودخل فى الطريقة النقشبندية، وتلمذ عليه أحمد سرهندي وعبدالحق دهلوى.

ولباقي فى التصوف سلسلة الأحرار وهى مجموعة من الرباعيات التى تصدى لها بالشرح أحمد سرهندي، والكلديات، وينسب إليه تفسير صوفى للقرآن. (أنظر أحمد السرهندي).

باقى خانلى

عباس قلى أغا، وشهرته باقىخانوف، واسمه المستعار الذى يوقع به هو قُدسى، وهو ابن مَمَنخان حاكم باكو الذى استولى أخوه محمد قلى خان على عرشه. وكانت

ولادته سنة ١٧٩٤م فى قرية مير من باكو، ووفاته سنة ١٨٤٧م، وتعلم العربية والفارسية والروسية، وزار شيروان وأرمينية وداغستان والكرج وتركيا وفارس والقوقاز والروسيا ودول البلطيق وبولنده، وكتب بالعربية والفارسية والآذرية، ومن مصنفاته فى التصوف رياضى القدس وهو ترجمة لعدد من صوفية الإسلام المشهورين، ورسالة فى الأخلاق اعتمد فيها على أقوال الحكماء والفلاسفة العرب وغيرهم من اليونان والأوربيين الذين لهم نفس الاتجاهات، ونصبيحتنامه بالفارسية وهو فى الأخلاق الإسلامية وما يمكن أن يكون عليه شأن الصوفى الزاهد.



بالمـر

إدوارد هنرى بالمـر Palmer (١٨٤٠ - ١٨٨٣) إنجليزى أولع باللغة العربية وقرض بها الشعر وارتاد صحراء سينا واتصل بالبدو واتقن لهجاتهم وعرفوه باسم الشيخ عبد الله ومن آثاره التصوف الشرقى (كيمبردج سنة ١٨٦٧) وعدد من القصائد فيه بالفارسية والعربية.



البخارى

جلال الدين حسين الملقب بمخدوم جهانيان جهانكشت أو الشيخ جلال مخدوم جهانيان، من مشايخ الطريقة السهروردية ثم الطريقة الجشتية، ومريدوه يسمون أنفسهم الجلالية، وهم فقراء متجولون لا يعرفون الاستقرار، ولا يهتمون بالصلوات، ويتعاطون البنج أو القنب الهندى، ويأكلون الحيات والعقارب، ويخلقون لحاهم وشواربهم وحواجبهم، ويلبسون أساور من الزجاج، ويضعون حول رقابهم حبالاً من الصوف.

وجلال أبوه سيد أحمد كبير، هاجر من بخارى إلى ملتان وبهكر بالهند، وكان متصوفاً، وولد ابنه جلال سنة ٧٠٧هـ فى أججه، وفيها مات سنة ٧٨٥هـ ودفن. وقد تعلم فى ملتان، وخرج جَوَاباً فزار الشام وفلسطين ومصر والجزيرة وبلغ وبخارى وخراسان ومكة والمدينة، وكتابه سَفَرُ نَاحِيَةِ مَخْدُومِ جِهَانِيَانِ وصف لرحلاته فيه الكثير

من القصص الخارقة، وكان تلقيه للخرقة من نصير الدين جراح دلهي، وأقيم شيخاً للإسلام على يد محمد بن تغلق، وكانت تتبعه أربعون خانقاه، وله غير كتاب الأسفار «خلاصة الألفاظ جامع العلوم» ويعرف باسم «الدر المنظوم في تلفظات المخدم»، و«سراج الهداية» و«خزانة جلالى» ويعرف أيضاً باسم مناقب مخدم جيهانيان، والكتب الثلاثة ضخمة في حجمها، وكتبت بروح الكرامات والخوارق، وهناك كتاب أخير في تعليم الطريقة الجلالية اسمه «خزانة الفوائد الجلالية» صنفه سنة ٧٥٢هـ تلميذه أحمد بهاء بن يعقوب.

البديلىسى

مولانا حكيم الدين إدريس، المؤرخ والصوفى، صاحب كتاب هشت بهشت ومعناه الجنات الثماني، يؤرخ به لعهد سلاطين العثمانيين الثمانية من عثمان إلى بايزيد الثانى، وله شرح لفصوص الحكم لابن عربى، وشرح لكلشن راز للشبستري، وشرح بعنوان حق المبين لكتاب الشبستري حق اليقين، وشرح لخمريه ابن الفارض، ورسالة فى النفس، وحاشية على تفسير البيضاوى، واشتهر بالورع، فلما عهدوا إليه بكتابة تاريخ البيت العثمانى ترفق بالفرس، ولما صحب سليما فى حملته على الكرد حاول ما استطاع أن يخدم الأكراد، وقيل إن سليم كان يحبه لتقواه فأطلق يده فى الأملاك الكردية فاستطاع أن يكسب ثقة أعيانهم. وقيل إنه فى حملة سليم على مصر احتج على مساوئ الولاة العثمانيين. وكانت زوجته زينب خاتون قد شيدت مسجداً دفن البديلىسى بجواره عندما توفى سنة ٩٢٦هـ.

البدوى

شيخ العرب السيد أحد البدوى، القطب الملم، الصمات وأبو فزاج، وأبو العباس، وأبو الفتيان، العطار، والغضبان، صاحب الطريقة الأحمدية، ولد فى فاس سنة ٥٩٦هـ، وتوفى فى طنطا سنة ٦٧٥هـ وكان قد بلغها سنة ٦٣٦هـ على الأرجح، وعاش فوق سطوح دار ابن شحيط، ومن ثم كان لقبه السطوحى أيضاً،

وكان فى حالة وَلَّيْ دائم أو كثير الغياب كما يقول مريدوه من السطوحيين، وذلك ما جعل الناس فى حيرة من أمره فالتبس عليهم هل هو من الصوفية أم أنه مجنون، إلا أنه بفضل أصحابه ومجاهداتهم مع عامة الناس صار للطريقة الأحمدية أتباع كثيرون، وكان لها أعمق الأثر فى تاريخ مصر، دينيا واجتماعيا واقتصاديا وفكرياً، وتحولت بها طنطا إلى مدينة كبرى بعد أن كانت قرية صغيرة، وصارت موالد السيد البدوى مواسم للتجارة يحضرها الناس من كافة نجوع مصر. ولم يترك البدوى كتابات لها أهميتها الفكرية، وبدؤ من القليل الذى تركه أن مواهبه العقلية كانت محدودة على غير المتوقع لصاحب طريقة مشهورة كطريقته، ومن ذلك حزبه الذى نصه: بسم الله الرحمن الرحيم، لووا عما نؤوا، فعموا وصموا عما طؤوا. رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين. بسم الله الرحمن الرحيم. ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم فى تضليل، وأرسل عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بمجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول. اللهم أكفهم بما شئت. اللهم إنى أعوذ بك من شرورهم، وأدراكك فى نحورهم. بك أحاول، وبك أقاتل. اللهم واقية كواقية الوليد، بكهيمص كفيت. بجمعسق حيت. فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. وصلى الله على سيدنا محمد النبى الكريم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، والحمد لله رب العالمين». وتلاوة هذا الحزب تكون فى الصباح والمساء بعد تلاوة الفاتحة مائة مرة، والصدية مائة مرة.

ومن آثاره أيضاً الأوراد، وتخصص الطريقة الأحمدية لكل ليلة ورداً، وترتبط الأوراد بالصلوات الخمس. ومن آثاره كذلك الوصايا، وهى تتوجه إلى خليفته عبد العال فيقول له فيها: يا ولدى أوصيك بتقوى الله فى السر والعلانية، وعليك بملزمة السنة والجماعة فى كل وقت. وبعد السلام من كل فرض تقرأ آية الكرسي مرة، وسبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة، والصلاة على النبى ﷺ مائة مرة. وتذكر الله ثلاثمئة مرة. وإن قدرت على تلاوة ذلك عقب كل فرض كان مفتاح كل خير، وإن لم تقدر فعقب الصبح والعشائين، وإلا فكل يوم مرة على الدوام. وإذا تأخرت عن التلاوة يوماً تعيد ما فاتك كله وقت القضاء، فإن الأوراد مطلوبة من المريد. وكذا ملازمة صوم يوم الإثنين والخميس، لما فى ذلك من الأحاديث الشريفة. واعلم يا ولدى أن صلاة ركعتين فى جوف الليل خير لك من صلاة ألف ركعة بالنهار. وأما ورد يوم الأحد فتقول عقب المفاتيح السابقة: اللهم صل على سيدنا محمد الأُمى وعلى آله وصحبه وسلم مائة مرة وخمسين مرة، ثم تقول الحمد لله والله أكبر، من مائة إلى

مالا نهاية، كل بثوابه. ويوم الاثنين سبوح قدوس، من مائة مرة إلى آخر جهديك. ويوم الثلاثاء سبحان القادر المقتدر كذلك أيضاً. ويوم الأربعاء سبحان ذي الملك والملكوت كذلك. ويوم الخميس سبحان الله وبجمده ألف مرة، وهي بعق رقبة كما ورد. وفي يوم الجمعة الصيغة الأمية، العدد السابق. ويوم السبت لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم مائة مرة فقط.

ومن وصاياه أيضاً: يا عبد العال، إياك وحب الدنيا فإنه يفسد العمل الصالح كما يفسد الخل العسل. واعلم يا عبد العال بأن الله تعالى قال في كتابه المكنون: إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. يا عبد العال: أشفق على اليتيم، واكس العريان، وأطعم الجيعان، وأكرم الغريب والضيفان، عسى أن تكون عند الله تعالى من المقبولين. يا عبد العال: عليك بكثرة الذكر، وإياك أن تكون من الغافلين عن الله تعالى، واعلم أن كل ركعة بالليل أفضل من ألف ركعة بالنهار. ولا تكن منكراً على فقراء المسلمين جميعهم. يا عبد العال: أحسنكم خلقاً أكثركم إيماناً بالله تعالى، والخلق السوء يفسد العمل الصالح كما يفسد الخل العسل.

والصلوات التي أورثها البدوي أتباعه توفر على شرحها عبد الرحمن بن مصطفى العيدروسي في كتاب له اسمه «فتح الرحمن» (أنظر العيدروس)، وتقول الصلاة الرئيسية: «اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد، شجرة الأصيل النورانية، ولعة القبضة الرحمانية، وأفضل الخليفة الإنسانية، وأشرف الصورة الجسمانية، ومعدن الأسرار الربانية، وخزائن العلوم الاصطفائية، صاحب القبضة الأصلية، والبهجة السنية، والرتبة العلية. مَنْ اندرجت النبيون تحت لوائه، فهم منه وإليه. وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه عدد ما خلقت ورزقت وأمت وأحييت إلى يوم تبعث مَنْ أفنيت، وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين». وتقرأ هذه الصلاة ألف مرة بعد صلاة الصبح لذهاب الضر.

ومن الصلوات كذلك صلاة موجزة نصها: «اللهم صل على نور الأنوار، وسر الأسرار، وترياق الأغيار، ومفتاح باب اليسار، سيدنا محمد المختار وآله الأطهار وأصحابه الأخيار، عدد نعم الله وأفضاله». وقضاء الحاجات عند الأحدية مرهون بقراءة الصلاة الرئيسية بعد تلاوة سورة الإخلاص مائة مرة، والتوسل بالسيد البدوي بعد قراءة حزبه ثلاث مرات.

وواضح أن طريقة السيد البدوي أخلاقية أكثر منها عرفانية، ولعله لهذا يوصي مريديه بما أوصى به الحسن البصري مريديه: الحلم والعلم والسخاء والشفقة والصبر والتقوى. والفقر (أى التصوف) علاماته هى التى نبه إليها الإمام على رضى الله عنه، وهى: معرفة الله، ومراعاة أوامره، والتمسك بسنة نبيه، ودوام الطهارة، والرضا عن الله فى كل حال، واليقين بما عند الله، والإيثار مما فى أيدى الناس، وتحمل الأذى، والمبادرة لأمر الله، والشفقة بالناس، والتواضع لهم، والعلم بعداوة الشيطان. ومن كلامه: التوبة النصوح هى الندم على ماضى من الذنب، والإقلاع عن المعصية والاستغفار باللسان، والعزم على أن لا يعود إلى المعصية، والصفاء بالقلب، فهذه هى التوبة النصوح التى أمر الله تعالى بها وذكرها فى كتابه العزيز فقال: يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا. وسئل عن الذكر فقال: أن يكون بالقلب ولا يكون باللسان فقط، فإن الذكر باللسان دون القلب شقشقة. أذكر الله تعالى بقلب حاضر وإياك والغفلة عن الله تعالى فإنها تورث القسوة فى القلب. وسأله تلميذه ماحققة الصبر؟ قال: الصبر هو الرضا بحكم الله تعالى، والتسليم لأمر الله تعالى، وأن يفرج العبد بالمصيبة كما يفرج بالنعمة. يقول الله تعالى وبشر الصابرين. قال له التلميذ: قد فهمت ذلك، فما حقيقة الزهد فى الدنيا؟ قال: مخالفة النفس بترك الشهوات الدنيوية، وأن يترك العبد سبعين بابا من الحلال مخافة أن يقع فى الحرام. قال له التلميذ: فما حقيقة الوجد؟ فأجاب: الوجد على أوجه، منها أن يكثر ذكر الحق لا إله إلا هو، ومنها أن يقذف نور فى قلب الذاكر من قبل الله تعالى فيقشعر منه جلده، فيشتاق إلى المحبوب لا إله إلا هو، ويلحقه من قبل الله تعالى الوجد. قال التلميذ: فما حقيقة التفكير؟ قال: تفكر فى خلق الله وفى مصنوعات الله، ولا تتفكر فى ذات الله. وأوصيك يا عبد العال: لا تشمت بمصيبة أحد من خلق الله تعالى، ولا تنطق بغيبة ولا نعيمة. ولا تؤذ من يؤذيك، واعف عمن ظلمك، وأحسن لمن أساء إليك، وأعط من حرمك. يا عبد العال: أتدرى من هو الفقير الصادق؟ هو الذى لا يسأل أحدا. إن أعطى شكر، وإن منع صبر. صابر لأحكام الله تعالى، عامل بالكتاب والسنة.

والطريقة الأحمدية تقوم على التنظيم الهرمى من قبل الخلفاء والمريدين، وقوامها كما قُسم العمل فيها أيام عبد العال أربعة بيوت: بيت الفقراء الكناسية الذين يكسبون المقام كل سنة فى المولد الأحدى، وشيخهم فى ذلك الوقت الشيخ محمد السطوحى الكناسى، وبيت الفقراء المنايفة، وكان شيخهم رمضان الأشعث السطوحى، وبيت الفقراء السلامية والمرازمة وكان شيخهم عمر الشناوى الأشعث، وبيت الأنباية

وشيوخهم يوسف الأنبا بى السطوحى . ولكل شيخ من هؤلاء مجلسه ومرتبته ، وله نقباء ينوبون عنه ويساعدونه . وانتشر الشيوخ من تلاميذ البدوى فى مصر وخارجها ، وكان عبدالعال صاحب البشت الأحمر هو أول الخلفاء ، وهو تلميذه من طفولته ، ويروى عنه أنه لما قدم البدوى إلى مصر مربقرة فيشا المنارة وقد لحق عيناه ورم نتيجة الحر الشديد ، وكانت العادة أن يداوى الورم بوضع بيضة مسلوقة عليه ، وبحث الشيخ عمن يعطيه واحدة ، وكان هناك أطفال يلعبون فطلب منهم أن يحضروا له واحدة ، ووافق الطفل عبدالعال أن يحضر له واحدة بشرط أن يعطيه الجريدة الخضراء التى معه فوافق ، وعاد عبدالعال مخففاً لأن أمه لم تجد بيضا فى عشة الفراخ ، فطلب الشيخ منه الرجوع إلى العشة فرجع مع أمه فوجد فيها البيض كثيراً ، ومن يومها وعبدالعال يصحبه رغم أمه وظل معه حتى وفاته ، وأشار عليه ببناء زاوية تكون مقراً للمريدين والأتباع وهى التى صارت من بعد المسجد الأحمدي ، وعهد إليه بتنظيم أحوال الجماعة ، وكان يقول له : اعلم يا عبدالعال أن الفقراء كالزيتون ، وأنا زيت من لم يكن له زيت . وعليك يا ولدى بملزمة الفقراء وجبر خواطرهم وخواطر أولادهم ، فافرق بالكبير وارحم الصغير وكن أديباً .

وأفردت فى السيد البدوى والطريقة الأحمدية كتب عديدة منها « الجواهر السنية فى الكرامات والنسبة الأحمدية » لعبد الصمد زين الدين ، و« نسب البدوى » لأزبك الصوفى ، و« النصيحة العلوية فى بيان حُسن طريقة السادة الأحمدية » لعلى الحلبي ، و« النفحات الأحمدية والجواهر الصمدانية » لحسن رشيدى المشهدى الحقايقى ، و« السيد البدوى » لمحمد فهمى عبد اللطيف ، و« السيد البدوى : شيخ وطريقة » للدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور ، و« السيد البدوى » للدكتور عبد الحليم محمود ، و« حياة السيد البدوى » لإبراهيم أحمد نور الدين . وللأحمدية طريقتهم فى الانتساب ، والمريد الراغب فى ذلك عليه الاتصال بالشيخ الواصل الموصل ، فيتأكد هذا من حسن استعداده ، ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ويقول له : أنت اخترت لنفسك الدخول فى رقعة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه ، وأن يكون شيخنا شيخ الشيخ أنس بن مالك صاحب رسول الله ﷺ ، رضى الله تعالى عنه ، وكلهم من رسول الله ﷺ ملتبس ، ورضيت أن تكون سميعاً مطيعاً محباً لى ولإخوانك . ويأمره الشيخ بالوضوء وأن يصلى ركعتين بنية التوبة ، ثم يقرئه التوبة « تبت إلى الله توباً نصوحاً وندمت على ما فعلت وعزمت على ألا أعود أبداً ، وأشهد الله وجميع خلقه على بذلك وأسأل الله الكريم بجاه سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وذريتهم من الصالحين

أجمعين أن يتقبل منى توبتى . ثم يأمره الشيخ أن يقول : الله معى . الله ناظر إلتى شاهد على . ثم ينصحہ : إنك يا ولدى ما دمت تلاحظ تفسير هذه الكلمات على الدوام مع ملازمة أذكارك كل يوم عقب كل صلاة فرض أو نفل عشر مرات ، يصحح الله توبتك وتكون من التائبين المخلصين . ولبس الخرقة الأحمدية له طقوس ، فقبلها يتوضأ قائلاً استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ، وأسأل التوبة والمغفرة والنجاة من النار، توبة عبد ظالم لنفسه معترف بذنبه ، لا يملك لنفسه ضراً ، ولا نفعاً ، ولا موتاً ، ولا حياة ، ولا نشوراً . ويقرأ آية الكرسي مرة ، وإنا أنزلناه فى ليلة القدر ثلاثاً ، ثم يستغفر الله قائلاً : استغفر الله العظيم ألفاً فى آلاف ، وأسألك اللهم أطافاً فى أطاف فى أطاف . اللهم بالبيت والحراب وقبر نبيك سيدنا محمد ﷺ ، أن تلتطف بى فيما سطرته على فى أم الكتاب ، يا كريم ، يا تواب ، يا مجيب ، يا وهاب . ثم يصلى على النبى عشر مرات . ثم يستقبل القبلة ويصلى ركعتين ، يقرأ فى الأولى الفاتحة وإذا جاء نصر الله ، وفى الثانية الفاتحة والصمدية ، فإذا انتهى يقول : استغفر الله العظيم لى ولوالذى ولأصحاب الحقوق على ، وللمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات . إنك سميع قريب مجيب الدعوات . ويكرر ذلك سبعاً وعشرين مرة ، ثم يقول : تب علينا يا تواب قبل مرض موتنا توبة ترضيك وترضى بها عنا يارب العالمين . اللهم وفقنى لما يرضيك يا كريم . رب اغفر وارحم وتب واعف وتجاوز عما تعلم إنك سبحانه تعلم ما لا نعلم . إنك أنت علام الغيوب . وأنت الأعز الأكرم برحمتك يا أرحم الراحمين ، يا مجيب السائلين ، يا قابل التائبين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين . وبعد ذلك يدخل فى حلقة الذكر لتصفية قلبه ، ثم يجلس بين يدى الشيخ المستقبل للقبلة ، ويستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم ويتوب إليه ثلاث مرات ويقرأ الفاتحة ويقول : ياسيدى وشيخى فى الله ، ياسلطان الأولياء ، ياسيدى أحمد يابدوى مدد الله ، ياسادتنا وأشياخنا فى القدوة . شىء الله يارسول الله . شىء الله ياسيدى يارسول الله . شىء الله ياسيدى يارسول الله . ثم يضع يده فى يد الشيخ وإيهامه اليمنى على إيهامه اليمنى ، ويقول الشيخ : اسمع ما قاله الله تعالى فى العهد فإنه قال وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً . إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله . يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه فسيؤتيه الله أجراً عظيماً . لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما فى قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً . ثم يقول : اسمع يا أخى ، هذا عهد بينى وبينك على الكتاب

والسنة، ونحن إخوان فى الله وفى رقعة قطب الزمان وعون العصر والأوان، الحبيب
التسيب أبى العباس السيد أحمد البدوى رضى الله عنه، خادم رسول الله ﷺ،
الناجى يأخذ بيد أخيه فى يوم القيامة. ونحن إن شاء الله فى رحمة الله سبحانه
وتعالى. ويتمم الشيخ: اللهم خذ منه وتقبل وافتح عليه أبواب كل خير، كما فتحتها
على أنبيائك وأوليائك، واجعلنى وإياه من المقبولين الفائزين من أحبائك، وأحباب
حبيبك سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه وأهل بيته أجمعين، وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين. ويقوم المريد ويدعو الله فى سره، والإخوان والشيخ يؤمنون
على دعواته، ويختم دعاءه جهراً: يامولانا ياجيب. أجب من يرجوك لا ينجب. توسلنا
إليك بجاه سيدنا محمد الحبيب، أن تقضى حوائجنا وقت الحاجات، يا حاضراً
لا يغيب. ثم يقول الشيخ: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى
الآخرة، ويقرأ الشيخ والحاضرون الفاتحة لأهل العهود وللشيخ أحمد البدوى وأرواح
الأشياخ والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، ثم يقوم الشيخ بالباس المريد الخرقه
الأحمدية.

ومن فروع الأحمدية الطرق الحلبية والشعبية والتقيانية والحمدية والزاهدية، ومنها
أيضاً الفرغلية والشناوية والسطوحية والبيومية وهى المنتشرة حالياً فى مصر.



البراقية

طريقة بَرّاق بابا، وهو درويش تركى كان مريداً للصوفى صارى سلتوق، وكان
أبوه موظفاً كبيراً فى بوقات، ونزح من تركيا إلى إيران، ونزل وفريق من أتباعه دمشق
سنة ٧٠٦ هـ فلفتوا الأنظار إليهم بتأثير لباسهم الغريب ومسلكتهم غير المألوف، ولعله
لهذا أطلق على نفسه اسم البرّاق ومعناه بالتركي الكلب الأجرب أو الأقرب خالى
الشعر، أو أنه الكلب الأشعث الأغبر، وطريقته تقوم على تنفير الناس منه للعزلة
وانقطاعاً عن الناس، وقد حاول براق بابا ومريدوه بلوغ الديار المصرية فرفضهم الناس
وعادوا أدرأجهم. ويترجم له أفلاكى فى كتابه مناقب العارفين، ويرى فى تعاليمه
ومسلكه صدق لآثر الشامانية التركية المغولية فى الإسلام، وقيل إنه قتل سنة ٧٠٧ هـ
فى إيران.



ابن بَرَجَان

أبو الحكم عبدالسلام بن عبدالرحمن بن أبي الرجال وتغنف إلى ابن برجان ، أندلسي من إشبيلية عن ذهبوا مذهب ابن مسرة وخطوا الفلسفة بالتصوف ، وفلسفته إشراقية ، وبسببها اتهموه بالزندقة واستدعاه على بن يوسف بن تاشفين إلى مراکش حيث مثل أمام قاضيه بن حمدين وألقى به في السجن وبعدها بقليل مات ، وقيل إنه مات مسموماً ، وكان ذلك سنة ٥٣٦ هـ ، وقد أمر بن تاشفين بأن لا يصلى عليه وأن تلقى جثته في القمامة ، ولولا أن الصوفية في مراکش أغضبهم ذلك لنفذ ابن تاشفين ما انتوى .

وكان ابن برجان وطيد الصلة بالصوفي الأشهر ابن العريّيف صاحب مدرسة المرية ، وكان يرأسه ويبدو أنها تأثرا ببعضهما وكانا شديدي الإعجاب بالغزالي ، وكثيراً ما كان ابن برجان يستخدم أقوال الغزالي في الرد على الفقهاء وخاصة أن النزاع بين الصوفية والفقهاء كان على أشده في الأندلس بالذات بسبب التفلسف الذي أخذ به المتصوفة أنفسهم به في هذه البلاد . كما أن الغزالي كان تجديداً للفكر الصوفي في الأندلس ، واستخدم ابن برجان الفكر الغزالي في نزاعه مع الحكومة ، ونادى بإحياء الإمامة فاعترفت به القرى إماماً عليها ، وقد وصفه مؤرخه ابن الأبار فقال إنه كان صوفياً ناهياً ، وكان المفكرون يقولون عنه إنه غزالي الأندلسي . ويبدو ابن برجان قريباً في تفكيره الصوفي الفلسفي من أبي بكر الميورقي ، ولذلك فإن ابن تاشفين عندما استدعى بن برجان فإن أمر الاستدعاء شمل ابن العريف والميورقي ، وقد هرب الميورقي ، وصمد ابن العريف للاختبار وأطلق ابن تاشفين سراحه ، إلا أن ابن حمدين لم يعجبه ذلك ، ومات ابن العريف هو الآخر بعد موت ابن برجان بقليل ، وقيل إنه أيضاً مات مسموماً .

ولابن برجان تفسير صوفي للقرآن لم يكمله وذهب في تأويل الآيات فيه على الطريقة الباطنية ، كما أن له شرحاً لأسماء الله الحسنى . ويبدو أنه في حياته الخاصة كان شديد الزهد واشتهر بالصلاح ، وكانت له قدرة على التنبؤ ، وتنبأ بسقوط تنبأ بموته غير أنه ذكر أن ابن تاشفين يموت أيضاً ، وقد مات ابن تاشفين بعده بسنة واحدة .

ابن بزاز (تَوَكَّل)

صاحب كتاب «صفوة الصفوة» يذكر فيه مناقب الأولياء، ويخص به شيخ أردبيل الأكبر صفى الدين جد الأسرة الصفوية، يقول إن الذى دفعه إلى تصنيفه الشيخ صدر الدين بن الشيخ صفى الدين، وأشرف على تنقيحه من يدعى أبا الفتح الحسينى. والكتاب كبير الحجم، قيل كلماته بلغت نحو ٢١٦ ألف كلمة، ويشبه كتاب «مناقب العارفين» لأفلاكى، فهذا بعدد مناقب أكابر الطريقة الصفوية المولوية فى قونية وعلى رأسهم مولانا جلال الدين الرومى، وذلك بعدد مناقب شيوخ الطريقة الصفوية وعلى رأسهم شيخ أردبيل صفى الدين. والكتاب فوق ذلك يورد الكثير من التفاصيل المتصلة بالحياة الثقافية والتاريخ وتقوم البلدان لهذا القسم الشمالى الغربى من بلاد الإسلام من فارس وغيرها، وإن غلب فيه ذكر الخوارق والكرامات، وبه شواهد من اللهجة الفارسية فى أذربيجان كما كانت فى القرن الثامن الهجرى حيث جاء تأليفه قرابة سنة ٧٠٠ هـ.

البسطامى

سلطان العارفين أبو يزيد الأكبر طيفور بن عيسى (١٨٨ - ٢٦١ هـ) من بسطام خراسان، لم تؤثر عنه كتابات فى التصوف ولكن أقواله رصدها أصحابه وعجبه وخصومه على السواء، وهى تشكل مذهباً فى التصوف قالوا فيه إنه الطيفورية، وهو مذهب فى المحبة الصفوية والفناء الصوفى، ولعل أكمل المراجع فى سيرته ومراحجه الروحى، كما يقول عنه البعض، هو كتاب السهلهجى «النور عن كلمات أبى طيفور». واشتهر أبو يزيد بالشطح، وأصله كلمات مستغربة تصدر عن الصوفى فى حال وجدته وذهوله بمشاهدة جلال الحق فلا يدرى مايقول، أو أنه ينطق عما يشهد بلسان مشهوده، وفى ذلك يقول الجنيد شيخ الصفوية إن حال أبى يزيد كحال مجنون ليلى فإن حبه ليللى وقد تملكه لم يعد معه يرى فى الأشياء والمخلوقات، وحتى فى نفسه، إلا أنها ليللى، فلما سأله من أنت قال ليللى. ويروون عن ذى النون أنه لما بلغه أن أحد أصحابه ذهب يسأل عن أبى يزيد، ولقاءه ذلك، فقال له أأنت أبو يزيد؟ فقال أبو يزيد ومن يكون هذا وأين أجده، قال ذو النون: مسكين أخى أبو يزيد. لقد فقد نفسه فى حب الله، فصار يطلبها مع الطالبين!

وأبو يزيد كان همه الأكبر التوحيد، وهو يروى عن جهاده فى طريق معرفة الله فيقول إنه أقام دهرًا طويلاً مع العلماء حتى صار من العارفين ولكنه رأى ازدحامهم على أبواب الحق ولم يجد لنفسه موضع قدم بينهم، وقال لنفسه إن العلم لا يستقيم من غير الحقيقة، والحقيقة هى الاجتهاد مع المصلين فأقام دهرًا معهم، فلم ير لنفسه موضع قدم بينهم، ثم وجد الحقيقة مع الصائمين فأقام معهم دهرًا ولم يجد نفسه، وانصرف إلى الملبين بالحق القاصدين بيت الله من كل فج عميق فلم يجد لنفسه موضع قدم بينهم، فانصرف إلى الجهاد وأقام مع المجاهدين يضرب معهم السيوف فى وجوه أعداء الله دهرًا طويلاً ولم يجد لنفسه موضع قدم بينهم، فانصرف وقال: يا إلهي إرحمني وارحم حيرتي وأقم بعبدك مقاماً أتقرب إليك لا ينافسنى فى ذلك المقام منافس ولا يزاحنى فيه مزاحم، فلقد أشرف بي على من سبقونى إليك ورأيتنى لا أطيق اللحق بهم، فنادانى الحق: يا أبا يزيد، إنه لا يتقرب إلى متقرب بمثل من يأتينى بما ليس لى. قلت يا إلهي وما الذى ليس لك وأنت لا تقرب من يأتيك به، ومن أين لى ما ليس لك؟ فقال يا أبا يزيد، ليس لى فاقة ولا فقر، فن ابتغى لدى الوسيلة بها قربته من بساطى. قلت: اللهم أشرف بى على ذوى الفقر والفاقة، فأشرف بى، فإذا هم شرذمة قليلون، لا أرى هناك ازدحاماً ولا تنافساً، ولا أرى لهم على الباب جلبة ولا صياحاً، فعاهدته لا أؤثر على الفقر والفاقة شيئاً، فها أنا معه على هذا العهد، فليس من ساعة إلا وتأتينى منه كرامة جديدة، فقلت إلهي، هذا شيء خصصتنى به من بين خلقك، قال هذه الكرامة لا ينالها إلا من أثر الفقر والفاقة وصبر عليهما وأنس بهما.

ويروون عنه فى سيرته الروحية أنه قال: رأيت رب العزة فى المنام فقلت كيف الطريق إليك، فقال اترك نفسك وتعال. ويرد أبو يزيد معلقاً: يستزيد أبو يزيد ولا مزيد على التوحيد. ويقول: طلقت الدنيا ثلاثاً وصرت وحدي إلى ربي فناديت بالاستغاثة: إلهي ومولاي. أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك. فلما عرف صدق الدعاء من قلبى مع الإيلاس منى، كان أول ما أورد على من إجابة هذا الدعاء أن أنساني نفسى بالكلية، ونصب الحلائق بين يدي مع إعراضى عنهم. ويصف أبو يزيد طريقته لمريديه فيقول: عملت أشياء أولها اتخذه سبحانه معلماً فقلت إن لم يكنك ربك لم يكنك غيره فى السماوات والأرض، وشغلت لسانى بذكره، وبدنى بخدمته، فكلما أعيت جارحة رجعت إلى الأخرى، وأكرمنى الله بشماني كرامات ثم بعدها نادانى يا أبا يزيد، أولها رأيت نفسى متأخراً ورأيت الخلق قد سبقونى، والثاني رضيت بأن

أحرق بالنار بدل خلقه شفقة بهم، والثالث كان قصدي إدخال الفرخ في قلوب المؤمنين، والرابع لم أمسك شيئاً قط للغير، والخامس أردت رحمة الله بالناس أكثر مما أردتها لنفسى، والسادس بذلت جهدى أن أدخل السرور على المؤمن وأخرج الغم من قلبه، والسابع ابتدأت بالسلام على من لقينى من المؤمنين من شفقتى عليهم، والثامن قلت لو غفر الله لى يوم القيامة وأذن لى بالشفاعة لشفعت أولاً لمن آذانى وجفانى ثم من برئى وأكرمنى.

وأبو يزيد كما يقول عرف الله بالله، وعرف من دون الله بنور الله. وهو يقول إنه توهم فى بداية أمره أنه يذكر الله ويعرفه ويحبه ويطلبه، فلما انتهى رأى ذكره تعالى له أسبق من ذكر أبى يزيد له تعالى، ومعرفته ومحبته أقدم، وطلب الله له كان الأسبق. ويقول عن مجاهداته: إن الله تعالى فى بداية أمرى هدانى للزراعة فزرعت فى نفسى أنواع العبادة، ثم أرشدنى للقصاوة فلم أزل أغتسل بأنواع الطهارات والمياه فلم أرها طهرتنى بعد. وكنت أثنى عشرة سنة حذاء نفسى، وخمس سنين مرآة نفسى، وسنة أنظر فيما بينها، فإذا فى وسطى زئار فعملت فى قطعه خمس سنين أنظر كيف يقطع فكُشف لى ذلك، فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى، فكبرت عليهم أربع تكبيرات. ومررت على بابهِ فلم أر زحاماً لأن أهل الدنيا حجبوا بالدنيا، وأهل الآخرة شغلوا بالآخرة، والمذممين من الصوفية حجبوا بالأكل والشرب، ومن فوقهم حجبوا بالسماع والشواهد، وأئمة الصوفية لا يعجبهم شىء من هذه الأشياء فرأيتهم حيارى سكارى.

وأبو يزيد لا يريد من الله سواه. وقيل له ما أشد ما لقيت فى سبيل الله، فقال لا يمكن وصفه، فقيل له وما أهون ما لقيت نفسك منك، فقال دعوتها إلى شىء من الطاعات فلم تجبني فنعته الماء سنة. ولو نظرت إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا تغفروا به حتى تنظروا كيف تجذونه فى الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة. والناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه، وأنا أسأل الله أن يحاسبنى لعله يقول لى فيما بين ذلك يا عبدى فأقول لبيك، فقله لى يا عبدى أحب إلى من الدنيا وما فيها وليفعل بى بعد ذلك ما يشاء. ولما كتب له أحدهم أنه قد سكر من كثرة ما شرب من كأس محبة الله، رد عليه أبو يزيد بأن غيره شرب بحور السماوات والأرض وما روى بعد، ولسانه خارج يقول هل من مزيد. ويصور أبو يزيد حاله فى حب الله فيقول:

عجيب لمن يقول ذكرت ربى وهل أنسى فأذكر من نسيت ؟
شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفذ الشراب ولا رويت

وحبه لله هو حب العارف الذى يحى رسومه وفنيت هويته لهوية غيره ، وعييت
آثاره لآثار غيره . وهو يقول فى هذا الحب :

غرس الحب غرساً فى فؤادى فلا أسلو إلى يوم التنادى
جرحت القلب منى باتصال فشوقى زائد والحب بآدى
سقانى شربة أحيا فؤادى بكأس الحب فى بحر الوداد
فلولا الله يحفظ عارفيه لهام العارفون بكل وادى

وحبه لله هو الذى يقضه وبقلقه فينتقل بين المقامات ويعانى الأحوال فيما وصفه
مؤرخوه بأنه معراج أبى يزيد ، وهو يقول فيه إنه طار إلى ميدان اللبسية حتى أشرف
على التوحيد فصار فيه طيراً من الأحذية ، جناحه من اللبسية ، ولم يزل يطير إلى أن
صار فى ميدان الأزلية وشاهد شجرة الأحذية — ثم يصفها ويصف أرضها وفرعها
وثمارها ، واللبيسية هو مقام توحيد الله بليس كمثله شئ ولا إله إلا الله ، ثم يتلوه مقام
الأيس بعد اللبس ، بتوحيد الله بدون لا وليس ، والإيجاب له فى كل شئ ، فلا
يكون ثمت إلا الله ، ويكون الفناء فى الله ، ولا يكون هناك إلا هو الواحد الأحد ، وهو
مقام الأحذية واللبيسية والأزلية . والعارف الذى يطمح إليه أبو يزيد فى تصوفه هو هذا
الذى تكون أدنى صفاته أن تجرى فيه صفات وجنس الربوبية فيراه خلق الله وقد تزين
بالوحدانية وارتفع إلى الأحذية حتى ليكون هو ولا يكون هو هناك . ألم يقل الله تعالى
إنى جاعل فى الأرض خليفة . والإنسان الكامل الربانى هو خليفة الله وصورته على
صورة مولاه . ولقد رأى أبو يزيد أنه وقد بلغ هذا المقام صار بالله ومن الله والله ، وهو
فيه ينطق بما ينطق بما أسموه شطحات من مثل سبحانى سبحانى ، ما أعظم شأنى ، وهو
فيه يخاطب ربه فيقول : أنت العالم والمعلوم ، والمفرد والفرد . تفردت بفردانيتك ،
وتوحدت بوحدانيتك ، وانقطعت حجة الله على فى فردانيتك ، وبوحدانيتك فى وحدانيتك
فأقت معه دون تفردى بفردانيتك ، فأقت معه به ، وفنيت صفاتى بصفاته ، وسقط اسمى
باسمه ، وسقطت عنى أوليته بأوليتى ، وآخريتى بآخريته ، فنظرت إليه بذاته التى
لا يراها الواصفون ولا يبلغها العالمون ولا يفهمها العاملون ، فنظر إلى بعين الذات بعدما
سقط اسمى وصفاتى وأولى وآخرى ونعتى ، فدعانى باسمه ، وكنائى بهويته ، وناجانى

بأحدثه ، فقال : يا أنا ، فقلت : يا أنت ، فقال لى : يا أنت ، فانقطعت حجة الله على به ، ماسمانى باسم من أسمائه إلا سميت به ، وما وصفنى بصفة من صفاته إلا وصفته به ، فانقطع كل شىء منى به ، وما وصفنى بصفة من صفاته إلا وصفته بها ، فانقطع كل شىء منى به ، فبقيت دهرأ بلا روح ولا جسم كالمت ، ثم إنه أحيانى بحياتى بعدما أماتنى فقال : لمن الملك اليوم ، فلما أحيانى قلت لله الواحد القهار ، فقال لمن الاسم ، قلت لله الواحد القهار ، فقال لمن الحكم اليوم ، فقلت لله الواحد القهار ، فقال لمن الاختيار ، فقلت للرب الجبار ، فقال أحييتك بحياتى ، وملكتك ملكى ، وسميتك باسمى ، وحكمتك حكى ، وأفهمتك اختيارى ، ووافقتك بأسماء الربوبية والصفات الأزلية ، فقلت لا أدرى ماتريد ، فقد كنت لنفسى فلا ترضى ، وكنت لك بك فلا ترضى ، فقال لا تكن لنفسك ولا لنفسى . إنى كنت لك حيث لم تكن ، فكن لى حيث لم تكن . وكنت لك حيث كنت ، فكن لى حيث كنت ، فقلت وأتى لى بذلك إلا بك ، فنظر إلى نظرة بعين القدرة فأعدمنى بكونه ، وظهر فى بذاته ، فكنت به ، فانقطعت المناجاة ، فصارت الكلمة واحدة ، وصار الكل بالكل واحداً ، فقال لى يا أنت ، فقلت له يا أنا ، فقال لى أنت الفرد ، فقلت أنا الفرد ، فقال لى أنت أنت ، فقلت أنا أنا . ولو كنت أنا من حيث أنا لما قلت أنا ، فلما لم أكن أنا ، فكن أنت أنت ، قال أنا أنا . قولى بأنائيتة كقولى بهوته توحيداً ، فصارت صفاتى صفات الربوبية ، ولسانى لسان التوحيد ، وصفاتى هى أن هو هو لا إله إلا هو ، فكان ما كان بكونه مما قد كان ، وما يكون بكونه يكون ما يكون ، صفاتى صفات الربوبية ، وإشاراتى إشارات الأزلية ، ولسانى لسان التوحيد .

وذلك ما أنكره القوم عليه ، وقد سأله أنه يبلغهم فى كل وقت أشياء يقوها ولا يفهموها ، فينكروها ، فقال : إنما يخرج الكلام منى على حسب وقتى ، ويأخذه كل إنسان على حسب ما يقوله ، ثم ينسبه إلى .

وماتنبأ به البسطامى كان ، فقد تأوله الجميع ، المريدون المؤيدون ، والأصحاب والأحباب ، والخصوم المنكرون ، وكان الجيلانى والسراج والجنيد من المتأولين العاذرين ، بينما كان غيرهم من المكذبين كابن الجوزى وابن سالم . وحاول البعض إنكار نسبة هذه الأقوال إليه مثلما فعل شيخ الإسلام عبدالله الأنصارى والإمام الذهبى . وحذر السهلجى من الخلط بين كلامه وكلام من ينسبون أنفسهم إليه ويدعون بكنيته ، ويقول إن هؤلاء بلغوا نحو الألف ، ومن لم تكن له منهم الدرجة والمقام والمنزلة

فلا يصح التعويل على قوله ، وقد جرى العرف بين أهل العلم والتحقيق أن مالا نعرف مبناه فليس لنا أن ندعى أننا نفهم معناه ، وما لم نعرف مقامه لا نزعم أن بوسعنا أن نصف مقامه ، وما لا نملك عبارته لا يجوز لنا أن نقول إننا ندرك إشارته . ويذكر على الجوزجاني دفاعاً عن البسطامي أن ما قاله قد قاله وهو في مقامه ، فن أراد أن يفهمه فليرتق إلى هذا المقام ، وليجاهد نفسه ليبلغه كما جاهد أبو يزيد ، فهناك سيفهم كلام أبي يزيد .

البسطامي

زين الدين عبدالرحمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد البسطامي الحنفى الحروفى ، كان على طريقة الحروفية للدراويش ، وله فى التفسير الحروفى « كشف أسرار الحروف » و« شمس الآفاق فى علم الحروف » و« مفتاح الجفر الجامع » ، على أن أشهر كتبه فى التصوف « مناهج التوصل فى مباهج الترسى » ، حاول فيه أن ينهج على نهج ابن عربى فى الفتوحات المكية ، وجعله فى مائة باب انتهى من ثلاثين باباً منها ولم يكملها . وقد ظن أنه يمكنه من خلال قراءة معانى ودلالات وإرشادات حروف الكلمات فى القرآن النفوذ إلى أسرارهِ وإدراك الحقائق القدسية ، والأسماء الحسنى هى مادته الجوهرية ، ويطبق عليها أصول علم الحروف لبلوغ ما يسميه الكشف ، فضلاً عن أن طبيعة الحروف وخواصها السرية تكشف عن خواص الأشياء ، ومن ثم يعطى العلم بها القدرة على التأثير فى الطبيعة والكشف عن الأدوار التى كانت للأشياء عبر مراحل تطورها وتحولاتها ، والتنبؤ لذلك بما كان منها فى الماضى وما سيكون منها فى المستقبل . والبسطامى ينصرف اهتمامه إلى الأحلام وأسرارها وغير ذلك من العلوم الباطنة التى يتوسل بها إلى إدراك الحقائق الباطنة . وهو من مواليد أنطاكية ، وتعلم بالقاهرة ، وتوجه إلى بروسة وكانت يؤمئذ قسبة العثمانيين ، وأهدى كتبه للسلطان مراد الثانى ، وكان يرمى العلم فنال حظوة لديه ، وتوفى فى بروسة سنة ٨٥٨ هـ .

البصرى (حسن)

قال فيه أبو حيان التوحيدى : ما أحسد هذه الأمة العربية إلا على ثلاثة أنفس ، أولهم عمر بن الخطاب ، والثانى الحسن بن أبى الحسن البصرى ، والثالث أبو عثمان

الجاحظ. وكان الحسن البصري من درارى النجوم، علماً وتقوى، وزهداً وورعاً، وعفة ورقة، وتألهاً وتنزهاً، وفقهاً ومعرفه، وفصاحةً ونصاحةً، مواعظه تصل إلى القلوب، وألفاظه تلتبس بالعقول، وليس له ثان، لا قريباً، ولا مدانياً، وكان منظره وفق مخبره، وعلايته فى وزن سريرته، يجمع مجلسه ضروباً من الناس وأصناف اللباس، لما يوسعهم من بيانه، بالكلام الفصل، واللفظ الجزل، والصدر الرحب، لا تشنيه لاثمة فى الله، ولا تذهله رائحة عن الله، يجلس تحت كرسية قتادة صاحب التفسير، وعمرو وواصل صاحب الكلام، وابن أبى إسحق صاحب النحو، وفرقد السبخى صاحب الرقائق، وأشباه هؤلاء ونظراؤهم، فمن ذا مثله، ومن ذا يجرى مجراه؟

وكنيته أبو سعيد، كان أبوه إيرانياً من ميسان، وسباه المسلمون لدى فتح العراق، وسكن المدينة، وقد اعتقه من كان عندهم من الأنصار، وولد ابنه الحسن فيها سنة ٢٢هـ، وغادرها إلى البصرة سنة ٣٨هـ، وأقام بها إلى أن توفى سنة ١١٠هـ. يقول عنه أبو طالب المكي: كان الحسن أول من أنهج سبيل هذا العلم، وفتق الألسنة به، ونطق بمعانيه، وأظهر أنواره، وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعه من أحد من إخوانه، فقيل له: يا أبا سعيد! إنك تتكلم فى هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد من غيرك. ممن أخذت هذا؟ فقال: من حذيفة بن اليمان. قيل، وقالوا لحذيفة بن اليمان: نراك تتكلم فى هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، فمن أين أخذته؟ فقال: خصنى به رسول الله ﷺ، كان الناس يسألونه عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن أقع فيه. وكان حذيفة قد خُص من بين الصحابة بعلم المنافقين، وأفرد بمعرفة علم النفاق، وبسرائر العلم ودقائق الفهم وخفايا اليقين، فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة يسألونه عن الفتن العامة والخاصة، ويرجعون إليه فى العلم الذى خُص به، ويسألونه عن المنافقين، وكان عمر يستكشفه عن نفسه: هل يعلم فيه شيئاً من النفاق، فبرأه منه.

ويقول الحسن فى التصوف: من لبس الصوف تواضعاً لله عز وجل، زاده نوراً فى بصره وقلبه، ومن لبسه للتكبر والخيلاء كُوِّر فى جهنم مع المردة. وكان ينشد:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

وكان يقول لمريديه: كل من اتبع طاعة الله لزمته معرفته، ومن أحب رجلاً صالحاً فكأنما أحب الله. ويبعث الله أقواماً يطلبون هذا العلم حسبةً، ليس لهم فيه نية، فيتعبدون فى طلبه كى لا يضيع العلم، وتبقى عليهم تبعته. ويعرف الإسلام فيقول:

السر والعلانية فيه مشبهة ، وهو أن يسلم قلبك لله ، وأن يسلم منك كل مسلم ، وكل ذى عهد . والمؤمن من يعلم أن ما قاله الله عز وجل هو كما قال ، وهو أحسن الناس عملاً ، وأشد الناس خوفاً ، ولو أنفق جبلاً من مال ما أُمِنَ دون أن يعاين ، ولا يزداد صلاحاً وبراً وعبادة إلا ازداد قرعاً ، يقول لا أنجو ، والمنافق يقول سواد الناس كثير ، وسَيَغْفِر لى ولا بأس على ، فيُنسى ويتمنى على الله تعالى . ويقول الحسن فى المتصوفة : قلوبهم محزونة ، وشروهم مأمونة ، وحوادثهم خفية ، وأنفسهم عفيفة ، صبروا أياماً قصاراً تُعقب راحة طويلة ، أما الليل فمُصافاة أقدامهم ، تسيل دموعهم على خدودهم ، يجأرون إلى ربهم : ربنا !! ربنا !! وأما النهار ، فحكاء علماء ، برة أنقياء ، كأنهم القداح ، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرض ، أو خولطوا ، ولقد خالط القوم من ذُكر الآخرة أمرٌ عظيم . ويقول فى الصوفية : هم أهل التقوى ، علاماتهم : صدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، وصلة الرحم ، ورحمة الضعفاء ، وقلة الفخر والخيلاء ، وبذل المعروف ، وقلة المباهاة للناس ، وسعة الخلق مما يقرب إلى الله .

والحسن البصرى ينكر على الفقهاء المترسمين برسم الفقهاء أنهم فقهاء حقاً . يقول له فرقد السبخى تلميذه : يا أبا سعيد ، إن الفقهاء يخالفونك ، فيسأل الحسن وهل رأيت بعينيك فقهاء ؟ إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا ، الراغب فى الآخرة ، البصير بدينه ، المداوم على عبادة ربه ، الورع ، الكاف عن أعراض المسلمين ، العفيف عن أموالهم ، الناصح لجماعتهم .

وزهد الحسن فى الدنيا جعله يهرب ويستتر عندما وليد الأمير القضاء وكتب إليه : أيها الأمير ، فإن الكاره للأمر غير جدير بقضاء الواجب فيه ، وإن العامل للعمل بغير نية حقيق أن لا يُعان عليه ، فعافنى عافاك الله . فعافاه الأمير وأكرمه .

ويضرب الحسن نماذج للزهد من حياة المرسلين : فأما محمد عليه الصلاة والسلام فشَدَّ الحجر على بطنه من الجوع ، وأما موسى فرؤيت خُضرة البقل من صفاء بطنه من هُزاله ، ما سأل الله تعالى ، يوم أوى إلى الظل ، إلا طعاماً يأكله من جوعه . ولقد جاءت الروايات عنه أن الله تعالى أوحى إليه أن ياموسى ، إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل : مرحباً بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الغنى قد أقبل فقل : ذنبٌ عجلت عقوبته . وصاحب الروح والكلمة ، عيسى بن مريم ، فى أمره عجيبة ، قد كان يقول : أذمي الجوع ، وشعارى الخوف ، ولباسى الصوف ، ودابتى رجلى ، وسراجى بالليل القمر ، وصلاتى فى الشتاء الشمس ، وفاكهتى ورِيحانى ما أنبت الأرض لسباع

والأنعام. أبيتُ وليس لى شيء، وليس أحدٌ أغنى منى. وسليمان بن داود عليها السلام ليس دونهم فى العَجَب: يأكل خبز الشعير فى خاصته، ويطعم أهله الخُشَكَار أى الطحين الخشن، ويطعم الناس الدُّمَك، أى الطحين الأبيض، فإذا جثه الليل لبس المسوح، وغلَّ اليد إلى العنق، وبات باكياً حتى يصبح، يأكل الخشن من الطعام، ويلبس الشعر من الثياب!!

وكتب الحسن إلى عمر بن العزيز لما سأله أن يعظه: أما بعد، فإن رأس ماضٍ ليحك ومُصلَحٌ به على يدك: الزهد فى الدنيا، وإنما الزهد باليقين، واليقين بالتفكر، والتفكر بالاعتبار، فإذا أنت تفكرت فى الدنيا لم تجدها أهلاً أن تتبع بها نفسك، ووجدت نفسك أهلاً أن تكرمها بهوان الدنيا، فإنما الدنيا دار بلاء ومنزل غفلة.

وقال الحسن فى المسؤولية والحرية والاختيار: «وكل الزمناه طائره فى عنقه، ونخرج له يوم القيامة كتاباً منشوراً. اقرأ كتابك، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً». عَدَلَ اللهُ عليك مَنْ جعلك حسيب نفسك. أعدوا الجواب فإنكم مسئولون، والمؤمن من لم يأخذ دينه عن رأيه، ولكنه أخذه من قتل ربه. ورحم الله رجلاً خلا بكتاب الله، فعرض عليه نفسه، فإن وافقه حمد ربه وسأله الزيادة من فضله، وإن خالفه أعتب وأناب وراجع من قريب. والناس عند الحسن أحد ثلاثة: مؤمن، وكافر، ومنافق، فأما المؤمن فقد ألجمه الخوف، وقومه ذكر القرض (أى الحساب)، وأما الكافر فقد قعه السيف، وشرده الخوف، فأذعن بالجزية، وأما المنافق ففى الحجرات والطرقات، يُسرون غير ما يعلنون، ويضمرون غير ما يظهرون. ولولا ثلاثة ما طأ ابن آدم رأسه: الموت، والمرض، والفقر. والدنيا حلم، والآخرة يقظة، والمتوسط بينها الموت، والعباد فى أضغاث أحلام، والإنسان عتدٌ، فإذا مضى له يوم فقد مضى بعضه. ويغلب الحزن والهم على الحسن: «إن المؤمن يصبح حزيناً ويمسى حزيناً، ولا يسهه غير ذلك، لأنه بين مخافتين، ذنب قد مضى لا يدرى ما الله يصنع فيه، وأجلٌ قد بقى لا يدرى ما يصيب فيه من المهالك.

وكان الحسن رحمه الله يبدو عليه كأنما هو فى خوف دائم، وكأنما النار لم تخلق إلا له، ويقول ذهبت المعارف وبقيت المناكر، ومن بقى من المسلمين فهو مغموم. وقيل عن الحسن ما كنا نراه إلا كأنه حديث عهد بمصيبة. وكان يقول كثرة الضحك تميت القلب. ويفرق الحسن بين الوسواس والهاجس أفضل تفرقة عرفها التحليل النفسى

فيقول : ما من وسواس نبذ فهو من إبليس ، وما كان فيه إلحاح فهو من النفس ، يعني الوسواس تأتي وتروح ، وتظهر فجأة وتلاشى ، وأما هواجس النفس فهي التي تلح عليها ، ويسمون ذلك في الطب النفسي العصاب الوسواسي ، وعلاجه عند الحسن هو العلاج الديني ، يقول : يستعان فيه بالصوم والصلاة والرياضة . ويقول أبو طالب المكي ، وكان الحسن يجتمع مع خاصة أتباعه في بيته ، مثل مالك بن دينار ، وثابت البناني ، وأيوب السخيتاني ، ومحمد بن واسع ، وفرقد السبخي ، وعبد الواحد بن زيد ، فيقول : هاتوا انشروا النور ، فيتكلم عليهم في علم اليقين والقدرة ، وفي خواطر القلوب وفساد الأعمال ووسواس النفوس . وما يزال الحسن البصري يعي الكلمة حتى نطق بها وقال : المحب سكران لا يفيق إلا عند مشاهدة محبوبه .



البغدادى

أبو حمزة محمد بن إبراهيم ، وشهرته الصوفى فقد كان الإمام أحمد بن حنبل إذا جرى في مجلسه شيء من كلام الصوفية يقول له : ماذا تقول في هذا يا صوفى ، فعرف هذا عنه . وكان فقيهاً عالماً بالقرآن والقراءات ، توفي سنة ٢٨٩ هـ ، واشتغل بالبزاة فسّمه البزاز أبا حمزة ، وكان أول من تكلم ببغداد في المحبة ، وقالوا فيه هو شيخ الصوفية ولسانهم في المحبة والشوق والأنس والقرب وموارد القلوب . سأله عن المحبة وهل يمكن أن يتفرغ المحب لشيء سوى محبوبه ، فأجاب بالنفى لأن المحبوب في بلاء دائم وسرور منقطع وأوجاع متصلة لا يعرفها إلا مَنْ باشرها . والمحبة تعنى الذكر ، فمن المحال أن تحب المحبوب فلا تذكره ، ومن المحال أن تذكره فلا يوجدك طعم ذكره ، ومن المحال أن يوجدك طعم ذكره ثم تُشغل بغيره . والأنس هو أن تكون موافقتك لمولاك ويضيق صدرك عن معاشره الخلق . وله شعر رقيق . منه :

لك من قلبى المكان المصون كل صعب علىّ فيك يهون
ومنه :

نهانى حياثى منك أن أكنم الهوى فأغنيتنى بالفهم منك عن الكشف
تلطفت فى أمرى وأبديت شاهدى إلى غائبى واللفظ يدرك باللفظ
تراءيت لى بالغيب حتى كأنما تبشرنى بالغيب أنك فى الكف

أراك وبى من هيبتى لك حشمة فتؤنسنى باللطف منك وبالعطف
وتحىي محباً أنت فى الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحتف

وقيل إنه خرج مرة يشيع بعض الشهداء فى الجهاد فسمع من ينشد :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
فسقط مغشياً عليه .

البقاعى

الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر البقاعى (٨٠٩ - ٨٨٥هـ) أصله من البقاع بسورية، وارتحل إلى القاهرة وبها صنف رسالته «تنبيه الغبى إلى تكفير ابن عربى» سنة ٨٦٤هـ، و«تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد» سنة ٨٧٨هـ، وله تصانيف أخرى أشهرها «نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور» ويعرف بمناسبات البقاعى. وقد نشر عبدالرحمن الوكيل الرسالتين فى كتاب واحد أعطاه اسم مصرع التصوف، ونقل عنه الزركلى فى ترجمته للبقاعى هذا الاسم المتحل على أنه كتاب له فى التصوف. وأهمية الرسالتين أنها يسجلان أسماء المنكرين لابن عربى وابن الفارض قولهما بالحلول والاتحاد أو وحدة الوجود، ويورد البقاعى فيها نحواً من أربعين اسماً من أسماء المشايخ الكبار وكلهم يعترضون على ما ذهب إليه ابن عربى وابن الفارض ومن تابعهما من فلاسفة الصوفية كابن سبعين وابن مسرة وغيرهما. وهو يدفع عن نفسه تهمة البغض للصوفية ويقول إنه إنما يبغض من كفره من أجمعنا على أنهم صوفية مثل الجنيد والقشبرى وشهاب الدين السهروردى الذين أكدوا أن طريق الصوفية لا يخالف الكتاب ولا السنة ويرتبط بهما، ومن يخالفهما فهو ليس من الصوفية، ومن ذلك قول أبى عثمان الحيرى من أمر على نفسه السنة قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أتمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة، وقول التسترى أصول مذهبنا ثلاثة: الاقتداء بالنبي ﷺ فى الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية فى جميع الأعمال. ويذكر البقاعى أن سبب تأليفه للرسالتين أن الناس قد اختلطت عليهم الأمور بشأن ابن عربى وابن

الفارض فأراد أن يوضح من أمرها ما استغلق من دعاواهم، وكان كفر ابن عربى جلياً فى كتابه الفصوص بالذات، وفى الفتوحات المكية، وأما ابن الفارض فهو فى تأثيته إنما ينقل عن ابن عربى، فليست التأثية سوى النظم الشعرى للفتوحات المكية المنشورة. وعقيدة ابن عربى هى وحدة الوجود، بمعنى أنه لا شىء سوى هذا العالم، والإله أمر كلى لا وجود له إلا ضمن جزئياته. وابن عربى ومن ينهج نهجه يتسترون بالإسلام ليروجوا لدعواهم، لأنهم لو صرحوا بالتعطيل فسينصرف الناس عنهم. ومن دعاواهم أن الإله هو عين كل شىء، وأن كل عابد شىء هو عابد الله، وأن الخلق هو الحق، والحق هو الخلق، والحق هو الإنسان الكبير، وهو حقيقة العالم وهويته، وأنه ليس لوعيد الله عين تعين، وأن الآخرة موضع سعادة لكل أحد، والمُعَذَّب مُنْعَمٌ بعذابه، وأن الحق مفترق إلى الخلق، وأنه يتلبس بصور الخلق، وأن هويته عين أعضاء العبد وقواه، وأن الأديان كلها واحدة، والضال مهتد، والكافر لن يعذب، والشرائع أوهام، والداعى هو عين المحبب. وقد صرح بكفر ابن عربى ومن نحا نحوه فى مثل أقواله الظاهرة جماعة من العلماء نقل فتاواهم الإمام شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى حجلة التلمسانى الحنفى، والإمام سيف الدين عبد اللطيف بن بلبان الصوفى، والعلامة بدر الدين حسين بن الأهدل فى تصنيفه المسمى كشف الغطا عن حقائق التوحيد. ومن المنكرين له سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام، ونقل عنه شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد أنه قال هو شيخ سوء، كذاب؛ ومنهم شمس الدين محمد بن الجزرى، قال فيه كلامه باطل متناقض وهو كفر، والإمام أبو حيان محمد الأندلسى، قال: ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من أقر بالإسلام ظاهراً، وانتمى إلى الصوفية حلول الله فى الصور الجميلة، ومن ذهب من ملاحظتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة، كالخلاج والشعوذى وابن أحلى وابن عربى وابن الفارض، واتباعهم كابن سبعين؛ وشيخ الإسلام تقي الدين السبكي، قال: ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربى وغيره فهم ضلال جُهِل خارجون عن طريقة الإسلام فضلاً عن العلماء. وقال ذلك فى باب الوصية من شرح المنهاج، ونقله الدميرى والتقى الحصنى. وقال الحافظ تقي الدين الفاسى فى كتابه فيه: وقد أحرقت كتب ابن عربى غير مرة. ومن صنع ذلك من العلماء المعتبرين الشيخ بهاء الدين السبكي، والعلامة القاضى شرف الدين عيسى بن مسعود الزاوى شارح صحيح مسلم، فقال: وأما ما تضمنه هذا التصنيف من الهديان والكفر والبهتان فهو كله تلبيس وضلال وتحريف وتبديل، ويجب على ولى الأمر إذا سمع بهذا

التصنيف البحث عنه وجمع نسخه حيث وجدها وإحراقها، وأدب من اتهم بهذا المذهب أو نسب إليه على قدر التهمة عليه حتى يعرفه الناس ويحذروه. ومنهم الشيخ الإمام المحقق نور الدين علي بن يعقوب البكري، قال: وأما تصنيف تذكر فيه هذه الأقوال ويكون المراد به ظاهرها فصاحبها ألعن وأقبح من أن يتأول له ذلك، بل هو كاذب فاجر. ومنهم العلامة نجم الدين محمد بن عقيل البالسي، قال: من صدق هذه المقالة الباطلة كان كافراً يراق دمه ولا تنفعه التوبة؛ والعلامة أبو إمامة ابن النقاش المصري فقال: وقد ظهرت أمة ضعيفة العقل، نزرة العلم، اشتغلوا بهذه الحروف وجعلوا لها دلالات، واشتقوا منها ألفاظاً واستدلوا منها على مئدّد وسموا أنفسهم بعلماء الحروف، ثم جاءهم شيخ جاهل يقال له البونى، ألف فيها المؤلفات وأتى فيها بالطامات. ومن الحروف دخلوا للباطن، وأن للقرآن باطناً غير ظاهر، بل وللشرائع باطناً غير ظاهرها، ومن ذلك تدرجوا إلى وحدة الوجود، وهو مذهب الملحدين كابن عربى وابن سبعين وابن الفارض ممن يجعل الوجود الخالق هو الوجود المخلوق، وقد لا يرضى هؤلاء بلفظ الاتحاد، بل يقولون بالوحدة، لأن الاتحاد يكون افتعلاً بين شيئين، وهم يقولون الوجود واحد لا تعدد فيه، ولم يفرقوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع، فإن الموجودات مشتركة فى مسمى الوجود، ولكن ليس وجود هذا هو وجود هذا، والقدر المشترك هو كلى، والكل المطلق لا يوجد كلياً مطلقاً إلا فى الأذهان لا فى الأعيان. وهم متأهلون للخيال ومعظمون له ولا سياً ابن عربى، وهو يسميه (أى الخيال) أرض الحقيقة، ويظنون دعاواهم الخيالية كرامات، ولقد حكى سعيد الفرغانى فى شرح قصيدة الثائية لابن الفارض أن رجلاً نزل دجله يتوضأ فخرج من نيل مصر وأقام هناك وتزوج وأنجب، ثم نزل فى إحدى المرات النيل للوضوء فخرج من دجلة ووجد غلامه ودابته فى انتظاره والناس لم تصل الجمعة بعد. وهذا الخيال يظنونه لجهلهم حقيقة وواقعاً. ثم قال: وحقيقة قولهم أن ما ثم وجوداً إلا هذا العالم لا غير كما قاله فرعون، لكن هم يقولون إن العالم هو الله، وفرعون أنكرو وجود الله. ثم قال —وقيل لبعض أكابرهم: ما الفرق بينكم وبين النصارى؟ قال: النصارى خصصوا، وهذا موجود فى كلام ابن عربى وغيره، ينكرون على المشركين تخصيصهم عبادة بعض، والعارف عندهم يعبد كل شىء. ومنهم العلامة جمال الدين عبد اللطيف بن هشام صاحب المغنى وقد كتب عن الفصوص:

هذا الذى بضلاله ضلت أوائل مع أواخر
من ظن فيه غير ذا فلينا عنا فهو كافر

هذا كتاب فصوص الظلم ونقيض الحكم وضلال الأمم. وقال العلامة ابن خلدون: طريق المتصوفة منحصر فى طريقين: الأولى وهى طريقة السنة وسلفهم الجارية على الكتاب والسنة والاقتداء بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين، والثانية مشوبة بالبدع وهى طريقة قوم من المتأخرين، يجعلون الطريقة الأولى وسيلة إلى كشف حجاب الحسن لأنها من نتائجها، ومنهم ابن عربى وابن سبعين وابن برجان وأتباعهم ممن سلك سبيلهم. والحُكْم فى الكتب من أمثال الفصوص والفتوحات المكية لابن عربى، والبُد لابن سبعين، وخلع النعلين لابن قسى، وعين اليقين لابن برجان، والكثير من شعر ابن الفارض والعفيف التلمسانى وأمثالهما، وكذا شرح الفرغانى للقصيدة الثائية من نظم ابن الفارض، هو إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار. ومنهم العلامة شمس الدين محمد العيرزى فى كتابه «الفتاوى المنتشرة»، قال عن الفصوص: قال العلماء جميع ما فيه كفر لأنه دائر مع عقيدة الاتحاد. وابن عربى من غلاة الصوفية المحذر من طرائقهم وهما شعبان، شعب حلولى يعتقدون حلول الخالق فى المخلوق، وشعب اتحادية لا يعتقدون تعدداً فى الوجود فى زعمهم أن العالم هو الله، وكل فريق منهم يكفر الآخر، وأهل الحق يكفرون الفريقين. ومنهم ابن الفارض صاحب الديوان. وقد ذكر هؤلاء بالحلول والاتحاد جماعة من علماء الشريعة المتأخرين كالشيخ عز الدين عبدالسلام وأبى عمرو بن الصلاح وابن دقيق العيد وشيخ الفقهاء الزين الكتناوى وقاضى القضاة الشيخ تقى الدين السبكي، وحكم بتكفيرهم البدر بن جماعة والزين الحنفى والشرف الزواوى والسعد الحنبلى. ومنهم لسان الدين محيى ابن الخطيب فى كتابه روضة التعريف بالحبيب الشريف، فقال الفرع الخامس فى رأى أهل الوحدة المطلقة — ثم قال: وحاصله أن البارى هو مجموع ما ظهر وما بطن، وأنه لا شىء خلاف ذلك، وأن تعدد هذه الحقيقة المطلقة والآنية الجامعة التى هى عين كل آنية، والهوية التى هى عين كل هوية، إنما وقع بالأوهام من الزمان والمكان والخلاف والغيبة والظهور والألم واللذة والوجود والعدم. قالوا وهذه إذا حققت إنما هى أوهام راجعة إلى أخبار الضمير وليس فى الخارج شىء منها، فإذا سقطت الأوهام صار مجموع العالم بأسره وما فيه واحداً، وذلك الواحد هو الحق، وإنما العبد مؤلف من طرفى حق وباطل، فإذا سقط الباطل — وهو اللازم بالأوهام — لم يبق إلا الحق، وصرحت بذلك أقوال شيوخهم، فنه قول ابن أحلى: حق أقام باطلاً ببعض صفاته. وقال الحلاج وابن عربى وقد تعرضا لما به وقع التعدد وأنه وهم، فالكل واحد وإن كان متفرقاً، فسبحان من هو الكل ولا شىء

سواه، الواحد بنفسه، المتعدد بنفسه. ومنهم شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر وشيخه شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني، فقال فى ترجمة عمر بن الفارض بأنه شيخ الاتحادية، وأنه ينطق بالاتحاد الصريح فى شعره. ومنهم الحافظ عماد الدين بن كثير، قال: هؤلاء كلهم يقتفون فى مسالكهم هذه طريقة الحسين بن الحلاج الذى أجمع الفقهاء فى زمانه على كفره وقتله؛ وشمس الدين محمد بن عثمان الذهبى، قال فى كتابه تاريخ الإسلام: كلام ابن عربى كفر وزندقة كان يجتمع به آحاد الاتحادية ولا يصرح بأمره لكل أحد، ولم تشتهر كتبه إلا بعد موته، ولهذا تمادى أمره؛ والإمام ابن تيمية، قال فى كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: وقد صنف بعضهم — أى أهل الاتحاد — كتباً وقصائد على مذهبه مثل قصيدة ابن الفارض المسماة بنظم السلوك، وفصوص الحكم لابن عربى وأمثاله مثل صاحبه القونوى — يعنى صدر الدين — والتلمسانى وابن سبعين والششتري وابن الفارض وأتباعهم، ومذهبهم الذى هم عليه أن الوجود واحد، ويسمون أهل وحدة الوجود، ويدعون التحقيق والعرفان، ويعجلون وجود الخلق هو عين وجود المخلوقات، فكل ما تتصف به المخلوقات من حسن وقبح ومدح وذم إنما المتصف به عندهم عين الخالق، وليس للخالق عندهم وجود مباين لوجود المخلوقات منفصل عنهم، بل عندهم ما ثم غير الخالق ولا سواه، فعباد الأصنام لم يعبدوا غيره لأنه ما عندهم له غير؛ وشرف الدين إسماعيل بن أبى المقرئ، قال: وأما من أثنى على ابن عربى فلفضله وزهده وإثاره واجتهاده فى العبادة، ولم يعرفوا ما فى كلامه من المنكرات لاشتغالهم عنه بالعبادة. وبعض المثنيين عليه يعرفون ما فى كلامه من المنكرات ولكنهم يزعمون أن لها تأويلات، وحملهم على ذلك كونهم تابعين لابن عربى فى طريقته، فشناؤهم عليه مطروح لتزكيتهم معتقدهم والعلامة علاء الدين محمد بن محمد البخارى الحنفى، وصنف فى رسالة سماها «فاضحة الملحدین وناصحة الموحدين»، وبين أن وحدتهم هى التى قرر أصلها بعض الفلاسفة، لا التى يسميها أهل الله الفناء، ونقل عن القاضى عضد الدين فى وصفه لابن عربى أنه يحكى عنه أنه كان كذاباً حشاشاً كأوغاد الأوباش، فقد صح عن صاحب كتاب المواقف أنه لما سئل عن كتاب الفتوحات لصاحب الفصوص قال: أنتطمعون من مغربى يابس المزاج يَحْرِمُكم ويأكل الحشيش شيئاً غير ذلك؟ وقد تبعه — أى ابن عربى — فى ذلك ابن الفارض حيث يقول: أمرنى النبى بتسمية التائبة نظم السلوك، إذ لا يخفى على العاقل أن ذلك من الخيالات المتناقضة الحاصلة من الحشيش، إذ عندهم أن وجود الكائنات هو الله تعالى، فإذا الكل هو الله، لا غير،

فلا نبي، ولا رسول، ولا مرسل إليه، وقال إن الملاحدة عبروا عن ضلالهم بعبارات العارفين بالله، يسترون بها في زندقته فينبغي الحذر منهم، فأرادوا بالفناء نفى حقائق الأشياء، وجعلوها خيالاً وسراباً على ما هو مذهب السوفسطائية، وبالبقاء ملاحظة الوجود المطلق، وبالوحدة المطلقة كون ما سوى الوجود من الأشياء خيالاً وسراباً، وكون وجود جميع الأشياء - حتى الخبائث والقاذورات - إلهاً، وذلك غير ما أراده العارفون، فإنهم أرادوا بها معاني يصدقها الشرع، وهم مصرحون بأن كل حقيقة يردها الشرع فهي زندقة، وأنه ليس في أسرار المعرفة شيء يناقض ظاهر الشرع، بل باطن الشريعة يتم بظاهرها، وسره يكمل صريحه، ويروج ابن عربي وأمثاله سفستهم بإحالتها إلى الكشف، ويتفقهون بأن مرتبة الكشف وراء طور العقل، والمعروف أن مرتبة الكشف ينال بها ما ليس ينال العقل، وليس ما هو ببدية العقل محال، فلا مجال في مورد الشرع ولا في طور الولاية والكشف لما يحكم العقل عليه بأنه محال، بل يجب أن يكون كل منها في حيز الإمكان والاحتمال. ومنهم الحافظ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي في كتابه «تخدير النبي والغبي من الافتتان بابن عربي»، يقول: إن من ينسب إليه هذا الكلام لا يشك مسلم منصف في فسقه وضلاله وزندقته. ومن كفروا ابن الفارض عز الدين بن عبد السلام والحافظ بن الصلاح والإمام الفقيه الصوفي قطب الدين القسطلاني، والإمام نجم الدين أحمد بن أحمد بن حمدان الحنبلي وقد شرح التائية وبين عواره فيها بيتاً بيتاً، والسكوني وابن الحاجب وابن دقيق العيد وابن بنت الأعز وابن جماعة والزواوي والسعد الحارثي وأبو حيان الشافعي، وأبو أمامة والحافظ الموصلي والسبكي والزين الكتنتاي وابن تيمية وابن حجر والبسطامي وابن الأهدل. كما شهد بالنقل عنهم نحو عشرين كتاباً من مصنفاتهم ومصنفات غيرهم، وهي شرح التائية لابن حمدان، وديباجة ديوان ابن الفارض، ولحن العوام لابن خليل وتفسير أبي حيان البحر والنهر، والفرقان لابن تيمية، وقصيدة السفاقي التي يقول فيها:

وكالشترى القونوى ابن الفارض فلا يرد الله ثراهم ولا أسقى

وكتاب ابن أبي حجلة، والميزان ولسانه لابن حجر، والتاريخ لابن كثير، وناصحة الموحدين للعلاء البخاري، والفتاوى المكية للعراقي، وتاريخ العيني، وشرح التائية للبساطي، وكشف الغطاء لابن الأهدل، فهذه ستة عشر كتاباً وقصيدة شهدت بكفره من بضع وعشرين عالماً هم أعيان كل عصر.

البكتاشية

طريقة الدراويش البكتاشية التي كانت منتشرة بين الانكشارية حتى أن معنى البكتاشي كان ينصرف إلى الإنكشاري، وكانت من الحركات الدينية التي لها أهميتها البالغة في شرقي آسيا الصغرى وكردستان وألبانيا والشام وفارس ومصر، وكانت لهم بجبل المقطم تكية، وتنسب هذه الطريقة لحاج بكتاش ولي واسمه محمد رضوى، وقيل إنه ولد بنيسابور ودرس على أحمد سنوي، وقيل إن وفاته كانت سنة ٧٣٨ هـ، إلا أن هذه السنة هي المقابل لكلمة بكتاشية في حساب الحروف كما يعتقد أصحاب هذه الطريقة. وتنسب له كرامات عظيمة، وقيل عنه إن الإنكشارية كلهم أسلموا على يديه في عهد أورهان، وصاروا على طريقته في التصوف، وهي طريقة تقوم على التقشف والنظام الصارم، وتقول بالمساواة بين الأديان. ومن البكتاشية من هم على عقائد السنة، ومنهم علويون ينتصرون لآل البيت ويذمون أبا بكر وعمر وعثمان كما يفعل الشيعة، ويعترفون بالأئمة الإثني عشر وينزلون الإمام جعفر الصادق منهم منزلة خاصة، وشعارهم «الله. محمد. علي»، ويرى المستشرقون أن ذلك منهم كالتثليث، كما يرون أن التزامهم شرب النبيذ والتقوت بالجن والحز عناصر نصرانية يفسرونها عندهم بأن البكتاشية أو حاج بكتاش ولي ربما كان في الأصل نصرانياً وأسلم، وذكرهم فيه الرقص، وشيوخهم يدعون البابا ويتلقون منهم المغفرة، ومنهم من يبلغ زهده حد العزوف بالكلية عن الدنيا والركون في التكايا وعدم الزواج، ويميز المصريون على العزوبة أنفسهم بلبس الأقراط في آذانهم ولهم مشايخهم، والبكتاشي الدراويش يقال له المريد، والمتحقق بتكية البكتاشية يقال له منتسب، ولباسهم عباءة بيضاء وطاقيّة يقال لها سكة، ومثلة وأطرافها ١٢ بعدد الأئمة، والبابا أو الشيخ يلف حولها عمامة خضراء، وحول رقابهم حجاب من الحجر يقال له تسليم تاش، ويضعون في أيديهم عصا طويلة ويتسلحون ببلطة ذات حدين، وهذه الخصيصة فيهم وميولهم القتالية ربما كانت سبب إقبال الإنكشارية على الدخول في طريقته، أو ربما كانت من تأثير دخول الإنكشارية في الطريقة، حتى أن الإنكشارية كان يقال لهم أبناء الحاج بكتاش، وكان مشايخ فرق الإنكشارية العسكرية المنتشرة في العالم الإسلامي ومن الامبراطورية التركية من دراويش البكتاشية، وقد لعبت طريقة البكتاشية دوراً كبيراً في الفتن السياسية والدينية والتحولات الاجتماعية، وقيل إن الآراء التحررية في ثورة أتاتورك الخاصة بالمساواة بين الأديان وعدم سجن المرأة هي من تأثير معتقدات

البكتاشية، وربما لذلك كان إقبال البكتاشية على الأفكار التقدمية عموماً. ويرأس خالد بكتاش الحزب الشيوعي السوري، ويضم بين أعضائه بقايا العناصر الانكشارية فى هذه البلاد.

وللبكتاشية مصطلحات ينفردون بها مثل «التولية والتبرية»، ومعنى التولية مشايعتهم لآل البيت، وأما التبرية فهي التبرئة من غيرهم. والولاية عندهم أربعة: وهى الشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة، والمقامات أربعون لكل باب عشرة مقامات. وأئمتهم سبعة عشر، يسمونهم بالمتحزمين أو الكمرسته، وهم أصحاب على بن أبى طالب الذين خرجوا معه. وفى كل ذكر يوضع عدد من الفراء فى أماكن خاصة بطريقة خاصة، ترمز لولى من الأولياء، وتسمى بوست. ومن أشهر أدعياتهم الدعاء الذى يطلقون عليه اسم «دعاء على» ويقول: يا على! يا على! أدركنى يا على. أدركنى يا إيليا يا أبا الحسين! يا أبا تراب! يا ذا الجلال والجمال والهيبة والكمال!

البكرى

مصطفى بن كمال الدين بن على الصديقى الحنفى الدمشقى البكرى (١٠٩٩ — ١١٦١هـ) قال عنه الجبرتى هو الأستاذ شيخ الطريقة والحقيقة وقادة السالكين ومربى المريدين، المذكور فى منظومة النسبة لسيدى عبدالغنى النابلسى، ونشأته ببيت المقدس، رباه شيخه عبداللطيف الحلبي، وتآليفه تقارب المائتين، وأحزابه وأوراده أكثر من ستين، وأجلها الورد السحري، وعليه ثلاثة شروح أكبرها فى مجلدين. وقال عنه محمد توفيق البكرى (١٢٨٧ — ١٣٥١هـ) صاحب التراجم الصوفية أنه طلب العلم بدمشق وقابل والى مصر بيت المقدس فاصطحبه إلى مصر وأخذ عنه خلق كثيرون أجّلهم الشيخ محمد الحنفى. ومن مؤلفاته الوصية الجليلية للسالكين طريق الخلوتية، والفتح القدسى، والمورد العذب لذوى الورد فى كشف معنى وحدة الوجود، والتواصى بالصبر والحق، وتلغة المريد، واللمحات فى صلوات بن مشيش، والمنهل السائغ لوراده فى ذكر صلوات الطريق وأوراده، وفوائد الفرائد، والسيوف الحداد فى أعناق أهل الزندقة والإلحاد. وله منظومة مشهورة لرسالة السيوطى فى التصوف التى أوردها رداً على أهل الدعاوى الكاذبة بالولاية يبدأها بعد الديباجة بهذه الأبيات:

أولها طريقة التصوف تجريدك القلب لحبك الوفى

ثم احتقارك السوى مراقباً جنابه وغيره مجانباً



بلاثيوس

ميجيل أسين بلاثيوس Palacios أسباني من مواليد سرقسطة (١٨٧١ - ١٩٤٤م) وكان استاذاً للغة العربية بجامعة مدريد، واشتهر بدراساته في التصوف وفلاسفة الصوفية، وأخصهم الغزالي وابن عربي، وكانت رسالته للدكتوراه عن الغزالي، ونشر البحوث في تأثير الرشدية على الفلسفة اللاهوتية للقديس توما الأكويني، وفلسفة ابن مسرة وتشكيلها للتصوف الإسلامي في الأندلس، ثم تأثيرها على الفكر الأوروبي من خلال روجر بيكون وريموندو لوليوي، وقدم سنة ١٩١٩ بحثه الأشهر في «الأخويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية». وقد درس ابن عربي دراسة مستفيضة ونشر فيه بحثاً في علم النفس عند محي الدين بن عربي، ونفسانية الوجد الصوفي عند الصوفيين الغزالي وابن عربي، وقدم ترجمة لحياته، ونبه إلى الخصائص العامة لمذهبه، وكذلك كتب عن الغزالي ونفسية الاعتقاد عنده، ومعاني الأخلاق والزهد في فلسفته، وتصوفه وروحانيته، وترجم في التصوف فصولاً من كتاب الإحياء، ونصوصاً مختارة من كتب ابن عربي تحفة السفارة إلى حضرة البررة، والأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط، والتدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية، وكنهه ما لا بد للمريد منه، ومواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم، والأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار، والفتوحات الملكية، كما ترجم كتاب الأخلاق لابن حزم، وكتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل، ودراسات في كتابه طوق الحمامة، وتابع تأثير الإسلام وفلاسفة المتصوفين المسلمين في الفكر اللاهوتي المسيحي ببيان سرقة الراهب الفرنسيسكاني تورميذا لرسائل من إخوان الصفا، وتأثير ابن عباد الرندي في يوحنا الصليبي، وتوج حياته أخيراً بكتابه «تأثيرات الإسلام» (١٩٤١) فجاء كتاباً جامعاً ومن خير ما كتب.



البنورى

أبو عبد الله معز الدين آدم بن إسماعيل البنورى، من خلفاء أحمد السرهندى، وله فى التصوف «نكات الأسرار» يتناول فيه بعض المسائل الصوفية ورياضاته ومجاهداته الروحية وبعض التراجم الصوفية، و«خلاصة المعارف» فى مجلدين، وموضوعاته كالكتاب السابق، وله تفسير صوفى للفتحة. وكان ميلاده فى بنور من البنجاب نحو سنة ١٠٠٥ هـ وتوفى فى المدينة سنة ١٠٥٣ هـ، وكان مريدوه فى حياته نحو الأربعمئة ألف، ومبادئه فى طريقته بسيطة، وتقوم على التزام الشريعة والاقتداء بالسلف والزهد فى الدنيا واحتقار المناصب والتعفف عن ذوى السلطان.



بهتائى

شاه عبد اللطيف بهتائى (١١١٣ - ١١٧٦ هـ) باكستانى من بيت دين من ميثارى، شعره صوفى، وله ديوان «الرسالة»، قصائده فيه تتناول القصص الرفي وتعرضه بأسلوب فلسفى دينى، وموضوعاته من مثل الحب العذرى، والحب العاشق من طرف واحد، أو الذى لا يبد لهبه وإخلاصه ما يكافئه، والحاجة فى الحب للاعتصام بالله والتعين بقدره، وطلب رحمته والأمل فى رضوانه، وتقويضه فيما يتجرعه الحب من آلام، وما يمتلئه من عذابات، ولعل هذه النعمة الصوفية التى تسرى فى شعر بهتائى، والإيمان الذى يكشف عنه بفلسفته، ومسرى قصصه وخواتيمها، وقوله بالقدر، ذلك كله هو ما يشد إلى سماعه عامة الناس والفلاحين البسطاء. وأبطاله من الفقراء دائماً والمسحوقين والمضطهدين، وشخصياته يرسمها لأفراد يستشعرون الكرامة ويؤمنون بالقيم رغم الحاجة الشديدة التى يعيشون فيها. والأوزان التى يستخدمها بهتائى مما يصلح للتلحين والغناء، ولذلك فإن الكثير من قصائده يتغنى الناس بها وينشدونها فى مجالسهم ويعقدون لها الندوات، والكثير منها مما يشاق لسماعه الأطفال.



البوصيرى

محمد بن سعيد بن حماد بن الصنهاجى (٦٠٨ - ٦٩٦ هـ) ونسبته إلى بوصير بمصر التى نشأ بها، وأحياناً يقال له الدلاصيرى نسبة إلى دلاص حيث مولده، ويشتهر

بقصيدته البردة، وكان قد أصابه الفالج فقطع على نفسه عهداً لئن شفاه الله أن ينظم قصيدة فى مدح الرسول عليه الصلاة والسلام «خير البرية»، ولذلك سميت قصيدته «الكواكب الدرية فى مدح خير البرية»، وكان قد بدأ فى نظمها أثناء مرضه فلما انتهى منها رأى فى المنام رسول الله ىر بيده الكريمة على جسمه كله فيبراً، ولذلك سميت القصيدة أيضاً باسم البرأة، وقد جازاه الرسول بأن خلع عليه برده ولذا سميت كذلك بالبردة. ويبدو أنه قد نظمها وفى باله قصيدة الشاعر الصوفى المصرى ابن الفارض والتى يقول فيها :

هل نار ليلى بدت ليلاً بذى سلم أم بارق لاح فى الزوراء بالعلم
ويقوم تصوف البوصيرى على عجة الرسول، وفى أغلب شعره الدينى يتصدى بالرد على منكرى نبوة النبى من غير المسلمين، ويشيد بالقرآن وإعجازه، ويدعو إلى الزهد ومخالفة النفس والندم والاستغفار. ولما ذاع صيت البردة صار الصوفية ينشدونها فى مجالسهم، وصارت تنشد فى الاحتفالات الدينية تشفعاً بالنبى وطلباً لتفريج كربهم باعتبار شهرتها أنها «قصيدة الشدائد». وكانت هناك الكثير من المعارضات لها وتقليدها وترجمت إلى اللغات الأجنبية. وأقام البوصيرى فى آخر حياته بالإسكندرية، وكان من أصحاب أبى العباس المرسى وتلقى عنه علم الحقائق والأسرار، ولما مات دفن فى قبره الذى شيد عليه مسجده المعروف باسم مسجد البوصيرى.



البؤنى

أبو العباس أحمد بن على بن يوسف (المتوفى ٦٢٢ هـ)، نسبته إلى بونة بالمغرب، وله «شمس المعارف الكبرى» ويسمى «شمس المعارف ولطائف العوارف» أربعة أجزاء، ورسائل «اللمعة النورانية» و«السلك الزاهر» و«شمس المعارف الوسطى» و«شمس المعارف الصغرى» و«شرح اسم الله الأعظم» و«فضل بسم الله الرحمن الرحيم» و«مواقف الغايات فى أسرار الرياضات» وجميعها فى التصوف وعلم الحروف ومات بالقاهرة.



البيرامية

طريقة تنسب لمؤسسها حاجى بيرام ولي، وكانت مراكزها فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين فى استنبول وأنقره وأزمير وقسطمونى، وتشتق من الطريقة الخلوتية، بدعوى أن النبى عليه الصلاة والسلام قد عهد إلى أبى بكر رضى الله عنه بالذكر الخفى، وإلى على رضى الله عنه بالذكر الجلى، وتختص البيرامية أتباعها بالذكر الخفى، وهو ما تأخذ به الطريقة النقشبندية كذلك، ويبدو أن سبب هذا الاختيار هو الأصول الملامتية التى تقوم عليها الطريقتان. وعندما توفى حاجى بيرام انقسمت الطريقة إلى بيرامية شمسية وشيخهم أق شمس الدين، وقد أخذ بالذكر الجلى، وبيرامية ملامتية وشيخهم عمر دده البورسوى وهؤلاء اتبعوا الطريقة الملامتية وهجروا الذكر والورد وتكايهم ولم يعد لهم لباسهم المميز، وفلسفتهم تحريم إظهار التقوى وأن تكون علاقة العبد بربه وإخلاصه له فى السر، وخافوا أن يكون تعبدهم نفاقاً أو للمظهرية فأخفوه عن الناس وظهروا بمظهر غير المتدينين أو الذين لا اعتبار لهم للدين.

والمبتدئ فى البيرامية يمارس العبادة على أساس توحيد الأفعال، أو فنائها فى فعل الله تعالى باعتبار أنها جميعاً من عند الله، فليس العبد هو الفاعل، وإنما الفاعل الحقيقى هو الله تعالى، وبعد ذلك تأتى المرحلة التى عليه فيها أن يفهم أن الأفعال هى كشف لصفاته، وكلها صفات لله تعالى، فإذا قام مثلاً بفعل فيه الكرم واتصف به فإنما لأن الكريم هو الله، والكرم فعله، ونحن نصفه به ونقدره له لأنه من صفات الله وفعله، وتلك مرحلة توحيد الصفات أو فنائها فى صفات الله، ثم تأتى المرحلة الأخيرة وهى التى عليه فيها أن يفهم أن الصفات وقد فنيت فى صفات الله، ولم يعد غير صفات الحق التى هى تجليات لذاته، فإن الوجود يصبح فى حقيقته واحداً، وكل الأعيان فى الوجود هى أعيان علمية لم توجد إلا لأنها موجودة فى علم الله، وتلك المرحلة هى مرحلة توحيد الذات أو فناء كل الذوات فى ذات الله تعالى.

والبيرامى يضع على رأسه طاقية من اللباد الأبيض لها ست جهات ترمز إلى الجهات الست: أعلى وأسفل ويسار وأمام وخلف، بما يعنى أنه قد صار له علم محيط.

البيومية

طريقة سيدى على بن حجازى بن محمد البيومى الشافعى (نحو ١١٠٨ هـ - ١١٨٣ هـ) حفظ القرآن فى صغره، وتلقن الخلوتية من السيد حسين الدمرداش العادلى وسلك بها مدة، ثم أخذ طريق الأحمديّة عن جماعة، ثم حصل له جذب ومالت إليه القلوب وصار للناس فيه اعتقاد عظيم، وصار له أتباع ومريدون، وأقام ذكراً متميزاً مشى عليه الكثيرون، فيه «يا الله» يقولها الأتباع مع إحناء الرأس وضم اليدين على الصدر، ويتبع ذلك رفع الرأس والتصفيق باليدين. وثمة خصيصة أخرى للبيومية هى مخاطبتها لأفقر الطبقات والعصاة من قطاع الطرق، المصر منهم على المعصية يربطه بسلاسل الحديد بعامود مسجد الظاهر حيث كانت تجرى حلقات ذكره، ومن هؤلاء من صار من السالكين وانضم إلى حاشيته، فإذا ركب الشيخ بغلته ساروا خلفه بالأسلحة والعصى، وإذا ورد المشهد الحسينى يغلب عليه الوجد فى الذكر حتى يصير كالوحش النافر فى غاية القوة، فإذا جلس بعد الذكر تراه فى غاية الضعف. وكان يلبس قيصاً أبيض، وطاقيّة بيضاء، ويعتم عليها بشملة حمراء، لا يزيد على ذلك صيفاً وشتاء. وكان لا يخرج من بيته إلا مرة كل أسبوع لزيارة المشهد الحسينى، وأتباعه حوله يعلنون بالتوحيد والذكر، وربما جلس شهوراً لا يجتمع بأحد من الناس، ولما كان يعقد الذكر بالمشهد الحسينى كل ثلاثاء كانت جماعته يأتون على الحال السابقة ويذكرون فى الصحن إلى الضحوة الكبرى، فأنكر العلماء عليه ذلك واشتكوا من التلوث فى الجامع من أقدام جماعته، إذ غالبهم كانوا يأتون حفاة ويرفعون أصواتهم بشدة، وكاد أن يتم منعهم لولا أن الشيخ الشبراوى تدخل وانتصر له بدعوى أن البيومى من كبار العلماء والأولياء فلا ينبغى التعرض له، وطلب منه أن يعقد درساً بالأزهر وحضره غالب العلماء فاقتنعوا به وسكتوا عنه وخمدت نار الفتنة، وبنى له الأمير عثمان أغا المسجد المسروق بالحسينية وسبيلاً وقبة وبداخلها مدفن، فلما مات صلوا عليه بالأزهر فى مشهد عظيم ودفن بالقبر الذى بنى له بداخل القبة بالمسجد المذكور. وكان البيومى ذا واردات وفيوضات، ولم يترك خليفة، وله مصنفات عديدة، منها شرح الجامع الصغير، والحكم العطائية، والإنسان الكامل للجيلى، وله مؤلف فى طريق القوم خصوصاً فى طريق الخلوتية الدمرداشية، وشرح الأربعين النووية، ورسالة فى الحدود، وشرح على الصيغة الأحمديّة، وله كلام عال فى التصوف.





التبريزي (شمس الدين)

محمد بن علي بن ملك داد تبريزي، وشهرته شمس الدين، والحق، أصله من تبريز، وكان سواحاً جواباً، التقى بالشاعر الصوفي جلال الدين الرومي في قونية فحولة من مدرس فقه إلى صوفي صاحب طريقة من أشهر الطرق الصوفية، هي الطريقة المولوية، نسبة إلى مولانا جلال الدين الرومي، وفجر فيه طاقات إبداعية وجدانية، كتب بها ديوان شمس تبريز، وهو قصائد غزلية بلغ عدد أبياتها ٣٥٠٠ بيت، وجاء تأليفه للديوان وتضمينه لاسم التبريزي بحيث يُظن أنه هو نفسه المؤلف. وقيل في تسمية الرومي للتبريزي باسم شمس، والشمس، أنه كان آية في صباحة الوجه وحسن القوام ودماثة الخلق وبلاغة اللسان، وقد أحبه الرومي حباً ملك عليه نفسه، وكان مصدر إزعاج لأهله وأولاده وأصحابه. ويحكى الرومي عن لقاءها وكان يستمع إليه مأخوذاً، فسأله لماذا تأخذ نفسك بدراسة الفقه، فأجاب الرومي: لأعرف الشرع، فقال التبريزي: أليس الأجدى أن تعرف صاحب الشرع. إن العلم إن لم يجردك من نفسك فالجهل خير منه. ولزمه الرومي لا يبرحه، حتى أنه حبس نفسه معه في حجرة واحدة أربعين يوماً، سرت فيه منه روح التصوف، فاعتزل التدريس وانخرط في الطريقة، وحدثت بين التبريزي وأهل الرومي وأصحابه مغاضبات، وتركهم مرة وسافر إلى الشام، وأرسل الرومي ابنه وراءه ليعيده، ومعه رسالة ينشده فيها:

أنت كالشمس إذا دنت ونأت يا قريباً إلينا تعال

ولما عاد التبريزى كانت فرحة كبرى للرومى، وزوجه من إحدى بنات الأسرة ليخرس الألسن ويمنع القيل والقال، ولكن المضايقات عادت ففادهم التبريزى هذه المرة إلى غير رجعة. ويذكر أن الرومى بدأ مجالس السماع بعد رحيله متعزياً بها عنه. وكان التبريزى يلبس ملابس الدراويش، ونسبوا إليه قصيدة سعدى الشيرازى «سوك نام» التى يتأسى فيها على سقوط الخلافة الإسلامية على يد التتار، ويقول فيها إن السماء لتنزف دماً على ما أصاب الأرض من مصيبة حلت بأولاد المصطفى وهى سقوط دولة الإسلام، ويناشد النبى ﷺ أن يولى المسلمين نظرة فقد اشتدت بهم الضائقة وعم البلاء. ويبدو أن هذه المصائب التى كانت تنزل بالجملة بالمسلمين فى وقته، وما عرفه عن الناس من نفاق هما اللذان باعدا بينه وبين الحياة ودفعاه إلى الانزواء. ومن أقواله الناس اعتادوا النفاق، والتعامل معهم يقتضى أن تكون مثلهم وتلتزم سلوكهم وإلا فالأولى بك أن تهرب منهم إلى الصحراء أو الجبال. ويقول إن سر البقاء سعيداً مع الناس هو أن تشايهم على النفاق. ويقول: الدنيا ليست خيراً فى ذاته أو شراً فى ذاته، والإنسان هو الذى يجعل منها خيراً أو شراً.

ويقول فى محى الدين بن عربى: كان ابن عربى معيناً ومؤسراً ولكنه لم يتبع الشريعة، وجعل من نفسه متبوعاً. ويقول عن الحلاج: إنه لم يكن مبصراً تماماً لنور الكمال، ولم يظهر له النور والجمال فى تمامها، وإلا فكيف يقول أنا الحق. ويقول عن البسطامى: إنه لم يكن عنده اطلاع وإلا فكيف يتبجح قائلاً أنا. ويقول: الدنيا على أحوال شتى لا يمكن معها إصلاح الفاسد وإحلال الصالح محل الفاسد، وقد يحدث العكس فإن الفاسد قد يتبدل بالأفسد. وأدرك التبريزى عصر الرازى، وعندما توفى كان هو فى السادسة والعشرين. ومن مؤثراته: المشكلة تحدث منك؛ والتتار فيك وهم غضبك؛ والمؤمن لا يختار، والكافر مشكور لأنه لا ينافق ويقولها صراحة أنا عدوكم؛ والمنافق أخطر من الكافر؛ وعبادة الحق هى أن تتخلص من عبادتك لنفسك؛ والناس من منبع واحد فلماذا هذا الاختلاف.

ويروى عن التبريزى أنه كان يلبس عمامة سوداء يسمونها كلاه، وأطلقوا عليه اسم برنده أى الطيار لكثرة سياحاته، وقالوا عنه إنه سلطان العاشقين. وفى الطريقة المولوية هناك طبقة من الواصلين جديدة تماماً فى التصوف أطلقوا عليها طبقة العاشقين الواصلين لها نفس درجة الأولياء الكاملين، وأسمى من ذلك مقام المعشوق. وقيل إن هذه الفضيحة التى موضوعها العشق بين شمس تبريزى وجلال الدين الرومى قد دفعت

ابن جلال المدعو علاء الدين إلى أن يقتل التبريزي، وكتبوا الأمر عن جلال بدعوى أن شمس قد رحل، ويبدو أنهم اكتشفوا أخيراً في قونيه البثر الذي أخفى فيه علاء الدين جثمان شمس، وعثروا فيه على بقاياها. ويبدو أن سلطان ولد الابن الأكبر لجلال الدين الرومي كان يعرف بمقتل التبريزي رغم تظاهره بالبحث عنه في دمشق وغيرها، وكانت هذه المعرفة تشكل هما يحث على قلبه فصار يحب السماع ويرهف السمع للموسيقى أكثر، وشعر أن شمس المفقود يمثل في نفسه، ووصف حالته النفسية في أبيات مؤثرة في ديوانه ولد نامة.



التجانية

طريقة تنسب لمؤسسها أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التجاني (١١٥٠ - ١٢٣٠ هـ)، واسم التجاني (بكسر التاء) من الأسماء المألوفة في المغرب، والتجانية ارتبطت بطريقتهم بحوادث سياسية مؤسفة، فقد كان ظهورهم أثناء مقاومة الأمير عبد القادر للاحتلال الفرنسي، ولما زاد أتباعهم حاول الأمير أن يستميلهم إلى قواته، ولكن التجاني رفض بدعوى عدم الاشتغال بالسياسة، وأنهم قوم يعبدون الله ولا دخل لهم بما يجري من حوادث وطنية أو غير وطنية، وظل ذلك دأبهم حتى بعد وفاة مؤسس الطريقة. والتجاني من قرية عين ماضي، وظلت هذه القرية معقلاً للتجانية بعد إجلائهم عن فاس، وحاصرهم الأمير عبد القادر ثمانية أشهر حتى ذاع صيتهم، واكتسبوا تأييد العامة وعطف الفرنسيين عليهم، ولما قتل محمد الكبير ابن التجاني، انسحبوا إلى الأغواط، وقيل إنهم ساعدوا الفرنسيين على عبد القادر. والتجانية من فروع الطريقة الخلوتية، وقد بدأ التجاني قادراً ثم طبيباً ثم خلوتياً. ومات أبواه بالطاعون وهو بعد في السادسة عشرة فرحل إلى فاس وتلمسان ومكة والمدينة، يلتقي بالشيوخ ويأخذ عنهم، ثم توجه إلى القاهرة وفيها التقى بصديق يدعى محمود الكردي أشار عليه بأن تكون له طريقته في بلده، ومن ثم سافر إلى فاس وانقطع للتعبد في واحة بالصحراء اسمها يوسمعون، ورأى رؤيا أن النبي يكلفه بالدعوة، فعاد إلى فاس واتخذها مقراً له، وفيها مات ودفن بالزاوية الخاصة بالتجانية، وقبره مزار لأتباع الطريقة. ولا تختلف شعائر التجانية كثيراً عن شعائر الخلوتية، والأتباع يسمون الأحباب، ومن مشايخهم على بن عيسى، ومحمد الحافظ بن مختار الملقب بالبدّي، وهو

الذى نشر الدعوة بالصحراء، وينتشر التجانية شرقاً وغرباً إلا أنهم غالباً فى إفريقيا الفرنسية، وحلت طريقتهم فيها محل القادرية أينما وجدت. وأهم المصنفات التى تجمع مذهبهم ورياضاتهم كتاب «جواهر المعانى وبلوغ الأمانى فى فيض الشيخ التجانى» وهو المعروف كذلك باسم الكُنَاشى، ويقال إن هذا المصنف من إملاء منشئ الطريقة، وهو أهم مرجع عن سيرته. وهناك معجم «كشف الحجاب عن تلقى مع التجانى من الأصحاب» صنفه أبو العباس أحمد بن أحمد العياشى.

ومن التجانية أحمد بن بابا بن عثمان الشنقيطى العلوى (المتوفى بعد ١٢٦٠هـ)، ولد وتعلم بشنقيط وله «نظم منية المريد» فى التصوف على الطريقة.



الترمذى (الحكيم)

أبو عبدالله محمد بن على الحكيم الترمذى (نحو ٢٠٥ — ٣٢٠هـ)، من أهل ترمذ وأبوه هو أبو على الترمذى المحدث المشهور، له التصانيف الكثيرة، وطريقته تسمى الحكيمية والترمذية أيضاً وتقوم على اعتبار الولاية هى الأساس، ويعدّها الترمذى قاعدة للطريقة، وبينما ينظر مشايخ التصوف إلى الولاية كرتبة ومصدر للعرفان، فإنه يجعلها حقيقة الطريقة ويقول: لله تعالى أولياء اصطفاهم من بين الخلق، وقد انقطعت همّتهم عن المتعلقات، وتنصلوا من قبول دعاوى النفس والهوى، وأقام كلاً على درجة، وفتح عليهم باباً من المعانى. وقد قاطعه أهل ترمذ بسبب آرائه فى الولاية، وكتابه فيها المعنون «ختم الولاية وعلل الشريعة»، وشهدوا عليه بالكفر لما خالفهم وفضل الولاية على النبوة، ونفوه من بلدهم فدخل بلخ محمولاً وهو فى التسعين من عمره، وقبله أهلها لموافقة رأيه لعموم آرائهم، وكان يقول للأولياء خاتم كما أن للأنبياء خاتم. وقد اجتمع عليه أهلها وكثر أشياعه. والترمذى صاحب الجلاء والقصار وابن خضرويه، ولقى النخشبى، ومن كتبه «نوادير الأصول فى أحاديث الرسول»، و«الفروق» يتناول فيه الفروق بين موضوعات كالمداواة والمداينة، والحاجة والمجادلة، والمناظرة والمغالبة، والانتصار والانتقام، والصدر والقلب والفؤاد واللب، والعقل والهوى، إلى غير ذلك من الفروق. ومن أقواله فى الولاية كركن ركين لطريقته: أن إنكار الآيات للأولياء إنما يكون فى قلوب الجهال وحدهم من

ضيق صدورهم عن المصادر، وبُعْد علومهم عن موارد الحكمة والقدرة؛ وأن الولي دائماً في سِرِّ حاله، غير أن الكون كله ينطق عن ولايته، بينما المدعى ينطق بالولاية والكون كله ينكر عليه. ويعتبر الترمذی الاستهانة بالأولياء من قلة المعرفة بالله، وأنه من المستحيل أن يصل العابد إلى مقام الولاية وهو غير المحترم لأهله، وأن قلة الاحترام هذه من شأنها أن تحرمه بركات المقام. والترمذی في تأليفه يقول إنه لا يكتب حرفاً عن تدبير، ولا ينسب إليه شيء منه، وإنما كلما اشتد عليه وقته فإنه يكتب للتسلية، والناس في الاستماع إليه أو الاستماع إلى الحكمة رجلاً، أحدهما عاقل يتعجب لما يسمع ويشتهي ما يسمع، والآخر عامل يتقلب مما يسمع وكأن قلبه منه صار حية تتلوى. **والصلاح** الذي يرجوه للناس هو خمسة أصناف، ورجاؤه لهم في خمسة مواطن، **فصلاح الصبيان** يكون في إلحاقهم بالكُتَّاب، و**صلاح قطاع الطرق** يكون في السجن، و**صلاح النساء** يكون بأن يقرن في بيوتن، و**صلاح الفتيان** في التعلم والأخذ بالعلم، و**صلاح الكهول** بأن يؤموا المساجد ويعمروها. ويقول الترمذی إن المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، ولكن المنافق حزنه في وجهه وبشره في قلبه. والمنافق أخطر من الكافر. وينصح لذلك مردييه بأن يجعلوا مراقبتهم لمن لا يغيب نظره عنهم، وشكرهم لمن لا تنقطع نعمه عليهم، وخضوعهم لمن لا يخرجون عن ملكه وسلطانه. ويقول لمردييه: إن حقيقة عبدة الله في دوام الأُس بذكره، والعاقل من اتقى ربه وحاسب نفسه، وليست مخالفة الله وترك المواظبة على ذكر القلب لله إلا بسبب اعوجاج الباطن. والقلب والوقت هما رأس مال المرید، فلو شغل قلبه بهواجس الظنون وضيع وقته بالاشتغال بما لا يعينه فإنه يخسر رأس المال، والخاسر لرأس مال متى يكون إذن راجعاً.

ولا يعرف تاريخ وفاته بالضبط ولكنه قيل نحو ٣٢٠هـ.

التُّسْتَرِي

أبو محمد سهل بن عبد الله التستري، نسبته إلى تُسْتَر من خوزستان، سكن البصرة وعبادان، وطريقته تسمى السهلة كما يقول المجويزي في كشف المحجوب، وأساسها المجاهدة ورياضة النفس ومراقبتها ومخالفتها كسبيل للخلاص والنجاة والوصول. وكان سهل يعيش على الشعير، يشتري منه بدرهم فيطحنه ويخبز له ويفطر منه عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بغير ملح ولا إدام، فكان الدرهم يكفيه سنة، ثم عزم على

أن يطوى ثلاث ليالٍ ثم يفطر ليلة، ثم خساً، ثم سبعاً، ثم خساً وعشرين ليلة، واستمر على ذلك عشرين سنة في ابتدائه، وكان يقوم الليل كله. ويروى سهل أصل تصوفه وطريقته فيقول إنه وعى على الحياة يرى، وهو بعد طفل ابن ثلاث سنوات، خاله محمد بن سوار يقوم بالليل، فيظل يرقبه، فيشغل خاله بيقظته، ويطلب إليه أن يذهب لينام. وقال له يوماً: يا سهل، ألا تذكر الله الذى خلقك، فقال له: وكيف أذكره، فأجاب: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات، من غير أن تحرك لسانك: الله همى، الله ناظرٌ إلَيَّ، الله شاهدٌ عَلَيَّ. فظل سهل يقول ذلك ثلاث ليالٍ ثم أعلمه، فقال له: قل في كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقال سهل ذلك ف وقعت في قلبه له حلاوة، فلما كان بعد سنة قال له خاله: احفظ يا سهل ما علمتكَ، ودُم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. يقول سهل: فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لها حلاوة في سرى؛ ثم قال له خاله يوماً: يا سهل، من كان معه الله، وهو ناظر إليه، وشاهده، أبعصيه؟ إياك والمعصية يا سهل! ويقول سهل عن حياته في طفولته أيضاً: مضيت إلى الكتاب وأنا ابن ست سنوات أو سبع، وكنت أصوم الدهر، وقوتى خبز الشعير، إلى أن بلغت اثنتى عشرة سنة فبدأت السفر طلباً للعلم. يقول سهل: شكر العلم العمل، وشكر العمل زيادة العلم. والعيش على أربعة أوجه: عيش الملائكة في الطاعة، وعيش الأنبياء في العلم وانتظار الوحي، وعيش الصديقين في الاقتداء، وعيش سائر الناس عالماً كان أو جاهلاً، زاهداً كان أو عابداً، في الأكل والشرب. ويقول: لامعين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر. لقد أيس العلماء والحكماء من هذه الثلاث خيالاً: مُلازمة التوبة، ومتابعة السُّنة، وتركُ أذى الخلق: والذى يلزم الصوفى ثلاثة أشياء: حِفْظ سرّه، وأداء فرضه، وصيانة فقره. والأصول سبعة: التمسك بكتاب الله تعالى، والاقتداء بسنة رسوله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة وأداء الحقوق. وكان رحمه الله يقول عن نفسه أنا حجة الله على الخلق، وأنا حجة على أولياء زمانى، فبلغ ذلك جماعة من أكابر الصوفية فذهبوا إليه وسألوه: إنك تقول أنا حجة الله على الخلق، وأنا حجة الله على أولياء زمانى، فماذا صرت؟ هل أنت نبي أو صديق؟ فقال سهل: لم أذهب حيث ظننتم، ولست أنا نبياً. إنما قلت هذا لأننى صححت أكل الحلال دون غيرى، وقسمت عقلى ومعرفتى وقوتى على سبعة أجزاء، فأترك الأكل حتى يذهب منها ستة أجزاء ويبقى جزء واحد، فإذا خفت أن يذهب ذلك الجزء وت تلف معه نفسى، أكلت بقدر البلعة خوفاً أن أكون أعنت على نفسى،

ولترُد على الستة الأخرى، فهذا صحَّ لى الحلال. فقالوا: نحن لانقدر على المداومة على هذا، ولانعرف أن نقسم عقولنا ومعرفتنا وقوتنا على سبعة أجزاء، واعترفوا بفضل سهل. وكان رحمه الله يقول: يأتى على الناس زمان يذهب الحلال من أيدي أغنيائهم، وتكون أمواهم من غير حلها، فيسلط الله بعضهم على بعض، يعنى بالأذى والمرافعات عند الحكام، فتذهب لذة عيشهم، ويلزم قلوبهم خوف فقر الدنيا، وخوف شماتة الأعداء، ولا يجد لذة العيش إلا عبيدهم وماليكهم، وتكون ساداتهم فى بلاء وشقاء وعناء وخوف من الظالمين، ولا يستلذ بعيش يومئذ إلا منافق، لا يبالى من أين أخذ، ولا فيما أنفق، ولا كيف أهلك نفسه، وحينئذ تكون رتبة القراء رتبة الجهال، وعيشهم عيش الفجار، وموتهم موت أهل الحيرة والضلال. وأما صفوة الله من خلقه، فالدنيا حرام عليهم أن ينالوا منها شيئاً، وكما حرّم الله على الخلق أن يأكلوا من صيد الحرم، ومن أكل منه لزمته الفدية، فكذلك من أكل من أهل صفوته شيئاً من الدنيا ليس له فدية إلا ترك الطاعات. إنما حُجِبَ الخلقُ عن مشاهدة الملكوت وعن الوصول، بسوء المطعم وأذى الخلق. وكان يقول لأصحابه عن طريقته: ما دامت النفس تطلب منكم المعصية فأذبوها بالجوع والعطش، فإذا لم ترد منكم المعصية، فأطعموها ما شاءت، واتركوها تنام من الليل ما أحببت. وسألوه: والجائع الذى لم يطعم الطعام لأيام كثيرة، كيف يطفىء لظى جوعه، فقال: بنور القلب. وقال: حياة القلوب التى تموت يكون بذكر الحى الذى لا يموت. ومات رحمه الله بتُسْتَرَّ غالباً سنة ٢٨٣ هـ. ومن أصحابه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم البصرى، وهو راوى كلامه ولا ينتسب إلى غيره من المشايخ، وله تلاميذه الذين ينتسبون إليه وإلى ابنه أبى الحسن، وسار على نهجه وسلك مسلكه، وسألوه أنحن مستعبدون بالكسب أو بالتوكل، فقال التوكل حال رسول الله ﷺ، والكسب سنته، واستن الكسب للضعفاء عن حال التوكل، فن أطاق التوكل فغير مباح له كسب يعتمد عليه، ومن ضعف عن التوكل أبيع له طلب المعاش فى كسبه لئلا يسقط عن درجة سنته حيث سقط عن درجة حاله. ومن توكل على الله ملأ قلبه نور الحكمة وكفاه كل هم وأوصله إلى كل محبوب فإنه عز وجل يقول ومن يتوكل على الله فهو حسبه، أى هو القائم له بكل كفاية.

ويبدو أن فرقة السالمية تنتسب إلى أبى الحسن وليس لابن سالم الأب، ومصدر الخلط فى حقيقة نسبة أقوال هذه الفرقة لابن سالم الأب أن الجميع كانوا إذا نسبوا الأقوال للأب أو لابن أشاروا إليهما باسم ابن سالم. ولقد أدرك أبو الحسن التسترى ورصد له إجاباته على خمسة آلاف سؤال وُجِهت إليه ونشرت الأسئلة والإجابات عليها

همن تراث فرقة السالمية . وأورد عبد القادر الجيلاني عشر مقالات للسالمية ورد عليها ووصفها بأنها فرقة ضالة . وأورد ابن الفراء ست عشرة مقالة تتصل جميعها بمسائل مثل رؤية الله والتجلى والحقيقة المحمدية ومواقف بعض الكفار . وكانت وفاة ابن سالم سنة ٢٩٧هـ ، أما ابنه فتوفى غالباً عام ٣٦٠هـ .

التفتازاني

شيخ الطريقة الغنيمية وشيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر ، أبو الوفا ، من مواليد كفر الغنيمي شرقية في ١٤ إبريل سنة ١٩٣٠ ، وهو الدكتور واستاذ الجامعة ورئيس قسم الفلسفة ، والذي أسهم في إنشاء أقسام للفلسفة بجامعة بيروت وقطر وعمان والكويت ، وله البحوث والمؤلفات في الفلسفة الإسلامية والتصوف ، ومن ذلك كتابه عن ابن سبعين ، ومؤلفاته عن ابن عطاء الله السكندري ، والإنسان والكون في الإسلام ، والمدخل إلى التصوف . وكان التصوف مدار حياته منذ شبابه ، وتخصصه الأكاديمي فيه ، والطريقة الغنيمية التي رأسها إحدى الطرق الخلوتية ، مؤسسها الشيخ الغنيمي بن سلامه المتوفى سنة ٥٠٣هـ ، وضريره في كوم حلين مركز منيا القمح ، وقد خلف التفتازاني أباه عليها ، وفلسفته أساسها الجمع بين العلم بالكون والتصوف من حيث هو قيم أخلاقية رفيعة ونزعة روحية مثالية تهدف إلى النفاذ إلى الحقيقة ، والعالم أو الفيلسوف أو الصوفي الذي يستطيع ذلك يصل إلى ذروة الكمال . والتصوف الحقيقي علاج للفرد والمجتمع ، فهو يجنب الفرد شروراً كثيرة على رأسها الغرور بنفسه وبعلمه وبإمكانياته ، وهو في نفس الوقت يحدث في المجتمعات التي تسودها فلسفات مادية نوعاً من التوازن بين مطالب المادة ومطالب الروح .

والتصوف منهج كامل في الحياة ، والصوفي المحقق هو الذي لا يرى تعارضاً بين حياته التعبدية وحياة المجتمع الذي يعيش فيه ، بل هو الذي يستعين بحياة التعبد على حياة المجتمع وما فيها من مشقة وكفاح ، والتصوف بهذا المعنى فلسفة إيجابية تضيء على حياة الإنسان معنى سامياً ، ولهذا لا ينبغي أن يظن بأن الصوفية قوم سلبيون يصرفون الناس عن الكون المادي وعلموه إلى الإغراق في العبادة والانعزالية عن المجتمع ، فهذا تصور غير صحيح بالنسبة لصوفية الإسلام ، فالتصوف الإسلامي يعبر عن قيم الإسلام ، الإسلام دين جامع بين العمل الدنيوي والعمل الأخروي ، ولا يصرف الناس عن

الأخذ بأسباب الدنيا وخيراتها. ونظرة صوفية الإسلام إلى الكون والإنسان ذات مغزى أخلاقي بعيد، فهم يريدون أن يبينوا للناس أن الكون مجرد شأن من شئون الله، ومصيره حتماً إلى الفناء، فلا ينبغي للإنسان أن يتعلق نفسياً بالكون إلى حد العبادة، ولأن يغتر بنفسه وبعلمه، ولا بد من تطهير القلب من أخلاقياته الذميمة، والتعلق بالأغيار العدمية، ولا بد أن يتفكر الإنسان فيما يشاهده في الأكوان من دلالات على وجود الله. والصوفية يرون أن العالم المادى ليس غاية في ذاته وإنما وراء علّة صنعه حكمة مدبرة، وكل ما في الكون ناطق بوحداية الله. ويعتبر الصوفية الوقوف مع موجودات هذا الكون مع الغيبة عن إدراك المكوّن بما لا يليق بالإنسان، لأن كل ما في هذا الكون ناطق بوجوده تعالى، وليس ثمة حجاب بين الإنسان والله، لأن الله متجلّ في الموجودات على اختلافها، والحجاب فينا نحن، وفي شهواتنا وأهوائنا، ولو تخلصنا منها لبدت الحقيقة واضحة كشمس النهار، وبهذا أيضاً تتحقق حريتنا الجديرة بنا. والصوفية لا يمكن أن يزهدوا في الكون، لأنه مظهر تجليات الله بصفاته المختلفة كالعلم والحكمة والقدرة والخلق والتدبير، ولا يمكن أن يهونوا من شأن الإنسان، لأنهم يعلمون أنه خليفة الله على الأرض، ولا بد أن لكلامهم عن الكون والإنسان غايات بعيدة، لأنهم يريدون للإنسان في علاقته بالكون أن يكون خاضعاً لقيم أخلاقية معينة. وهم كأطباء النفوس يعلمون الكثير عن نواحي الضعف الخلقى في الإنسان، فيريدون له أن يتحرر من عبودية الركون إلى العالم المحسوس وملذاته لينطلق إلى فضاء المعرفة بخالقه. وهو صورة مصغرة للكون كله، جامعة لأسراره، والكون المادى وإن وسعه من حيث جسمه المادى إلا أنه لا يسهه من حيث حقيقته الروحانية. والامتزاج الحقيقي بين الصوفى ورجل العلم هو قة السموى وهو شيء يمكن تحقيقه في عالم الفكر. ولقد حققه التفتازانى في نفسه.



التفتازانى (سعد الدين)

مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى، وشهرته سعد الدين التفتازانى، ولد سنة ٧٢٢هـ بتفتازان من بلاد خراسان، وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند فتوفى فيها سنة ٧٩٣هـ، وله المصنفات الكثيرة في المنطق والكلام والأصول، وقد تناول الصوفية وابن عربى بالذات والقائلين بمذهب وحدة الوجود في رسالة طويلة يعارض كتاب فصوص الحكم، وهو يقول فيها إن هذا الكتاب هو نقيض الحكم

وليس فصوص الحكم ، وهو ضلال الأمم حيث يزعم أن مالا يدركه العقل من الأمور الإلهية يمكن أن يظهره الكشف الصوفى ويوضحه ، وأن الكائنات من سوى الله يضمحل وجودها فى نظر العارفين الواصلين إلى درجة الفناء فى الفناء فى التوحيد عند تجليات أنوار الواحد ، اضمحلال نور الكواكب مع وجودها عند ظهور نور الشمس فى النهار ، فلا يشاهدون فى تلك الحال غير وجود الله من الأشياء ، كما لا يشاهدون فى النهار غير الشمس من كواكب السماء ، ويسمون انفراد مشاهدة الله من بين الموجودات للذهول عنها بالوحدة المطلقة التى هى نهاية درجات أهل المعرفة ، وهو ما يزعمه هؤلاء الكفرة الوجودية ، واعتقادهم الذى معناه أن وجود الكائنات ، حتى وجود الحباث والقاذورات ، هو الله تعالى ، تعالى الله عما يقول الظالمون ، وأن ذوات الممكنات من الأرض والسموات وما بينهما هى سراب وخيال ولا حقيقة لها كما كان يقول السوفسطائية ، ويروجون لتلك السفسة النافية لدين الإسلام ، بإحالتهم إلى الكشف بدعوى أن الكشف من المجريات التى تقع وراء طور العقل ، وأن عظماء الملّة ورءوساء الإسلام وأئمتهم لم يصلوا إلى الكشف لأنهم ظاهريون ، وسموا زندقته علم الحقيقة . وزعم ابن عربى أن الدين لم يكمل ، وأن الولى هو المنوط به الإكمال بمكاشفاته ، والزيادة على الكمال نقص ، وقد أجمع أهل العلم على أن صرف النصوص عن ظواهرها إلى معان يدعيها الباطنية زندقة وإلحاد . ويتضمن مذهب وحدة الوجود كما يعرضه مروجوه فلسفات دهرية ومعتلة وسوفسطائية ، ولم يكن التجاؤم إلى دعوى الكشف إلا لأنهم عجزوا عن إقامة البرهان . وقولهم أن الله تعالى هو الوجود المطلق هو قول باطل مبنى على أصول باطلة ، وهو نفس ما يذهب إليه الملاحدة ، وجميعهم يكذبون قواعد البراهين العقلية ويدعون الألوهية بطريقة أو بأخرى ، كزعم من زعم منهم أنه الحق أو طنطنته قائلاً سبحانه ، وقولهم أن من عبد الأصنام فقد عبد الله سوى أنه أخطأ فى طريق العبادة ، أو أن عبدة العجل أصدق فى عبادتهم من موسى ، واتخاذهم للعجل إلهاً كانوا فيه مصيبين لكنهم فى عبادتهم مخطئون . (أنظر البقاعى)

التلمسانى (العفيف)

سليمان بن على بن عبد الله بن على ، يقال له عفيف الدين التلمسانى ، ويلقب بالعفيف التلمسانى ، وله شرح على مواقف النفري ، وشرح على فصوص الحكم لابن عربى ، وشرح على منازل السائرين للهروى ، وقد اتهمه خصومه بأنه من أتباع ابن عربى ومن القائلين بوحدة الوجود ، ولكن الإمام ابن تيمية كان يرى أن

التلمسانى أشد كفرةً، فلقد كان ابن عربى يحض على مكارم الأخلاق ولكن «الفاجر التلمسانى الملقب بالعفيف» كان يتفلسف كاستاذة المصدر الرومى، ولهذا الأخير كتاب عنوانه «مفتاح غيب الجمع والوجود» يميز فيه بين الوجود المطلق أى الوجود بالاسم كما نقول الحيوان، ونعنى بذلك الحيوان على إطلاقه، والوجود المتعين أو العينى، أى هذا الوجود فى الخارج متجسداً فى هذا الحيوان أو ذاك. ويقول الرومى إن وجود الله المطلق هو نفسه وجود الأعيان، فلا شىء موجود على الحقيقة اسمه الله، ولكن وجوده هو هذا الوجود المتجسد فى المتعينات. وأما الفاجز التلمسانى فهو أخبث من ابن عربى الذى يقول إن وجود المحدثات أو المخلوقات هو عين وجود الخالق، وأشد خبيثاً من الرومى الذى يقتضى مذهبه فإن ذات الكلب والخنزير والبول والعذرة هو عين وجوده تعالى، لأن التلمسانى ليس عنده إلا «مائتم غير ولا يسوى» فالعبد إنما يشهد السوى مادام محجوباً، فإذا انكشف حجاب رآى أنه مائتم غير، ولذلك فكل الأمور عنده سواء، وكل المحرمات عنده حلال، ولا يوجد المحرم أصلاً، فالمحرم هو ما حرموه هم على أنفسهم، والبنت بمنزلة الأم، وبمزة الأجنبية، وكلهن شىء واحد، بمعنى أنثى يمكن أن تؤتى، وليس فى ذلك حرام، والقائلون بالحرام يقولون ذلك لأنهم ما يزالون محجوبين ولم يعرفوا. وكان يقول القرآن كله شرك وليس فيه توحيد، وإنما التوحيد هو الكلام الذى يقوله هو. وكان يحتج بأن شريعته ليست شريعة واحدة؛ فإذا أحسن القول قال القرآن يوصل إلى الجنة، ولكنه هو يوصل إلى الله، وله شروح للأشياء الحسنى على هذا المنوال. وله شعر غزلى كان يشرحه شرحاً صوفياً على طريقته، وقالوا فيه إنه شعر بحسب الصنعة كان جيداً، ولكنه كما قيل لحم خنزير فى طبق صينى.

والتلمسانى ينسب إلى تلمسان، وكان ميلاده بها سنة ٦١٠ هـ، ويرجع أصله إلى إحدى عوائل الكوفة كما يقول، وتنقل كثيراً فى البلاد، وأقام لفترة فى مصر، وفيها أنجب ابنه محمد (سنة ٦٦١ هـ) المشهور بشمس الدين التلمسانى، وكان شاعراً مثله، وإن قيل إنه أشعر منه، وكان يلقب بالشاب الظريف لميله إلى المجون، وشعره فيه تشبيب بالنساء والعلمان، وحاول اتباع أبيه تفسيره تفسيراً صوفياً، وله غير ذلك «فصاحة المسبوق فى ملاحاة المعشوق»، و«مقامات العشاق»، وكان أبوه يقول فى ذلك إن إفراط شمس يعينه على أن يكون صوفياً متحققاً على طريقة الملامتية، أى ادعاء الفجور والظهور بمظهره والتقوى والورع فى باطنه، غير أن إفراطه ذاك عجل

بموته وهو فى السابعة والعشرين ، أى سنة ٦٨٨ هـ ، قبل موت أبيه بعامين ، أى سنة ٦٩٠ هـ . ومن شعره الصوفى :

أحلى الهوى أن يطول الوجد والسقم وأصدق الحب ما حلت به التهم
ليت الليالى أحلاماً تعود لنا فربما قد شفى داء الهوى الحلم
ويقول :

يا غائبين ووجدى حاضر بهم وعائبين وذنبى فى الغرام هم
بنتم فلا طرف إلا وهو مضطرب شوقاً ولا قلب إلا وهو مضطرم
ويقول :

أبدأ بذكرك تنقضى أوقاتي ما بين سترارى وفى حلواتى
يا واحد الحسن البديع لذاته أنا واجد الأحزان فيك لذاتى
وبحبك اشتغلت حواسى مثلما بجمالك امتلأت جميع جهاتى
حسى من اللذات فيك صباية عندى اشتغلت بها عن اللذات
ورضائى أنى فاعل برضاك ما تختار من محوى ومن إثباتى
يا حاضرأ غابت له عشاقه عن كل ماض فى الزمان وآت
حاسبت نفسى فلم أر واحدا منها خلا وقتاً من الأوقات



التوحيدى (أبو حيان)

على بن محمد بن العباس التوحيدى ، قيل اسمه التوحيدى لأن أحد أجداده كان يتاجر فى تمر مخصوص اسمه التوحيدى ، وقيل إن اسمه التوحيدى لأن مذهبه فى التصوف يقوم على التوحيد الخالص ، ومع ذلك فإنهم اختلفوا فى تقويم هذا المذهب ، فجماعة قالوا فى التوحيدى إنه شيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء ، وجماعة أخرى اتهموه بالزندقة حتى لقد قال فيه ابن الجوزى : زنادقة الإسلام ثلاثة : ابن الراوندى والتوحيدى والمعرى ، وأشهرهم التوحيدى لأن المعرى وابن الراوندى صرحاً بالزندقة وهو لم يصرح . ولعل ذلك لأن التوحيدى عرض آراءه بغموض ، وقالوا فيه بل عرضها

بدهاء وقيل إنه رغم أن له ستة كتب فى التصوف هى «الإشارات الإلهية»، و«رياض العارفين»، و«الحج العقلى إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعى»، و«رسالة فى أخبار الصوفية»، و«الرسالة الصوفية»، و«المحاضرات والمناظرات»، فإن أخلاقه الشكسة واستعلاءه جعلاه يعيش فى ضائقة وفاقه وينصرف الناس عنه. وكان يتعيش من النسخ، وواصل الوزير ابن العميد، واستخدمه الوزير ابن عباد، فلم يرتاحاً إليه، وفصله ابن عباد من خدمته، فهجأها فى كتاب «مثالب الوزراء ابن العميد وابن عباد»، ولعل هذا الكتاب هو الذى أساء إليه كثيراً حتى ما عاد الناس يصدقون تصوفه، ودرج المؤلفون على أن لا يضموه إلى قائمة الصوفية فى زمنه. ويذكر المؤرخون أن الوزير المهلبي كان وراء اضطهاده واتهامه بالزندقة. وأساس التهمة أنه كان رغم تصوفه يتابع الفلاسفة، ويحضر مجالس مشايخ الصوفية وأعلام الفلسفة فى وقته، وعرفوا عنه حضوره عند يحيى بن عدى، واستهامه أفكار وأقوال أبى سليمان المنطقى، وقيل إن أبى سليمان هو ملهمه كتابه المقابسات، بل كل كتبه، وأنه جعله لذلك الشخصية المتحدثة الأولى فى هذا الكتاب. وكان أبو سليمان على مذهب الأفلاطونية المحدثة مما يحذره الصوفية والفقهاء، إلا أن كتبه الصوفية تخلو من أى أثر لذلك، وليس كتابه الإشارات الإلهية، وهو أهمها، سوى دعوات وعظات وشرح لبعض المصطلحات الصوفية، إلا كتاب الحج العقلى فإنه يذكر بأقوال الحلاج ورابعة العدوية وغيرهما ممن تحدثوا فى هذا الحج دون الحج على الحقيقة. ولا نكاد نعرف شيئاً على اليقين عن ميلاد وموطن التوحيدى، ويبدو أنه ولد بين سنتى ٣١٠ و ٣٢٠هـ فى نيسابور أو شيراز، إلا أنه تعلم فى بغداد واستقر بها، ويبدو من كتاباته وأحواله النفسية أنه كانت تتراوحه أحوال من البسط والقبض، والسرور والاكتئاب، وأن ذلك تمثل فى تصويره للأشخاص، فكان يروى النوادر عنها، ويرسمها فى صورة هزلية، أو يعلى من شأنها، وكتابه «المقابسات» و«الإمتاع والمؤانسة» كما قيل فيها، كنز من كنوز المعرفة عن الحياة العقلية فى زمنه بكل اتجاهاتها الدينية والفلسفية والثقافية. ويبدو أنه فى آخر حياته أصابه اكتئاب لم يشف منه، واعتبرته لوثة اضطهاد فعمد إلى كتبه فأحرقها، بدعى أنه عاش مهملًا فى حياته، ولا ينبغي أن يفيد منها أحد من بعده، ولم ينج منها إلا ما كان قد نُقل قبل الإحراق. وهناك من يؤكد أن قبر التوحيدى بجهة شيراز، ويحدد وفاته بسنة ٤١٤هـ. وقيل فى كتابه الإشارات الإلهية، وأصل تسميته «الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية» أنه ربما ينتمى للمرحلة الأخيرة من عمره، وأنه كتبه للتعبير عن توبته،

والكتاب درة من درر الآداب العالمية نهج فيه التوحيدى على منهج المناجاة وليس نظير فى ذلك إلا كتاب مناجاة الفرد الكامل للصدر القونوى، ويوجه فيه الخطاب إلى الله، ومن ذلك قوله: اللهم إنا نسألك ما سأل لاعن ثقة بيباض وجوهنا عندك وحسن أفعالنا معك وسوالف إحساننا قبلك، ولكن عن ثقة بكرمك الفائض وطمعاً فى رحمتك الواسعة. نعم وعن توحيد لا يشوبه إشراك ومعرفة لا يخالطها إنكار. وإن كانت أعمارنا قاصرة عن غايات حقائق التوحيد والمعرفة، فنسألك أن لاترد علينا هذه الثقة بك فتشمت بنا من لم تكن له هذه الوسيلة إليك. يا حافظ الأسرار، ويا مسبل الأستار، ويا واهب الأعمار، ويا منشىء الأخبار، ويا مولج الليل فى النهار، ويا مضافى الأخبار، ويا مدارى الأشرار، ويا منقذ الأبرار من النار والعار. عُذ إلينا بصفحك عن زلاتنا، وأنعشنا عند تتابع صرعاتنا وخطر حالنا معك فى اختلاف سكراتنا وصحواتنا، وكن لنا وإن لم يكن لأنفسنا، لأنك أولى بنا، فامزج خوفنا منك برجائنا فيك. وإذا غلب علينا يأسنا منك، فتلقه بالأمل فيك. بَشِّرنا عند توجهننا نحوك بالوصول إليك. متعنا بالنظر إلى نور وجهك. أسبغ علينا نعمتك بما وهبت لنا من توحيدك!

ابن تيمية

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن الخضر بن محمد بن تيمية، الحرانى نسبة إلى حران بالشام (٦٦١ - ٧٢٨هـ). وهو الإمام النابه رأس المدرسة السلفية، وكان يهاجم التصوف ليس بما هو تصوف، وإنما يهاجم ما جرى فيه من انحرافات، وموقفه فى هذا كموقف كبار الصوفية أنفسهم الذين غلطوا الانحرافات كالسراج والسلمى وغيرهما. وابن تيمية نفسه كانت نشأته نشأة المتصوف الزاهد فى ملبسه ومأكله، وكان فى بدايته يغشى مجالس الصوفية، إلا أنه من شبابه الباكر كان يرفض سماعهم ورقصهم ولا يوافق عليه، فكانوا إذا ألحوا عليه فى الحضور أفردوا له مكاناً وحده يرقبهم ولا يشاركونهم، وأثنى عليه كثير من مشايخهم، كالواسطى شبيه الجنيد، الذى قال إنه لم ير مثيلاً لابن تيمية، علماً وعملاً وحالاً وخلقاً واتباعاً وكرماً وحلماً، وطلب من تلاميذه أن يلزموه عسى الله أن يرزقهم قسطاً من نصيبه المسمى معه فإنما ذلك يسرى بواسطة محبة الشيخ للمريد، واستحلاب المريد لمحبة الشيخ، بموافقة وحفظ قلبه وخاطره، إلا أن ابن تيمية كان عدواً للابتداع،

وهاجم لذلك من مطلق سلفى حنبلى كل الفرق الإسلامية كالخوارج والمرجئة والرافضة والقدرية والمعتزلة والجهمية والكرامية والأشعرية، وانتقد الفلاسفة انتقاداً شديداً، ومنهم ابن سينا، وحتى الغزالي فى كتبه التى زخرت بالآراء الفلسفية مثل كتابه المنقذ من الضلال، وعاب على الصوفية أنه قد انتسب لهم طوائف من الزنادقة وغيرهم كالحلاج مثلاً، فإن أكثر مشايخ الطريق قد انكروه وأخرجوه عن الطريق، مثل الجنيد بن محمد شيخ الطائفة، غير أن الكثيرين من المتصوفة أولوا هذا الاتجاه عنده بالعداء التقليدى بين الفقهاء والصوفية، أو بين السلفية والتصوف، ومن هؤلاء ابن عطاء الله السكندرى الذى تزعم حملة كبيرة عليه استعدى فيها نحو الخمسمائة من أعضاء الطرف الصوفية فى مصر، وادعى عليه بادعاءات لم يثبت شئ منها، إلا أنها كانت سبباً فى حس ابن تيمية، وقيل إن ابن عطاء كان مدفوعاً فى خصومته المغالى فيها بدوافع أخرى شخصية، فقد كان شيخ الطريقة الشاذلية فى مصر، وابن تيمية كانت له مؤاخذات على أورد الشاذلى، قيل فيها إنه كان على حق، وأن ثورة ابن عطاء عليه لم يكن لها ما يبررها موضوعياً. ويبدو أن نقد ابن تيمية لبعض المتصوفة أفلحوا أن يجعلوه نقداً شاملاً للتصوف، ومن ذلك ما تذكره دائرة المعارف الإسلامية أنه هاجم المتصوفة وسلوكهم والمتكلمين معاً فى جماعة واحدة. وقد تنبأ ابن تيمية بهذا اليوم الذى يشتم فيه أعداؤه عليه بأنه يعادى التصوف، مع أن التصوف قد حظى منه بالدراسة كأى من فروع المعرفة الإسلامية، وله فيه عدد من الرسائل اعتمد فيها على دراسة أقوال كبار مشايخ الصوفية، ومن ذلك رسالته فى التصوف، وكتابه فى السلوك ضمن مجموعة فتاويه، وله «التحفة العراقية فى الأعمال القلبية»، يدرس فيها المقامات والأحوال ويطربها، وأبدى فى كتبه الأخرى مثل «درء تعارض العقل والنقل»، و«منهاج السنة النبوية» وغيرهما عناية كبيرة بإسهامات أكابر الصوفية لترسيخ التوحيد ودعم أسس العقيدة، من أمثال الفضيل بن عياض ويوسف بن أسباط وسهل بن عبد الله التستري وبشر الحافى وعبد القادر الجيلانى وعبد الله بن خفيف وأبى نعم الأصبهاني ومعمربن زياد الأصفهاني وأحمد بن أبى الحوارى وعمر بن عثمان المكي والحارث المحاسبى، وعدّهم ابن تيمية من أئمة السلف.

ويعرض ابن تيمية لأصل كلمة الصوفية ويرجح أن الصوفى منسوب إلى اللبسة، أى لبس الصوف، لأنها ظاهر حالهم، وبين الخلاف فى الحكم عليهم، فطائفة دّمت الصوفية والتصوف وقالوا هم مبتدعون خارجون عن السنة، وطائفة غلت فعملت

طريقهم أفضل الطرق، والصواب أنهم يجتهدون فى طاعة الله، فمنهم المذنب ومنهم التقي، وقد صاروا إلى ثلاث طبقات: صوفية الحقائق، وصوفية الأرزاق، وصوفية الرسوم، فأما صوفية الحقائق فهم الذين وصفناهم، وأما صوفية الأرزاق فهم الذين وُفِّقَ عليهم الخوانق والوقوف، فلا يشترط فى هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق. وأما صوفية الرسوم المقتصرون على التشبه بهم فى اللباس والآداب الوضعية، فهم بمنزلة الذى يقتصر على زى أهل العلم وهو ليس من العلماء.

وابن تيمية إذا كان لا يقر الانحرافات فإنه فى المقابل يقر بكرامات الأولياء التى يقول بها الصوفية، وهى حق باتفاق أئمة الإسلام والسنة والجماعة، ودلّ عليها القرآن فى غير موضع، إلا أن ماذهب إليه أهل البدع فيها من المعتزلة والجهمية وغيرهم ينكرها، كما ينكر من يدّعيها أو تدّعى له كذباً ولَبْساً عليه. وأيضاً فهى لا تدل على عصمة صاحبها، ولا على وجوب اتباعه فى كل مايقول، بل قد تصدر بعض الخوارق من الكشف وغيره عن الكفار والسحرة بمواخاتهم للشياطين، ولهذا اتفق أهل أئمة الدين على أن الرجل لو طار فى الهواء أو مشى على الماء لم تثب له الولاية ولا الإسلام حتى ينظر وقوفه عند الأمر والنهى.

ويقول ابن تيمية إن المواجهين من السكر والواردات مما اشتهر عن الصوفية، إذا كانت أسبابها مشروعة، وصاحبها صادقاً وعاجزاً عن دفعها، كان محموداً على ما فعله من الخير، ومعدوراً فيما عجز عنه وأصابه بغير اختياره. وهم أكمل ممن لم يبلغ منزلتهم لنقص إيمانه وقساوة قلبه، ومن لم يَزَلْ عقله، مع كونه قد حصل له من الإيمان ما حصل لهم وأكمل، فهو أفضل منهم، وحاله هو حال الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين، وحال نبينا محمد ﷺ، فإنه أسرى به ورأى ما رأى من آيات ربه الكبرى، وأصبح ثابت العقل لم يتغير، فحاله بلا شك أكمل من حال موسى الذى خرّ صعقاً لما تجلّى ربه للجبل وجعله دكا. وحال موسى حال جليلة فاضلة عليه، لكن حال محمد ﷺ أفضل وأكمل وأعلى. ويقول ابن تيمية عن المقامات والأحوال إذا كانت فى إطار الدين دون تجاوز ولا مبالغة فهى أعمال القلوب ومن أصول الإيمان، ومثلها مثل محبة الله ورسوله والتوكل على الله والإخلاص والشكر له، ويخطئ من يدّعى أنها احتكار للخاصة، ويقرر أنها فرض على الأعيان باتفاق أهل الإيمان، وينكر ما ينسبه الصوفية إلى الخضر والقطب الغوث من أوصاف وأفعال خارقة، ويصف بالكفر ادعاءهم أن الغوث هو القطب الجامع فى الوجود، بمعنى أنه مدد الخلائق فى رزقهم،

ونصر لهم، ومدد الملائكة، وكذلك قول البعض إن الأرزاق تنزل من السماء باسم غوث الوقت الذى يُدعى «الخضر»، فهذا كله باطل، ولا أصل له فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله، ولا قاله أحد من السلف، ولا الأئمة، ولا مشايخ الصوفية المقتدى بهم. ومن رأيه أن الخضر قد مات، وليس للمسلمين من حاجة إليه، لأنهم أخذوا دينهم عن النبى ﷺ، وأن عامة ما يحكى عنه إما كذب أو مبنى على ظن، ويدمغ بالكفر قول القائلين أن علم القطب من علم الله تعالى، وقدرته من قدرته.

وكان أشد هجوم وجهه ابن تيمية للصوفية ما تضمنته رسالته إلى الشيخ أبى الفتح نصر المنيجى المتوفى سنة ٧٠٩هـ، وفيها يحذر من الخائضين فى مذهب الاتحادية والحلولية ليدفع ضررهم عن أهل الطريق السالكين، ويشبه الجهاد ضدهم بأنه كالجهاد ضد التتار، ويقول إنه كان قديماً يحسن الظن بأبن عربى ويعظمه لما رأى فى كتبه مثل الفتوحات والكنه والمحكم المربوط والدرة الفاخرة ومطالع النجوم من الفوائد، ولم يكن قد اطلع على كتابه فصوص الحكم، فلما تبين له مقصوده فى هذا الكتاب تصدى له بالنقد الشديد. ويقول ابن تيمية إن الكثيرين من الصوفية وقعوا فى الاتحاد والحلول، وهم صنفان، فقوم يخصون الحلول أو الاتحاد بالله فى بعض الأشياء أو المشايخ، وقوم يعمون فيقولون بحلول الله أو اتحاده فى جميع الموجودات كما عند الجهمية ومن تبعهم من الاتحادية، كأصحاب ابن عربى وابن الفارض والتلمسانى والبليانى وغيرهم، ولم يسبق إلى ذلك أحد إلا من أنكر وجود الصانع، لأنهم يقررون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وأن وجود ذات الله — خالق السماوات والأرض — هو نفسه وجود المخلوقات، فلا يُصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره، ولا أنه رب العالمين، ولا أنه غنى وما سواه فقير. ويؤكد ابن تيمية أن شيوخ الصوفية المشهورين من أبرأ الناس من مذهب وحدة الوجود. ويقول عن الحلّاج أنه إن كان قد تاب فى الباطن وقت أن قتلوه فإن الله ينفعه بتوبته، وإن كان كاذباً فى التوبة فإنه يكون قد قتل وهو كافر. ويدافع ابن تيمية مع ذلك عن الحلّاج ويقول بأن الرسائل والكلمات التى نُسبت إليه هى فى الغالب منحولة عليه، وإن كانت صحيحة وصدرت منه بالفعل فالغالب أن يصدق عليها أنه قد غلب عليه الوجد والحال حتى عثر فى المقال ولم يدر ما قال، وكلام السكران يُطوى ولا يُروى، ومن ثم فالحلّاج المقتول شهيد، وقاتله مجتهد ومجاهد فى سبيل الله، وعلى أى الأحوال، فالحلّاج وغيره ممن لهم شطحات أدخلتهم ضمن زمرة الحلوليين والاتحاديين

لا ينبغي الاستشهاد بهم من الصوفية فى مجال العقيدة والتوحيد، والأولى الاستشهاد بأقوال المشايخ مثل الجنيد، والتوحيد الذى يقصد إليه صوفى كالجنيد هو نفسه ما اتفق السلف عليه، والجنيد عندما يقول إن التوحيد هو أفراد القديم عن المحدث يعنى التوحيد فى القصد والإرادة وما يدخل فى ذلك من الإخلاص والتوكل والمحبة الخ، وأن يفرد الحق سبحانه وتعالى بهذا كله فلا يشرك به محدثاً، وذلك صحيح ويلحق بالتوحيد الذى بعث به محمد ﷺ، وهو التوحيد الذى يميز بين الخالق والمخلوق، وينزه القديم عن المحدث، ولا يساوى بينهما فى النعوت، ويزيل العلة عن الربوبية. وهو الذى يقوم الإيمان به على القول والعمل والنية. ولقد كان إيمان الصوفية الكبار من أمثال عبد الله بن المبارك وابن أسباط وابن عياض وغيرهم يقوم أيضاً على القول والعمل والنية، وعلى مقولة أنه يزيد وينقص، بخلاف من ادعى من المتصوفة أن الإيمان وحده بدون العمل يكفى، واسترسلوا مع القدر وجعلوا ذلك من باب التفويض والتوكل، ولم يفرقوا بين ما أمر به الله ويرضاه وبين ما نهى عنه ويبغضه فسوا بينهما، وانتهى الأمر بغلاتهم والمنحرفين منهم أنهم أصبحوا لا يميزون بين الأوامر الشرعية وما يكون من الأحوال التى تجرى على أيدي الكفار والفجار، فيشهدون وجه الجمع بقضاء الله وقدره وإرادته العامة، وأنه داخل فى ملكه، ولا يشهدون وجه الفرق بين أوليائه وأعدائه. ويلتبس الأمر على البعض فيظنون أن الطريقة الكاملة هى ألا يكون للعبد إرادة أصلاً، ويضربون المثل بقول البسطامى لما سأله، ماذا تريد فقال «أريد ألا أريد»، فحملوا المعنى على أنه ترك الإرادة مطلقاً، والواقع أن البسطامى لما قال ذلك تناقض، لأنه بقوله قد أراد فعلاً وإن كان قد قال غير ذلك، والغلط فى الإرادة أنهم يتكلمون على إرادتهم ويقصدون بها الإرادة الإلهية. وهم يغلطون من جهة الله تعالى فى كل شىء، فهم مثلاً يقولون إن الله عندما كلم موسى لم يكلمه بصوت، لأن الصوت فعل، وهم يشبثون الصفات لله وينفون عنه الفعل، ومن يقول ذلك منهم عدو لله وللإسلام، فإذا قال الله أنه كلم موسى فهو قد كلمه، والغلط أنهم يقرنون كلام الله بالكلام عند البشر، وليس الأمر كذلك، فصوت الله ليس كصوت البشر، لأنه ليس كمثله شىء.

وابن تيمية فى حملته على ابن عربى يبين أن مذهبه فى وحدة الوجود مبنى على أصليين، أحدهما أن المعدوم قبل أن يوجد هو أيضاً شىء، والثانى أن وجود الأعيان هو نفس وجود الحق وعينه، واستدل ابن عربى على الأصل الأول بأن الله تعالى يقول

إنه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، أى أن الشيء موجود قبل أن يكون، ورد عليه ابن تيمية أن الشيء الذى يريده الله أن يكون قد ثبت فى علم الله وقدره ولكنه لم يثبت كحقيقة وهو فى العدم. ويترتب على ذلك بالتبعية بطلان دعوى ابن عربى التى مضمونها أن الحقيقة المحمدية موجودة عيناً قبل الموجودات، استناداً إلى أحاديث زعمها ابن عربى، وبين ابن تيمية أنها مكذوبة ولا أصل لها، من مثل القول المنحول على النبى ﷺ كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، كما بين تهافت الدعوى القائمة على الحديث السابق بوجود خاتم للأولياء يقابل خاتم الأنبياء، وأنه كان أيضاً ولياً وآدم بين الماء والطين، ورد ابن تيمية أن الله سبحانه علم الأشياء وقدرها قبل أن تكون، فلا تكون موجودة بحقيقتها إلا حين توجد، وأن تلك حقيقة يستوى إزاءها الأنبياء والأولياء وسائر المخلوقات، فلا فرق، ولكن الصوفية الذين يأخذون بالفلسفة ويقولون بالولاية ويحتجون لها بالأحاديث المنحولة، يبلغ بهم أنهم جعلوا الولاية فوق النبوة ليجعلوا أنفسهم فى مرتبة أعلى من مرتبة الأنبياء، وابن عربى يزعم أن محمد عليه الصلاة والسلام نبوة ورسالة وولاية، وولايته فوق نبوته ورسالته، لأن الولاية أعم وأشمل. ويزعم ابن عربى أن الرسل والأنبياء يتلقون لذلك من مشكاة خاتم الأنبياء، فجعل خاتم الأولياء الذى يقول به أعلم من جميع الأنبياء والرسل، بدعى أن الرسالة والنبوة وقتيان ومآلهما إلى الانقطاع، بينما الولاية لا تنقطع أبداً. ويرتب ابن عربى المقامات فيجعل مقام النبى فى برزخ فوق برزخ مقام الرسول، بينما مقام الولى هو الأعلى. ويرد ابن تيمية بأن دعوى ابن عربى كدعوى الملاحدة الذين زعموا أن إمامة على بن أبى طالب من الأزل، وأن مقامه يفضل مقام محمد عليه الصلاة والسلام، وذلك باطل اتفق شيوخ الصوفية على معارضته ودحضه، وعندهم أن الأنبياء والرسل مفضلون على الأولياء، وأن أبا بكر وعمر مفضلان على على بن أبى طالب، وعلى كل الصوفية والزاعمين منهم الولاية، وقد أجمعت أمة الإسلام على أن النبى مانص على أحد يكون بعده، وذلك يشمل علياً، ولم يحدث أن استعمل السلف الصالح تعبير خاتم الأولياء، وحتى لو كان ذلك وارداً فوجب اللفظ يعنى آخر مؤمن تقى من الدنيا، لأن كل من كان مؤمناً فهو ولي من أولياء الله، والمؤمن الذى يعيش لآخر لحظة فى الدنيا والذى يكون خاتماً للأولياء أو يحتتم به الأولياء، أى المؤمنون، ليس هو أفضلهم ولا أكملهم، فليس معنى خاتمهم أنه أفضلهم أو أكملهم، بل إن أفضلهم وأكملهم هم السابقون من أصحاب محمد ﷺ، وإذا كان ابن عربى وأتباعه يتمسكون بقصة الخضر مع موسى عليه السلام، باعتبار الخضر ولياً، وكان يعلم مالا يعلمه موسى، وقد تابعه

موسى ليتعلم منه ما علمه من لدته . فإن موسى كان على علم من الله لا يعلمه الخضر وهو الشريعة ، كما أن الخضر كان على علم لا يعلمه موسى أيضاً ، فإذا كان موسى قد انتقد الخضر لأنه قد ارتكب فعلاً تعاقب عليه الشريعة ، فإن الخضر لم يكن من الذين بعث الله إليهم موسى فيكون ملزوماً بشريعته التي جزاء القتل فيها أن يقتل القاتل ، ومع ذلك فالخضر لم يخالف الشريعة ، والأمور التي فعلها الخضر تبيحها الشريعة لو علم العبد أسبابها كما علمها الخضر من الله ، ولهذا فإنه لما بين له أسبابها وافقه موسى عليها ، وإذن فلا معنى لأن يكون الخضر الولي أعلم أو أفضل من موسى النبي وصاحب الرسالة .

ومع كل هذا انتقد السابق وغيره فإن ابن تيمية يرى أن ابن عربى أقرب القائلين لوحدة الوجود إلى الإسلام وأحسنهم كلاماً فى الكثير من المواضع ، لأنه لم يخلط الظاهر بالمظاهر ، وأقر الأمر والنهى والشرائع ، وأمر بالسلوك الصوفى على ما أمر به المشايخ من الأخلاق والعبادات ، ولهذا فإن الكثيرين من اتباع طريقته الأكبرية (نسبة إلى لقبه المشهور به وهو الشيخ الأكبر) يستعمرون سلوكهم من كلامه وينتفعون بجانبه الأخلاقى وإن لم يفهموا جانبه الميتافيزيقى أو الفلسفى . وأما غيره مثل صاحبه الصمد الرومى فكان متفلسفاً فَبَعَثَ عن الشريعة والإسلام ، وكذلك تلميذه الذى يطلق عليه ابن تيمية اسم « الفاجر التلمسانى الملقب بالعفيف » ، وقد ورد فى كتاب « مفتاح غيب الجمع والوجود » للرومى أن الله هو الوجود المطلق والمعين ، ويفرق الرومى بين المطلق والمعين ، فالحيوان مثلاً يوجد فى الخارج مطلقاً ، كما أنه يوجد متعيناً فى الحيوانات ، وكذلك الله وجوده مطلقاً ، ووجوده المتعين على الحقيقة فى الأعيان ، والوجود المطلق ليس وجوداً على الحقيقة ، ولا هو وجود أصلاً ، فلا حقيقة ولا ثبوت إلا نفس الوجود القائم بالمتعينات ، تماماً مثل الوجود المطلق للحيوان فهو ليس الوجود على الحقيقة ولكنه وجود بالاسم ، وإنما الوجود الحقيقى للحيوان هو هذا الحيوان أو ذاك متجسداً . وأما الفاجر التلمسانى فهو أخبث القوم وأعمقهم فى الكفر ، فإنه لا يفرق بين الوجود والثبوت مثل ابن عربى ، ولا بين المطلق والمعين مثل الرومى ، ولكنه يقول : « مائتم غير ، ولا سيوى ، بوجه من الوجوه » ، وأن العبد إنما يشهد السيوى مادام محجوباً ، فإذا انكشف حجاب رآى أنه مائتم غير ، ولهذا كان يستحل كل المحرمات ، فالبنات والأم والأجنبية شىء واحد وليس فى ذلك حرام ، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا حرام ، فقلنا حرام عليكم . وكان يقول القرآن كله شرك ليس فيه توحيد وإنما التوحيد فى كلامنا .

وأما ابن سبعين ، فإنه فى كتابيه بُدِّ العارف ، والإحاطة ، يقول أيضاً بوحدة الوجود ، وأنه ما ثم غير . وكذلك ابن الفارض فى تأنيته فإنه إن لم يصرح هل يقول مثل التلمسانى أو الرومى أو ابن عربى ، إلا أنه إلى كلام التلمسانى أقرب ، والتلمسانى هو أشدهم كفرة ، وآخر يقال له البليانى من مشايخ شيراز ، ومن شعره :

وفى كل شىء له آية تدل على أنه عينه
ومنه :

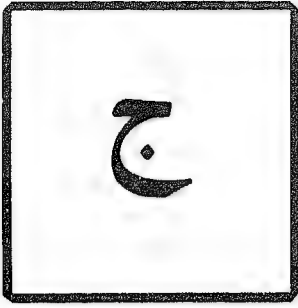
وما أنت غير الكون ، بل أنت عينه ويفهم هذا السر من هو ذاته
ومنه :

وتلذذ إن مرت على جسدى يدى لأنى فى التحقيق لست سواكم
ومنه :

مابال عيسك لا يقرّ قرارها وإلام ظلّك لا يننى متنقلاً
فلسوف تعلم أن سيرك لم يكن إلا إليك إذا بلغت المنزلاً
ومنه :

ما الأمر إلا نسق واحد مافيه من حنّ ولا ذم
وإنما العادة قد خصصت والطبع والشارع فى الحكم





جامى (أحمد)

شيخ الإسلام شهاب الدين أبو نصر أحمد بن أبي الحسن النامقي (٤١١هـ — ٥٣٦هـ)، ولقبه زنده بيل، أى ضخم الجثة كالفيل، ولد فى قرية نامق من قوهستان من أصول عربية، وله ديوان الشعر الصوفى المشهور عنه، ومؤلفاته فى التصوف «أنس التائبين» و«سراج السائرين» و«فتوح القلوب» و«روضة المذنبين» و«بحار الحقيقة» و«كنوز الحكمة» و«مفتاح السائرين» و«رسالة سمرقندية» وتسمى أيضاً «سؤال وجواب» وقيل فى توبته عندما كان فى الثانية والعشرين أنه كان يقود حماراً يحمل عليه خمرأً يجلس شراب كان هو ضيفاً عليه، ولكنه سمع هاتفاً يهتف به من أعماقه أنه لم يخلق لهذه الحياة، فأهرق الخمر واعتزل الناس فى التلال لمدة اثنى عشرة سنة، يجاهد نفسه ويمودها على الرياضات فى الزهد والنسك والصوم والصلاة والسهر والذكر، ثم رأى فى المنام أنه يستقر فى جبال بزدي بخراسان، وفى قرية يقال لها جام ابتنى مسجد النور، وصارت نسبته الجامى، وكان يدعو الناس، وقيل إن من تابوا على يديه بلغوا ستن ألفاً، ثم انتقل إلى مقعد آباد من أعمال جام أيضاً، وابتنى خانقاه ومسجداً جامعاً، ولما قارب الموت أوصى مريديه وأهله بأن يدفنوه خارج معد فى مكان عيته، وأن يبتنوا فوق قبره مسجداً ورباطاً، وأصبح قرية عامرة يقال لها تربت شيخ جام. والجامى لم يتلق التصوف عن شيخ من الشيوخ، وإنما استنته لنفسه وحدد طريقته، وأقامها على الشريعة والستة المظهرة، وقيل إنه كانت له صلات بشيخ يقال له أبا طاهر كان من تلاميذ أبي سعيد بن أبي

الخير، وقيل إن أبا طاهر هذا هو الذى ألبس الجامى خرقة أبى سعيد الذى أودعها إياه إلى أن يجد لها من تنطبق عليه شروطها، فلما انطبقت على الجامى علمه أصولها. ويقوم مذهب الجامى فى التصوف على تخلية القلب من كل العلائق وتطهير النفس من الأدران، ومراحل الرياضة النفسية ثلاث هى النفس الأمانة والنفس اللوامة والنفس الملهمة ثم النفس المطمئنة. والجامى مر بالمراحل الثلاث وكابدها، وتميز الارتقاء الروحى أو المدرج السلوكى الروحى للجامى بالإلهام، وتعاليمه كما يقول أئته كلها بالإلهام. واطمئنان النفس تحقيقه اطمئنان القلب، والنفس المطمئنة هى غلاف القلب المؤمن، وغاية المجاهدة هى اطمئنان النفس والقلب، ووسيلة ذلك الذكر والمداومة عليه، والصبر على الجهاد. ولا يقول الجامى بأن التصوف يتحقق به أن تكون للعبد صفات من صفات الله وكرامات وخوارق، فالكرامة التى يضيفها التصوف وعبادة الله تعالى هى الاستقامة على الطريق وأن يخلص العبد لله وتنااله بركة الطمأنينة، وتلك هى الجائزة. والجامى كشاعر يوقع لذلك باسم تخلص، وله فى الشعر خمريات وغزليات، ويتحدث فى الحب، وكل ذلك من المطروقات عند الشعراء الفرس خصوصاً فى باب التصوف، ولكنه لا يدعى وهو فى مقام الحب أنه قد فنى عن نفسه فى الله، أو أن الناسوت فيه قد اختلط باللاهوت، فهو وإن كان يبث الله لواعج حبه له إلا أنه لا ينسى نفسه أبداً فى حضرته، ويظل يذكر أنه فى حضرة ذى الجلال، ومع ذلك فإن التواجد فى الحضرة الإلهية يقتضى من الحب أن يكون على قدر المقام، فإذا كان الحب يتباً باللباس لمحبه فيضفى على نفسه أباه، فإن الجامى كصوفى لا يجد أبهى لمقام الحضرة الإلهية من لباس الفقر، لأنه لباس التقوى الذى تحدث الله تعالى عنه فى قرآنه. وشعر الجامى الصوفى فيه رصانة وجمال وانسياب. وبعد وفاته تناول سيرته كثيرون، ولعل أشهر المؤلفات فيه دراسة إيفانوف المستشرق سنة ١٩١٧ «سيرة الشيخ أحمدى جام» و«مقامات شيخ الإسلام أحمد بن أبى الحسن النامقى ثم الجامى» لسديد الدين محمد بن موسى الغزنوى، و«خلاصة المقامات»، لميرزا معصوم على شاه.

جامى (عبد الرحمن)

الشاعر الصوفى الفارسى الأشهر، كنيته نور الدين، ولد سنة ٨١٧ هـ بناحية جام من أعمال هراة، وتوفى بهراة سنة ٨٩٨ هـ، وأسرت من دشت بالقرب من أصفهان، ولذا كان يوقع تخلص دشتى قبل أن ينتحل اسم جامى. ويتمتع بشخصية هادئة.

وقد أقبل منذ أن وعى الحياة على التصوف ، وكان نقشبندياً ، تتلمذ على سعد الدين الكاشغرى ، تلميذ الشيخ الأكبر بهاء الدين نقشبند ، وخليفته على الطريقة من بعده ، وتزوج ابنة سعد وأولدها أربعة أطفال ، مات منهم ثلاثة فى الطفولة ، ومات الرابع فى الشباب . وشعر الجامى ونثره يتخذ الرمزية كالشعر الصوفى الفارسى عند سنائى وأوحدى ونظامى وخسرو ، ولذلك فهو يتجه للأسطورة غالباً ، وكانت قصائد جامى من نوع ليلى وانجنون ، ويوسف وزليخا ، وحكمة الإسكندر ، وهو مشهور خصوصاً بقصيدة يوسف وزليخا ، والمثنويات السبعة المعروفة باسم الأكاليل السبعة من أسماء الصورة السماوية المعروفة بالدب الأكبر ، وهى ثلاث مجموعات غنائية تشكل ديواناً ، وتشتمل على مراحل حياته كلها ، حيث المجموعة الأولى اسمها «فاتحة الشباب» ، والثانية «واسطة العقد» ، والثالثة «خاتمة الحياة» . وله سلسلة الذهب وهى مجموعة متسلسلة من الحكايات التى يتخذها إطاراً لعرض وجهة نظره الفلسفية والدينية والأخلاقية ، وسلمان وأبسال وهى الرواية الرمزية التى تناولها ابن سينا وابن طفيل وشرحها الطوسى ، وقصيدة تحفة الأحرار فى مدح شيخ الطريقة ناصر الدين المعروف باسم خواجاي أحرار ، وقصيدة سُبحة الأبرار وهى فى التصوف وإن كانت تمتدح السلطان حسين بيقرا . وأغلب أعماله توفر المستشرقون أمثال فيتزجيرالد وأريبرى وبريستو وروزنزفايخ وشيزى على ترجمتها إلى الإنجليزية والألمانية والفرنسية . ولغته وموضوعاته الصوفية يطرحها فى إطار من فلسفته فى وحدة الوجود ، وتتحدى المنافسة مع آثار أكبر شعراء الصوفية ، وقد قيل إن جامى يعتبر آخر سلسلة الشعراء الصوفية الفحول . وله آثار نثرية فى تفسير القرآن والحديث ، وشروح على المسائل الصوفية وأخصها شرح فصوص الحكم لابن عربى ، وشرح خمرة ابن الفارض ، والدرر الفاخرة فى التصوف والحكمة ؛ وله «نفحات الأنس» الكتاب الموسوعى الذى يتضمن سير الصوفية مع دراسة شاملة للتصوف وترجمته على طريقة تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ، وترجمه المستشرق الفرنسى سيلفستردى ساسى ، ونذكر له كذلك «شواهد النبوة» ، و«اللوائح» التى ترجمها وينفيلد ، و«بهارستان» وهى مجموعة حكايات عجيبة وقصص عن الحيوان ، تعليمية ومضمونها صوفى ، ولها عدة ترجمات ألمانية وفرنسية لماسيه وآخرين . وكان جامى فى كتاباته وحياته الصوفية أوحده زمانه كما وصفه أحد مؤرخى سيرته .

ويعتبر البعض نفحات الأنس أهم مؤلفات جامى وبمثابة العينين بالنسبة لهذه المؤلفات ، إلا أنه كان فيه ناقلاً عن غيره فقد استعان فى تأليفه بطبقات السلمى

وترجمة عبدالله الأنصارى للكتاب إلى الهروية، ونقل الكثير عن المهجورى من كتابه المرجع كشف المحجوب، كما نقل عن أسرار التوحيد لمحمد بن المنور حفيد أبى سعيد بن أبى الخير.

الجرجاني

على بن محمد بن على (٧٤٠ - ٨١٦هـ)، وكنيته أبو الحسن الحسينى، وشهرته السيد الشريف، صاحب كتاب التعريفات، وهو معجم يشرح الألفاظ المصطلح عليها فى كافة فروع المعرفة، ومن ذلك التصوف. والجرجاني كان حنفياً ومتصوفاً، وحياته تشهد له بالورع والتقوى، ومعرفته بالمصطلح نتيجة قراءاته وغشيانه مجالس العلم، ويحتوى التعريفات (انظر التعريفات تحقيق دكتور عبد المنعم الحفنى) على نحو ١٩٠٣ مصطلحاً منها نحو ثلاثمائة مصطلح تخص التصوف. ولا يخشى الجرجاني من تبسيط التعريف، وهدفه من ذلك تسهيل تناوله للطلالين. والجرجاني تلقى العلم فى هراة لمدة أربع سنوات على قطب الدين الرازى الذى نصحه بالشخص إلى مصر ليدرس على تلميذه مبارك شاه، فأقام بها لأربع سنوات بسعيد السعداء. وبعدها بدأ التدريس ومناقشة العلماء والسياسة، وفى سمرقند جرت بينه وبين سعد الدين التفتازانى محاورات لم يعرف من كان الغالب فيها. ومعظم مصنفاته شروح، وهو يقول فى التصوف إنه مذهب كله جد، وقال هو تصفيه القلب عن مواقف البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخاد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، والنصح لجميع الأمة، واتباع الرسول فى الشريعة. وقال التصوف ترك الاختيار، وبذل المجهود، والأنس بالمعبود، وهو الإعراض عن الاعتراض وصفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله التفرغ عن الدنيا. وقال هو خدمة التشرف وترك التكلف، والأخذ بالحقائق، والكلام بالدقائق، والإيأس مما فى أيدى الخلائق. ويقول الجرجاني فى المريد هو المجرد عن الإرادة، والسالك هو الذى مشى على المقامات بحاله، لا بعلمه وتصوره، والمقام عبارة عما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف، والسكر غفلة تعرض بغلبة السرور على العقل، والقبض والبسط هما حالتان بعد ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء.

الجريري

أبو محمد أحمد بن الحسين، من كبار أصحاب الجنييد وخلفه في مجلسه، وتوفي سنة ٣١١هـ، ويقول إنه رباني وقراء، ويدعو تلاميذه إلى أن يكونوا مثله ربانيين أي سامعين من الله وقائلين بالله، أي بالقرآن، والذي يقرأ القرآن بقصد الدرجات في الجنة فقد رضى بالقليل بدلاً عن الكثير، لأن الجنة مخلوقة والقرآن غير مخلوق، ومعظم الفائدة في قراءة القرآن، والقراء يطلب الآخرة ويسعى لها سعيها، ويعرض عن الدنيا والاشتغال بها، لقوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق، يعنى لا يفهمونه ولا يجدون له لذة، فيصرف الله عن قلوبهم فهم مغايطاته ويفلق عليهم سبيل فهم كتابه، ويسلبهم الانتفاع بمواعظه فلا يعرفون الحق ولا يسلكون سبيله.

والجريري أول صوفى يتحدث عن دلائل وجود الله ويعددتها ثلاثة: ملكه الظاهر، ثم تديره في ملكه، ثم كلامه الذي يستوفى كل شيء، فتلك أدل الأشياء على وجود الله. ويذكر الجريري في سبب تصوفه أنه رأى أن الأعمال لا توصل إلى الله تعالى ولا تبلغ بالمريد مأموله، لأن النبي ﷺ قال: «لن ينجنى أحداً منكم عمله»، وإنما الذي ينجيه فضل الله، ومن صح اعتماده على فضل الله فذلك الذي يرجي له الوصول، ومن لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة.

الجزولي

والجزولي والغزولي أيضاً، نسبة إلى جزولة أو كزولة أو غزولة أحد بطون البربر من سوس المراكشية، ومنهم عبد الله بن ياسين منشئ حركة المرابطين الدينية والسياسية. والجزولي أو أبو عبد الله محمد بن سليمان بن أبي بكر الجزولي السملالي الشاذلي (٨٠٧ — ٨٧٠هـ) صاحب كتاب «دلائل الخيرات» واسمه على الحقيقة «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار»، وهو مجموعة صلوات على النبي، مع وصف ضريحه، وذكر أسمائه وغير ذلك، طبع عشرات المرات، وكان تصنيفه له بفاس، مستعيناً بما في مكتبة القرويين من ذخائر، وكان قد توجه في سياحة طويلة زار فيها طنجة ومكة والمدينة وبيت المقدس، ولما عاد انضم إلى

الطريقة الشاذلية، وله «حزب الفلاح»، و«حزب الجزولى» ويعرف أيضاً باسم «حزب سبحان الدائم الذى لا يزول» كتبه بالعامية. وهو منشئ الطريقة الجزولية الشاذلية، وأتباعه يرددون البسملة أربعة عشر ألف مرة، ودلائل الخيرات مرتين فى اليوم، ويتلون فى الليل دلائل الحرات مرة واحدة، هى والربع الأخير من القرآن. وكان الجزولى قد اعتزل لفترة استغل فيها بالتعب، ثم توجه إلى آسفى، وهناك زاد أتباعه زيادة كبيرة، فخاف والى المدينة من الجزولى وتنامى قوته، وطلب منه الخروج بهم، ويقال إن الجزولى دعا على المدينة فوقعت فى أيدي البرتغاليين، وظلت خاضعة لهم مدة أربعين سنة. ويبدو أن والى بنه دس السم للجزولى قبل أن يرحل، وقيل إنه مات مسموماً فى بقعة يقال لها أفعال، قيل سنة ٨٧٠، وقيل سنة ٨٧٣هـ، وقد أقسم أحد أتباعه ويدعى عمرو بن سليمان الشيطمى، المعروف بالسياف، أن يثأر له، وقد ادعى النبوة بعد ذلك، ووضع جثمان الجزولى فى تابوت لم يدفنه، وحفظه فى رباط، يضاء حوله فى الليل بشمعة فى طول القامة، فى إناء مملوء بالزيت، ولما توفى عمرو السياف عام ٨٩٠هـ دفن الجزولى، وبعد ذلك بسبعة وسبعين عاماً أخرج السلطان أبو العباس أحمد الملقب بالأعرج، بعد دخوله مراكش، رفات الجزولى من مقبرته هى وبقايا رفات والد السلطان الذى كان مدفوناً إلى جواره، وربما كان ذلك لأغراض دينية أو سياسية، وأخذ معه التابوتين إلى مراكش، ودفن الجثتين هناك. وكان الجزولى إلى جانب ثقافته الواسعة بالطرق الصوفية، فقيهاً متمكناً يحفظ عن ظهر قلب المدونة والمختصر الفرعى لابن الحاجب، ومناقبه وأخبار طريقته مسرودة فى كتاب «ممتع الأسماع بمناقب الشيخ الجزولى ومن له من الأتباع» لمؤلف مجهول. وقيل إن الجزولى مات عن ٢٦٦٥ مريداً.

الچشتية

طريقة هندية، قيل مؤسسها يدعى أبا إسحاق من نسل سيدنا على، وهاجر إلى بلدة چشت فى خراسان، وإليها ينسب، وقيل منشؤها أحمد أبدال الچشتى (من چشت)، واستقدمه إلى الهند معين الدين السجوى واستقر فى أجير. وقيل إن معين الدين هو نفسه الچشتى، وهو صاحب الطريقة، وأطلقوا عليه أفتاب ملك هند، يعنى شمس مملكة الهند، فقد كان من أكابر مشايخ الصوفية والأولياء، وكانت

ولادته سنة ٥٣٧ هـ، وتوفي أبوه وهو في الخامسة عشرة، فتنقل بين البلاد، وتعرف في بغداد على أشهر صوفية زمنه ومنهم نجم الدين كبرى وشهاب الدين السهروردي وأوحد الدين الكرمانى، ثم وفد سنة ٥٨٩ هـ إلى دهلى، ومنها انتقل إلى أجير، وتوفي فيها عام ٦٣٣ هـ، وقبره مزار، وقد حج إليه الامبراطور أكبر سيراً على الأقدام، وخلفه على الطريقة خواجه قطب الدين بختيار، ثم بابا فريد سكر كنيج، وكان له مريدان، أحدهما على أحمد صابر، وأتباعه يعرفون باسم صابر چشتى، والآخر نظام الدين أولياء، ويتسمى أتباعه باسم نظامى، ومنهم نصير الدين محمود بن يحيى يزدي أودهى الملقب جراغ دهلى أى نور دهلى، وكان من أبرز مریدی الشيخ نظام الدين، وكان أبوه تاجر أقشة وتوفي وعمود فى الثامنة، فأشرفت أمه على تربيته على المشايخ، فما وفى الخامسة والعشرين إلا وقد اعتزل الناس لسبع سنوات يشق فيها طريق مجاهدة النفس بالصلاة والصوم، فلما بلغ الثالثة والأربعين توجه إلى دهلى أو دهلى كما كان يقال لها آنذاك، وانتظم كمريد للشيخ نظام فى جماعة خانة، وأقامه شيخه الذى كان وقتها فى الرابعة والتسعين خليفة له وخلع عليه آثار شيخه وهى الخزقة والمسبحة والسجادة وغير ذلك، ونهج جراغ نهج شيخه فى طريق الفقر والصبر والتسليم لله والرضا، وظل عزباً طوال حياته، وبعد شيخه هدى الناس اثنتين وثلاثين سنة، وعاش وأتباعه مطيعين للشریعة، وشغلوا أنفسهم بتدريس العلوم، واستمسك بسنة أوليائه الجشتية فلم يكتب أى كتاب ولكن أحكامه جميعها حميد قلندر فى كتاب «خير المجالس»، ويحتوى على مائة مجلس، وراجعه الشيخ بنفسه، وألحق به مؤلفه تكملة بعد وفاة الشيخ. وكان لمحمود تأثير ضخم فى دهلى أو دهلى وخارجها، وذلك واضح من الثبت الطويل لمشاهير مریدیيه وخلفائه مما نجده فى كتاب أخبار الأخبار لقلندر، وتوفي الشيخ بعد مرض قصير سنة ٧٥٧ هـ، ودفن فى داره دون أن يستخلف أحداً، ودفنت الآثار التى تلقاها عن شيخه معه، وذلك رمز لنهاية السلسلة الأولى من أئمة الجشتية فى الهند، وأقيم على قبره ضريح شيده السلطان فيروز شاه.

والجشتية يركزون فى الذكر على الشهادة، ويؤكدون على إله الله، ويترغون فى صلاتهم، ويلبسون الثياب المصبوغة بلحاء شجر السنط. ومن شعائر الدخول فى الطريقة أن المريد يصلى أولاً ركعتين، ثم تؤخذ عليه التوبة، ويلقن معانى كلمات مثل الفقر والقناعة والرياضة، ويكشف له عن اسم من أساء الله، ويطلب إليه أن يتوجه إلى أحد الأضرحة ويلزمه صائماً أربعين يوماً تعرف باسم چله كشى، ثم يلقن حدود الطريقة، ويحرم عليه من بعد ذلك تعاطى المسكرات أو المخدرات. وللجشتية

أنشيد، وأكبر شعرائهم على ما يبدو هو بده شاه وغلّام شاه وخواجه غلام فرید، ولهم كتب فى تراجم أوليائهم مثل «سير الأولياء» لمحمد مبارك كرماني، «وخزينة الأصفياء» لمفتى غلام سرور لاهورى.

الجعفرية

الطريقة الجعفرية الأحمديّة المحمديّة، نسبة إلى مؤسسها الشيخ صالح الجعفرى (١٣٢٨ - ١٣٩٩هـ) عن شيخه أحمد بن إدريس، وقد خلفه عليها ابنه عبد الغنى صالح الجعفرى. والجعفرية قبيلة تسكن مصر والسودان، وكانت ولادة صالح الجعفرى بدنتلاً، ودرس بالأزهر وحصل على إجازة التدريس من كلية الشريعة، وعين إماماً ومدرساً بالجامع الأزهر، فاتخذ من رواق المغاربة مقراً له متفرغاً لتدريس العلم والدعوة إلى الله تعالى، وكانت له خلوة يتعبد فيها ولا يغادرها إلا للحج، فالتف حول المريّدون، وقد عكف على مؤلفات أحمد بن إدريس، وسافر من أجل المخطوطات إلى المغرب وزار خلوته التى كان يتعبد فيها والتقى بمشايع الطريقة، وحصل منهم على أوراقه وكلماته فنقحها وصححها وعلق عليها وخرّج أحاديثها ورقم آياتها وطبعها على نفقته ونشرها وجّد ذلك تراث أحمد بن إدريس، وله فى التصوف «فتح وفيض من الله»، يشرح فيه المعانى فى كلمة لا إله إلا الله وما يتعلق بها من الإشارات والنفحات، و«المنتقى النفيس» يتحدث فيه عن أصل الطريق ويترجم لحياة أحمد بن إدريس ونهج الطريقة الإدريسية، و«مفتاح كنوز الأرض والسماء» ويتناول الطريقة إلى الإشارات الروحية والقلبية، و«المعاني الرقيقة» والمقصود بها الإشارات الصوفية، و«كيمياء اليقين»، و«لوامع البروق النورانية»، و«الإلهام النافع»، و«آداب وإرشادات»، و«النفحات والخيرات الجعفرية»، و«الذخيرة المعجلة»، و«رسالة الأوراد الإدريسية»، و«رسالة الكشف والبيان»، وله ديوان شعر جيد أطلق عليه اسم الديوان الجعفرى، وهو مجموعة قصائد فى مدح الرسول وأهل البيت، وبعضها يشمل مواعظ قلبية وأحكام فقهية وإرشادات للمريدين والسالكين. ومن الكتب فى نسب ومدرسة صالح الجعفرى كتاب «الحق الجلى» لمحمد طاهر خراشى العدوى.

الجلوتية

إحدى الطرق الصوفية التركية، أسسها عزيز محمود هدائي الإسكودارى، نسبة إلى إسكودار حيث مقام الطريقة، والجلوتية من الجلوة، وهى مرحلة تأتى بعد الخلوة، فالخلوتى الذى ينزع عن نفسه الأنانية ويصبح مع الله تتحقق له الجلوة، والجلوتى لا يبلغ هذه الدرجة إلا إذا صار خلوتياً. وقيل إن الجلوتية فرع من الطريقة الهاشمية التى أسسها هاتم بابا سنة ١٧٧٣م، وهو شيخ جلوتى كان فى وقت ما ملامياً. وقيل إن الجلوتية ينحدرون أصلاً من الطريقة البيرامية نسبة إلى حاجى بيرام حيث كان هدائى تلميذاً للشيخ أوفتاده الذى تلقى عن حمد الله چلبى، الذى أخذ عن آق شمس الدين عن شيخه حاجى بيرام.

والجلوتية طريقة سنية تعتمد الذكر، ويكون بالأساء السبعة الأصول من أساء الله الحسنى، بالإضافة إلى خمسة أساء فروع هى الوهاب والفتاح والواحد والأحد والصمد، ويختار شيخ الطريقة للمريد الأساء التى عليه أن تكون بها أذكاره، بالإضافة إلى الصلوات والصيام من النوافل الخاصة بالطريقة. وكان هدائى يطلق شعر رأسه وتابعه مريدوه على ذلك. ويلبس الجلوتى عمامة يسمونها التاج من ثلاث عشرة قطعة ترمز إلى الأساء الحسنى الأثنى عشر والوحدة التى تجمع بينها جميعاً.

وهدائى من مواليد إحدى القرى التابعة لقونه، وقيل هو من مواليد سنة ٩٥٠هـ، وتعلم بأدرنه واشتغل فيها بالتدريس، ثم خرج إلى الشام ومنها إلى مصر، فلزم شيخاً خلوتياً يقال له الشيخ كريم الدين الخلوتى، فأخذ عنه الطريقة الخلوتية، إلا أنه عندما عاد إلى تركيا أقام فى بروسه وتلقى عن الشيخ أوفتاده الجلوتى ودخل الطريقة سنة ٩٨٥هـ، واستقر فى استنبول بجوار جامع الجلوتية، وكان بليغاً، وله المصنفات الكثيرة، قيل منها ثمانية عشر كتاباً بالعربية واثنى عشر بالتركية، أغلبها موجود بمكتبات إسكودار حيث ضريحه، وهى عبارة عن رسائل أو مجالس أو كليات للوعظ وإرشاد المريدين، ومنها رسالة فى الطريقة المحمدية، وطريقة ناهه بالتركية، ورسالة منظومة بعنوان نجاه الغريق، وهذه الرسائل فضلاً عن أهميتها الصوفية فيها إشارات تاريخية هامة عن الحوادث والناس فى زمانها، وبعض القصائد كان نظمها للإرشاد فى حلقات الذكر، وقد لحنها هدائى بنفسه، ومن المضمون العام لها نفهم أن هدائى كان

متمسكاً بالشرعية، ومنكراً على الغلاة من الصوفية، وهو فى بعض رسائله يستجبد بالسلطان ضد الغلاة من السماونة أتباع شرف الدين السماونة.



الجمالى

حامد بن فضل الله الجمالى، المتوفى سنة ٩٤٢هـ صاحب ديوان مرآة المعانى وكتاب سِيرَ العارفين، وكان شاعراً فذاً، وله باع طويل فى المثنويات، إلا أن شهرته قامت على كتابه سير العارفين، وهو من كتب الطبقات فى تراجم الصوفية، ألفه ليجمع فيه تراجم أولياء الطريقتين الجشتية والسهروردية، وهما من الطرق الصوفية الهندية، ويتبع فيه طريقة المؤلفين لكتب الطبقات. والجمالى سهروردي، وكان كثير الأسفار حتى قيل إنه لم يترك بلداً إسلامياً سمع أن فيه ولياً من أولياء الله أو متصوفاً مشهوراً إلا قصده، وقيل إن أسفاره امتدت من الأناضول شمالاً إلى اليمن جنوباً، ومن الهند شرقاً حتى المغرب غرباً، وكانت له معارضات صوفية، ومعارضات شعرية مع غيره، كذلك التى جرت بينه وبين الشاعر الصوفى الكبير عبد الرحمن جامى. وكان للجمالى كغيره من الصوفية السهروردية ارتباطات ببلاط دهلى، وقيل إنه المسئول عن انتقال الأسلوب الصوفى فى سبائك الشعر من هراة حيث ولادته فى فارس إلى دهلى فى الهند، وأن ظهور ما يسمى فى الهند باسم سبك هندي فى الشعر الدينى كان من تأثيره. وبلغ من عمق صلته بدهلى أن ابنه الشيخ عبد الرحمن صار صدرأ فى حكم الملك أكبر.



الجمالى

مولانا علاء الدين على بن عماد الجمالى المعروف بعلى چلبى أو زبيللى على أفندى، شيخ الإسلام العثمانى من سنة ٩٠٨ حتى ٩٣٢هـ، وكان يُلقَّب أيضاً بالصوفى على جمالى، وقد بدأ حياته بالتدريس والإفتاء، وكان له نفوذ كبير على بايزيد الثانى فعتنه مدرساً فى مدرسة ثمانية وهى أكبر مدارس استنبول وقتها، واستمر فى منصب شيخ الإسلام فى عهده وعهذى سليم الأول وسليمان الأول إلى أن أدركته الوفاة سنة ٩٣٢هـ، وجرت بينه وبين السلطان سليم مشاحنات فلم احتج السلطان بأنه

لادخل له فى الحكم قال الجمالى إنه مسئول عن حياة السلطان فى الآخرة ولا يجب له أن يخسرهما بالدنيا، وكرمه سليم بأن عيّنه أيضاً قاضى عسكر. وله فى التصوف «الرسالة فى حق الدوران» و«مختار الهداية».

الجنيد

أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد، أول من تكلم فى علم التوحيد ببغداد، ومولده ونشأته بها ووفاته سنة ٢٩٧هـ، وأصله من نهاوند، ومذهبه يقيده بالكتاب والسنة، من لم يتفقه فى الدين ويحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به، فحفظ تصوفه من شبه الغلاة، وصانه من العقائد الذميمة، فكان مفضلاً من الجميع، وكان الكتبة يحضرون مجالسه لألفاظه، والشعراء لفصاحته، والمتكلمون لمعانيه. وكان يُعرف بالقواريرى نسبة لعمل القوارير، وبالزجاج أيضاً، واشتغل فى بدايته بالفقه على أبى ثور صاحب الإمام الشافعى وراوى مذهبه القديم، وكان يُفتى فى حلقاته وبحضوره وتبنيه عشرون سنة، وصحب خاله السرى السقطى، وتلقى عن المحاسبى والقصاب، وينفى أن يُنسب إلى السرى، ويثبت أستاذية القصاب له، وكتب الكثير من الرسائل إلى إخوانه، منها ما اشتهرت عنه فى التوحيد والألوهية. وأساس مذهبه مراقبة الباطن وتصفية القلب وتركية النفس والتخلق بالأخلاق الحميدة. وطريقته تقوم على الصحو، وتابعه فيها أغلب الصوفية لأنها لا تتصادم مع الشريعة وتجمع بين الظاهر والباطن، والجنيد فى شرحه لأصولها وفروعها أستاذ، وكان مريدوه يلقبونه بالأستاذ، وهو مرب صوفى بالمعنى الاصطلاحى للمربى، فهو العارف بفنون علوم التصوف والمؤيد بعلوم الفقه، وقيل لذلك إن طريقة الجنيد أصلح للمبتدئين، وخاصة أن أصحاب طريقة السكر، وهى الطريقة المقابلة لطريقة الجنيد، كما هى عند البسطامى والخرقانى وأبى سعيد بن أبى الخير والحسين بن منصور الخلاج، قد أثاروا الفقهاء والمتشرعين وأهل الظاهر على الصوفية، حتى اعتبر البعض التصوف كفراً أو بدعة وأفتوا بقتل جماعة منهم. وأغلب كلام الجنيد لذلك تعاريف، ودوره فى التصوف هو دور المعلم، وهو يقول إن ما يتكلم به هو علم لم يكن له فيه فضل، وكان هذا العلم عند من سبقوه تحقّقاً ولكنه صار اليوم تعاليم. والتصوف فى مذهب رسم للعبد ولكنه بالنسبة لله تعالى حقيقة، والأخلاق فيه إلهية، وهى شمائل الأنبياء، فالسقاء فيه لإبراهيم، والرضا

لإسحق ، والصبر لأيوب ، والإشارة لزكريا ، والغربة ليحيى ، ولبس الصوف لموسى ، والسياسة لعيسى ، والفقر لمحمد . والتصوف هو صفاء المعاملة مع الله ، وأصله التعرّف عن الدنيا ، والصوفية القدّامى لم يأخذوه عن القليل والقال وإنما عن الجوع وترك الدنيا وقطع المؤلّوفات والمستحسنات ، والمعرفة فيه منها ما هو للخاصة ، وما هو للعامة ، ولكنها فى الحالين معرفة واحدة ، لأن مدارها جميعاً على الله سبحانه وهو واحد ، غير أن المعرفة لها أول وأعلى ، فالخاصة فى أعلاها وإن كانت لا يمكن الوصول فيها إلى نهاية ، وكيف يمكن أن تكون معرفة محيطية والمعروف فيها لا يحيط به فكر ولا يتوهمه ذهن ولا تتكيفه رؤية ، وأعلم خلق الله أشدهم إقراراً بالعجز عن إدراك عظمته أو تكشّف ذاته ، لمعرفةهم عن عجزهم عن إدراك من لا شىء مثله ، إذ هو القديم وسواه محدث ، وهو الأزلّى وغيره المبدأ ، وهو الإله وما سواه مألوه ، فسبحانه الأول بغير بداية ، والباقي إلى غير نهاية ، ولا يستحق هذا الوصل غيره ، ولا يليق بسواه ، فأهل الخاصة من أوليائه فى أعلى المعرفة من غير أن يبلغوا فيها نهاية ، والعامة من المؤمنين فى أولها ، ولها شواهد ودلائل من العارفين على أعلاها وأدناها ، والشاهد على أدناها الإقرار بتوحيد الله ، وخلع الأنداد عنه ، والتصديق به وبكتابه وما فرضه فيه ونهى عنه . والشاهد على أعلاها القيام فيه بحقه وإيثاره على جميع خلقه واتباع معالى الأخلاق التى كان أنبيأوه فيها القدوة والأسوة ، فالمعرفة التى فضلت الخاصة على العامة هى عظيم المعرفة فى قلوبهم بغير القدر والإجلال والقدرة النافذة والعلم المحيط والجود والكرم لله تعالى ، فعظم فى قلوبهم قدره وجلاله وهيبته ونفاذ قدرته وأليم عذابه وشدة بطشه وجزيل ثوابه وإحسانه ورحمته وعفوه ، فلما عظمت المعرفة بذلك عظم القادر فى قلوبهم فأجلّوه وهابوه واستحيوا منه وخافوه ورجوه ، فقاموا بحقه وأعطوه المجهود من قلوبهم وأبدانهم ، ولذلك قيل فلان بالله عارف ، وفلان بالله عالم ، لما رأى المسلمون منهم هذه الأخلاق وأنهم بها أعلم وأعرف من العوام . والتوحيد الذى ينفرد به الصوفية هو أفراد القدم عن الحداث ، وعلم التوحيد كما يقول هو علم قد طوى بساطه منذ عشرين سنة ، والناس يتكلمون فيه حالياً ، أى وقت الجنيد ، فى الحواشى لا غير . ويعلم الجنيد أصحابه أن العلم له ثمنه فلا تعطوه إلا به ، وثمنه هو وضعه عند من يُحسن حمله ولا يضيعه ، فتوسموا فى الحر ، وهو ذلك الذى خرج عن كل العلائق وكان لله وحده وما دونه حراً . والحر الحقيقى هو الذى عبوديته لله خالصة ، ولن تكون على الحقيقة عبداً لله وشىء مما دون الله يستترك . والعبودية لله هى أن تخلص له الحب ، فتحب ما يحب الله ، وتكره ما يكره الله . ومن يعرف الله لا يُسرّ إلا به . والله تعالى يخلص إلى

القلوب من برة حسب ما تخلص له القلوب من ذكره. والورع في الكلام عند الجنيد أشد منه في الاكتساب، لأن مذهبه أصلاً مذهب تعليمي أو أنه يذهب فيه إلى الناحية التعليمية، وكان فيما يقوله لأصحابه ظريفاً يراعى كافة الاعتبارات ولا يتبشع جوابه على أحد ويعطى الجواب بحسب السائل وثقافته الدينية، وإن كان دائماً يقول إن العلم يشير إلى استعماله، وما يعلمه للمريدين ليس ليعرفوه دون استعماله، وإنما العلم للاستعمال في مراتبه، ويفسر قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى، أي سنعلمك العلم فلا تنسى العمل به. ولما سأله أيها أتم: استغراق العلم في الوجود أو استغراق الوجود في العلم، أجاب بل استغراق العلم في الوجود، فليس العالمون بالله كالواجدين له.

الجوانية

هي علم الباطن أو الدخائل، وقد شاع المصطلح بكتاب الدكتور عثمان أمين بنفس الاسم، فقد روى عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ قال له: يا علي، ما من عبد إلا وله جواني وبراني، بمعنى سريرة وعلائية، فن أصلح جوانيه أصلح الله برانيه، ومن أفسد جوانيه أفسد الله برانيه. ويعرف جابر بن حيان العلم الجواني بأنه العلم بالشيء المدبر من داخل، والعلم البراني هو العلم بما يدبر من خارج، ومعنى الجواني هو البطون والاتصال، ومعنى البراني هو الظهور والانفصال. والحلاج في الطواسين يقول المنكر هو في دائرة البراني، ويتحدث عن الفوقاني والتحتاني والوسطاني. والمعرفة الكشفية عند الغزالي جوانية يصل إليها السالك بعد مجاوزة المعطيات الحسية والاستدلالات العقلية، وتحصيلها عن طريق القلب يقول: لو فرضنا حوضاً مخفوراً في الأرض، احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه، ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي، فيتفجر الماء من أسفل الحوض، ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم، وقد يكون أغزر وأكثر، فذلك القلب مثل الحوض، والعلم مثل الماء، وتكون الحواس الخمس مثل الأنهار. وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يتلوى علماً. ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر، ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله. وطريق الجوانية عند الغزالي هو علم الأعمال بما يفسدها ويبيح الوسواس ويشوش القلب ويثير الشر، وهو طريق صعب لا يميل إليه أكثر الناس، وإنما

ميلهم للأوفق لطباعهم، لأن معرفة القلب وصفاته وتطهيره عن الأخلاق المذمومة هو مجاهدة دائمة للنفس. والجوانية عند الصوفية المحققين مراعاة للأسرار ومحافظة للقلب بالإخلاص، بالتوقى عن ملاحظة الخلق ومطالعة النفس. والجوانية هى رؤية للنفس وأحوالها، وأشد من ذلك مطالعة الأغراض على أفعالها، فلا خير فى قول ولا فعل إلا مع النية.

ابن الجوزى

أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ) نسبة إلى مشرعة الجوز من أرباض بغداد حيث مولده، وهو عَلم عصره فى التاريخ والحديث، وله نحو الثلاثمئة كتاب، منها «تلبيس إبليس» الذائع الصيت والذى ينتقد فيه نهج الصوفية ويأخذ عليهم فيه مآخذ يقول إنها من تلبس إبليس عليهم، ويقول ربما كان التصوف نتاجاً أفرزه الزهد الإسلامى عند الأوائل، إلا أن صوفية هذا الزمن قد انحرفوا عن السنة وصارت لهم سننهم الخاصة بهم والتى صنفوا فيها الكتب، وأخصها كتاب عبد الرحمن السلمى الطبقات الذى أسند إليهم فيه العجب فى تفسير القرآن، وكتاب أبى نصر السراج الذى أطلق عليه اسم لمع الصوفية ونسب إليهم فيه الكثير من الاعتقادات القبيحة والكلام المردول، وكتاب أبى طالب المكي قوت القلوب وضمته الأحاديث الباطلة بما لا يستند فيها إلى أصل عن الصلاة فى الليل والنهار وغير ذلك، وكتاب الحلية لأبى نعيم الأصبهاني الذى احتوى على أشياء منكورة قال فيها إنها حدود التصوف، ولم يستح أن يضم إلى قائمة المتصوفة أسماء سادات الصحابة من أمثال أبى بكر وعمر وعثمان وعلى، وذكر أن شريحا القاضى والحسن البصرى وسفيان الثورى وأحمد بن حنبل من أهل التصوف لأنهم زهاد، وكذلك أدرج السلمى فى طبقاته الفضل وابن أدهم والكرخى وجعلهم من الصوفية. وصنف القشيري رسالة فى التصوف فذكر العجائب فيما أسماه المقامات والأحوال عن الفناء والبقاء، والقبض والبسط، والوقت والحال، والوجد والوجود، والجمع والتفرقة، والصحو والسكر، والذوق والشرب، والحو والإثبات، والتجلى والمحاضرة، إلى غير ذلك من التخليط الذى ليس بشيء وتفسيره أعجب منه. ومن تصانيفهم أيضاً كتاب صفوة الصفوة للمقدسى ويشتمل على أشياء يستحى العاقل من سردها، وحتى كتاب أبى حامد الغزالى المسمى إحياء الدين، فقد آلفه على طريقتهم وملاه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم عن المكاشفة فخرج عن الفقه، وفسر الكواكب والشمس والقمر اللاتى رآهن إبراهيم عليه السلام بأنها حجب لله عز وجل وليست هى التى نعرفها،

وكلامه من جنس كلام الباطنية، ومن ذلك ادعاؤه أن الصوفية فى أحوالهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصوات ويقتبسون فوائد، ثم تترقى مشاهداتهم من الصورة إلى الأصل عبر مدارج يضيق عنها نطاق الكلام. والسبب فى كل هذه التصانيف التى تخالف الشريعة وتجانب الدين قلة علم الذين صنفوها بالسنن والإسلام، ولعله لهذا كتب ابن الجوزى من جديد كتاب الإحياء للغزالي يخليه من أحاديثه الباطلة ويصحح ما انزلق إليه من أخطاء عن جهل بالصواب. وابن الجوزى من رأيه أن اسم الصوفية من الأسماء العربية الصميمة وليس اسماً دخليلاً، ويرجعه إلى خدم الكعبة الذين انقطعوا للخدمة فيها، وكان الواحد منهم يسمى صوفة وصوفان، أو أن صوفة هذا هو الغوث بن مره، ولم تكن أمه يعيش لها أولاد، فندرت إن عاش ابنها هذا أن تهبط لخدمة الكعبة وتقطعه عليها وتميزه بأن تجعل فى رأسه صوفة إشارة إلى أنه رباط الكعبة، ومن ثم فقد انتسب الصوفية إلى صوفة هذا لمشابهتهم إياه فى الانقطاع إلى الله. وربما أن الصوفى نسبة إلى الصوفانة وهى بقلة من بقول الصحراء يتعيش عليها كطعام المنقطعون لعبادة الله فى الصحارى والفيافي، فنسبوا إليها؛ وربما كان انتسابهم لصوفة القفا أى شعراته المدلاة التى يطلقها القوم نسياناً لأنفسهم فى التبعّد، وعلى أى الأحوال فإن التصوف كان رياضة نفس ومجاهدة طبع عند الشيوخ الأوائل، إلا أن ذلك الوقت قد مضى وجاء قوم من الأدعياء تلبس إبليس عليهم فصدهم عن العلم وأراهم أن المقصود بالعبادة هو العمل، فلما أطفأ نور العلم عندهم تخبطوا فى الظلمات، فمنهم من أراه أن التصوف هو ترك الدنيا بالجملة، ورفضوا الكسب، وركنوا إلى البطالة، وأهلوا ما يصلح أبدانهم، وشبهوا المال بالعقارب ونسوا أنه خلق للمصالح، وبالغوا الحمل على أنفسهم حتى كان الواحد لا يذوق الطعام بالأيام فيفسد بذلك تفكيره ويتخلط ذهنه ويتوهم أشياء كأن تكلمه الملائكة أو يشاهد الله، وتنتابه الوسواس والخطرات من شدة الجوع ووطأة الفقر وقلة النوم، وقد صنف الحارث المحاسبى التصانيف فى ذلك باعتبارها من الفضائل. وأفرد آخرون التصوف بصفات ميزوه بها من اختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق، وقال بعضهم بالحلول والاتحاد، وادّعوا العشق الإلهى، ونسوا أن العشق فى اللغة يقال للمنكوح، والله يُحب ويُحب ولكنه لا يعشق ولا يُعشق وترتب على هذا الترخص فى القول ادّعاء البعض النبوة ثم الربوبية حتى قيل إن الحلاج أرسل فى إحدى المرات كتاباً إلى أحدهم قال فيه من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان، وفُسر هذا التبجح منه بأن تلك طريقة الصوفية فيما يسمى عين الجمع، فالله على

الحقيقة هو الذى يكتب ويعلى وليست اليد التى تخط إلا مجرد آلة . وأطلق الصوفية على هذا العلم عندهم اسم علم الباطن بينما الفقه هو علم الظاهر، وبلغ من تلبس إبليس عليهم أن عادوا الفقهاء ودفنوا كتب الفقه أو أغرقوها فى الماء، ثم جاءت أقوام أخرى من المتصوفة زاد من تلبس إبليس عليهم أنهم تشبهاً بأسلافهم لبسوا المراقع مثلهم ولكنهم لفقوها من فاخر الثياب، وانتحلوا للمراقع نسباً يصلهم بالصحابة وآل البيت، وبعد أن كانت حياة السابقين قوامها الجوع والفقر والزهد، فإن هؤلاء استغرقتهم النعم وعرفوا الطريق إلى الأمراء والحكام وأقبلوا على لذات الطعام والشراب، ومصادقة الولدان ومرافقة النسوان، وادعوا أن الله يحل فى الصورة الحسنة والجسم الجميل من الأولاد المرد، واقتحمت جماعة منهم يقال لهم الملاحية الذنوب بدعوى أن يسقطوا فى أعين الناس فيسلموا بذلك من الجاه، وأظهروا من أنفسهم أقبح الصفات، ومنهم أيضاً إباحية المتصوفة وهؤلاء ادعوا أنهم لما زهدوا وراضوا أنفسهم وصلوا فسقطت عنهم التكاليف والعبادات، أو أنه طالما أن المكتوب فى القدر واقع فلا ملامة عليهم فيما يصدر عنهم، أو أن الأمور تستوى فى المعصية والطاعة طالما أن الله مستغن عن الأعمال ولا يتأثر بها، وأن رحمته وسعت الجميع فلا وجه للحرمان والمعاناة والتعب، ومن ثم ذهبوا إلى تأويل الأحاديث والقرآن، وقالوا الأوامر والنواهي رسوم العامة، وأما هم فقد تجوهروا لما وصلوا، ولو تجوهر العامة لسقطت عنهم تلك الأوامر والنواهي، ومن بالغ منهم فى الرياضة وفتح الله عليه بالكلمات اللطيفة أو رأى الرؤى التى تشمرها الخلوة والتفكير ادعى الكرامات وكانت لهم شطحات، مثلما قال البسطامى إن النار إذا رأته تحمد فيكون ظهوره عليها رحمة للخلق، أو أنه فى الآخرة سيسأل الله أن يدخله النار ليعلم الخلائق أن برَّ الله ولطفه فى النار مع أوليائه، وذلك وغيره كله من أقبح الأقوال والأفعال ويتضمن تحقير ما عظمه الله وحضَّ عليه وكان سنة النبى ﷺ والسلف الصالح .

الجوعى

أبو عبد الملك القاسم بن عثمان، دمشقى مات سنة ٢٤٨هـ، ومذهبه الجوع، يقول سُميت الجوعى لأن الله قوتى عليه فكنت شهراً لا أكل ولا أشرب، ولو تركونى لزدت، وكنت أقول اللهم أنت فعلت ذلك فأتمه على بتمك . وقيل الجوعى اثنان بنفس الاسم، أى القاسم بن عثمان، أحدهما يقال له الكبير حكى عنه ابن أبى الحوارى، والآخر من أقران السرى والحارث وكان أبو تراب يصحبه، ولم يتأكد

لدينا ذلك ويبدو أنهم خالفوا بينها بحسب الرواة عنها، وعلى أى الأحوال فذهب الجوعية يعنى التصوف، وكان الصوفية يلقبون بالجوعية، إلا أن دعوة ابن عثمان أصلها أن المعدة أساس البلاء، والجوع مخ العبادة.

إصبر على كسرة وملح فالصبر ممّتاح كل زئير
واقع فإن القنوع عز لا خير فى شهوة بسّير

وينتقد الجوعى الأولياء الذين قدّوا مذاهم على المحبة دون الجوع فأحبوا لذات الأطعمة والأشربة والشهوات ولذات الدنيا «لأنهم تلهوا بلذة ليس فوقها لذة»، فقطعتم عن كل لذة. والجوع الذى يقول به يفلسفه بأن محبته، على عكس ما يذهب الأولياء، تنصرف إلى المعرفة، فاعبد الله بتسوى أفضل من المعرفة.



جولد تسيهر Goldziher

(١٨٥٠ - ١٩٢١) مجرّى انتسب لفترة إلى الأزهر واستمع إلى الشيخ محمد عبده، وله مصنفات مشهورة فى الإسلام، وفى التصوف رسالة الحسين بن منصور الحلاج نقد فيها كتاب الطوايس لماسيون، ودراسة عن الأولياء وتكريمهم فى الإسلام، ودراسة عن الزهد الصوفى، وعن الصوفية.



الجيلانى (عبد القادر)

أبو محمد محي الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلانى أو الجيلى (٧١٨هـ - ٥٦١هـ) صاحب الطريقة القادرية، ونسبه إلى جيلان من طبرستان، تلقى الطريقة من حماد الدباس، وأخذ الخرقه من ابن سعد المبارك، واشتغل بالقرآن فى مبتدئه وتفقه على مذهب ابن حنبل. وله فى التصوف مصنفات «الغنية لطالب طريق الحق» و«الفتح الربانى» و«فتوح الغيب» و«الفيوض الربانية».

وكان يأكل من عمل يديه، وبرع فى الوعظ وتكلم للناس فى الزهد فكثّر مریدوه، وأقام فى مدرسته يدرس فيها ويتخذها رباطاً إلى أن توفى، وقالوا فيه إنه أول من نادى بالطرق الصوفية وأسّسها، وأنه فاق أهل زمانه فى علوم الدين، وكانت له القدم الراسخة فى المجاهدة وقطع دواعى الهوى والنفس، ووقع له القبول التام حتى أن

عبد الله بن قدامة (٥٤١ - ٦٢٠ هـ) الفقيه الحنبلي المشهور وصاحب رسالة «ذم ما عليه مدحوا التصوف» امتدحه فقال : لم أسمع عن أحد يحكى عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عنه ، ولا رأيت أحداً يعظمه الناس للدين أكثر منه . وأشاد بسلوكه ابن كثير لقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزهده ومكاشفاته وورعه وصلاحه ، وتأثر به الإمام ابن تيمية وقال عن طريقته إنها الطريقة الشرعية الصحيحة . والتصوف عند الجيلاني ليس أقوالاً تقال ولكنه طريقة فيها الجوع وقطع المألوفات والمستحسّنات . والخصال التي ينبغي أن يأخذ الصوفى بها نفسه هى نفسها خصال الأنبياء عليهم السلام ، كالصبر الذى تحلى به أيوب ، وكل نبي له خصلة ، والمتصوف يكون فى الابتداء ويتكلف هذه الخصال ، وأما الصوفى فهو الذى انطبع بها فزهّد الدنيا وفنى عنها بحيث تأتبه الأشياء فلا يريدّها ولا ينفقها ، وإنما هو المتمثل لله فيها ، والمتنظر لفعل الله معه بشأنها . وتعريف التصوف الذى يؤثره الجيلاني هو أنه من الصفاء من أدران النفس والهوى ، وأنه الصديق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق ، ويهدف من ذلك أن يخلص التصوف من البدعية ويلزم مريديه بالآداب الشرعية سواء فى سلوكهم مع شيوخهم ، أو مع بعضهم البعض ، أو فى ذكرهم ومجالسهم وخدمتهم لإخوانهم . وعنده أن كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهى زندقة ، وأن المتصوف لا ينبغي أن يحترع لنفسه عبادات وصلوات لم يكتبها الله عليه ، فذلك شأن من ضلّوا السبيل وابتدعوا الرهبانية وما كتبها الله تعالى عليهم ، والصواب فى التصوف كطريق للعبادة أن يلتزم المتصوف الكتاب والسنة التزاماً حرفياً ، وخاصة فى الجانب المعرفى للتصوف أو جانبه الكلامى ، فيذهب الجيلاني إلى تعريف للفناء يخالف به الصوفية ويربطه كأحد المقولات الرئيسية فى التصوف بالسنة المحمدية ، وهو عده أن يفنى العبد عن أهوائه ويفعل إرادة ربه بالالتزام بأوامره ونواهيه ، وهو لذلك لا يشتط فى التنظير لطريقته ويحصرها فى عدد من المقامات يربط بينها وبين المعروف عند أهل السنة منها ، وطريقة الجيلاني لذلك طريقة سهلة على المسلم ، ومفهومة ، وتتفق مع روح الإسلام ، ولا تباعد بين المتع والسلف ؛ فإذا كان الفناء هو أعلى مقام السالكين فإنما هو كذلك لأن الذى يبلغه هو المتحقق بالقرآن والسنة ، عبث الأمر الإلهى وليس عبثاً هو ، وفى مقام الفناء يكون العبد مع الله كالطفل مع الظئر والميت مع الغاسل والمريض المقلوب على جنبه بين يذى الطبيب . والصوفى المتحقق هو الذى فى مقام الفناء يفنى عن الخلق والهوى والإرادة والرغائب فيصل إلى الله ، لا بالمعى الاتحادى ، ولكن بمعنى أنه يخرج عن خلقه وهواه وإرادته ومناه . والمريد اشتقاقها من الإرادة .

وطريق الإرادة يقتضى معرفة المراد وهو الله تعالى، ثم تكون الإرادة هى إرادة ما يريد الله تعالى، باتباع أوامره ونواهيه، وذلك هو معنى التوحيد، وتلك حقيقته. والفناء فى هذا التوحيد هو فناء المرسلين والمؤمنين، وهو أن تبنى عبادة الحق عن عبادة سواه، فتطعيه وتسأله، وتخافه وترجوه، وتحبه عن كل ما سواه. وطريقة الجيلانى فى التصوف أساسها أن بلوغ مقام الفناء هو أن يعمل السالك على أن لا تكون له إرادة مع الله تعالى من حيث هواه، فهو يريد ما يريد الله بالتزام كتابه وسنة نبيه. والبقاء المقابل للفناء هو البقاء بالشرعية وتقديمها على أى ذوق صوفى يمكن أن تكون فيه مخالفة لها. وإذا كانت الشريعة مطلوبة فى أعلى المقامات فهى ألزم فى المقامات الأدنى. ومن اللازم دائماً أن يكون للمؤمن فى سائر أحواله ثلاثة أشياء: أمر يمثله، ونهى يجتنبه، وقدر يرضى به. وأقل حالات المؤمن لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء، وينبغى له أن يلزم همها قلبه ويحدث بها نفسه ويأخذ جوارحه بها فى كل الأحوال. والأصل عنده فى الأكل أنه بالسنة وبالكسب من حلال الدنيا، لكن التعويل على الخلق فيه، دون الله، إشراك به، وكذلك الاطمئنان إلى الكسب ونسيان فضل الله تعالى هو شرك خفى، والأولى بالمؤمن أن يؤمن بأن الله وحده هو الرزاق والمعين على الكسب والميسر له، فإذا كتب لك شيئاً من الكسب فإنه سبحانه يوجد عندك الشهوة لتحصيله، فيكون سعيك إليه وإظهار براعتك واستحقاقك له، فيسوقه إليك ويوصلك به عند الحاجة، ثم يوفئك إلى أنه منه، وأنه الذى يسوقه ويرزقك به، ومن يدرك ذلك ويعيه فإن الطمأنينة تلحقه ولا يكون له القلق.

وأما البلى والمصائب التى يمكن أن يأتى بها القدر فمن اللازم أن يعى أن الحياة فيها المرض والأوجاع والمصائب، وكذلك فيها أنواع النقم، ومن يجهل ذلك فقد جهل الدنيا، والرشيد هو من يقوض أمره الله ويسلم نفسه لقدره. والشأن مع الدنيا كالأجير الذى لا بد له من أن يكد ويتعب ويشقى ويتألم ويطيع رغبة مخدومه فيحصل فى النهاية على ما تستقيم به حياته من مال، أفلا يكون ذلك أدعى مع المولى سبحانه بأن نصبر على البلاء والمرض، وأن نروض أنفسنا على طاعة أوامره ونواهيه، طمعاً فى حسن ثوابه وطيب العيش فى الآخرة؟ والفضائل أو الخصال الجامعة التى ينصح بها الجيلانى للمريدين سبع هى مجاهدة النفس عن هواها، والتوكل على الله، وحسن الخلق مع الناس، و"لله، والصبر على قضائه، والرضا بقدره، والصدق فى كل أمر، وهى التى يحتاج إليها كل أحد فى كافة أموره فى الحياة.

ولإبراهيم بن على القادرى (نحو ٨١٦ - ٨٨٠هـ) الشافعى الحلبى كتاب

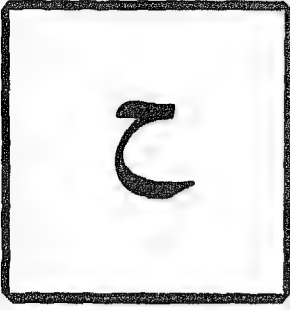
«الروض الزاهر» فى مناقب الشيخ عبدالقادر، وكان شديد الولع بجمع أخبار الصوفية حتى كتب منها مجلدين .



جينو

رينيه جينو Guenon (١٨٨٦ - ١٩٥١) عكف الدكتور عبدالحليم محمود على كتابة سيرته وضمّنها فى كتابه عن المدرسة الشاذلية وإمامها أبى الحسن الشاذلى، وهو مستشرق فرنسى أسلم وتصوف وتسمى باسم عبدالواحد يحى، وأنشأ مجلة المعرفة (سنة ١٩٠٩)، وكان إسلامه وتصوفه على شيخ يدعى عlish وكان شاذلياً على المذهب المالكي، وعاش جينو فى الأزهر وتزوج مصرية، وظل طابع المجلة التى يصدرها صوفياً، وقارن بين التصوف الإسلامى، والتصوف المسيحى ونبه إلى سمو التصوف الإسلامى. وكانت له كتابات كثيرة ومفالات وبحوث اشتهرت عنه وذكر الدكتور عبدالحليم محمود أنها تضعه إلى جوار الغزالي وأمثاله .





الحافى (بشر)

أبو نصر بشر بن الحارث بن على بن عبد الرحمن المروزى (١٥٠ - ٢٢٧هـ) ولقبه الحافى لأن نعله انقطع، فذهب به إلى الإسكاف يصلحه، فقال له الإسكاف ما أكثر كلفتكم على الناس (يتصد الصوفية) فألقى بشر النعل من يده والآخر من رجله، وحلف لا يلبس نعلًا بعدها، فكان يُرى وقد أسود أسفل قدميه من أثر التراب مما يمشى حافياً.

وبشر أصله من مرو وسكن بغداد، وصحب الفضيل بن عياض. وسئل ما كان بدء أمره لأن اسمه بين الناس كأنه اسم نبي فقال: هذا من فضل الله فقد كنت ماراً فى يوم من الأيام فإذا أنا بقرطاس فى الطريق، فرفعته فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم، فمسحته وجعلته فى جيبى، وكان عندى درهمان ماكنت أملك غيرهما، فذهبت إلى العطارين فاشتريت بهما عطراً، وجعلت أمسح على اسم الله بالعطر، فنمت تلك الليلة فرأيت فى المنام كأن قائلاً يقول لى: يا بشر بن الحارث رفعت اسمنا عن الطريق وطيبته، لأطيبن اسمك فى الدنيا والآخرة، ثم كان ما كان. ويذكره الخليفة المأمون فيقول لم يبق فى بغداد أحد يُستحيا منه غير بشر بن الحارث، ويذكره آخرون فيقولون كانت لدى النون العبارة، لسهل التسترى الإشارة، لبشر بن الحارث الورع.

وطريقة بشر قوامها الورع، يقول للمريدين لا تؤثروا على حذف العلائق شيئاً، إني إن أجبته نفسى إلى ما تشتهى من المطع والملبس خفت أن أكون مكاساً أو شرطياً.

ويقول من لم يحتاج إلى النساء فليتنق الله تعالى ولا يألف أفاذهن ، ويعمل بشر عدم زواجه بشغله بالفرض دون السنة ، لأن الزواج سنة وليس فرضاً . وكان من ورعه يأنف من لقاء الناس ويقول حب لقاءهم من حب الدنيا ، ويتحرج أن يسىء الظن بالناس ، وأن يصاحب الأشرار لأن صحبتهم تورث سوء الظن بالأخيار ، ولا يجد بأساً أن لا يعرفه الناس ، ومن أجل ذلك كان يتحرج أن يتحدث عن رسول الله ، ويتحرج أن يطيل فى صلاته فى ركوعه وسجوده ، ويسمى ذلك سرائر الشرك ، واختار صحبة أصحاب رسول الله على صحبة الناس ، ويقول ما أنا بشيء من عملى أوثق به منى بحبى أصحاب رسول الله . والعلم عنده يسبق العمل ويترب عليه ، فمن علم عمل وعلم ، وذلك هو الذى يُدعى عظيماً فى ملكوت الساء . والعلم أداة الأنبياء ، والنبي ﷺ أدّى علمه إلى أصحابه فتمسكوا وعملوا به وحفظوه ، وأدّوه إلى قوم أدّوه إلى آخرين ، حتى صار العلم إلى قوم يأكلون به

ذهب الرجال المرتجى لفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر وبقيت فى خلف يزين بعضهم بعضاً ليدفع معور عن معور

وبشر لذلك لا يريد من أصحابه أن يحدثوا أو يشهدوا أو يؤثروا قوماً ، أو يأكلوا لأحد طعاماً ، ويقول عن نفسه لو علمت أن أحداً يعطى الله لأخذت منه ، ولكنه يعطى بالليل ويحدث بالنهار . ويأمر أصحابه أن لا يكذبوا ويقولوا توكلنا على الله لأنهم لو كانوا صادقين فى توكلهم لرضوا بما يفعلهم بهم ربهم . ويعصف الفقراء ثلاثة ، فقير لا يسأل وإن أعطى لا يأخذ فهو من الروحانيين ، فإذا سأل الله أعطاه وإن أقسم على الله أبره ؛ وفقير لا يسأل فإن أعطى قبل ، فهو من أواسط القوم وعقده التوكل والسكون إلى الله ، وهو ممن توضع له الموائد فى حظيرة القدس ؛ وفقير اعتقد الصبر ومدافعة الوقت فإذا طرقت الحاجة خرج إلى عبيد الله وقلبه إلى الله بالسؤال ، فكفارة مسألته صدقة . ويتحسر بشر على ما كان للصوفية قديماً ويقول فيهم حسبك أقوام موتى تحيا القلوب بذكرهم ، وأن أقواماً أحياء تقسو القلوب برؤيتهم . فلما رأى بشر شاباً يلبس مرقعة قال له : ثوب شهرة يكرمك الناس من أجلها ، فأجابه الشاب : إني لبستها ليعلم الناس أنى أعبد الله فيكرمونى لأجله ، فقال بشر : أحسنت ! مثلك من يصلح له لبس المرقعة ! وينصح بشر مريديه فيقول : انظروا خبزكم من أين هو ، وانظروا مساكنكم التى تتقلبون فيها كيف هى ، والزمو الأسواق لكى لا تتكفؤوا الناس ، ولا تحبوا الشاء ولا أن تُحمدوا ولا أن تعرفوا . وسأله أحدهم أين يعبد الله ، فقال له أصلح سريرتك أولاً ثم

اعبده حيثما شئت . وسأله أحدهم ألا تريد أن تصلى فى الصف الأول ، فقال له إنما يريد الله قرب القلوب لا قرب الأجساد . ويقول بشر أولى درجات الطريق التوبة ، وصدق التوبة فى اتباع القرآن ، فالقرآن يدل على الداء والدواء ، والذنب لا يصلحه إلا الاستغفار ، وإن لم تطع الله فلا أقل من أن لا تعصاه ، وهب أنك لا تخاف منه ألا تشتاق أن تعرفه ؟ إن من يحرم المعرفة لا يجد للطاعة حلاوة ، وحلاوة العبادة لن يجدها العبد إلا إذا جعل بينه وبين الشهوات حائطاً من حديد .

ويبدو أن بشراً كتب فى الزهد فقد ذكر ذلك صاحب الفهرست ، وتأثر به الإمام ابن حنبل وضمن كتابه فى الزهد أيضاً شذرات من كتاب بشر . وربما كان اسم الزهد هو الذى يفضل به البعض للتصوف ، وصنف عبد الله بن المبارك كتاباً فيه ، وكان الإمام أحمد ينصح تلاميذه بقراءته بدلاً من قراءة كتاب المحاسبى الصوفى رعاية حقوق الله . وبشر كان من المحدثين ولكنه ترك رواية الحديث فقد تخرج أن يرويه بعد أن تصوف وزهد ، ويعده ابن حبان من الثقات ، ويبدو أنه فى كتابه الزهد قد أسنده بطريقة الإمام ، ولم يكن بشر حنبلياً وإنما على مذهب الثورى وإن تفوق فيه عليه كما يقول النقّاد . ويعتقد المؤرخون مقارنات بين الإمام أحمد وبشر ، ويفضل بشر الإمام أحمد على نفسه بثلاث ، فالإمام طلب الحلال لنفسه ولغيره بينما بشر طلبه لنفسه فقط ، والإمام اتسع للنكاح أى الزواج ، وبشر ضاق به ، والإمام كان إماماً للعامة وبشر طلب الوحدة لنفسه . وكانت مسألة عدم زواج بشر من المسائل التى كثر الجدل حولها ، ويعلق الإمام أحمد بأن بشراً لو تزوج لثم أمره ، والعامة يقولون إن بشراً بتركه للسنة يتشبه بالرهبان ، وبشر يعتذر عن نفسه بالقرآن فى قوله تعالى ولهن مثل الذى عليهن ، فكان يخشى لو تزوج أن لا يعطى من يتزوجهن من حقوقها بقدر ما يتقاضاها من واجبات . ورغم هذا التبرير الذى يسوقه فقد كان يعلم فى قرارة نفسه أنه مقصّر ، فلما جاءه رجل يطلب منه أن يدعو له بالرزق بسبب ما يعانى من كثرة النفقة والعيال ، أجابه بشر بل ادع أنت لنفسك لأن حالك عند الله خير منى . والسبب أن بشراً كان يرى أنه لم يأخذ بالسنة التى أخذ بها الرجل ، وكان يرى أن جماع الأمر كله فى كتاب الله وسنة نبيه ، وأن المؤمن يبلى فيمتحن ، فلما أخذوا الإمام أحمد وضربوه بالسياط فى محنة خلق القرآن علّق بشر : أدخل أحمد بن حنبل الكير فخرج ذهباً أحمر . وبلغ ذلك أحمد بن حنبل فقال الحمد لله الذى أرضى بشراً بما صنعنا . وبشر من مذهبه أنه لا ينبغي أن يتصدى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا من يروض نفسه على الصبر على الأذى ، ومعرفة الخير والشر لا تكفى وإنما لابد فيها من العمل كما أسلفنا . والجدير

بالذكر أنه كانت لبشر ثلاث أخوات حالهن هو حاله من الورع ، وكانت كبراهن يقال لها مضغة وماتت فى حياته فحزن عليها حزناً شديداً . وكان يقول فى حسرة : قرأت فى بعض الكتب أن العبد إذا قصر فى خدمة ربه سلبه أنيسه ، وهذه أختى مضغة كانت أنيستى فى الدنيا ! وأما الأخت الوسطى فكان اسمها محبة ، وكانت كثيرة التردد على الإمام أحمد بن حنبل تسأله فى أمور دينها فيعجب لما تسأل ولشدة ورعها ، وجاءته يوماً تقول له إن رأس مالها دانقان تشتري بهما القطن لتغزله وتبيع نتاجه بنصف درهم فتتقوت بدانى من الجمعة إلى الجمعة ، ولكنها فى ليلة من الليالى مرميها رجل يحمل مشعلاً وجعل يكلم أصحابه ، فانتهزت الفرصة واستأنفت شغلها فى نو المشعل ، وظل الرجل يتحدث مع إخوانه وهى تشتغل ، فلما انصرف وجلست إلى نفسها ساورتها الشكوك أنها فعلت إثماً فقد أخذت من نور ينفق عليه غيرها ، فلما عرضت مسألتها على الإمام طلبت أن يفتيها ، فما كان منه إلا أن قال لها تخرجين الدانقين وتبينى بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيراً منه . وقال الإمام لأصحابه فى تبرير فتواه أن سؤلها لا يحتمل تأويلأ آخر غير هذا ، لأنها أخت بشر وصادقة كل الصدق فى ورعها ، فلا بد أن يصدقها النصيحة ويعطيها جواباً يتفق مع مقامها وحالها . وسألته مرة هل أنين المريض شكوى من الله تعالى ، فأجابها أرجو أن لا يكون شكوى منه ولكنه اشتكاه إليه عز وجل . وقال الإمام لأصحابه ما سمعت قط إنساناً يسأل عن مثل هذا إلا أن يكون هذا الإنسان أخت بشر . أما الأخت الثالثة واسمها زبدة فن أفوالها : أثقل شىء على العبد الذنوب ، وأخفها عليه التوبة ، وأعجب أن لا يدفع أثقل شىء بأخف شىء . وهذه الأخت هى التى يقول عنها بشر إنه تعلم الورع منها فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل ما لمخلوق فيه صنع .



حتى

فيليب حتى الأستاذ بجامعة برنستون والمشرف على الدراسات العربية بها ، وله تلاميذ كثيرون من العرب ، من سوريا ولبنان خصوصاً ، وهو لبنانى الأصل وأمريكى الهوية ، وكتبه وبحوثه ومنشوراته فى التاريخ والفكر العربيين لا تحصى . ويعقد فى كتابه تاريخ العرب فصلاً عن التصوف يقول فيه مقالة النصارى والمستشرقين أن التصوف يمثل حركة معاكسة للنظر العقلانى فى الدين ، وأساسه نفسى وهو تشوق المرء

إلى التفرب من الله والاتحاد الشخصى بالحقيقة الدينية (!!)، ويعود بأصله كسواه من الحركات الإسلامية إلى القرآن والحديث، بل إن علاقة محمد بالله تركز على الشعور المباشر بالحضرة الإلهية، وقد أصبح أصحاب التصوف يعدون أنفسهم المفسرين الحقيقيين لتعاليم النبی الباطنية الواردة فى الحديث. وكان التصوف فى بدايته مقصوراً على الحياة الزهدية القائمة على الاعتزال والتأمل كما هو الحال عند النساك النصارى، ثم أصبح فى القرن الثانى للهجرة وما بعده حركة تجمع المعتقدات من مصادر شتى نصرانية وأفلاطونية جديدة وغنوسية وبوذية (!!)، وتدرج من مذاهب السلوك إلى مذهب الاتصال بالله وشمول الألوهية. أما لبس الصوف فأخوذ عن رهبان النصارى، ومنهم أيضاً أخذت فكرة العزوبة أو التبتل التى لم تكن من الإسلام فى شيء، وفى التأملات الفردية والتنبه الطويل والانصراف إلى الحلوات شيء من تأثير الصوامع السريانية. أما نظام الطريقة ومنه الشيخ والمريد كما كان عند النصارى الكاهن والمبتدئ فهو نظام يحاكى الرهبة بالرغم من الحديث المنسوب إلى النبی لارهبانية فى الإسلام. وكذلك حلقات الذكر وهى الطقس الدينى الوحيد فى الإسلام فإنها تم عن أصل مسيحى. وتشير التقاليد الصوفية المختصة بالآخرة وبالمسيح الدجال إلى أثر متصوفين أصلهم نصارى ويهود، وأما حركة الزهد عند المسلمين فإنها لم تلبث أن تأثرت بالمؤثرات النصرانية والأفكار الهيلينية فأصبحت فى القرن الثانى للهجرة طريقة تصوفية هدفها المعرفة بالله، وهى شكل من الغنوسية عند اليونان. وقد أنشأ عقيدة المعرفة هذه أبو سليمان الداراني، ولكن أول صوفى أخذ بمذهب السلوك دون التزهد هو معروف الكرخي وكان نصراني الأصل، أو لعله كان على مذهب الصابئة واشتهر حين تصوف بحب أو عشق الله. وتطور التصوف النظرى إلى مذهب الاتصال بالله، وتم الانتقال فى عهد الترجمة اليونانية وبتأثير الأفكار الهيلينية. وتم الانتقال من مذهب الاتصال إلى القول بشمول الألوهية بتأثير الفكر الهندى الإيراني. وقد حفظ لنا صاحب الأغاني صورة واحدة على الأقل ظهرت فى تضاعفها وجهة النظر البوذية. أما النساك الزنادقة الذين وصفهم الجاحظ فهم إما من معاصر الساذو المنود والنساك البوذيين أو من مقلديهم. وقام بايزيد البسطامى وكان جده مجوسياً فأحدث القول بقانون الفناء الذى تنعكس فيه فكرة النرفانا. ويمكن أن نعد الصوفية المنظمة الكهنوتية الوحيدة فى الإسلام. فضلاً عن التنسك والطقوس الدينية أدخل المتصوفون إلى الإسلام أموراً أخرى منها استعمال السبحة عند المسلمين، وهى هندية الأصل، ولعل المتصوفين استعاروها من البيع النصرانية الشرقية وليس من الهند

مباشرة. وعى زمن الحروب الصليبية اتصل أمرها بالعالم الغربى الكاثوليكى،
ووردت أول إشارة إلى السبحة فى الأدب العربى فى شعر أبى نواس. وفوق هذا
أخذت أهل التصوف عادة تكريم الأولياء على طريقة النصارى. ومن المتصوفين
السهروردى الذى قتل فى طب متهماً بالزندقة، وفى دعاء له تركه يظهر أن مذهب
المتصوفين كان مديناً فى فكرة الاتصال بالله للفلسفة الأفلاطونية الجديدة وللنصرانية
أيضاً!!

الحرّاق

محمد بن عبد الواحد العلمى الشاذلى الدرقاوى، وشهرته الحراق، له ديوان العلمى
سلك فيه طريقة ابن الفارض، ويشتمل على تواشيح وأزجال، وشرح الصلاة
المشيئية، سبّة إلى عبد السلام بن مشيش الذى أخذ عنه الشاذلى التصوف، ومن
تلاميذه ابن العربى الدلائى المتوفى سنة ١٢٨٥هـ كتب ترجمته باسم النور اللامع
البراق فى ترجمة محمد الحراق. وكانت وفاة الحراق بتطوان سنة ١٢٦١هـ.

الحروفية

تقوم دعوى الحروفيين على أن الأصل فى العبادة هو اللفظ، وبه يمكن للإنسان أن
يتواصل بالله، والمعرفة هى أيضاً معرفة بالألفاظ لأنها مظهر للموجودات، واللفظ لذلك
مقدم على المعنى، ولا يمكن تصور معنى دون لفظ. والحروفية دعوى شيعية فارسية،
فهم يرون أن التعبير عن المعانى بالحروف وأصواتها يكتمل فى الحروف العربية وعددها
٢٨، والحروف الفارسية وعددها ٣٢، والصلة بين الحروف فى اللغتين فى حروف
«اللام ألف» الذى يجمع فى حقيقته الحروف الفارسية الزائدة على العربية، لتكون
اللغة الفارسية مفسرة للغة العربية، وليكون المذهب الشيعى هو المذهب المؤول للقرآن.
ويطبق الحروفيون عدد الحروف العربية والفارسية على كل مظاهر العالم الظاهرة
والباطنة، ويبدأون بآدم وخلق العالم فى ستة أيام، ويأولون أوائل السور القرآنية

التميزة بالحروف المقطعة. ودور النبي موسى فى الحروفية أساسه أنه كليم الله، والمسيح هو المثل الأعلى لأنه كلمة الله، ومحمد لأنه بعث بجوامع الكلم، وعلى لأنه كلام الله الباطن. وطموح صوفية الحروفية هو ولاية على. ومؤسس الحروفية فضل الله بن عبد الرحمن الحسيني، الشاعر الفارسي المتخلص بنعيمى، وهو الداعية، وولادته بشروان سنة ٧٤٠ هـ من أسرة صوفية من الانحادية، وكان يدعى بين الناس بفضل الله حلال خور، أى حلال المطاعم، لأنه كان يخطط الطواقى الأعجمية ويقتات بشمها، أو لأنه لم يضع فى فمه طعاماً لم يعمل للحصول عليه عملاً من يديه. ويقوم مذهبه الحروفى على دمج المهدية الشيعية بالقبطية الصوفية، ولبس اللباد الأبيض على رأسه وبدنه هو وأتباعه إشارة إلى الكفن الذى يضعه جنود المهدي على أجسادهم مبايعين له على الموت. ودعوة فضل الله كما يقول الدكتور الشيبى هى دعوة قوامها أنه خليفة الله كآدم وعيسى ومحمد اجتمعت فيه مثل الصوفية والشيعية لإيقاظ العالم بالجهاد، أى بالسيف أو الدم، فهو المهدي وخاتم الأولياء معاً. وله فى ذلك ثلاثة كتب هى «الجاودان نامة» أى كتاب الخلود، «ومحبة نامة» و«عرش نامة» وهما أشعار مقدسة، وكتب أخرى غير مقدسة. ولما قُتل فضل الله تفرق من بنى من أتباعه، واستمرت دعوتهم حتى دخلت الحروفية الكثير من التفسيرات الصوفية، وكان ابن عربى من الحروفين، وضمن الفتوحات المكية من الباب الثانى إلى السابع بعض هذه المعارف الحروفية، مطابقاً بين عدد الحروف الثمانى والعشرين ومنازل القمر، ومطابقاً السباعيات للكواكب السيارة، ورابطاً عدد الأسماء الحسنى بعدد العوالم، وحقيقته بحقيقة هذه العوالم، يجمعها الاسم الأعظم المستغرق لكل الحقائق ووحدته الوجود، واعتبر عيسى من أعيان الوجود بكونه كلمة الله، وربط ذلك بمعنى جوامع الكلم التى وهبها الله للنبي، وبالأسماء التى علمتها آدم لتجتمع كلها فى الإنسان الكامل الذى ورث العلوم الإلهية باعتباره الجامع لكلمات الله. ومن رأى الدكتور الشيبى أن الحروفية تستقى من مصادر صوفية إسلامية وغير إسلامية، وأنها كما يقول المستشرق براون تعبير عن الروح الفارسية التى لا تهب الكلام فى الزندقة، وأن فضل الله الحروفى هو رجعة لخسرو من غيبته فى الغار، ومظهراً لخلصهم القديم من الفتح العربى، وقائداً للعنصر الفارسي بالسيف. وللحلاج عند الحروفين مقام سام حتى جعلوه رأساً من رعوسهم، وكذلك الشبلى، وابن عربى، والطارق، وابن أدهم، وفى ذلك يقول الشاعر نسيمى:

الشبلى قطرة من بحرنا وأدهم نقطة من حروفنا

وقد بدأ نفذ الحروفية الصوفية باعتبار مذهبهم أوسع من التصوف، ثم زادوا فنقدوا المثل الصوفية، وسمّوا الصوفية بأهل الظاهر.

ابن حزم الأندلسي

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، صاحب الفصل في الملل والأهواء والنحل، وأحد أئمة الإسلام، وأتباعه يسمون الحزمية، وميلاده بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، وكانت له رئاسة الوزارة ولأبيه، وزهد فيها وانصرف إلى العلم والتأليف، وقيل بلغت مصنفاته نحو الأربعمئة مجلد، وكان شديد النقد حتى قيل: «لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان»، وكان في أول أمره شافعيًا وانقلب ظاهريًا، وأبطل ما لا يستند إلى القرآن والحديث، ولم يأخذ إلا بظاهر لفظها، وأنكر التوسل بالأولياء ومذاهب المتصوفة الذين ادعوا أن الولي أفضل من النبي ومن الملائكة، أو قالوا أن من عرف الله حق معرفته فقد سقطت عنه التكالييف والشرائع، أو قالوا بحلول الباري تعالى في أجسام خلقه كالخلاج وغيره، أو ذهبوا إلى تأويل كلام الله، وادعاء النبوة، أو تلاعبوا فقرروا صلوات غير الصلاة، أو عدداً لها غير عددها. ويقول ابن حزم محذراً منهم جماعات المسلمين: فلا يغرنكم أهل الكفر والإلحاد، ومن موه الكلام بغير برهان بتمويهات ووعظ على خلاف ما أتى به كتاب الله وكلام نبيه، فلا خير فيما سواهما، فدين الله تعالى ظاهر ولا باطن فيه، وهو جهر ولا سر تحته، وكله برهان ولا مسامحة فيه، وكل من يدعو أو يتبع بلا برهان فهو متهم، وكل من ادعى للديانة سرًا وباطنًا فهي دعاوى ومخارق، ورسول الله لم يكتّم من الشريعة كلمة، لا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة، أو ابن عم، أو صاحب، على شيء من الشريعة كتمه عن الأحر والأسود ورعاة الغنم، ولا كان عنده عليه السلام سر، ولا رمز، ولا باطن، غير ما دعا الناس كلهم إليه، ولو كتمهم شيئاً لما بلغ كما أمر، ومن قال هذا فهو كافر، فإياكم وكل قول لم تبين سبيله، ولا أوضح دليله، ولا تعوّلوا عما مضى عليه نبيكم ﷺ، وأصحابه رضوا الله عنهم، فالزموا مانص عليه ربكم تعالى في القرآن بلسان عربي مبين، لم يفرط فيه من شيء، تبياناً لكل شيء، وما صح عن نبيكم برواية الثقة من أئمة أصحاب الحديث، مسند إليه عليه السلام، فهما طريقتان يوصلانكم إلى رضا ربكم عز وجل. ويبدو أن ابن حزم قد أكثر من خصومه فتمالأوا

على بغضه ، وأجمعوا على تضليله ، وآلبوا عليه أصحاب السلطان ، وأثاروا عليه العامة ، فاضطر أن يغادر إلى بادية لبلة وتوفى فيها سنة ٤٥٦ هـ ، وما أشبه ما جرى له بما جرى للإمام ابن تيمية ، فكلاهما لم يصانع أحداً ، وكان فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة ، ودافع عن سنن السلف الصالح بأدلة لم يُسبق إليها مع أنها مستقاة من القرآن والحديث ، إلا أن حرите في الجدل والمناظرة جلبت عليه عداوة الكثيرين من علماء سائر المذاهب ومشايخ الصوفية .

■ ■ ■

الحفنى

عبد المنعم بن محمد الحفنى له الموسوعة الصوفية ، كتبتها جامعة شاملة ، وضمتها أعلام الصوفية ومذاهبهم وأقوالهم وأحوالهم ومواقفهم ؛ ومعجم المصطلحات الصوفية وهو جامع الغريب وغير المؤلف من ألفاظ الصوفية ، على مختلف مقاصدهم من استخدامها ؛ ومعجم مصطلحات التصوف المسيحى حيث تكمل الفائدة بمقارنة هذين النوعين من التصوف ، الإسلامى والمسيحى ، وبيان تهاافت الدعوة بأن التصوف الإسلامى قد تأثر بالتصوف المسيحى ؛ **والبديع من أشعار الصوفية** ، وهو مجال قلما يتطرق إليه بحث الباحثين ؛ **والتعريفات** وهو الكتاب المرجع للكثير من الألفاظ الصوفية وغيرها من ألفاظ الفلسفة والمنطق والفقه واللغة ، والذي وضعه السيد الشريف على بن محمد على الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ ؛ **وقوت القلوب** الموسوعة الإسلامية الكبرى والكتاب المرجع فى التصوف لأبى طالب المكي ، ورابعة العدوية يرد به على دعاوى الدكتور عبدالرحمن بدوى فى سيرة هذه العابدة الخاشعة ، وعمر الحليام وهو دراسة نفسية لهذا الشاعر تحسم الزعم بأنه من الصوفية ، والتفسير الصوفى للقرآن عن الشيخ الكبير محي الدين بن عربى ؛ **والبراهين العقلية لوجود الله** والرد على الماديين **والطبيين والمنكرين** ، وهو أقسام ، فنه البراهين التى أوردها الإسلاميون ، والبراهين التقليدية فى الفلسفة التى بدأت مع أرسطو ، ومنه براهين ابتدعها المسيحيون أو طوروها عن الإسلاميين ، وبراهين عرضها فلاسفة كبار مثل كنت وديكارت ، وبراهين جديدة فى بابها مثل برهان الحرية والبرهان الاجتماعى وبرهان الوعى . والدكتور

الحفنى درس فى القاهرة وكاليفورنيا وهايدلبرج ، وله أربعة وسبعون مصنفاً ، منها موسوعة الفلسفة ، والموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، والفلسفة الوجودية ، والمعجم الفلسفى باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية واللاتينية ، وقاموس الألفاظ

اللاتينية فى الفلسفة، وموسوعة علم النفس، وموسوعة التحليل النفسى، والتحليل النفسى للأحلام، ودراساته وعرضه لأية مفاهيم أوروبية من منطلق إسلامى دائماً. والدكتور الحفنى من بيت علم اشتهر بحب المعرفة والاشتغال بها فى مجالاتها المختلفة العلمية والأدبية والفنية والدينية، وجده الأكبر الشيخ الإمام محمد الحفنى، تولى مشيخة الأزهر عام ١١٧١ وتوفى سنة ١١٨١ هـ (١٧٦٧م) وكان بارعاً فى حواشيه الزاهرة على أمهات الكتب الإسلامية، وصاحب مصطفى البكرى وأرشد جمعاً كثيراً.



الحلاج

الحسين بن منصور الحلاج، الشاعر الصوفى صاحب المأسة المشهورة فى تاريخ الفكر والتصوف باسم مأسة الحلاج. واختلفوا فيه فردته جماعة وأنكرته، وقبلته جماعة وأثنت عليه وحكت عنه، وصححت له وجعلته من المحققين. وأصله من البيضاء من كورة اصطخر بفارس، وكان ميلاده سنة ٢٤٤ هـ، وقيل فى اسمه الحلاج أن أباه كان يعمل فى صناعة الحلج، وقال أتباعه إنما سمي كذلك لأنه كان يكشفهم بما فى قلوبهم وأطلقوا عليه حلاج الأسرار، ويبدو أن دعوة الحلاج كانت تتجاوز أن يكون شيخاً صاحب طريقة وأن يكون له اتباع، فقد كان يجمع حوله جماعات الساخطين والمضطهدين والفقراء والمحزونين ويتصل بالجماعات السياسية الثائرة التى تهدف إلى قلب الحكم وخلع الخليفة، ويقول ماسينبون إن الحلاج بعد أن تلقى علوم الصوفية على سهل بن عبدالله التستري، وتلقى خرقه الصوفية عن عمر المكى، توجه إلى مكة مرتين، وظل بصحن الحرم صائماً وصامتاً لمدة عام، مثلاً فعلت مريم بنت عمران، واستعداداً ليلاد الكلمة فيه، ثم اعتصم بقمة جبل أبى قبيس يتعبد ويخلو بنفسه، وبعدها طاف ببلاد الإسلام وتوجه إلى تركستان والهند، وصعد فى السند من ملتان إلى كشمير ثم طرفان، وكان يبشر بالإسلام ويعلم الناس طريقته وكأنه يفكر فى هداية الإنسانية كلها عبر الإسلام، وأطلقوا عليه اسم المغيث والمقيت والمصطلم والمخير، وكانت له كرامات، وفى بغداد صاحب الجنيد شيخ الصوفية، وكان صديقه الشبلى، وتكأماً عليه المريدون، وكان يعظ الناس، ويلقى الشعر فيسحر الألباب، حتى فتنوا به وحكوا عنه الروايات، وكانت تأخذه الجذبة فيقف فى الأسواق وفى

المساجد يصيح: يا أهل الإسلام! أغيثوني! فليس يتركني ونفسي فأنس بها، وليس
يأخذني من نفسي فأستريح منها، وهذا دلال لا أطيعه!

تباركت مشيئتك يا قصدي ومرادي
يا ذات وجودي وغاية رغبتني
يا حديثي وإيمائي ورمزي
يا جميعي وعنصري وأجزائي

ويعلم الحلاج عن حبه العميق لله تعالى فيقول:

يا موضع الناظر من ناظري ويا مكان السر من خاطري
يا جهلة الكل التي كلها أحب من بعض ومن سائري

ويعاتبونه على مخاطباته لله تعالى وأشواقه التي لا يدارى إعلانها فيقول:

الحب مادام مكتوماً على خطر وغاية الأمن أن تدنو من الحذر
وأطيب الحب ماتم الحديث به كالنار لم تؤت نفعاً وهي في الحجر
والأولى بالعتاب هو الله سبحانه:

مازلت أطفو في بحار الهوى يرفعنني الموج وأنحط
فتارة يرفعنني موجها وتارة أهوى وأنفط
حتى إذا صيرني في الهوى إلى مكان ما له شط
ناديت يا من لم أبح بسرهِ ولم أخنه في الهوى قط
تقريبك نفسي السوء من حاكم ما كان هذا بيننا شرط

ويشكو إلى مولاه فقد عذبه الحب وأضناه:

لبيك لبيك يا سرثي ونجواثي لبيك لبيك يا قصدي ومعناثي
أدعوك بل أنت تدعوني إليك فهل ناديت أم ناجيت إياثي
يا عين عين وجودي يا مدي همي يا منطقتي وعباراتي وإعياثي
يا كل كلي ويا سمعي ويا بصري يا جملتي وتباعيضي وأجزائي
يا من به علقته روحي فقد تلفت وجداً فصرت رهيناً تحت أهواثي
أبكي على شجني من فرقتي وطني طوعاً ويسعدني بالنوح أعدائي

حتى لقد عاينه خلقه كل لحظة الحاجب بالحاجب
واستجوبه صديقه الشبلى فى مجلس الشعر فقال وهو يخفى عينيه نصف إخفاء
بطرف كمه : أنا الحق . ويشرح ذلك فيقول :

ياسر سر يردق حتى وظاهراً باطناً تجلى إن اعتذارى إليك جهل يا جملة الكل لست غيرى أذنو فيبعدنى خوفى فيقلقنى فكيف أصنع فى حب كلفت به قالوا تداو به منه فقلت لهم حبى لمولاي أضناني وأسقمنى يخفى على وهّم كل حى لكل شىء بكل شىء وعظم شك وفرط عي فا اعتذارى إذاً إلى ؟ شوق مُمكن فى مكنون أحشائى مولاي قد ملّ من سقمى أطبائى يا قوم هل يتداوى الداء بالدائى فكيف أشكو إلى مولاي مولائى ويجعله الحب محباً لكل المحبين لله مهما كانوا وكانت دياناتهم :	
---	--

ومن أعجب الأشياء ظبى مبرقع ومرعه ما بين الترائب والحشا لقد صار قلبى قابلاً كل صورة وبيت لأوثان وكعبة طائف أدين بدين الحب أتى توجهت لنا أسوة فى بشر هند وأختها يشير بعناب ويومى بأجفان وياعجبا من روضة وسط نيران فرعى لغزلان ودير لرهبان وألواح توراة ومصحف قرآن ركائبه فالحب دينى وإيمانى وقيس ليلى ثم مي وغيلان	
---	--

ولقد أفناه حبه لله عن نفسه فلم يعد هو لنفسه ، وإما صار هو لله ، وانمحت بينه
وبين الحق الأنا والهو حتى قال :

أنا سر الحق ما الحق أنا أنا عين الله فى الأشياء فهل وقال :	بل أنا حق ففرق بيننا ظاهر فى الكون إلا عيننا
--	---

سبحان من أظهر ناسوته ثم بدا لخلقه ظاهراً	سر سنا لاهوته الثاقب فى صورة الأكل الشارب
---	--

وقالوا تزندق! وشكوا إلى الخليفة المقتدر فأمر بالقبض عليه وأتباعه، ونجا الخلاج وقبضوا على أربعة من أتباعه، وبعد ثلاث سنوات قبضوا عليه في واسط عندما استفحل خطره وتعاضم أمره. ويقول المستشرق الكبير نيكلسون أن رجال الدولة ضاقوا بنفوذ الخلاج وصيحاته ونداءاته واستغاثاته وخافوا أن توقف همة الناس. واقتادوه إلى بغداد وناظر العلماء وتناولوا عليه، ونفى ادعاء الألوهية، وذكر أنه ليس إلا عبداً لله يؤمن به وبرسله، ولكنه يدعو إلى الحق وينشد الخير للمسلمين ولا يقر الظلم، وتبرأ من الشهود الذين استدعواهم، واستعاذ بالله من الدعوى، وهاجت الجماهير المحتشدة خارج المحكمة، واستمر الخلاج متحفظاً عليه مدة تسع سنوات، وفيها وضع أهم ما كتب وخلده على مر الأيام، وهو مصنفاته التي بلغ عددها ٤٨ كتاباً، إلا أنهم لما استصدروا آخر الأمر الحكم بإعدامه راحوا يلاحقون أتباعه ويستولون على مآلدهم من أوراق وكتابات له فضاعت جميعها إلا كتاب طاسين الأزل الذي أنقذه من الفناء صديقه ابن عطاء، وماتبقى من أشعاره التي لم يستطيعوا انتزاعها من صدور أجبائه، وشذرات من هنا وهناك عن التصوف. ومن ذلك قوله عن الصوفى: من أشار إليه فهو متصوف، ومن أشار عنه فهو صوفى، والصوفى وحدانى الذات، لا يقبل أحداً. وكلام الخلاج عميق ويحتاج للشرح الكثير، ففى طاسين التوحيد يقول مثلاً: الحق واحد أحد، وحيد موحد، والواحد والتوحيد فى وعن علم التوحيد مفرد مجرد. التوحيد صفة الموحّد، لا صفة الموحّد. وأساء كتبه غريبة عجيبة، فمنها مثلاً: كتاب الصيهور فى نقص الدهور، وكتاب الأبد والمآب، وكتاب كيف كان وكيف يكون، وكتاب هو هو، وكتاب لا كيف. ويقول المؤرخون أنه لما جىء به ليقتل أخذ يتبخر فى قيده وينشد:

طلبت المستقر بكل أرض فلم أر لى بأرض مستقرا
فنلت من الزمان ونال منى وكان مناله حلواً ومرأ
ولما الضفت ورأى الخشبة والمسامير التى سيصلبونه عليها ضحك حتى دمعت عيناه
وزعق على الشبلى: هل معك سجادتك؟ ثم صلى ركعتين فقرأ فى الأولى فاتحة
الكتاب ثم قوله تعالى لنبلونكم بشيء من الخوف والجوع، وقرأ فى الثانية فاتحة
الكتاب ثم قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت، فلما سلم قال: اللهم إنك المتجلى عن
كل جهة، بحق قدمك على حدثى، وحق حدثى تحت ملابس قدمك، أن ترزقنى
شكر هذه النعمة التى أنعمت بها على حيث غيبت أغيارى عما كشفت لى من مطالع
وجهك، وحرمت على غيرى ما أبحت لى من النظر فى مكنونات سرى. هؤلاء عبادك
قد اجتمعوا لقتلى تعصباً لدينك، وتقرباً إليك، فاغفر لهم فإنك لو كشفت لهم

ما كشفت لى لما فعلوا ما فعلوا، ولو سترت عنى ما سترت عنهم لما ابتليت بما ابتليت،
فلك الحمد فيما تفعل، ولك الحمد فيما تريد». ثم دنا منه الجلاد وبدأ يضربه بسياطه
حتى أتمها ألف جلدة، فلما انتهى كان الحلاج قد ذهب فى غيبوبة روحية حتى جعل
يقول :

لديى غير منسوب إلى شىء من الخيف
دعائى ثم حيائى فعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكأس دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح مع النثرين فى الصيف

ثم قال : يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ، والذين آمنوا مشفقون منها ، ويعلمون أنها
الحق ، ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد .
وتقدم السياف ففطع اليد اليمنى ثم اليسرى ، فلم يتأوه ولم يتألم وقال :

وحرمة الود الذى لم يكن يطمع فى إفساده الدهر
مانالى عند هجوم البلا بأس ولا مئنى الضر
ماؤد لى عضو ولا مفصل . إلا وفيه لكم ذكر

وفى غفلة من الجنود الذين كانوا ينالون على الجموع الغفيرة التى جاءت تشهد
صلب وقتل ولى من أولياء الله ضرباً وسباً ، أوفد الشبلى فاطمة الأُموية إلى الحلاج
على الصليب تبلغه : إن الله قد أثمنك على سر من أسرارهِ فأذعته فأذاقك طعم
الحديد، وطلب منها أن تحفظ ما يقول لها ، وأن تسأله — وهذه هى النتيجة فإذا يكون
التصوف ؟ ومضت المرأة وبلغت الرسالة فأنشدها الحلاج :

تحاسرت فكاشفت لك ما غلب الصبر
وما أحسن فى مثلك أن يُستهك السر
وإن عتفنى الناس ففى وجهك لى عذر
كأن البدر محتاج إلى وجهك يابدر

وقال لها إذهى وقولى له ما أذعت له سرا . وسأله — والتصوف ؟ فقال : أهون
مرقاة فيه ماترين . قالت فما أعلاه ؟ قال ليس لك إليه سبيل ، ولكن سترين غداً
ما يجرى ، فإن الغيب ما شهدته وغاب عنك . والله ما فرقت بين نعمة وبلوى ساعة قط .

وفى اليوم التالى عَذَّبوه حتى كانوا يقطعونه عضواً عضواً فكان ينشد :

اقتلوني يا ثقاتى	إن من قتلى حياتى
وماتى فى حياتى	وحياتى فى مماتى
أنا عند مَخو ذاتى	من أجل الكرمات
وبقائى فى صفاتى	من قبيح السيئات
فاقتلوني واحرقونى	بعظامى الفانيات
ثم مروا برفاتى	فى القبور الدراسات
تجدوا سر حبيبى	فى طوايا الباقيات

وقبل أن يضرب السيف عنقه كانت آخر كلمة له : « حشُبُ الواجد أفراد الواحد له » فما سمع بهذه الكلمة أحد من المشايخ إلا ورق له ، ثم ضربوا عنقه ، ولم يبق ببغداد إلا من شهد قتله ، وصبّوا على الجسد النفط وأشعلوا فيه النار ثم حملوا الرماد على رأس منارة لتذروه الريح ، وكان ذلك فى السادس والعشرين من ذى القعدة سنة ٣٠٩ هـ ، ونصبوا الرأس يومين على الجسر ثم طيف به فى خراسان . عليه رحمة الله وسلامه وبركاته .

الحنفى (شمس الدين)

أبو عبد الله محمد بن حسن ، ولقبه الحنفى نسبة إلى مذهبه ، وطريقته هى الطريقة الشاذلية ، وهو خامس الخلفاء فيها ، سكن القاهرة واشتهر بحكاياته مع السلطان بروق وغيره ، وله « الروض النسيق فى علم الطريق » ، وله ديوان شعر ذكره بروكلمان ، وفى شعره شطحات وعبارات ، ومن ذلك :

فإن قلبى بيت لربى تطوف من حوله القلوب

والحنفى نشأ يتيم الأبوين ، وكان جميل السمى ، وكفله خاله الذى حاول أن يعلمه حرفة فكان يهرب منها إلى الكتاب ليحفظ القرآن ويدرس على الفقهاء ، ثم اختلى فى الرابعة عشرة ، وله الأمثال فى التصوف ، ومن ذلك حكايته عن التوبة قال : قالت لى : زرعونى فلما سقونى أسست ، فلما أسست فرعت ، فلما فرعت أورقت ، فلما أورقت أثمرت ، فلما أثمرت أطعمت . وقال : فكان كلامها سلوكا لى .

وكان الحنفى يحب الفاخر من الثياب ، وينكره عليه القوم . وقال عن الولى : هو من قال لا إله إلا الله ، وقام بشروطها ، وشروطها أن يوالى الله ورسوله ، بمعنى أنه يؤاد

الله بشهادته له بالوحدانية، ولمحمد ﷺ بالرسالة. وكان يقول: إذا مات الولي انقطع تصرفه في الكون من الإمداد، وإذا حصل للزائر مدد بعد الموت، أو قضاء حاجة فهو من الله تعالى على يد القطب صاحب الوقت، فيعطى الزائر من المدد على قدر المزور. وهو قول جديد في هذا الأمر من الحنفى يخرج به إلى دائرة العقل. وقالوا في تفسير مقالته: ليس المزور في الحقيقة إلا الصفات لا الذوات، فإن الذوات تبلى وتنفى، والصفات هي الباقية. والناس في الزيارة إنما تتذاكر الصفات. وكان الحنفى نفسه يزور قبر أحد الصالحين وكان في زمنه أباراً، وكلمه أصحابه في سبب هذه الزيارات فذكر أن الرجل كان كثيراً ما يطلب من الناس أن يقوموا لأهل العلوم الربانية، ويعمل طلبه منه أن قيامهم في حقيقته هو قيام لصفة من صفات الله أنار بها قلوب هؤلاء الأولياء. ومات الحنفى سنة ٨٤٧ هـ.

ابن أبي الحواري (أحمد)

ريحانة أهل الشام فقد كان يعظ الناس بأعذب الكلام، ويكثر من القصص، وينسب للتوراه والإنجيل، ويحكى عن السبي ﷺ ويروى أحاديثه. قال عن علي بن فضيل أنه قال لأبيه: يا أبت ما أحلى كلام أصحاب محمد ﷺ، فقال: يا بني وتدرى لما الحلا؟ قال لا يا أبت. قال: لأنهم أرادوا الله به! وهكذا كانت روايات أحمد. وكان كثير الوعظ للنساء ويروى عنهن، وقد روى عن أسماء الرملية والبيضاء بنت الفضل، ورابعة بنت اسماعيل، وتزوجها لما خطبته من نفسه واستشار استاذه أبا سليمان الداراني فيها، وكانت قد ورثت مالاً، ولها طريق إلى الله، فأرادت أن تنفقه على الإخوان، أي الصوفية، فأشار عليه الداراني بالزواج منها، فإن كلامها من الصديقين وإنما لولية لله. ورابعة هذه سمية رابعة العدوية، وقيل اسمها رابعة، وكان الرواة يخلطون بين الرابعتين حتى ظنوا قبرها بالشام هو قبر العدوية. ولم تكن رابعة لها شهوة لابن أبي الحواري، وتحكى أنه عندما كان يجيئها كانت تطعمه الطيبات وتطفيه وتقول له إذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك. وقيل إنه تزوج عليها ثلاث نسوة. ويروى أحمد عن الداراني الكثير، بل ويعتبر في حكم الراوى الوحيد عنه. وكلامه يدور أغلبه على المحبة، أو أن ما يرويه عن الآخرين أغلبه عنها. وهو يروى مثلاً عن أحد الرهبان مبرراً عزلته وحبسه لنفسه: نجد في كتبنا أن بدن ابن آدم خلق من الأرض، وروحه خلق من ملكوت السماء، فإذا أجاع بدنه وأعراه وأسهره نازع الروح إلى الموضع الذي خرج منه، وإذا أطعمه وسقاه ونوّمه وأراحه أخلد البدن

إلى الموضع الذى خرج منه ، فلم يكن شىء أحب إليه من الدنيا . قيل ولهذا سُمى الصوفية باسم الروحانية ، وباسم الجوعية ، لأنهم أجاعوا البدن فصاروا أرواحاً هائمة . واشتهر ابن أبى الحوارى بقصصه أو أمائيله ، ويحكى أن امرأة طرقت بابه وقالت : ضالة ، دلّنى على الطريق رحمك الله . قال : رحمك الله ، على أى طريق تسألين ؟ فبكت ثم قالت : يا أحد على طريق النجاة ! قال : هيات . إن بيننا وبين طريق النجاة عقابا ، وتلك العقاب لا تقطع إلا بالسير الحثيث وتصحيح المعاملة وحذف العلائق الشاغلة عن أمر الدنيا والآخرة . قال فبكت بكاء شديداً ، ثم قالت : يا أحد ، سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تقطع ، وحفظ عليك فؤادك فلم يتصدع . ثم خرت مغشىاً عليها ، فقال لبعض النسوة : انظرن أى شىء حال هذه الجارية ؟ فقمن إليها ففتشنها وقلن إنها ميتة ، فقلت لمن هى ، قالوا : جارية قرشية مصابة وكانت تشكو إلينا وجعاً بجوفها فكاننا نصفها لمتطببى الشام فكانت تقول : خلّوا بينى وبين الطبيب الراهب — تعنى أحمد — أشكو إليه بعض ما أجد من بلائى لعله أن يكون عنده شفائى !! ولاندرى السبب الذى من أجله يصف ابن أبى الحوارى نفسه بالطبيب الراهب ، إلا أن يكون ذلك لاشتهاره بالرواية عن الإنجيل والتوراة . ولعله كان كثير الاقتناء للكتب غير الإسلامية التى يستقى منها درايته بحكايات الصالحين من غير المسلمين ، ولعله فى لحظة زهد فيها فاستغنى عنها وألقاها ، فقد رواوا عنه أنه قال فى تبرير فعلته : نعمّ الدليل كُنْتُ (أى الكتب) ، والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال . وقيل إنه فعل ذلك بعد ثلاثين سنة كان يطلب العلم فيها فلما بلغ فيه الغاية حملها إلى البحر فغرقها وقال : يا علم ، لم أفعل هذا بك تهاوناً بك ، ولا استخفافاً بحقك ، ولكن كنت أطلبك لأهتدى بك إلى ربى ، فلما اهتديت بك إلى ربى استغنيت عنك ! ويبدو أنه قد تعلم أيضاً أن العلم لا يوصل إلى الله تعالى وإنما العلم لغاية أخرى . يقول : لا دليل على الله سواه ، وإنما يطلب العلم لآداب الخدمة . وإن كان للعلم درس قد انتهت إليه فائدته فهو هذا الدرس الذى يحكيه عن أحد الرهبان لما سألته عن الشىء القوى الذى يجدونه فى كتبهم ، قال : ما نجد شيئاً أقوى من أن تجعل حيلك وقوتك كلها فى محبة الخالق ! ونظريته فى المحبة أنه ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغضه حبيبك ، وعلامة حب الله هو طاعته ، وحب ذكره ، ولا يستطيع العبد أن يحب الله حتى يكون الابتداء من الله له بالحب ، وذلك حين يعرف منه الاجتهاد فى مرضاته ، ومرتبة الحب لله هى أعلى مراتب السلوك ، وهى مرتبة المقربين ، وحتى حبه للناس يحكمه الحب لله ، فالرجل لا يحب أخاه إلا لأنه يراه يحسن خدمة ربه . والرضا

بالله هو نواة الحب لله ، وهو أن لا تختار شيئاً إلا ما يختاره الله لك ، والرضا يسلم إلى الطاعة ، والطاعة معها الندم على الذنب وتصحيح المعاملة والاستغفار باللسان والتوبة ، والتوبة تؤدي إلى الزهد ، ومن الزهد يتشعب الصدق والتوكل والاستقامة ، ثم تتشعب المعرفة ، ومنها الذكر ، ثم يتشعب من الذكر الخلاوة والتلذذ فيكون الأُس فالحياة من الله فالخوف منه ، ثم تحدث الروعة فيكون الانتهاز إلى محبة الله التي تورث محبة كلامه وهو القرآن . يقول ابن أبي الحواري : إنني لأقرأ القرآن فأنظر آية آية فيحار عقلي فيها ، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ويسبغهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتكلمون كلام الرحمن !! أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحاً بما رزقوا ووقفوا !!

وتوفى رحمه الله سنة ٢٣٠هـ ، وقيل سنة ٢٤٠هـ عن ٨٢ سنة .

■ ■ ■ ابن حيان

أبو موسى جابر بن حيان ، وحيد عصره في الكيمياء ، وأطلق عليه اللاتين اسم جابر ملك العرب Geber Rex Arabum ، فقد كان مكتشفاً ورائداً ، وجمع في مذهبه علم الأوائل والأواخر ، وحاز السبق في الكيمياء والتنجيم والسحر والموسيقى والطب والرياضيات والفلسفة والعلوم العرفانية . وجابر من مواليد الكوفة ، وقيل إن أصله حرّاني ، وأنه كان صابئاً وأسلم ، وحسن إسلامه ، وقيل إنه تلقى على الإمام جعفر الصادق ، وبسبب ذلك سمي صوفياً ، وقال جابر عن علمه إنه علم بالتلقى ، أو علم لدني ، فاض عليه من الإمام الذي يسميه معدن الحكمة ، وأن دوره فيه هو إعادة صياغته وترتيبه فحسب . وجابر كتب نحو خمسمائة رسالة ، بعضها في الكيمياء القديمة ، وبعضها شروح على أرسطو وأفلاطون ، وبعضها يشرح فيها مذهبه ، وهو مذهب توحيدى يربط فيه بين النظريات الكيميائية والفلسفة الدينية ، ويطلق على ذلك اسم علم الميزان ، ومرجعه في ذلك القرآن حيث يقول الله تعالى في سورة الرحمن « والسما رفعها ووضع الميزان ، ألا تطفوا في الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » ؛ ويعتبر المعادن كائنات حية ، تُحتضن في باطن الأرض لآماد طويلة فتتحول من معادن خسيصة إلى معادن نفيسة ، وغاية علم الكيمياء الإسراع بهذا التحول . ويطبق جابر مذاهب التناسل والزواج والحمل والتعليم على المعادن ، وكذلك

مذاهب الحياة والموت، ويصف العناصر الغليظة الأرضية بأنها ميتة، ويقول عن العناصر اللطيفة المشرقة أنها حية، وينسب للعنصر الكيميائي نفساً وجسماً، ويقول بأنه مركب من جزء مادي وجزء روحى، وأن عمل الكيميائي هو فصل الواحد عن الآخر، وتلطيفه، وإعطاء كل جزء الطبع الذى يناسبه. ويبشر جابر بعصر جديد، وبقرب ظهور الإمام المنتظر الذى تؤول إليه سيادة العالم فينصلح أمره ويسوده السلام ويعمه الخير. وهو يفسر التاريخ بدورات يربطها بظهور الوحى، وعنده أن الوحى منذ الإمام على ظهر ست مرات، وفى المرة السابعة تبدأ مرحلة الإمام المنتظر من نسل على الإمام الإلهى الصامت الغيبى، والإمام الناطق هو الإمام المنتظر وهو الناسوت، والإمام على بمثابة اللاهوت الذى يحل فى الناسوت، وهو أقنومة العين، والأقانيم الأخرى اثنان: السين والميم، والسين يعنى سلمان، والميم يعنى محمد، ومرتبة السين أعلى من الميم، والإمام المنتظر يفيض من العين مباشرة بلا واسطة. وترد فى مذهب جابر مصطلحات مثل الحجة والباب والداعى المطلق، ويقول بالأضداد، ويدين بالتناسخ، ويكثر من استخدام الفسخ والرسخ والمسح والأدوار والأكوار. ويفسر ابن النديم هذه الاتجاهات لدى جابر بأن «لهذا الرجل كتب فى مذاهب الشيعة»، ويضيف أن أصله من خراسان، وقد ورد فى «أخبار الحكماء» أن جابراً كان متقلداً للعلم المعروف بعلم الباطن، وهو مذهب المتصوفين من أهل الإسلام كالحارث المحاسبى وسهل بن عبدالله انتسترى ونظرائهم. ويؤرخ بن أبى أصيبعة لوفاته بسنة ٢٠٨ هـ أى بعد وفاة جعفر الصادق بستين سنة، فإن كان قد تلقى عنه فكيف كان ذلك؟ ويبدو أن كثرة الحكايات المضاربة عنه هى التى جعلت ابن النديم يذكر أنه قد قيل فى النهاية «إن هذا الرجل لا أصل له ولا حقيقة».





الخرّاز

أبو سعيد أحمد بن عيسى الخرّاز، المتوفى سنة ٢٧٧هـ، من أهل بغداد، وصحب ذا النون المصري وسرياً السقطى وبشر بن الحارث، وكنيته الخرّاز لاشتغاله بالخرّازة، وكان الجنيد يقول: لو طالبنا الله بحقيقة ما كان عليه أبو سعيد الخرّاز لهلكنا، فإنه أقام كذا وكذا سنة يحرّز فما فاتته الحق بين الخرزتين! وكان من أئمة القوم وجلة مشايخهم، وأول من تكلم فى علم الفناء والبقاء، وله الكتب المذكورة، ومنها كتاب الصدق الذى كان محاطاً بالكتمان من الصوفية ويضنون به على غيرهم، وكتاب الصفاء، وكتاب الضياء، وكتاب الكشف والبيان، وكتاب الحقائق، وهى رسائل صغيرة لكنها نفيسة ترسم الطريق بدقة ووضوح. وطريقة أبى سعيد يسمونها الخرّازية، وأساسها الفلسفى الفناء والبقاء، فالعبد الذى يسلك الطريق وينجح فى أن يفنى جهله فإنه يبقى بعلمه، والذى يفنى عن المعصية يبقى بالطاعة، والذى يفنى عن الغفلة يبقى بالذكر، وعلى الجملة فإن الفناء هو فناء عن الأوصاف المذمومة، والبقاء هو بقاء بالصفات المحمودة، ومع ذلك فالبقاء بأية صفة بمثابة الحجاب أو المانع عن التقدم فى الطريق إلى البقاء الخالص، حيث تمام الوصول يعنى الفناء الكامل عن كل الأوصاف، فلا بقاء بقاء تاماً خالصاً إلا بالله وحده، حيث لا عارف ولا معروف، ولا مقامات ولا أحوال. وأوائل الطريق إلى الله التوبة، ثم يكون الانتقال إلى مقام الخوف، فالرجاء، فمقام الصالحين، فالمرئيين، فالطيعين، فالمحبين، فالمشتاقين، فالأولياء، فالمقربين، ولكل مقام عشرة شروط، إذا أحكمها السالك وعاناه، حل

قلبه فى المقام، وأدمن النظر فى النعمة، وجالت روحه فى ملكوت الله بخالص العلم به. والله تعالى يعجل لأرواح أوليائه التلذذ بذكره والوصول إلى قرب، ويعجل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم، فعيش أبدانهم عيش الجنانين (يعنى أهل الجنة)، وعيش أرواحهم عيش الربانين. والسالك يجد فى كل مقام أنسه بالله، ويستبشر قلبه بقربه من الله، ويسر به ويهدأ فى سكونه إليه وأمنه معه. وهو دائم العطاء، وفرحه فى العطاء بالمُعطى، ولذته فى اللذات بخالق اللذات، وتنعمه فى النعم بالمُنعم دون النعم، لأن ذكر النعمة عند ذكر المنعم حجاب، ورؤية النعمة عند رؤية المنعم حجاب. ومحور تفكير الخراز: كل ما فاتك من الله سوى الله يسير، وكل حظ لك سوى الله قليل. والمحب يتعلل إلى محبوه بكل شيء ولا يتسلى عنه بشيء، ويتبع آثاره ولا يدع استخباره:

أَيَّا مَنْ يَرَى الْأَسْبَابَ أَعْلَى وَجُودِهِ وَيَفْرَحُ بِالْتِّهَةِ الدُّنْيَى وَبِالْأَنْسِ
فَلَوْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْوُجُودِ حَقِيقَةً لَغَبَّتْ عَنِ الْأَكْوَانِ وَالْعَرْشِ وَالْكَرْسَى
وَكُنْتَ بِحَالٍ مَعَ اللَّهِ وَاقِفًا تَصَانُ عَنِ التَّدْكَارِ لِلْجَنِّ وَالْإِنْسِ

ويُفسر الخراز قوله تعالى: لعلمه الذير، يستبطن منه» بأن المستبطن هو الذى يلاحظ الغيب أبداً، فلا يغيب عنه شيء، ولا يخفى عليه شيء. ويقول فى قوله تعالى: «لآيات للمتوسمين» أن المتوسم هو الذى يعرف الوسم، وهو العارف بما فى سويداء القلوب، وبالأستدلال والعلامات، فيمير أولياء الله من أعداء الله. والعارفون هم خزائن الله، أودع الله تعالى فيهم علوماً غريبة وأخباراً عجيبة، يتكلمون فيها بلسان الأبدية، ويخبرون عنها بعبارات أزلية. وعندما يوالى الله تعالى عبداً من عبيده فإنه تعالى يفتح له باب ذكره، فإذا استلذ بالذكر فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجلس الأنس، ثم أجلسه على كرسى التوحيد، ثم رفع عنه الحجب فأدخله دار الفردانية، وكشف له عن الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى بلا هو، فحينئذ يصير العبد فانياً، فيقع فى حفظ الله، ويرأى من دعاوى نفسه. وسألوه. فهل يصل العارف إلى حال يحجو عليه البكاء، فقال: نعم. إنما البكاء فى وقت سيره إلى الله عز وجل، فإذا نزل إلى حقائق القرب، وذاق طعم الوصول، زال عنه البكاء، ولذلك ورد «فإن لم تبكوا فتباكوا» أى تنزلوا فى المقام ليقتدى بكم السائرون. والله تعالى يرزق العارف لسانين، لسان فى الباطن يعرفه صنُّع الصانع فى المصوغ، ولسان فى الظاهر يُعلمه عِلْمُ المخلوقين، فلسان الظاهر يكلم جسمه، ولسان

الباطن يناجى روحه . والله تعالى جعل العلم دليلاً عليه ليعرف ، وجعل الحكمة رحمة منه عليهم ليؤلف ، فالعلم دليل إلى الله ، والمعرفة دالة على الله ، وبالعلم تنال المعلومات ، وبالمعرفة تنال المعروفات ، والعلم بالتعلم ، والمعرفة بالتعرف . والمعرفة تقع بتعريف الحق ، والعلم يُدرك بتعريف الخلق . وإذا كانت العين واحدة ، فمن أى تلوّنت عليك ، فاجزّ فيها فإن التغيير من جهتك ، لأن عن الحق لا تتغلب .

وكان للخراز ولد صالح مات ، فرآه فى المنام ، فسأله الخراز أن يوصيه فقال له : « لا تجعل بينك وبين الله تعالى قيصاً » ، فلبس أبو سعيد قيصاً منذ ثلاثين سنة ، ربما على الحفيضة وإنما معنى ذلك لا تجعل بينك وبين الله تعالى حجاباً ، وهى وصية الخراز لمريديه . وكان يقول لهم : ينبغي للصوفى أن يكون لطيف اللبسة ، ملازماً للخلوة ، حسن الصيانة ، فلا يطلب إلا عند وجود الفاقات ، وإلا فهو والكاذبون سواء . ويحكى الخراز أنه لقي مرة شخصاً يدعى الجنون ، فناداه قف يا مجنون ، ويقول الخراز : فالتفت إلى وقال : أتدرى من المجنون ، فقلت لا ، قال : المجنون من يخطو خطوة ولا يذكر ربه فيها . وربما كانت الحكاية أمثلة يريد بها أن يعلم المريدين . وكان يقول لهم إن قلب الإنسان محمول على حب من يحسن إليه ، وإنى لأعجب ممن لم ير محسناً غير الله فكيف لا يميل بكليته إليه ! غير أن شرف العبودية لله لا يمكن أن يتصف به العبد إلا إذا صارت له الأذكار غذاء ، والتراب له فراشاً . ولا ينفى الاغترار بالعبودية فإن العبد قد يسى فيها الربوبية ويكتفى بأن يكون عبداً . وسألوه : وما الخلاص ؟ فقال : أن تشهدوا صنع الربوبية فى إقامة العبودية ، فتقطعوا عن نفوسكم ، وتسكنوا إلى ربكم ، وهناك تسلمون من الاستدراج . ويحكى لهم فيقول : دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان يسأل شيئاً ، فقلت فى نفسى : مثل هذا كَلَّ على الناس ! وقد علمنا أن الخراز كان يتعيش من كسب يديه . ويقول : صحبت الصوفية ما صحبت فما وقع بيني وبينهم خلاف ، فقالوا لما ؟ ، قال : لأننى كنت معهم على نفسى . وليس من طبع المؤمن أن يقول لا ، وذلك أنه إذا نظر ما بينه وبين ربه من أحكام الكرم استحى أن يقول لا . ويضرب الخراز المثل فيقول : رأيت إبليس فى النوم وقد مَرَّ عنى ، فقلت : تعال ، فقال : وما عسأى أعمل بكم . انتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس . فقلت : وما هو ؟ قال : الدنيا . وقال : ورأيت مرة أخرى ، وكان بين يدي عصا فرفعتها حتى أضربه بها فهتفت بى نفسى : هذا لا يفرغ من العصا ، وإنما فرعه من نور القلب . وقال : العارف يستعين بكل شيء ، فإذا وصل استغنى بالله وارتفعت همته عن

الوقوف عما سواه وافترق الناس إليه . اعرفوا نفوسكم ، فثل النفس فى الصفات كمثل ماء طاهر صاف ، فإذا حركته ظهر ماتحته من الحمأ ، وكذلك النفس تظهر مرتبتها عند المحن والفاقة والمخالفة لأهوائها ، ومن لم يعرف ما طويت نفسه من الصفات ، فكيف يمكن أن يدعى معرفة ربه ؟ واعلموا أن كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل . وسألوه عن سبب معاداة الصوفية لبعضهم البعض ، وبغضهم لبعضهم البعض ، فقال : لأنه لا رياسة عندهم ، والله قدر عليهم ذلك غيرة منه عليهم أن يسكن بعضهم إلى بعض ، ولكنهم مع ذلك وعندما يقع لهم كمال السير تذهب بغضاؤهم ، لأن الكامل لا يرى هناك من يرسل غضبه عليه من الخلق .

■ ■ ■ ابن خضرويه

أبو حامد أحمد بن الخضر المعروف بابن خضرويه البلى ، توفى سنة ٢٤٦هـ عن خمس وتسعين سنة ، واشتهر بالفتوة والهمة ، ويروون عنه أن زوجته وكان اسمها أم على كانت كلما نظرت إليه ترجع إلى حظوظ نفسها ، أى تجد نفسها كأنثى ، وكلما نظرت أبا يزيد البسطامى فقدت حظوظ نفسها ، فطلبت إليه أن يطلقها على أن يزوجه البسطامى ففعل وحملها إليه ، وكان يرى ذلك منها ومن نفسه صدقاً ، فالذى يحب الله ينبغي أن يلزم الصدق معه ، والله دائماً مع الصادقين ، والتصوف إثارة ، وابن خضرويه كان يتخارج من الدنيا وينزل عن ماله ويقترض ليعلم الفقراء ويعبد فى ذلك حريته أو تحرره من الدنيا والعلائق وذلك وحده الطريق ليكون مع الله خالصاً ، وليكون له عبداً على الحقيقة ، فتمام العبودية لله هو حريته الحقيقية ، والذى يبيت نفسه ، أى يقتل فيها شهواتها ونزواتها ، هو الحر ، وهو الغنى ، وفى موات النفس حياتها ، والهمة هى قطع النفس عن كل ماسوى الله وتلك حقيقة المحبة له .

■ ■ ■ ابن الخطيب (لسان الدين)

صاحب «روضة التعريف بالحب الشريف» ، وهو من الكتب المعدودة فى التصوف ؛ ولد ونشأ بغرناطة (٧١٣ - ٧٧٦هـ) واستوزه سلطانها أبو الحجاج يوسف بن

اسماعيل ، وكان أهله يطلق عليهم اسم بنى الوزير لاستوزارهم ، ثم أصبحوا يعرفون ببنى الخطيب نسبة إلى جدهم الأعلى سعيد بن عبد الله الذى اشتغل خطيباً ، وعرف بسعيد الخطيب . وابن الخطيب هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن على بن أحمد السلماني ، من أسرة هاجرت من الشام إلى الأندلس ، ولذلك فهو يعرف أيضاً باسم ابن الخطيب السلماني ، ويقال له ذو الوزارتين ، وزارة السيف ووزارة القلم ، وذو العمرين لأنه كان يشغل عمره نهراً بالوزارة ، وعمره ليلاً بالتصنيف ، ولسان الدين لعلمه الجم ومؤلفاته الكثيرة التى بلغت فيما قيل ستين مصنفاً ، معظمها فى التاريخ والجغرافيا والأدب والتصوف والفلسفة والطب ، ولم يصلنا منها إلا ثلثها تقريباً . وقيل فيه إنه كان أعظم الكتاب والشعراء ورجال الدولة وخاتمهم فى غرناطة ، إن لم يكن فى الأندلس كلها . وكتابه روضة التعريف فى المحبة الإلهية ، وموضوعاته مرتبة على هيئة شجرة وأرض ، فالشجرة هى المحبة ، مناسبة وتشبيهاً ، وإشارة إلى ماورد فى الكتب المنزلة ، والأرض هى النفوس التى تُغرس فيها ، والأغصان أقسامها ، والأوراق حكاياتها ، والأزهار أشعار الصوفية ، والثمرة الوصول إلى الله تعالى . واستكثر ابن الخطيب من الأشعار فى الكتاب ، لأن الأشعار بمنزلة النسيم الذى يحرك أفنان الشجرة ، والمزمار الذى ينفخ الشوق فى قلمه ، كما استكثر من الحكايات ، لأنها تروح عن القارئ جهد القراءة ، وتخفف الموضوع إن كان ثقیلاً . والحب الإلهى كما يعرضه ابن الخطيب هو الأصل فى كل تصوف ، والسلوك إلى الحب يكون بالذكر ، والمعرفة العامة تسبق الحب ، فتحصل به المعرفة الخاصة . ويعتد ابن الخطيب أوصاف العارف وعلومه ، وأنواع المحبوبات ، ويعرف بالمحبين من الفلاسفة الأقدمين ، والإشراقيين ، والإسلاميين ، والمتكلمين ، والصوفية سادة المسلمين ، ويذكر علامات المحبة وأخبار المحبين . والكتاب برمته عرض لمذاهب التصوف ، وأحواله ومقاماته وحقائقه ، ومن ذلك مذهب أهل الحلول والاتحاد ، فقد عرضة ابن الخطيب وشرحه واستوفاه ، ووجد أعداؤه وحاسدوه من أهل السياسة فى تلك الشروح فرصتهم ليكيّدوا له عند السلطان وينالوا منه ويوقعوا به ، ففر ابن الخطيب سنة ٧٧٣هـ إلى سبتة فتلّمسان واستقر بها فى ضيافة السلطان عبدالعزيز ثم ابنه السعيد بالله إلى أن خلع هذا وتولى أبو العباس المستنصر الذى ساعده الغنى بالله صاحب غرناطة مشترطاً عليه شروطاً منها تسليمه ابن الخطيب ، وتم القبض عليه ، وأحضر إلى مجلس الشورى ، ووجهت إليه تهمة الزندقة وسلوك مذهب أهل الفلسفة من ابن زمرّة وزير غرناطة الذى استقدموه على عجل ليحضر المحاكمة ، وأفتى بعض

الفقهاء بقتله فأعيد إلى السجن ، ويقول السلاوى المؤرخ إن رئيس الشورى سليمان بن داود أوعز إلى بعض الأوغاد من حاشيته أن يتسللوا إلى السجن ليلاً ويقتلوه ، وتحقق ذلك وقاموا بخنقه ثم أشعلوا النار فى جثته ودفنوه فى مقبرة باب المحروق بفاس . وما أخذ عليه قوله فى أصحاب وحدة الوجود والحلولية والاتحادية أنهم تدرجوا فى المراتب غير المكانية ولا الزمانية يبتغون القرب من الله حتى صح أن حقيقتهم العدم ، يعنى أن خلق الله هم صفته ، فالأشياء سواه هى أفعاله وصفاته مع وجود الله عدم ، وفى ذلك أنشدوا :

تمنى المحب يرى علوة وقد شاع فى حبه وصفها
أعارته طرفاً يراها به فكان البصير لها طرفاً

ويظهر ذلك عند حب الله إياه ، وأنه سمعه وبصره ويده ، فإذاً ليس ثم إلا الله ، وأن الخلق له ، ثم به ، ثم لاشيء إلا الله فى الوجود . ألا كل شيء ما خلا الله باطل ، وليس مرادهم أن شيئين صارا واحداً ، وإنما مرادهم أن التوحيد الحقيقى هو التخلص من ضيق عالم الحدوث إلى فسحة القِدَم . ومن زعم أنه تلاشت رسومه وفنى عز وجوده ، ثم فنى عن فنائه ، وأدرك عند ذلك حقيقة ذاته ، لا يسعنا الحكم عليه بالرد ولا بالإثبات لأننا لانعلم حقيقة مايقول بالبرهان ولا بالنقل ، ومدعيها من أهل الاستقامة ، ولا يصح الحكم على مانعرف ، وإنما مستند هذه الدعوى هو الوجدان .

ابن خفيف

أبو عبدالله محمد بن خفيف الشيرازى (٢٧٦ - ٣٧١ هـ) ، كان من أبناء الملوك وتصوف كأبيه ، وكان أول شيوخه هو شيخ أبيه أبو العباس أحمد بن يحيى ، فلقبه بأول درس له فى الرياضة ، بأن طلب منه توصيل لحم اشتراه إلى البيت ، وخجل أن يحمل اللحم ويسير به وسط السوق ، فركن إلى حائط أحد المساجد لا يدرى ماذا يفعل ، واستخار الله وسار به والناس يتصايحون عليه لمعرفتهم بأصوله ، وعاد يتصبب عرقاً إلى الشيخ فاستعاده ما جرى له ، فحكى ابن خفيف عن تجربته ولكن الشيخ طمأنه وتنبأ له بمستقبل فى الطريق ، وصار ابن خفيف من كبار الصوفية وشيخ المشايخ فى وقته ،

وله كتاب المعتقد، وطريقته فى التصوف كما يوردها الهجویری فى كشف الظنون تقوم على الحضور كمقابل للغیبة، فن غاب عن نفسه فإنما حضوره مع الحق وإلا فالغیبة بلا حضور جنون. وقد رجع الإمام ابن تیمیة إلى أقواله فى المعتقد فى فتواه الحمویة وينقل عنه قوله فى الحلویة: ومن زعم الإشراف على الخلق، يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله بغير الوحى المنزل، فهو خارج عن الملّة، ومن ادعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم، وعلى ماذا يموتون علیه، ويفتى لهم بغير الوحى المنزل من قول الله ورسوله، فقد باء بغضب من الله؛ ومن زعم أن صفات الله تعالى بصفات العبد فهو حلولى قائل باللاهوتیة والالتحام، فذلك كفر لا محالة؛ ومن قال إن شیئاً من صفات الله حال فى العبد، أو قال بالتبعیض على الله فقد كفر. ويقول ابن خفیف فى معتقده: إن البارئ تعالى واحد، لا حالّ فى الأشياء، ولا الأشياء حالة فيه، ولا يتجلى فى شیء، ولا استتر بالحدّث. ويقول ابن خفیف فى النبوة والولاية: الوصول من غیر طريقة العبودیة محال، والنبوة أجل من الولاية، ولا يبلغ درجة النبوة بالعمل، والمعجزة للأنبياء، والكرامة للأولیاء. ومن أقوال ابن خفیف: عهدى بالصوفیة یسخرون من الشیطان، والآن الشیطان یسخر منهم. والتصوف عنده هو تصفية للقلب عن موافقة البشریة وإخاد صفاتها، ومفارقة أخلاق الطبیعة ومجانبة الدعاوى النفسیة ومنازلة الصفات الروحیة، والتعلق بعلوم الحقیقة، والوفاء لله على الحقیقة، واتباع الرسول ﷺ فى الشریعة. والإیمان تصدیق القلب بما أعلمه الحق من الغیوب، والتقوى مجانبة ما یبعثك عن الله تعالى، والخوف اضطراب القلب بما یعلم من سطوة المعبود، والتوکل اكتفاء بضمان الحق وإسقاط التهمة عن قضائه، والرياضة هى كسر التقوى بالخدمة، والیقین هو أن تتحقّق الغیوب، والقرب طی المسافات بلطیف المداناة وقربك منه بملامة الموافقات، والانہساط سقوط الاحتشام عند السؤال، والمشاهدة اطلاع القلب بصفاء یقین إلى ما أخبر الحق عن الغیوب، والوصول هو الاتصال بالمحبوب دون كل شیء سواه والغیاب عن كل شیء سواه، والسکر غلیان القلب عند معارضات ذكر المحبوب. والمطالبات بالنسبة للمرید شتى، فطالبة الإیمان هى ما یحدوك علیه من صحة التصدیق بوعدہ ووعیدہ، ومطالبة العلم ماتبین به أحكامه فتظهر دلائله ویطالبك الحق باستعماله، ومطالبة الحق وهى التى إذا بدت قهرتك وجذبتك إلى ما أراد بصولته سبحانه. وليس شیء أضر بالمرید من مسامحة النفس فى ركوب الرخص وقبول التأویلات. والأكمل مع الفقراء قربة إلى الله.

وكان رحمه الله یشكو وجع الخاصرة، فكان إذا أخذہ أقعده عن الحركة، فكان إذا

أقيمت الصلاة يُحسل على الظهر إلى المسجد ليصلي، فقليل له لو خففت على نفسك
لكان لك سعة في العلم، فقال إذا سمعتم حتى على الصلاة ولم تروني في الصف
فاطلبوني في المقابر. وقال سألت الله أن ألقاه ولا يكون لى شىء، ولا لأحد على
شىء، ولا يكون على بدنى من اللحم شىء. ولما اشتدت به العلة ظل طريق الفراش
سنة وأربعة شهور لم يتحرك، وسأله قرب وفاته كيف يجد العلة، قال سلوا العلة عنى،
فقالوا قل لا إله إلا الله فأنشد:

أفريت كلى بكلك هذا جزا من يحبك !



ابن خلدون (عبد الرحمن)

الفيلسوف المؤرخ الأشهر، الأندلسى الأصل، التونسى المولد (٧٣٢هـ) والنشأة،
صاحب كتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العجم» فى ستة مجلدات،
أولها المقدمة التى ذاع صيتها، وترجمت إلى مختلف اللغات، ووضعت بشأنها المؤلفات،
وتعد من أصول علم الاجتماع. وله رأى فى نشأة التصوف ومذهب المتصوفة، وينسب
المتأخرين منهم للفلاسفة ويتولى الرد على أقوالهم فى الفصل الحادى عشر من
المقدمة، ويقول فيه إن التصوف من العلوم الشرعية الحادثة، وأصله ما كان عليه
السلف من الصحابة والتابعين من العبادة والهداية، والانقطاع إلى الله تعالى،
والإعراض عن زخرف الدنيا، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من اللذات والمال والجاه،
والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة، فلما فشا الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى
وما بعده، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة، من حيث أن
الإدراك على نوعين، إدراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم،
وإدراك للأحوال القائمة من الفرج والحزن، والقبض والبسط، والرضا والغضب،
والصبر والشكر وأمثال ذلك، فإن الصوفية إدراكهم من هذا النوع الأخير، فالروح
العاقل والمتصرف فى البدن تنشأ من الإدراكات والإرادات والأحوال، وتلك ميزة
الإنسان على سائر المخلوقات، وهى إدراكات ينشأ بعضها من بعض كما ينشأ العلم من
الأدلة، ومن الفرج والحزن عن إدراك المؤلم أو المتلذذ به. والمريد ينشأ له عن مجاهداته

أحوال، وهى من نوع العبادات التى ترسخ وتصير له مقلعات، أو لا تكون من نوع العبادات وإنما هى صفات حاصلة للنفس من الحزن والسرور أو النشاط أو الكسل أو غير ذلك من المقامات. ولا يزال المريد يترقى فى المقامات إلى أن ينتهى إلى التوحيد والمعرفة اللتين هما الغاية المطلوبة للسعادة، فقد ذكر رسول الله ﷺ فى ذلك أن «من مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة»، والمريد يترقى فى المقامات نحو هذا الهدف، وأساسها جميعاً الطاعة والإخلاص والإيمان، ولها ثمراتها من الأحوال والصفات، وحدث الخلل فى الترقى معناه وجود تقصير فى المحاسبة؛ والمريد فى مجاهداته ومحاسباته يمارس ذلك بذوقه، والأذواق والمواجيد هما طريق الصوفية، ولهم فيها آداب ومصطلحات تدور بينهم وليست لغيرهم من أهل الشريعة والكلام. وصار علم الشريعة بهم علمان، علم اختص به الفقهاء يتعلق بالعبادات والأحكام والمعاملات، وعلم اختصوا به موضوعه هذه المجاهدات والمحاسبات والأذواق والخلوة والمواجيد والذكر والاصطلاحات، وصارت لهم به مؤلفاتهم كما عند القشيري والسهروردى والغزالي، وصار علم التصوف يُدَوَّن بعد أن كان فى الصدور وكانت الطريقة عبادات فقط. ويقول الصوفية بالكشف، أى كشف حجاب الحس، بمعنى الاطلاع على عوالم من أمر الله، وسبب الكشف أن الروح تقوى بالمجاهدات والانصراف عن الحس الظاهر إلى الباطن، والذكر للروح كالغذاء، ولا يزال ذلك يزيد بالصوفى حتى يتحول إلى ما يسمى الشهود بعد أن كان علماً، ويكشف حجاب الحس، ويتم للنفس وجودها الذى لها من ذاتها، وهو عين الإدراك، فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم الدنية والفتح الإلهى، وتقرب ذاته فى تحقيق حقيقتها من الأفق الأعلى الذى للملائكة. وهذا الكشف يدرك به أهل المجاهدة واقعات قبل وقوعها، ويتصرفون به فى الموجودات السفلية فتصير طوع إرادتهم. والعطاء من الصوفية لا يعتبرون هذا الكشف، بل يعدون ما يقع لهم منه محنة. والذى حدث أن جماعة منهم من المتأخرين انصرفت عنايتهم إلى كشف الحجاب والمدارك التى وراءه، واختلفت عندهم طرق الرياضة بحسب تعليمهم فى إمارة قوى الحس وتغذية الروح العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس إدراكها الذى لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها، فإذا حصل ذلك زعموا أن الوجود قد انحصر فى مداركها، وأنهم كشفوا ذوات الوجود وتصوروا حقائقها، فتكلموا فيها علوية وسفلية، وتعرضوا لحقائق المُلْك والروح والعرش والكرسى وغير ذلك. والناس بين منكر ومسلم لهم، بدعوى أن من لم يشاركهم طريقته فى الفهم عن ذوق وموجنة، فإن البرهان والدليل

لا ينفع معه، لأن قضايا التصوف لا ينفع فيها دليل وبرهان، بل هى من قبيل الوجدانيات. وربما قصد بعض المصنفين من الصوفية بيان مذاهبهم فى كشف الوجود وترتيب حقائقه فأتوا بالغامض كما فعل الفرغانى عندما تصدى لشرح قصيدة ابن الفارض، فذكر أن الوجود كله صادر عن صفة الوجدانية مظهر الأحدية، وهما معاً صادران عن الذات الإلهية التى هى عين الوحدة، ويسمون هذا الصدور التجلى، وأولى مراتب التجليات عندهم تجلى الذات على نفسه بمعنى الكمال بإفاضة الإيجاد والظهور كما فى الحديث القدسى الذى يتناقلونه بينهم «كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق ليعرفونى». وهذا الكمال فى الإيجاد المنزل فى الوجود، وفى تفصيل الحقائق، هو عندهم عالم المعانى، والحضرة الكمالية والحقيقة المحمدية، وفيها حقائق الصفات، واللوح، والقلم، وحقائق الأنبياء والرسل أجمعين، والكُمل من أهل الملة المحمدية، وهذا كله تفصيل الحقيقة المحمدية. ويصدر عن هذه الحقائق حقائق أخرى فى الحضرة الهبائية، وهى مرتبة المثال، ثم عنها العرش، ثم الكرسي، ثم الأفلاك، ثم عالم العناصر، ثم عالم التراكيب؛ هذا فى عالم الرقى، فإذا تجلّت فهى فى عالم الفتق؛ ويسمى هذا المذهب مذهب أهل التجلى والمظاهر والحضرات. وكلامهم السابق من الصعب تحصيل أهل النظر لمقتضاه لغموضه وانغلاقه، وشتان بين كلام مصدره المشاهدة والوجدان، وكلام قوامه الدليل والبرهان، ناهيك عن أن كلامهم قد يكون فيه ما يناهض الشرع صراحة. وذهب آخرون إلى القول بالوحدة المطلقة، وهو رأى أغرب من الرأى السابق، ويقوم على زعم أن الوجود عبارة عن قوى مفصلة، بها كانت الموجودات وصورها وموادها، والقوة الجامعة لكل القوى هى القوة الإلهية التى تنبث فى جميع الموجودات، كلية وجزئية، وتجمعها وتحيط بها بحيث تكون كلها واحداً هو نفس الذات الإلهية، وهى فى حقيقتها واحدة وبسيطة ولكنها مفصلة من جهة الاعتبار فقط. ويشبه هذا المذهب قول القائلين بأن الألوان وجودها مشروط بالضوء، فإذا عدم الضوء لم توجد الألوان بوجه. وكذلك برون أن الموجودات المحسوسة كلها مشروطة بوجود المدرك أى الإنسان، فإذا الوجود المفصل كله مشروط بوجوده، ولو لم يوجد لما كان هناك هذا التفصيل للوجود، بل هو البسيط الواحد. وما كانت الحرارة والرطوبة والبرودة والصلابة واللين والأرض والماء والنار والسماء إلا بسبب وجود الحواس المدركة لها. وهو مذهب فى غاية السقوط لأننا نقطع بوجود البلد الذى نحن مسافرون عنه وإليه يقيناً مع غيبته عن أعيننا، وبوجود السماء والكواكب الغائبة عنا، ونقطع بذلك ولا يكابر منا أحد نفسه. ويناقض هذا الرأى

كذلك من المتصوفة أنفسهم أن المريد عند الكشف ربما يعرض له توهم هذه الوحدة، وهو ما يعرفونه باسم مقام الجمع، إلا أنه يترقى عنه إلى التمييز بين الموجودات، وهو ما يعرفونه باسم مقام الفرق، إلا أن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين فى الكشف، وفيما وراء الحس، توغلوا فى ذلك، وذهبوا إلى الحلول والوحدة، مثل الهروى وابن عربى وابن سبعين وابن العفيف وابن الفارض. وخالف سلفهم الاسماعيلية المتأخرين من الرافضة، الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة، وتشربوا مذاهب بعضهم البعض، وتشابهت عقائدهم، وظهر فى كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين، يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد فى مقامه فى المعرفة حتى يفيضه الله، ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان، وقد أشار إليه ابن سينا فى كتاب الإشارات فى فصول التصوف، وهو كلام لا تقوم عليه حجة عقلية، ولا دليل شرعى، وإنما هو من أنواع الخطابة، وهو بعينه ما تقوله الرافضة؛ ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب، كمفالة الشيعة فى النقباء، حتى إنهم لما أسندوا لباس خرقه التصوف ليجعلوه أصلاً لطريقتهم وتخليهم، رفعوه إلى على رضى الله عنه، فى حين أن على رضى الله عنه لم يختص من بن الصحابة، بتخلية ولا طريفة فى لباس ولا حال، بل كان أبو بكر وعمر أزهد الناس بعد الرسول ﷺ، وأكثرهم عبادة، ولم يختص أحد منهم فى الدين بشيء يؤثر عنه فى الخصوص، بل كان الصحابة كلهم أسوة فى الدين والزهد والمجاهدة. **والحقيقة فى أهل التصوف أن كلامهم فى المجاهدات والمقامات، وما يحصل من الأذواق والمواجد، ومحاسبة النفس، لا مدفع فيه لأحد، وأذواقهم فيه صحيحة، والتحقق بها هو عين السعادة، وأما الكلام فى كرامات القوم وإخبارهم بالمغيبات وتصرفهم فى الكائنات فأمر صحيح أيضاً غير مُنكر، وإن مال بعض العلماء إلى إنكارها بمكابرة لا داعى لها، لأن الوجود شاهد بوقوع الكثير منها، وقد وقعت للصحابة والسلف مما هو معلوم ومشهور. وأما الكلام فى الكشف وإعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات فأكثر كلامهم فيه نوع من التشابه، بالنظر إلى أنه وجدانى عندهم، وفاقد الوجدان عندهم بمعزل عن أذواقهم فيه، واللغة لا تعطيه دلالة على مرادهم، لأن اللغة وضعت للمتعارف، وأكثره من المحسوسات، وينبغى إذن أن لا نتعرض لكلامهم فى ذلك، ونتركه فيما تركناه من التشابه، ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة ماكرم بها سعادة، وأما الألفاظ الموهمة، المعبر عنها بالشطحات، ويؤاخذهم بها أهل الشرع، فالإنصاف يقتضى أن ننوه بأنهم أهل غيبة عن الحس، وتملكهم الواردات، ولذلك**

فهم ينطلقون بما لا يقصدونه ، وصاحب الغيبة غير مخاطب ، والمجبور معذور ، فن علمنا فيه فضلاً واقتداءً حملنا ما يقوله على القصد الجميل كما فى حالة أبى يزيد البسطامى ، ومن لم نعلم له فضلاً نؤاخذه بما صدر عنه إذا لم يتبين لنا ما يحملنا على تأويل كلامه ، وأما من تكلم بمثلها وهو حاضر فى حسه ، ولم يملكه الحال ، فؤاخذه أيضاً ، ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل الحلاج ، لأنه تكلم فى حضور وهو مالكٌ لحاله . ولم يعرف أن السلف من المتصوفة من أعلام الملة وأهل الرسالة ، كان لهم حرص على كشف الحجاب ، ولا هذا النوع من الإدراك ، وكان مهمهم الاتباع والاقتداء ما استطاعوا ، ومن عرض له شىء من ذلك أعرض عنه ولم يخل به ، بل يفرون منه ويرون أنه من العوائق والمحن ، وأنه إدراك من إدراكات النفس ، مخلوق حادث ، وأن الموجودات لا تنحصر فى مدارك الإنسان ، وعلم الله أوسع ، وخلق أكبر ، وشريعته بالهداية أملك ، فلا ينطلقون بشىء مما يدركون ، بل حظروا الخوض فى ذلك والوقوف عنده ، والتزموا طريقتهم فى عالم الحس قبل الكشف ، وأمروا أصحابهم بالتزامها ، وهكذا ينبغى أن يكون حال المريد .

رحم الله ابن خلدون ، وقد توفى بالفاخرة عام ٨٠٨هـ عن عمر يناهز السادسة والسبعين (أنظر البقاعى) .



الخلدى

أبو محمد جعفر بن نصير (نحو ٢٥٢ — ٣٤٨هـ) بغدادى المنشأ والمولد والوفاة ، صاحب الجنيد والثورى وروى ، وكان مرجعاً فى علوم القوم وكتبهم وحكاياتهم ، ونسبته إلى الخلد محلة ببغداد فى رأى البعض ، وأما هو فيقول كنت يوماً عند الجنيد وعنده جماعة يسألونه أنطلب الرزق ، فأجبتهم إن علمت فى أى موضع هو فاطلبوه ، وإن علمت أنه نسيكم (أى الله) فذكروه ، فقالوا أندخل البيت ونتوكل على الله ، فقلت أتجربون الله بالتوكل ، هذا شك . قالوا فكيف الحيلة ، قلت ترك الحيلة . وعندئذ قال له الجنيد معجباً به : يا خلدى من أين لك هذه الأجوبة ؟ ويعلق جعفر : فجرى اسم الخلدى على إلى يومى هذا . والله ما سكنت الخلد ولا سكنت أحد من آبائى ! ويحكى جعفر عن حبه للكتب وتبته لأخبار الصوفية فيقول إنه فى ابتداء أمره سمع فى المنام هاتفاً يأمره بأن يفضى إلى موضع ويحفر فيه ، فجاء المكان وحفر فوجد صندوقاً به دفاتر فيها

أسماء مشايخ من أهل الحقائق والأصفياء والأولياء عددهم ستة آلاف من وقت آدم حتى زمنه مع نعوتهم وصفاتهم، وكلهم كانوا يدعون التصوف، فقرأها وحفظ أسرارها ولم يدفعها إلى أحد، وكأنه يعنى أن التصوف ليس بالمستحدث وأنه قديم وفطرى فى الإنسان، وأن له أسراراً التى لا ينبغى البوح بها. وكان جعفر يفاخر بأن عنده مائة ونيفا وثلاثين كتاباً من كتب الصوفية، ولما سأله احدهم فهل عندك كتب الحكيم الترمذى، قال لا ماعدته من الصوفية. وربما ذلك لأن الترمذى ذهب إلى تفضيل الولاية على النبوة. وهذا العلم الذى كان يميز جعفرًا كصوفى هو الذى جعل الناس فى زمنه يقولون هذا القول المأثور **إن عجائب بغداد ثلاثة: إشارات الشبلى، ونكت المرتعش وحكايات جعفر.** وهذه الحكايات التى كانت تروى عنه هى التى قال هو نفسه بشأنها: أخاف أن يوقفنى المشايخ بين يدى الله يقولون لما أخرجت أسرارنا إلى الناس؟! ومن طريف مايرويه عن نفسه أنه كان فى الصحراء فى إحدى رياضاته وضل الطريق وجاع، فرأى كوخاً فيه غلام يصلى، فقال انتظر حتى يأكل فأكل معه، وظل منتظراً للطعام فترة طالت فقام مرتحلاً، فلما كان فى بيته يقرأ إذا بالغلام يدق بابه فلما فتح له قال: يا جعفر أنت كما سُميت: جاع فر، يقصد أنه لم يحتمل جوع البطن فأدبر!! ويقول أيضاً عن نفسه أنه وقف بعرفة ست وخسين وقفة، منها إحدى وعشرون على المذهب، ومعنى على المذهب أنه كان يصعد إلى قنطرة الياسرية فينفض كُميّه، على طريقة الصوفية، حتى يعلم أنه ليس معه زاد ولا ماء فيلبى ويسير. ويقول شارحاً تحوله من طلب علوم الدنيا إلى طلب علوم الآخرة أو الصوفية أنه فى حدائته كان يتلقى على أحد الشيوخ وكتب عنه أوراقاً وخرج فلحق أصحابه من الصوفية فسألوه عما معه فأراهم الورق، فقالوا له تدع علم الخرق (جمع خرقه) وتأخذ علم الورق، ثم خرموا أوراقه، أى أفسدوها، فدخل كلامهم قلبه، ولم يعد إلى أستاذه وإنما انصرف إلى التصوف، ومع ذاك فإنه لم يجعل للتصوف المكانة الفضلى على الشريعة، وهو يقول إن الصوفى إن لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة، ولم يتهم خاطره فلا تعده فى ديوان الرجال. ولا أعرف شيئاً أفضل من العلم بالله وبأحكامه، فإن الأعمال لا تزكو إلا بالعلم، ومن لا علم عنده فليس له عمل، وإنما يكره من العلم تضييعه ونبذه خلف الظهر. وسأله: فهل طلب العلم عمل، فقال هو من أكبر الأعمال، فبالعلم أعرف الله وأطيع، وبالعلم استحيى من الله المستحيون، وهو قبل الأعمال. قال الله تعالى عَلمَ الإنسان ما لم يعلم، وقال عَلمه البيان، ولا يكره العلم إلا منقوص. وكأننا بجعفر الخلدى حيال صورة للصوفى فيها العلم

والقراءة والعمل بغاية التحقق بالعبودية لله، والطريق الصوفي القائم على العلم والعمل هو الناظر إلى الحق بالكلية والملتزم لحمة الخلق.



الخواص

أبو إسحق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، وكان يبيع الخوص فلقبوه الخواص، ولد في سُرْمَنْ رَأَى ومات في جامع الرّى سنة ٢٩١ هـ، وقال الخطيب البغدادي له كتب مصنفة، وكان من أقران الجنيد والنوري، ويبدو أنه قرأ فله ماثورات من التوراة فيقول قرأت في التوراة كذا أو صحبت يهودياً فقال، وأغلب كلامه قصص مرموزة، ومن ذلك هذه الماثورة من التوراة: ويح ابن آدم يذنب ويستغفرني فأغفر له، ثم يعود ويستغفرني فأغفر له، فلا هو يترك الذنب، ولا هو يئس من رحمتي! وهذه القصة: تاه أحد أصحابنا أياماً في البادية إلى أن أشرف على العمار، وعثر على جارية تغتسل على عين ماء، فلما رآته تجلّت بشعرها وقالت إليك عني يا إنسان، فقال لها وكيف أذهب عنك وأكل مني مشغول بك، فقالت على العين الأخرى جارية أحسن مني، فهل رأيتهما، فالتفت خلفه ولم ير شيئاً، فقالت له: ما أحسن الصدق وأقبح الكذب، تزعم أن الكل منك مشغول بنا وأنت تلتفت إلى غيرنا! ويبدو أن غرامه بالقصص هذا من تأثير قراءاته في التوراة. والخواص شاعر، وشعره كالحكمة يصوغ فيه تجاربه في الحياة، أو هو يحكي فيه عن أحواله مع الحق تعالى، أو يمدح به الصوفية. يقول:

تعودت من الضر حتى ألفته وأحوجني طول البلاء إلى الصبر
وقطعت أيامي من الناس آيساً لعلمي بصنع الله من حيث لا أدري

ويقول:

صبرت جهدي إن في الصبر عزة وأرضى بدنياي وإن هي قلت
ويقول:

معطلة أجسامهم لاعيونهم ترى ما عليهم من قضاياه قد يجري
جوارحهم عن كل هو وزينة محتجة ما أن تمر إلى أمر
فهم أمناء الله في أرضه ملوك كرام في البراري وفي البحر
عدول ثقات في جميع صفاتهم أرق عباد الله مع صحة السر
ويقول:

عليل ليس يبرئه الدواء طويل الضر يغنيه الشفاء
سرائره بواد ليس تدو خفيات إذا برح الخفاء
وطريقة الخواص هي التوكل، وله فيه رياضات وسياحات، والتوكل فيه الثقة
بالله، والمتوكلون الواثقون هم الصوفية، العدول الثقات في جميع صفاتهم، والرزق ليس
فيه توكل وإنما فيه صبر حتى يأتي الله به في وقته الذي وعد، وإنما يقوى صبر العبد
على قدر معرفته بما صبر له أو لمن صبر، والصبر ينال بالمعرفة، والصابر يحمل مؤونة الصبر
حتى يستحق ثواب الصابرين، لأن الله تعالى جعل الجزاء بعد الصبر. والتوكل يستلزم
من العبد أن يعمل ويثق في الله، والمريد بالحركة أى بالعمل يتطهر، ومعنى التوكل
هو التوجه إلى الله، ومن يتوجه إليه وهموم الأرزاق في قلبه فإنه لا يفلح. والتوكل على
ثلاث درجات على الصبر والرضا والمحبة، لأنه إذا توكل وجب عليه أن يصبر على
توكله بتوكله لمن توكل عليه، وإذا صبر وجب عليه أن يرضى بجميع ما حكم عليه،
وإذا رضى وجب عليه أن يكون محباً لكل ما فعل به موافقاً له. ولم يكن الخواص يحب
أن يعرف عنه أنه من الصالحين، على طريقة الملامتية، ويحكى أنه دخل إحدى
البلاد وخاف أن يعظموه بسبب تقواه وورعه فدخل حماماً ووجد لباس أحد أبناء الملوك
خلعه واحتفظ به عند الحمامى، فغافل الخواص الحمامى عنه ولبسه ومن فوقه ثيابه
وخرج يمشى رويداً ليلحقوا به وينسبوه إلى اللصوصية فتزول عنه شهرة الصلاح، ولحقوه
بالفعل وضربوه وأطلقوا عليه اسم لص الحمام، فقال لنفسه ههنا طاب المقام!

الخواص

على الخواص أستاذ الإمام الشعراني والذي نقل عنه في كتابيه الجواهر والذرر
والطبقات، وكانت حرفته ضفرا الخوص، وهو مصرى من البرلس، وأقوى لا يقرأ
ولا يكتب ومع ذلك تكلم في الطريقة وله مذهب وتفسيرات وتأويلات للقرآن والسنة
حيرت العلماء. والخواص يحب للمريد أن تكون له حرفة ولم يكن يقبل ضمن وتلاميذه
إلا من كان من أصحاب الحرف، ويقول إن السوق وأهل الصنائع والحرف أعظم
درجة عند الله وأنفع من المجاذيب لقيامهم في الأسباب. والعالم عنده هو الذي علمه
مستفاد من نقل فهو حاك لعلم غيره وله أجر الذي يحمل العلم فيؤديه، وأما الصوفى
المتحقق فهو المسلم أى من أهل التسليك، وعلمه خضرى أو لذنى يكفى الناس
كلهم فى سائر ما يطلبونه. ولو أراد العالم أن يعلم مرتبته فى العلم فليرد كل قول
حفظه إلى قائله وسيرى أنه لن يتبقى مما يعلمه إلا النزر اليسير الذى لا يمكن أن يصنع

منه. عالماً. وبداية التصوف أن يعلم المبتدئ كل الشريعة بُجملها ومفصلها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها، وليس بالرجل في اعتبار أهل الطريق من يجهل حكماً واحداً. ويشرح الخواص قول الإمام أحمد بن حنبل أن التقرب إلى الله بتلاوة كلامه يفهم وبغير فهم، أن الفهم لعلماء الشريعة فإن وسيلتهم للإحاطة بمضمون القرآن هو التفكير، وأما علماء الحقيقة أو العلماء من الصوفية فطريقتهم للإحاطة بذلك المضمون هو الكشف والتعريف الإلهي وذلك لا يحتاج إلى فهم، وقد أنكر الخواص على أهل المعرفة أن يخوضوا في التدليل على وجود الله والبرهنة على وحدانيته لهذا السبب، وقال إن الحمار يكون حينئذ أعرف منهم بالله، فالإيمان بالله شيء لا يتحدث عنه لأنه وقر في الصدر ولا يمكن التعبير عنه، وما ورد في السنة من ألفاظ الإيمان يرجع إلى التصديق والإذعان اللذين يفتحان على العلم بالمعلوم المستقر في القلب بالفطرة ولذلك لم يسأل أحد رسول الله ﷺ عن حقيقة هذه الألفاظ ولا ناقشوا أصحابها. ومن يصح توحيده ينتفى عنه الرياء والإعجاب وسائر الدعاوى المضلة، لأنه يشهد بأن كل الصفات والأفعال ليست له وإنما هي لله وحده، وكمال الإسلام والإيمان في التسليم والرضا، ومناط ذلك القلب فإذا صلح القلب كان بيت الله ومهبط الوحي والأنوار، فالبيت لا يقبل إلا مُشاكله فكما أن الأحرف وعاء المعاني فكذلك القلب وعاء للحق والشرع والنور، وكما أن الحرف إذا تغير بعض صورته أو نقطه فسد المعنى فكذلك القلب إذا تغير بعض صورته وصفته فسد ما فيه، وإصلاح القلب يكون بإصلاح الطعمة، وإصلاح الطعمة يكون بالكسب في الكون مع التوكل على الله، والتوكل حقيقة هو المراقبة لله. ومذهب الخواص الذي يعلنه هو «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه».





الدارانى (أبو سليمان)

عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العيسى ينسب إلى داران أو داريا من قرى دمشق ، ووفاته سنة ٢١٥ هـ ، وكان فى زمنه وتداً وقطباً ، وابنه سليمان من جلة القوم وله لسان فى التصوف ، وأخوه داود الداراني زاهد ورع ، وكلامه ككلام أبى سليمان فى **الرياضة والمعاملة** . ومن تلاميذه أحمد بن أبى الحوارى ريحانة الشام ، ومن أصحابه القاسم بن عثمان الجوعى . وكان الداراني بكاءً ، يقول لكل شىء عَلمٌ ، وعَلمُ الخذلان ترك البكاء . وقد سأله تلميذه أحمد عن بكائه مرة ، فقال ولما لا أبكى ، وإذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه ، وافترش أهل المحبة أقدامهم ، وجرت دموعهم على خدودهم ، وتقطرت فى محاريبهم ، وأشرف الجليل سبحانه وتعالى فنادى : يا جبريل ، بعينى من تلذذ بكلامى واستراح إلى ذكرى ، وإنى لطلع عليهم فى خلواتهم ، أسمع أنينهم وأرى بكاءهم ، فلما لا تنادى فيهم يا جبريل — ما هذا البكاء ؟ هل رأيتم حبيباً يعذب أحباءه ، أم كيف يجمل بى أن آخذ قوماً إذا جتهم الليل تملقوا لى ؟ فبى حلفت أنهم إذا وردوا علىّ يوم القيامة لأكشفن لهم عن وجهى الكريم حتى ينظروا إلىّ وأنظروا إليهم !

وأبو سليمان يرى أنه لولا رحمة الله ما عبده العابدون وأحبه المحبون . يقول قرأت فى بعض الكتب ، يقول الله عز وجل بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلّى ويكابِد المكابِدون فى طلب مرضاتى فكيف بهم وقد صاروا فى جوارى وتبجحوا فى رياض

خلدى ، فهناك فليبشر المصغون إلى أعمالهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب ،
ترون أن أضيع لهم عملاً وأنا أجود على المولين عنى ، فكيف بالمقبلين على . ماغضبت
على أحد كفضي على من أذنب ذنباً فاستعظمه فى جنب عفوى ، فلو كنت معجلاً
أحداً ، وكانت العجلة من شأنى ، لعاجلت القانطين من رحمتى ، فأنا اللتيان الذى
لا تحل معصيتى ولا أطاع إلا بفضل رحمتى ، ولو لم أشكر عبادى إلا على خوفهم من
المقام بين يدي لشكرتهم على ذلك ، وجعلت ثوابهم الأمن مما خافوا ، فكيف بعبادى لو
قد رفعت قصوراً تحار لرؤيتها الأبصار ، فيقولون ربنا لمن هذه القصور فأقول : لمن أذنب
ذنباً ولم يستعظمه فى جنب عفوى ، ألا وإنى مكافئ على المدح فامدحونى !

وحبه لله تعالى يدفعه إلى أن يؤثره على كل العلائق . يقول ذهب المطيعون لله
بلذيد العيش فى الدنيا والآخرة . يقول الله تعالى لهم يوم القيامة : رضيت لى بدلاً دون
خلقى وآثرتمونى على شهواتكم الدنيا ، فعندى اليوم فباشروها ، فلكم اليوم عندى
تحياتى وإكرامى ، فبى فافرحوا ، وبقرى فتتعنوا ، فوعزتى وجلالى ما خلقت الجنات
إلا من أجلكم .

ومن كان ذلك محبه لله تعالى لابد أن يقول كل ما شغلك عن الله عز وجل من
أهل ومال وولد فهو عليك شؤم . وتحريضه لمريديه على عدم الاشتغال بما سوى الله هو
ما يعجب الجنيد فيه وقد تأثر بأفكاره فكان ينقلها عنه ، وخاصة ما يتعلق منها بالزهد ،
لأنه زهد لا تقليلاً من شأن الدنيا وطيباتها ولكن لأنها تصرف عن الاشتغال بالله .
ويحكى تلميذه أحمد أنه خرج معه فرا على زرع ، وإذا طائران يلتقطان الحب ، فلما
شبق أراد الذكر الأنثى ، فقال الداراني : يا أحمد أنظر فيما كان لما شبعاً ، دعه بطنه
إلى ما ترى . ويروى الداراني قصة قرأها عن المسيح وابن خالته النبی يحيى عليها
السلام . وكان الداراني كثير الاطلاع على الكتب المنزلة — قال إنها كانا يتماشيان
فصدم يحيى امرأة ، فقال له عيسى يا ابن خالة ، لقد أصبت اليوم خطيئة ما أظن أن
يُغفر لك أبداً . قال وماهى يا ابن خالة ؟ قال امرأة صدمتها ، قال والله ما شعرت بها .
قال سبحان الله ! بدئك معى فأين روحك ؟ قال : معلق بالعرش ، ولو أن قلبى اطمأن
إلى جبريل لظننت أنى ما عرفت الله طرفه عين ! ولكن عدم الاشتغال بالدنيا لا يمكن
أن يكون إلى الحد الذى يركن فيه إلى الناس يطعمونه ، وهو ينتقد الصوفية الذين هذا
دأبهم ويقول لتلميذه عن لقمان الحكيم لولده : يا بنى لا تدخل فى الدنيا دخولاً بضراً
بآخرتك ، ولا تتركها تركاً تكون كلاً على الناس . ويستطرد قائلاً : ليست العبادة

عندنا أن تصف قدميك وغيرك يفت لك ، ولكن أبداً برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد ! ثم يقول : ولا خير فى قلب يتوقع قرع الباب ، يتوقع إنساناً يحىء يعطيه شيئاً ! وزهد الداراني ليس كالزهد الصوفى الموهل فى تعذيب الجسد حتى ليصيبه فيمنعه عن العبادة أو يمنعه من أداء واجباته الزوجية ، ولكنه الزهد المتوسط . يقول : فؤادى يلحسنى من الجوع ، ولولا أنى أخاف أن أضعف عن أداء الفرائض ما أكلت شيئاً ! وانتقاده لصوفية زمه يجعله يقول : ما رأيت صوفياً فيه خير إلا واحداً عبد الله بن مرزوق . ويقول : يا أحمد ما أنجب من أنجب إلا بالقبول من المعلمين ، وأنا أقول لك لا تفتح أصابعك فى الفصعة يا أحمد . عهدت ناساً يعدون الجوع فيهم غنيمة ، كما تعد أنت وأصحابك الصوفية الشيع غنيمة . يا أحمد كيف تنير قلوبهم وكل شيء يجدونه من الشبهات يأكلونه . إنى لآكل الشبهة فأجد ناراً على قلبى من الجمعة إلى الجمعة ! والتوسط هو طريق الداراني . يقول : ليت قلبى فى القلوب مثل ثوبى فى الثياب ! وكانت ثيابه وسطى . وما كان يحب الخوض فى كلام الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم ، ولما توفى رآه أصحابه فى المنام فسألوه : ما فعل الله بك ؟ قال غفر لى ، وما كان شيء أضر على من إشارات القوم !



الدبّاغ (عبد الرحمن)

القيروانى (٦٠٥ - ٦٩٩ هـ) صاحب كتاب « مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب » ، وهو من الكتب الممدودة التى تبحث فى المحبة بمعناها الصوفى ، وتتطرق إلى أقسامها ومعانيها ، وعبارات الناس فيها ، وأصناف السالكين من المحبين ، وما يتصل بها من فضائل . والدبّاغ فقيه ومؤرخ ، وله التصانيف فى أهل القيروان وتاريخهم وملوك الإسلام ، وكان شاعراً له نظم جيد ، وعنده أن المحبة تنظم كل المقامات والأحوال ، ففيها الشوق والصبر ، والخوف والرجاء ، والوصال والفرب والبعد ، والزهد ، والأنس والبسط والقبض ، والمراقبة والهبة ، والفناء والبقاء ، والمشاهدة ، وسائر الأحوال ؛ وأول مقامات المحبين الألفة ، ثم الخلّة ، فالهوى ، فالشغف ، فالوجد ، فالعشق . وأدنى مراتب المحبة عندما يكون موضوعها الجسم الجميل والصورة أو الهيئة البديعة ، وأعلى المراتب هى مرتبة محبة الحق تعالى . ومن شروط السالك أنه لا يزال يترقى فى مراتب الكمال للمحبة . وأقصى الدرجات فيها هى العشق ، والعشق شدة

الشوق إلى الاتحاد، ومحبة الله تعالى ومعرفة لا يوصلان إليها بشيء سوى الله، فهو العارف والمعروف، والمحب والمحبوب، وكل وجود هو وجوده، وكل شهود هو شهوده. ومحبة الله تعالى وقربه هما السعادة العظمى، ومحبة ماسواه بقصد الوصول بها إليه من العبادات. يقول الرسول ﷺ: اللهم ارزقني حبك، وحب من يحبك، وحب من يقربني حبه إلى حبك»، فقد سأل عليه السلام محبة الأسباب الموصلة إلى محبة ربه تعالى، ليس لذاتها ولكن لأنها آلات موصلة إلى الحضرة الإلهية. ويقول عليه السلام: «من عرف نفسه عرف ربه»، ولا يعرف حقيقة نفسه إلا من يزكيها بالرياضة القلبية التامة لتصفو وترق، فحينئذ تبصر ذاتها بشدة صفائها، فإذا صارت كذلك تجلّي لها نور الحق المشرق، فتشاهد فيه نفسها وجمال الأكوان، وتتعلق بخالق الأكوان وبديعها وفاطر كل هذا الجمال. والعارفون ينظرون إلى جمال الصنعة الإلهية فيتوصلون إلى صورة الجمال المجرد، ثم منه إلى عالم الجمال الكلى، ثم إلى جمال الواهب للكل الذى كل جمال فى العالم مستفاد منه، بالغيبة عن أنفسهم فى مشاهدته، حتى لا يبقى فيهم منهم شيء، وأولئك هم الذين اختارهم الحق تعالى واصطفاهم واختصهم بمعرفة وعفته. ومن عديم هذا الذوق، وحرم هذا الحظ فهو المغبون على الحقيقة.

الدرديرى

أحمد بن محمد العدوى المالكي وشهرته أبو البركات الدردير والشهاب الدردير (١١٢٧ - ١٢٠١ هـ) وطريقته تسمى الدرديرية والسباعية أيضاً نسبة إلى تلميذه أحمد السباعي والمدفون معه فى ضريحه بمسجده بالغورية من أحياء القاهرة القديمة، وهى إحدى الطرق الخلوتية، وكان الدردير من كبار شيوخها فى مصر، ووصفه الجبرتي بأنه كان شيخاً على أهل مصر كلها فى وقته حساً ومعنى، وقيل فيه إنه من المحددين للدين على رأس المائة الثانية عشرة، وله المصنفات العديدة فى علوم المعانى والبيان والفقه والعقيدة، ومنها تحفة الإخوان فى آداب أهل العرفان، وشرح ورد الشيخ كريم الدين الخلوتى، وشرح مقدمة نظم التوحيد للسيد محمد كمال الدين البكرى، وشرح على رسالة التوحيد للشيخ دمرداس الخلوتى، ومنظومة أسماء الله الحسنى، والصلوات وتعرف بالمسبعات، وجميعها فى التصوف، ومدرسته مدرسة تربوية عملية أكثر منها عرفانية، وأوراده وأحزابه يحيل فيها إلى التراث الصوفى عند

المتقدمين كالغزالي وابن مشيش والشاذلي والبدوي والدسوقي، ويفيد كثيراً من معاصريه كالبيكري. ويبرز في مذهبه قوله بالحقيقة المحمدية الذي يصدر فيه عن السلف من فلاسفة الصوفية كالحلاج وابن عربي وابن الفارض، باعتبار أن النبي عليه الصلاة والسلام له حقيقتان، الحادثة التي نعرفها، والقديمة التي يستمد منها كل الأنبياء والأولياء وهو المصدر لكل وجود وعرفان.



الدسوقي

العارف بالله سيدى إبراهيم الدسوقي (٦٥٣ - ٦٧٦ هـ) نزيل دسوق، من أجلة مشايخ مصر أصحاب الخرقه، وطريقته البرهامية تنتشر في مصر وسوريا وتركيا والحجاز واليمن وحضرموت، ومنها فروع كثيرة كالشرنوبية والشهاوية والسعيدية الشرنوبية. وللدسوقي كلام كثير على لسان أهل الطريق منشور في كتبه وأهمها الجواهر المعروف باسم جوهرة الدسوقي. وهو من أهل الحرف وكانت صناعته الفخار والحصر (جمع حصير)، وكان يكره للمريد أن يكون بطلاً ويطلب إليه أن يتكسب لنفسه، وخطابه إليه بصيغة يا ولدى يا أخى يا أولادى ويا ولد قلبى ويا أولاد قلبى. وللشعرانى ترجمة مطولة له فى طبقاته يقول إن الدسوقي من نسل الحسين وتفقّه على مذهب الإمام الشافعى ثم اقتفى آثار الصوفية وجلس فى مرتبة الشيوخ وحل الراية البيضاء وعاش من العمر ثلاثاً وأربعين سنة لم يغفل خلالها عن مجاهدة النفس والهوى والشيطان. وكلامه أغلبه نصائح ومن ذلك أن يقول للمريد اسمع يا عديم العقل والرشاد، ومنه كلام لا معنى له إذ الكلام خطاب إنسانى فما لم يكن مفهوماً من المخاطبين المقصودين به فلا طائل منه، فقد كتب إلى بعض مريديه بعد السلام وإننى أحب الولد وباطنى خلى من الحقد والحسد ولا بباطنى شظا ولا حريق لظى ولا جوى من مضى ولا مضض عضا ولا نكص نصا ولا سقط نطا ولا تطب غطا ولا عطل حظا إلى آخر ذلك. ومذهبه كله فى حرفين كما يقول من عرّف الله وعَبَدَه فقد أدرك الشريعة والحقيقة فأحكموا الحقيقة والشريعة ولا تفرطوا إن أردتم أن يُقْتدى بكم، ولم يكن اسم الحقيقة إلا لأنها تحقق الأمور بالأعمال، ومن بحر الشريعة تنتج الحقائق، والشريعة هى الشجرة والحقيقة هى الثمرة، والشريعة أصل والحقيقة فرع، والشريعة تجمع كل العلوم المشروعة، والحقيقة تجمع كل العلوم الخفية. ويقول الدسوقي إن مقصوده من طريقته

أن يكون أولاده من الذائقين لا الواصفين فإن القوم — يقصد الصوفية — لم يتكلموا من الطروس وإنما من الصدور لَمَّا ذاقوا وامتلاَّت قلوبهم بعباء الله ومواهبه فغاضت منها قطرات من ماء الحياة هي علومهم . والتصوف ليس بلبس الصوف وإنما الصوف من بعض شعاره ، وحقيقة التصوف معنوية والصوفى الذى يصل إليها لا يرضى بلبس ما خشن لأنه وصل إلى مقامات اللطافة وخرج من مقامات الرعونة ، بخلاف المريد فى بدايته يلبس الخشن ويأكل الخشن ليؤدب نفسه فتحضن لمولاها ويحصل لصاحبها تمهيد للمقامات التى يترقى إليها . ويفسر الدسوقي سبب تسميته للمريدين بأولاد القلب أن **ولد القلب خير من ولد الصلب** ، فولد الصلب له إرث الظاهر من الميراث وولد القلب له إرث الباطن من السر ، ويناشد أولاده بأن لا يسيئوه فى طريقته ولا يرموها بالكلام ، وأن يقوموا بحقتها ، وأن لا يتكلموا فى الطريقة إلا لمن يقبل عليها ويحبها ، وأن لا يفرقوا ، ولا يجالسوا أرباب الأقوال ، ولا يتحدثوا إلا بدستور مشايخهم ، وأن يتجردوا من قوالهم إلى قلوبهم ويلزموا الصمت عن الاشتغال بما لا فائدة لهم فيه من الجدل . ويبدو أن الدسوقي كان من أصحاب **الفناء عن شهود السوى** فيقول توبة الخواص نحو لكل ما سوى الله . ومن شعره فى الحب الإلهى المفضى إلى الفناء وشهود الوحدة وينحو فيه منحنى ابن الفارض :

فشاهدته فى كل معنى وصورة
فقال أتدرى من أنا قلت منيتى
إذا كنت أنت اليوم عين حقيقتى
تعينت الأشياء كنت كنسختى
بغير حلول بل بتحقيق نسبتي
لذات بديومة سمرمدية
لذاتى عن ذاتى لشغلى بغيبتى
لذاتى بذاتى وهى غاية بغيبتى
علومى تمحونى ووهى مثبتى
ترفع عن دعد وهند وعلوة

وإن سواها لايلم بفكرتى
أجدد فيها حلة بعد حلة

تجلى لى المحبوب فى كل وجهة
وخاطبنى منى بكشف سرائرى
فأنت منائى بل أنا أنت دائماً
فقال كذلك الأمر لكنه إذا
فأوصلت ذاتى باتحادى بذاته
فصرت فناء فى بقاء مؤيد
وغيبنى عنى فأصبحت سائلاً
وانظر فى مرآة ذاتى مشاهداً
فأغدو وأمرى بين أمرين واقف
خبأت له فى جنة القلب منزلاً
إلى أن يقول :

وما شهدت عينى سوى عين ذاتها
بذاتى تقوم الذات فى كل ذروة

فليلي وهند والرباب وزينب وعلوى وسلمى بعدها وبثينة
عبارات أسماء بغير حقيقة وما لَوْحوا بالقصد إلا لصورتِ

الدسوقي

إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الدسوقي الشافعي (٨٣٣ - ١٩١٩ هـ) من أهل دمشق، وأصله مصري، يقول فيه صاحب شذرات الذهب أنه كان شديد الإنكار على صوفية عصره، وله رسائل في التصوف، ووصفه فقال لم تر عيناي من أهل دمشق من هو أمثل منه.

الدمياطى (شمس الدين)

أصله من دمياط، وكان محققاً للعلوم، كثير البكاء من خشية الله، زاهداً، ورعاً، عابداً، لا يكاد ينام من الليل إلا قليلاً، أخذ التصوف عن محمد الطنبولى ونور الدين الحسنى، وكان يعيب على الفقهاء الذين يتوسسون فى ماء الطهارة، ولا يتوسسون فى اللقمة، ويقول لهم: لو عكستم الأمر لأفلحتم. وكان عازباً لم يتزوج، يطبخ بنفسه، ويفرق على جيرانه، ويطعم طلبته ويقول: ما أحوجنى الله إلى النساء. كابدت العزوبة سنة، ثم ذهبت عنى شهوة الوطء.

إبن أبى الدنيا

أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبى الدنيا القرشى الأموى البغدادى (٢٠٨ - ٢٨٢ هـ) أطلقوا عليه اسم الحافظ فقد كانت كتبه كلها روايات عن الآخرين من مثل حدثنى محمد بن الحسين عن محمد بن جعفر بن عون قال: قال داود الطائى: مانعول على حسن الظن بالله تعالى، فأما التفريط فهو المستولى على

الأبدان . وقيل إن له من هذا النوع ثلاثمئة رسالة فى موضوعات التصوف ، ومنها التوبة ، والتفكر والاعتبار ، والتقوى ، والتوكل ، والجوع ، والجهد ، وحسن الظن بالله ، والحلم ، والدعاء ، وذم الدنيا ، وذم الشهوات ، وذم البغى ، وذم الحسد ، وذم الفقر ، والزهد ، والشكر ، وشرف الفقر ، والصمت ، والصبر ، والعزلة ، والعزاء ، والعلم ، والفرج بعد الشدة ، وفضل لا إله إلا الله ، وفضل القرآن ، وكرامات الأولياء ، والمداراة ، والمرضى والكفارات ، والموت ، وكتاب المروعة ، والجحوس ، ومحاسبة النفس ، واليقين . وكل رسالة من هذه الرسائل لاتتجاوز صفحاتها الخمس عشرة صفحة من القطع المتوسط . ومدارها الأخلاق وتربية المريد ، وكان عمله مؤدّباً ، وقد أدب غير واحد من أولاد الخلفاء فأطلقوا عليه اسم مؤدب الخلفاء . وكان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام ومايناسب الناس ، فإن شاء أبكى الجلساء وإن شاء أضحكهم ، حتى ليضحك الواحد ويبكى فى نفس الوقت .



الدهلوى (أبو الفتح)

صدر الدين محمد بن يوسف بن على بن محمد الحسينى (٧٢١ — ٨٢٥ هـ) له « المعارف » يشرح فيه كتاب العوارف للشهاب السهروردى ، ونحو ١٢٥ كتاباً بالعربية والفارسية ، منها « آداب المريدين » و« شرح فصوص الحكم » لابن عربى ، وتفسير القرآن . وللشيخ محمد على السامانوى كتاب فى سيرته سماه « السير المحمدى » .



الدهلوى (شاه ولى الدين)

أحمد بن عبدالرحيم الفاروقى الدهلوى الهندى (١١١٠ — ١١٧٦ هـ) الملقب شاه ولى الله ، قيل فيه أحيا الله به وبأولاده وأولاد بنته وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند بعد موتها ، وله مصنفات كثيرة منها « الخير الكثير » و« الاعتقاد الصحيح » و« البدور البازغة » و« القول الجميل فى بيان سواء السبيل » فى التصوف السنى ، ومن رأيه أن الفرقة الناجية هم الآخذون فى العقيدة والعمل جميعاً بما ظهر من

الكتاب والسنة وجرى عليه جمهور الصحابة والتابعين. ويعالج الدهلوى المقامات والأحوال ويتحدث عن التجلى والإشراق، ويرفع من شأن المجذوبين من الصوفية، ومن رأيه أن الحقيقة تلزم لها الشريعة، مثلما أنه لا شريعة بدون حقيقة، ومن ثم فإنه يذهب إلى فتح باب الاجتهاد وعدم التقيد بآراء الفقهاء الأربعة حيث أن الإمام أبا حنيفة قد ذكر هو نفسه أنه لا ينبغي لمن لم يعرف دليله أن يفتى بكلامه، وكذلك فقد ذكر الإمام مالك أنه مامن أحد إلا وهو مأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله ﷺ، وكذلك الإمام الشافعى والإمام أحمد، ومن ناحية أخرى لا بد من تنقية التصوف من الشوائب وإبراز الجانب الإسلامى فيه وملازمة التأثيرات الفلسفية غير الإسلامية عليه، ولذلك فقد ذهب إلى ماذهب إليه السهرندى وقال بوحدة الشهود بدلاً من وحدة الوجود عند ابن عربى، فذلك أليق بالتصوف الإسلامى ويربطه إلى السنة ويجعل الناس أكثر إقبالاً عليه لمناسبتة لديننا الحنيف. (أنظر السهرندى).

دى تاسى

جارسن Garcin de Tassy (١٧٩٤ — ١٨٧٨) تخرّج على دى ساسى وتولى بعده تحرير المجلة الآسيوية ونشر وترجم الكثير من الإسلاميات، ومنها فى التصوف ترجمته لمنطق الطير للشاعر الصوفى الفارسى فريد الدين العطار، والرباعيات للخيام.

دى ساسى De Sacy

سلفتيه، مستشرق فرنسى (١٧٥٨ — ١٨٣٨ م) كان فى طليعة المستشرقين، ومن أعضاء مجمع الكتابات والآداب، ترجم لفريد الدين العطار الشاعر الصوفى الفارسى (١٨١٩)، ونشر بمعاونة دى لاجرانج منتخبات من الشعر الصوفى لابن الفارض المصرى، وكان المظنون أن ابن الفارض من شعراء الغزل نتيجة الفهم الخاطيء للمستشرق الولونى فابريس لشعره، وقد صحح دى ساسى صورة ابن الفارض، وله التعليقات على كتاب البرق اليمانى فى الفتح العثمانى لشيخ الصوفية عمرو المكى

المتوفى سنة ٢٩٧هـ، وكتاب الجمان للمقرى الفاسى المتوفى سنة ٧٥٨هـ، وبلوغ المرام للزبيدي، وقدم لكتاب نفحات الأنس لعبد الرحمن جامى بدراسة شاملة للتصوف.

ودى لاجرانج (١٧٩٠ - ١٨٥٩)، تلميذه ومعاونه، اشتهر بشغفه بالصوفية العرب، وقد أكب على دراسة العربية وتأويلات وتخريجات ألفاظها ومرادفاتها كى يستطيع أن يفهم التصوف الإسلامى وخصائصه التى تجعله فريداً ومتميزاً عن أى تصوف هندى أو مسيحي أو عبرى، وله فيه التصانيف والبحوث التى نشرها فى المجلة الآسيوية.



دى كورتى

بافيه Pavet de Courteille (١٨٢١ - ١٨٨٩) حفيد المستشرق دى ساسى، درس فى فرساي وتعلم على كاترير وبرسفال ورينو وانصرف باهتمامه إلى الآداب التركية، ومن ترجماته فى التصوف تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار.



دى ماتيو

إجنازيو دى ماتيو de Matteo (١٨٧٢ - ١٩٤٨) إيطالى، كان شديد الاهتمام باللغة العربية والتصوف الإسلامى والجدل بين المسيحيين والمسلمين وتاريخه، وتوفر على ترجمة الثائية الكبرى لابن الفارض الشاعر المصرى الصوفى فى ٧٤٦ بيتاً، وتفسير ابن الفارض للتصوف ومصطلحاته (مجلة الدراسات الشرقية سنة ١٩٢٠) وانتقله المستشرق نللينو بالنظر إلى ما ذهب إليه فى تفسير بعض المصطلحات الصوفية أو ما فهمه منها عن ابن الفارض. وله بحوث فى الفكرة الإسلامية عما ينبغى أن يكون عليه الإيمان أو ما تكون عليه الديانة الحقّة، وعن الروحانية فى الإسلام وفى المصرية، وهى دراسة مقارنة، ونشر الجواب الصحيح لابن تيمية، وكتاب الطبقات لأبى بكر الزبيدي.



دى مينار

باربييه Barbier de Meynard (١٨٢٧ - ١٩٠٨) وله ترجمات عديدة من العربية إلى الفرنسية، ومن ذلك المنقذ من الضلال للإمام الغزالي، وبستان السعدي الشاعر الفارسي.



ابن دينار (مالك)

أبو يحيى، فقد كان فى زهده ونسكه متشبهاً بالنبي يحيى، وكان كثير القراءة للتوراة والزبور والأنجيل ويقتبس منها، وهو أكثر الصوفية اقتباساً منها وذكرها لها، وكان يتردد على الأديرة ويفعل فعل الرهبان، فكان يدعو إلى التجرد ويقول لمن عرض عليه الزواج: لو استطعت لطلّقت نفسى. أو ما تعلم إننى قد طلّقت الدنيا. لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة!

وابن دينار صحب الحسن البصرى ومات نحو سنة ١٣١ هـ، وكان يتكسب من شيتين: عمل الخوص ونسخ القرآن، وكان يكتب المصحف فى أربعة أشهر ولا يأخذ أجراً عليه أكثر من عمل يده. وكان أدقّه كلّ سنة ملحاً بفلسين، وتأتى عليه السنة لا يأكل فيها لحمًا إلا فى يوم الأضحى ومن أضحيتته. وكان يلبس إزار وعباءة، ويقول لو صلح لى أن أعمد إلى برد لى، فأقطعه بائنتين، فأتزّر بقطعة، وارتنى بقطعة لفعلت. ولولا أن يقول الناس جُن مالك للبت المسوح، ووضعت الرماد على رأسى، أنادى فى الناس: من رأتى فلا يعص ربه عز وجل. وسئل عن لبس الصوف فقال: أما أنا فلا أصلح له، لأنه يطلب صفاء. وكان بيته خالياً ليس فيه غير مصحف وإبريق وحصير، ويقول: هلك أصحاب الأثقال. وكان يقول فى دعائه: اللهم لا تدخل بيت دينار من الدنيا شيئاً. وقال فى الدنيا: اتقوا السخارة، يقصد الدنيا، فإنها تسحر قلوب العلماء. وقال: خرج أهل الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها، قالوا له ما هو، قال معرفة الله عز وجل. إنما مثل الدنيا كالسم، أكله من لم يعرفه، واجتنبه من يعرفه. ومثل الدنيا مثل الحية، مَسّها لين، وفى جوفها السم القاتل، يحذرها ذوو العقول، ويهوى إليها الصبيان بأيديهم. وكان كثيراً ما يحبس

نفسه فى بيته ويبكى ويشهق، وكثيراً ما يغشى عليه من كثرة المواجهيد. ودخل المقابر فى دفنة أحد الناس، ووقف على القبر وهم يوسدونه التراب، فجعل يندب ويقول: «مالك غداً هكذا يصير» وظل يردد ذلك حتى أغشى عليه. وسمع فارثاً يقرأ القرآن: إذ زلزلت الأرض زلزالها، فجعل ينتفض، حتى إذا قرأ: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، أخذ يبكى ويشهق حتى غشى عليه. وكان يقول: لم يبق من رَوْح الدنيا إلا ثلاثة: لقاء الإخوان، والتهجد بالقرآن، وبيت خال يذكر الله فيه. وكان دائم الحزن، فإذا سئل فيه قال: القلب إن لم يكن فيه حزن خرب، كما أن البيت إذا لم يُسكن يخرّب. وكان يزجر حملة القرآن الذين لا يفيدون منه فى سلوك الصلاح والتقوى. قال: يا حملة القرآن، ماذا زرع القرآن فى قلوبكم، فإن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض، وكان يزجر الولاة وينصح لهم كأستاذة الحسن البصرى، وسأله بعض الولاة: ادع لنا، فقال: كيف أدعو لكم، وألف واحد يدعون عليكم. وكان يقول: إذا تعلم العبد العلم ليعمل به كثر علمه، وإذا تعلمه لغير العمل، زاده فجوراً وتكبّراً واحتقاراً للعامة. ولما حضره الموت قال: لولا أنى أكره أن أصنع شيئاً لم يصنعه أحد قبلى، لأوصيت أهلى إذا متُّ أن يقيدونى، وأن يجمعوا يديّ إلى عنقى، فينطلقون بى على تلك الحال حتى أدفن، كما يُصنع بالعبد الآبق.



ذ

ذو النون المصرى

أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الأخمى المصرى، نوبى كتب عنه أبو عمر الكندى (٢٨٣ — ٣٥٣هـ) فى كتابه «أعيان الموالى» فذكر أنه كان «مولى لقريش وكان أبوه نوبيا»، ووصفوه فقالوا كان نحيفاً طويلاً تعلوه حمرة وليس بأبيض اللحية، وقيل فيه أنه كان فائق هذا الشأن، يعنى التصوف، وأوحد وقته علماً وورعاً وحالاً وأدباً، وقال فيه المستشرق العلامة نيكلسون «هو أحق رجال الصوفية على الإطلاق أن ينسب إليه أنه واضع أسس التصوف. وقد اعترف له بالفضل كتاب التراجم المؤرخون من المسلمين، وفيه يقول جامى فى كتابه نفحات الأنس: هو رأس هذه الفرقة، فالكل قد أخذ عنه وانتسب إليه، ولقد سبقه فى التصوف مشايخ ولكنه كان أول من فسر إشارات الصوفية وتكلم فى هذا الطريق، وكان أول من تكلم فى مصر فى الأحوال ومقامات أهل الولاية، وأول من عرف التوحيد لمعنى الصوفى، وكان له أكبر الأثر فى تشكيل الفكرة الصوفية. ويروى ابن خلكان أنه كان عبداً اعتقته قبيلة قريش وأدخلته فى ولائها، وأنه تتلمذ على الإمام مالك وروى كتاب الموطأ نقلاً عنه. وكان استاذة فى التصوف شقران العبد أو إسرافيل المغربى، وكان حكيماً فصيحاً العربية وشاعراً. وكان من الملامية لأنه أخفى تقواه بظهوره بين الناس بالاستخفاف بأمور الشرع، ولذلك عدّه المصريون زنديقاً ولو أنهم اعترفوا له بالولاية بعد موته. ويذكره صاحب الفهرست بين الفلاسفة الذين تكلموا فى علم الكيمياء، وينسب إليه كتابان

فى هذه الصنعة ، ويعد ابن القفطى فى كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء من طبقة جابر بن حيان فى انتحال صناعة الكيمياء وعلم الباطن وعلوم الفلسفة . وكان كثير الملازمة لبلدة بربا أخيم فإنها بيت من بيوت الحكمة القديمة وفيها التصاوير العجيبة والمقالات الغريبة التى تزيد المؤمن إيماناً والكافر طغياناً ، ويقال إنه فتح عليه علم ما فيها بطريق الولاية ، وكانت له كرامات . وقيل فى اسمه ذى النون لأنه امتحن فى دينه مثل النبى يونس وأذى كثيراً لكونه أتى بعلم جديد هو علم التصوف . ونسبته المصرى عند غير المصريين من الصوفية فقد كان كثير الأسفار وطلب الإخوان ، ويحكى هو عن نفسه حكايات كثيرة فيها أنه كان فى مكة وفى البصرة والشام وتيه بنى إسرائيل وساحل البحر وجبال أنطاكية والبصرة وجبال بيت المقدس ، وكان هو أيضاً ينادى على الصوفية بياخراسانى ويا بصرى ويا كوفى وهكذا . وينفرد ذو النون بغرامه بالطبيعة فيحكى أنه بينما هو سائر على شاطئ نيل مصر ، أو سائر بين الأشجار ، ودعواته لله فيها أرق الأوصاف للطبيعة من مثل إلهى ما أصغى إلى صوت حيوان ، ولا حفيف شجر ، ولا خير ماء ، ولا ترنم طائر ، ولا تنعم ظل ، ولا دوى ريح ، ولا قعقة رعد ، إلا وجدت شاهدة بوجدانيتك دالة على أنه ليس كمثلك شىء . ويقول فى دعاء آخر وقد نظر إلى السماء والماء على ساحل البحر عند صخرة موسى . سبحان الله ما أعظم شأنكما ، بل شأن خالقكما ، أعظم منكما ومن شأنكما . ولم نعر فى كلام أحد من الصوفية على مثل كل هذه التعاريف لألفاظ الصوفية فقد تكلم ذو النون فى كل شىء من معرفة وعارف وأنس ووجد وسماع وتوبة وإخلاص وتقوى وورع وتوكل وغفلة وخوف الخ ، ويفرق بين توبة الخواص وتوبة العوام ، والعلم والمعرفة ، والظاهر والباطن . وعندما يتحدث إلى الإخوان يقول يا حبيبى ولا نعلم أحداً سبقه إلى ذلك . وكلامه أغلبه فى المحبة ، وشعره ينصرف فى معظمه إلى المحبة وأشواقها ولواعجها ، والحبيب والغيبة والوصال ، ويؤسس كل الذنوب على النظرة ، ومن النظرة تكون الخطرة ، فإن تداركتها ذهبت وإلا امتزجت بالوساوس فتتولد منها الشهوة ثم الطلب .

ويبدو أنه كان يعانى من الحرمان الجنسى ، ولم نقرأ عنه أنه تزوج ولكنه دائم التحذير من شهوة الفرج وتكثر فى حكاياته لقاءاته مع نساء ، وقد أحصيت عدد النساء اللاتى التقى بهن فوجدت أنهن ثمانى عشرة امرأة . يقول بينما أنا أسير فى جبال أنطاكية وإذا أنا بجارية ، أو بينما أنا فى بعض مسيرى إذ لقيتني امرأة ، وكنت على شاطئ النيل إذ بجارية تدعو ، أو كنت فى الصحراء فنظرت فإذا امرأة ، ولقاءاته معهن تكون دائماً على خلفية من الطبيعة وليس معه والمرأة التى يلتقى بها أحد ، ودائماً

تحدث إليه النساء عن المحبة فتقول إحداهن مثلاً فتق الحبيب، أى الله تعالى، يبنى وبين قلبك فعرفتك باتصال معرفة حب الحبيب، وتعاتبه أخرى عندما يتقدم محادثاً لها فتقول: ما للرجل ومخاطبة النساء؟ ويسألها عن المحبة فتتعجب منه أنه وهو العارف يزعم الجهل بها، ولا تجد بأساً أن تعرفها فتقول أولها لهج القلب بذكر المحبوب والحزن الدائم والتشوق اللازم فإذا صاروا إلى أعلاها شغلهم وجدان الخلوات عن كثير من أعمال الطاعات. ومن الغريب أن ذا النون يورد على لسان هذه المرأة ذاتها أبياتاً لرابعة العدوية فى المحبة، وهى الأبيات المشهورة التى تقول فيها:

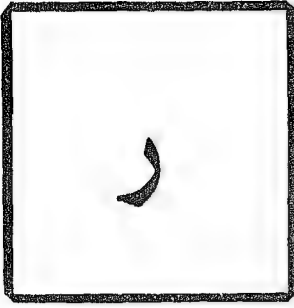
أحبك حبين حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى فذكرٌ شغلت به عن سواكا
وأما الذى أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا
فما الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

وقد نتساءل هل التقى ذو النون ورابعة العدوية؟ إلا أننا نعلم أن رابعة توفيت حوالى سنة ١٨٥ هـ بينما ذو النون توفى سنة ٢٤٥ هـ. وكل النساء اللاتى يردن فى روايات ذى النون عابدات زاهدات، أو هن قصص مأساوية كقصّة المرأة التى خطف ابنها التماسح على النيل. ومجلس ذى النون الذى يجمع أصفياه وأصحابه كثيراً ما يتناول موضوع المحبة الذى يتطرق إليه استاذهم فى شعره وحكاياته، وذو النون يحذّرهم أن يتحدثوا بها أمام السفلة أو المدعين لئلا بدعوها. ويعتبر ذو النون المحبة ميزة الإنسان، وهى سر الله أودعه فى القلوب وإلا كان الإنسان بمنزلة البهيمة. وحتى عندما اتهموه بالزندقة وأمر الخليفة المتوكل باستحضاره من مصر إلى بغداد مكبلاً فى الحديد يحكى ذو النون أنه لقيته امرأة فقالت إذا دخلت على المتوكل فلا تهيه ولا تر أنه فوقك، ولا تحتج لنفسك محقاً كنت أو متهماً، لأنك إن هبته سلطه الله عليك، وإن حاججت عن نفسك لم يزدك ذلك إلا وبالاً. ويبدو أن هذه النصيحة التى يسردها ذو النون هى دفاعاته النفسية نتيجة دوافع داخلية يجليها أنه كان نوبياً ومن الموالى. وله فى التواضع رأى إذا طلبه الناس منك فيقول إن سؤاله إياك يدل على تكبره فى الباطن، وتواضعك له يكون عوناً على التكبر. ولقد جاءه أحد مرديه وقال له إن امرأتى تقرأ عليك السلام فقال لا تفرغونا من النساء السلام، وله نصيحة عجيبة عن نساء العراق فيقول من أراد تحريريد التوحيد وخالص التوكل فعليه بالنساء الزمنى ببغداد. ويبدو أن هذه الروايات من تضارب مؤرخيه واختلاف اتجاهاتهم فيه كمثّل

القول بأنه قرشى ومن مكة ثم الادعاء بأن ثقافته مصرية فرعونية واهتماماته بعلوم المصريين القدامى فى الكيمياء والسحر وغيره والإلحاح فى نسبته بأنه مصرى ومن النوبة . ومن الغريب فى ذلك المجال أنهم ينسبون إليه نبوءتين عن مصر، الأولى قوله وهو يومئذ إلى موضع بمصر - كأنتك عن قليل ترى هذه المدينة عامرة وتخرج منها الخيل المحذفة وقوم عجم ، وعن قليل تراها خراباً . ويعلق راويه بأنهم رأوها عامرة ورأوها كذلك خراباً . وقوله سيأتى على الناس زمان تكون الدولة فيه للحمقى على الأكياس . ويفسر الشعرانى النبوءة بأن الأحق هو الذى يتبع هواه ، والكيس هو الذى يدين نفسه ويعمل كما بعد الموت ، أى تكون الدولة للمفسدين على الصالحين الذين يخشون الله . ومن الطريف أيضاً أن ذا النون تحدّث فى الضمير وهى أول مرة فيما نعلم يرد ذلك فى كلام صوفى ، ولا نعلم أحداً من الصوفية المتأخرين قد ذكره بالاسم الصريح ، ويقول ذو النون إذا أطلع الخير على الضمير فلم يجد فى الضمير غير الخير جعل فيه سراجاً منيراً . وشعر ذى النون فيه رقة عشقه وقوة إيمانه يقول :

<p>ولا رويت من صدق حبك أوطارى وأنت الغنى كل الغنى عند إقصارى وموضع شكواى ومكنون إضمارى وإن طال سقمى فيك أو طال إضرارى ولم يبد باديه لأهلى ولا جارى فقد هـ منى الركن وأثبت أسرارى ومنقذ من أشفى على جرف هارى من النور فى أيديهم عشر معشارى وغش بيسر منك فقرى وإعشارى</p>	<p>أموت وما ماتت إليك صبابتى منى المنى كل المنى أنت لى منى وأنت مدى سؤلى وغاية رغبتى تحمل قلبى فيك ما لا أبثه وبين ضلوعى منك ما لولاك قد بدا وبى منك فى الأحشاء داء مخامر ألست دليل الركب إن هم تحيروا أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن فنلنى بعفو منك أحيى بقربه</p>
---	--





الرازي

أبو بكر نجم الدين عبدالله بن محمد، الأسدي الرازي المتوفى سنة ٦٥٤هـ في بغداد، وله في التصوف «كشف الحقائق وشرح الدقائق».

الرازي

أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، توفى بنيسابور سنة ٢٥٨هـ، وكان يتكلم في الرجاء وله لسان في المعرفة، وله شقيقان اسماعيل وإبراهيم من الزاهدين، وكان دائم الغم يسائل نفسه لما خلقه الله، ويتحدث كثيراً عن الفناء، ويرجو أن يغفر له الله ذنوبه فهو لم يختار أن يذنب واختار أن يعرف، فلما عرف أدرك أن عليه أن يعمل، وابن معاذ يختار من العمل أشرفه وهو اثنان بناء المنابر وتعبية العساكر، يعني أن شغله في الدعوة والجهاد، فالعبادة للعارف سلوك مع الخلق والخالق، والتصوف أدب، وطريق العارفين يبدأ بالخوف فتكون التوبة فالزهد، والرهدي سلم للرضا ومحبة الحق، والمحبة تؤسسها المعرفة، ومن عرف ذاق، ومن ذاق اشتاق. وأوثق الرجاء للعارفين هو رجائهم لربهم، وأصدق ظنونهم حسن ظنهم بالله. ولا يفهم ابن معاذ من التزهد في الدنيا بأنها مبيضة كريهة في ذاتها، فالدنيا مخلوقة لله تعالى، وهي خزانته ولا يمكن أن تكون موضوعاً لكرهية الكارهين وبغض المبغضين وكل ما فيها من شجر أو

مدر أو حجر يسبح لله، وقد خيرها أن تأتي كرها أو طوعاً فأنت طوعاً، والمجيب لله تعالى بالطاعة لا يستحق أن يكون بغيضاً في قلوب العارفين. ويفسر ابن معاذ الزهد في الدنيا بأنه عدم الطمع فيها، فمن يريد الزهد فعليه أن يخرج من خصاله خصلة الطمع، وكلما كان طلب الدنيا كان الابتعاد عن الله، وعلى حسب اشتغال الفكر والقلب بالدنيا يكون انصرافها عن الله وبالتالي البعد عنه، وابن معاذ يحاول بزهده أن يقبل على الله معتمداً عليه ممتليء القلب من رجائه ورطب اللسان من دعائه، ويقول: «في قلبي من الذنوب زفرات ومعى عليها ندامات» ويستعطف الله ووسيلته إليه لا إله إلا الله، يعني توحيده وتنزيهه، ويقول لمن يسأله عن انشغاله عن أصحابه:

أنا مشغول بذنبي يارجل كف عسى إن قلبي في شغل

وينتقد ابن معاذ الصوفية الجاهلين الذين يتعبدون قبل تعلمهم فروض الدين، والصوفية الذين لا ينتفعون بأقوال المشايخ وبالتالي ليست لأفعالهم أصول ولا قواعد. ويقول في هؤلاء وأولئك إن لبس الصوف والكلام في الزهد عندهم حرفة، وليس هكذا العارف فهو ولي الله، وهذا الرياء والافتقار، وليست الدنيا همته، ولا يريد بالزهد أن يتكسب من الناس وإنما هو في الدنيا داع إلى الله ومثله مثل الصياد، وهو يصطاد العباد من أفواه الشياطين، ولو لم يصد طوال حياته إلا عبداً واحداً لكان قد أوتى خيراً كثيراً. والولي صفاته أنه يرجع إلى الله في كل شيء، ويرجو الله في كل شيء، وعبادته له حرفة، وحانوته فيها الخلوة، ورأس ماله الاجتهاد بالسنة، وربحه منها رضا الله ومحبة. وقلبه إذا عرف الخلوة أوصلته معرفته لها إلى الأنس بالله، ومن يأنس بالله يستوحش من غيره. والخلوة والقلة والجوع أساس الزهد، والجوع بحسب الجائع، فالتواب جوعه تجربة، والزاهد جوعه سياسة، والصديق تكرمه. والصوفى الجاهل هو الذي يبدأ بلبس الصوف من غير إمامة نفس، وهو أيضاً الذي يترك المكسب مع الحاجة، فكل تعبد مع تضييع العيال هو جهل مؤكد. ويتساءل ابن معاذ كم بين من يريد حضور الوليمة للوليمة، وبين من يريد حضورها ليلتقى الحبيب فيها؟ وجبه لله الذي يقوى قلبه لأن يسأل الله أن يغفر له بلا توبة لأنه يقدر على شروطها، ويعظ أحياءه أن لا يجالسوا إلا أحياء الله فهم المداومون على ذكره والملازمون لبابه.

الرازي

زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد الفادر الرازي المتوفى بعد سنة ٦٦٦ هـ، من فقهاء الحنفية، وله «حدائق الحقائق» فى التصوف، كما أن له مصنفات أخرى كثيرة فى مختلف العلوم على طريقة أهل عصره، واشتهر بقاموسه «مختار الصحاح»، و«شرح المقامات الحريرية» و«أتمودج جليل عن أسئلة وأجوبة من غرائب آى التنزيل» و«الذهب الإبريز فى تفسير الكتاب العزيز» و«روضة الفصاحة» و«كنز الحكمة». زار مصر والشام، وكان فى قونية سنة ٦٦٦ هـ وهى آخر العهد به.



السرازى (الفخر)

فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسن التيمى البكرى (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) الإمام المفسر، أوجد زمانه فى المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، أصله من طبرستان، وهو قرشى النسب، ومولده فى الرى وإليها يسب، وتوفى فى هراة، وله التصانيف ومنها كتاب «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» ويعقد فيه باباً فى أحوال الصوفية يقول فيه إن أكثر من حصر فرق الأمة لم يذكر الصوفية وذلك خطأ، وما أورده الفخر الرازى عن الصوفية كفرقة أو فرق هو الأول فيما نعلم، وحنة الرازى أن حاصل قول الصوفية أن الطريق إلى معرفة الله هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية، وهذا طريق حسن، ولكنهم فرق، الأولى أصحاب العادات، وهم قوم منتهى أمرهم وغايته تزيين الظاهر، كلبس الخزقة وتسوية السجادة؛ والثانية أصحاب العبادات، وهم قوم إذا فرغوا من أداء الفرض لم يشتغلوا بنوافل العبادات بل بالفكر وتجريد النفس عن العلائق البدنية، وهم يجتهدون أن لا يخلو سرهم وبالمهم عن ذكر الله، وهؤلاء هم خير فرق الآدميين؛ والرابعة النورية، وهم طائفة يقولون إن الحجاب حجابان، نورى ونارى، وأما النورى فالاشتغال باكتساب الصفات المحمودة كالطوكل والشوق والتسليم والمراقبة والأسى والوحدة والحالة، وأما النارى فالاشتغال بالشهوة والغضب والحرص والأمل، لأن هذه الصفات نارية، كما أن إبليس لما كان نارياً فلا جرم وقع فى الحسد؛ والخامسة الحلولية وهم طائفة من هؤلاء القوم الذين ذكرناهم يرون فى أنفسهم أحوالاً عجيبة، وليس لهم من العلوم العقلية نصيب وافر، يتوهمون أنهم قد حصل لهم الحلول أو الاتحاد فيدعون دعاوى عظيمة. وأول ما أظهر هذه المقالة

فى الإسلام الروافض؁ فإنهم ادعوا الحلول فى حق أئمتهم ؛ والسادسة المباحية؁ وهم قوم يحفظون طاعات لأصل لها؁ وتلبسات فى الحقيقة؁ وهم يدعون محبة الله تعالى؁ وليس لهم نصيب فى شىء من الحقائق؁ بل يخالفون الشريعة ويقولون إن الحبيب رفع عنا التكليف؁ وهؤلاء شر الطوائف؁ وهم على الحقيقة على دين مزدك .



رابعة العدوية

أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية؁ مولاة آل عتيك المتوفية نحو سنة ١٨٥هـ؁ كانت البنت الرابعة لأبوها؁ وهى بخلاف رابعة بنت إسماعيل الشامية زوجة الصوفى أحمد بن أبى الخوارى والمتوفية سنة ٢٣٥هـ؁ والأولى دفنت بالبصرة؁ والثانية قبرها ببیت المقدس . ويروون عن العدوية أنها وهى طفلة خرجت هى وأخواتها من شدة الجوع وقت أن نزل القحط بالبصرة فوجدها رجل باعها بستة دراهم؁ وكانت تفرض الشعر وتغنيه وتعزف على الناي؁ ولها مزاج فنى رقيق وميل طبعى إلى الحزن؁ ولعلها لذلك كانت تحب الناي على العود . وشعرها أنشوى فيه لغة النساء . وربما استعملها سيدها للغناء فى مجالسه وكان ذلك يسخطها عليه بسبب اتجاهاتها الدينية القوية حتى أنها شرعت فى الهرب وناجحت ربها قائلة : «إلهى ! إنى غريبة ویتیمة وأرسف فى قيود الرق؁ ولكن همى الكبير هو أن أعرف أراض أنت عنى أم غير راض ؟»؁ أى أنها ربما كانت تخشى أن تبوء بغضب الله بسبب ما كان يجبرها عليه سيدها؁ وقد زادها ذلك من التهافت على العبادة والابتهال إلى الله أن يقيها من عثرتها؁ وقد تسمع عليها سيدها فى ليلة فوجدها تقول وهى ساجدة : «إلهى ! أنت تعلم أن قلبى يتمنى طاعتك؁ ونور عينى فى خدمة عتبتك؁ ولو كان الأمر بيدى لما انقطعت لحظة عن خدمتك؁ لكنك تركتنى تحت رحمة هذا المخلوق القاسى من عبدة !»؁ فلما كان الصباح طلبها سيدها وأعتقها؁ فكان ذلك مدعاة أكثر للتوجه للشكر لربها فانصرفت بكليتها إليه وقد تحررت من رقها؁ وكانت إذا انتهت من صلاة العشاء تصعد إلى سطح دارها بعد أن تشد عليها درعها وخارها وتدعو «إلهى أنارت النجوم؁ ونامت العيون؁ وغلقت الملوك أبوابها؁ وخلا كل حبيب بحبيبه؁ وهذا مقامى بن يدك»؁ ثم تقبل على الصلاة فإذا كان السحر وطلع الفجر قالت : «إلهى ! هذا الليل قد أدبر؁ وهذا النهار قد أسفر؁ فليت شعرى أقبلت منى

ليلتى فأهناً ، أم رددتها على فأعزى ؟ فوعزتك هذا دأبى ما أحييتنى وأعنتنى ! » .
وقد تقول فى حياتها الجديدة وقد طويت صفحة المديمة :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدت إلى مصحوب أول منزلى
ونادت بى الأشواق مهلاً فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل

وإنشادها الآن يتوجه لسيدھا الحقيقى ، وشعرھا فيه من نسجھا وليس أبياتاً من
أشعار المحبين كالتى كانت تحفظھا وتقولھا لمولاهما من هل عتيك :

يا سرورى ومنيتى وعمادى وأنيسى وعُدتى ومُرادى
أنت روح الفؤاد ، أنت رجائى أنت لى مؤنس وشوقك زادى
أنت لولاك يا حياتى وأنسى ماتشتت فى فسيح البلاد
كم بدت مبتة وكم لك عندى من عطاء ونعمة وأيادى
حبك الآن بغيتى ونعيمى وجلاء لعين قلبى الصادى
ليس لى عنك ما حييتُ براح أنت منى مُمكِّن فى السواد
إن تكن راضياً على فإنى يا منى القلب قد بدا إسعادى

وتزهد رابعة فى الزواج وتخطب مرتين ، فى الأولى لعبد الواحد بن زيد ، وهو
صوفى مثلها ، وفى الثانية لأمير البصرة محمد بن سليمان الهاشمى وبعدها بمائة ألف
مهرأ ، وب عشرة آلاف فى كل شهر دخلاً ، فخاصمت الأول عدة أيام إلى أن صالحها
عليه إخوانها من الصوفية فجاءها على استحياء فقالت له : « يا شهوانى ! اطلب
شهوانية مثلك ! أى شىء رأيت فى من آلة الشهوة » ، وكتبت إلى الثانى تقول :
« ما يسرنى أنك لى عبد (كما ذكر لها فى خطبته) وأن كل مالك لى ، وأنك
شغلتنى عن الله طرفة عين ! » . وتقول رابعة :

راحتى يا إخوتى فى خلوتى وحبيبى دائماً فى حضرتى
لم أجد لى عن هواه عوضاً وهواه فى البرايا عمنتى
حيثما كنت أشاهد حسنه فهو محرابى إليه قبلتى
إن مت وجداً وماتم رضا واعنائى فى الورى واشقوتى
يا طبيب القلب يا كل المنى جُذ بوصل منك يشفى مهجتى
يا سرورى وحياتى دائماً نشأتى منك وأيضاً نشوتى
قد هجرت الخلق جمعاً أرتجى منك وصلاً فهو أقصى منيتى

وأشهر أبيات رابعة فى الحب الإلهى هى التى تقول فيها :

أحبك حين : حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

ومعنى قولها حب الهوى، أى رأيتك فأحببتك عن مشاهدة اليقين لامن خبر وسمع وتصديق من طريق النعم والإحسان، فتختلف محبتى إذا تغيرت الأفعال لاختلاف ذلك على، ولكن محبتى من طريق العيان فقربت منك وهربت إليك فاشتغلت بك لما تفرغت لك. وأما الحب الثانى الذى هو أهل له فتعنى به حب التعظيم والإجلال لوجه العظيم ذى الجلال. تقول ثم إنى مع ذلك لا أستحق هذا الحب ولا أستأهل أن أنظر إليك فى الآخرة على الكشف والعيان فى محل الرضوان، لأن حبى لك لا يوجب لك جزاء عليه، بل يوجب على كل شىء مما لا أطيقه ولا أقوم بحقق فيه أبداً، إذ كنت قد أحببتك فلزمنى خوف التقصير ووجب على الحياء من قلة الوفاء، والخوف لما تعرضت به من حبك، إذ ليس كمثلك شىء، فتفضلت على بفضل كرمك وما أنت له أهل من تفضلك، فأريتنى وجهك عندك آخرأ كما أريتنيه اليوم عندم أولاً، فلك على ما تفضلت به فى ذاك عندى فى الآخرة، ولاحد لى فى ذا هاهنا، ولاحد لى فى ذاك هناك، إذا كنت أنا وصلت إليها بك، فأنت المحمود فيها لأنك وصلتني بها، وهذا هو وجد الخبين المحققين. ولا غرابة إن أطلقوا على رابعة العدوية لهذا أنها شاعرة الخبة الإلهية عند الصوفية، وأول من تكلم فيها وأدخل هذا المعنى فى التصوف الإسلامى.



إبن رجب

أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (٧٣٦ — ٧٩٥ هـ) كان يعقد المجالس للوعظ وتذكير القلوب، وكانت مجالسه صارعة، وللناس عامة مباركة نافعة، فقد اجتمعت الفرق عليه، ومالت القلوب بالحببة إليه. وكان قدومه من بغداد إلى دمشق وهو صغير، وأجازه ابن النقيب وابن النووى، وله ضمن مصنفات أخرى «جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم» تناول فيه

التصوف بالنقد برغبة بيان ما كان من علوم المتصوفة عن الصحابة والتابعين وما استحدث من ذلك بعدهم، فنفرق بين السنة والبدعة. ويقول إن بدع الأزمنة المتأخرة تدرجت من الحديث فى الحقيقة **بالذوق** والكشف إلى الفصل بين الحقيقة والشرعية، ثم تطور الأمر فنادى بعض الصوفية بأن المعرفة وحدها كافية مع المحبة دون ضرورة للأعمال التى تعد عندهم حجاباً ولا حاجة إليها إلا بالنسبة للعوام وحدهم. وهو يعرض للغلو عند الصوفية فى العبادات كالصوم المستمر الذى يضعف البدن فيعجز العبد عن القيام بحقوق الله، أو يضعفه عن الكسب للأولاد، أو القيام بحقوق الزوجة، وقد نهى الرسول عن تعذيب النفس بتحميلها مالا تطيق. ولقد انصرف الصوفية عن العلم وتحديثوا فى الوسوس والخطرات، وكلامهم فيها لا يستند إلى دليل شرعى وإنما على **الرأى والذوق**. ويتقرب البعض منهم إلى الله تعالى بسماع الملائكة أو بالرقص أو يكشف الرأس فى غير الإحرام وما أشبه ذلك من المحدثات، والتقرب إلى الله ومولاته أن يتم بأداء الفرائض ثم النوافل، فاتباع أى طريق يوصل إلى التقرب من الله ومولاته ومحبته سوى طاعته التى شرعها على لسان رسوله ممن ادعى ولاية الله ومحبته تبين أنه كاذب فى دعواه. والاعتداء ينبغى أن يكون بالسنة وليس بهؤلاء الصوفية لأن الرسول نهى عن التعسير وأمر بالتيسير. **والزهد** عند ابن رجب ليس بتحريم الحلال وإضاعة المال، وإنما الزهادة فى الدنيا هو أن لا تكون فى يدك أوثق مما فى يد الله، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك. وليست المحبة فى السنة عواطف تجعل صاحبها يهيم على وجهه تاركاً الفروض والتكاليف ومقبلاً على النواهي ومردداً الأذكار، ومهللاً بالتسايع يتواجد بها، وإنما المحبة الصحيحة تقتضى المتابعة من العبد، والموافقة فى حب المحبوبات وبغض المكروهات. وكذلك الشأن فى التوكل، فعلى العكس من الصوفية الذين قد يتعللون به لإبطال الأسباب وإسقاطها فإنه يربط التوكل بالأسباب فى الطاعة لله وهو من عمل الجوارح، والتوكل عليه سبحانه من عمل القلب. ولابن رجب تفسيرات أخرى فى المعرفة **والجهاد** والمعية، والجهاد هو ذروة سنام الأمر كله وأرفعه، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أفضل الأعمال بعد الفرائض، وأما الصوفية فقد عطلوا هذه الفريضة واعتزلوا الناس واختلوا بأنفسهم دونهم.

رضوان (حسن)

حسن بن رضوان بن محمد بن حنفى (١٢٣٩ - ١٣١٠ هـ) له أرجوزة «روض

القلوب المستطاب» يشرح فيها عبارات القوم، ويسرها للطالبين من الطريقة الخلوتية. وكان مولده فى ببا الكبرى من محافظة بنى سويف، وأجداده كانوا من أهل الشام، وانتقل منهم إلى مصر جده الثانى، وتوفى والده وهو صغير فرعته أمه وأرسلته لطلب العلم فى الأزهر الشريف فبلغ مقام التدريس وهو ابن سبع عشرة سنة، وأخذ الطريق وهو فى سن العشرين، ثم ترك القاهرة وانتقل إلى السريرية من المنيا وأقام بزاوية استأذه تسع سنين، تولى فيها مراقبة المريدين وكانوا خمسمائة أو يزيدون، ثم انتقل بأهله إلى سبط أى جرج من بنى مزار واشترى دارا بجوار المسجد فاجتمع عليه الناس لمدارسة العلم وتلاوة القرآن، ثم أمره استأذه بالانتقال إلى أبى الوقف فأقام بها خمس سنوات وحج وانتقل إلى أبشاق الغزال بالقرب من سبط أبى جرج، ومازال ينتقل إلى أن وافته منيته. وحياته نموذج للصوفى المتحقق، فقد كان من العلماء وتوجه إلى نشر الثقافة الدينية والصوفية فكان يلقى الدروس ويقيم الأذكار وينشئ المؤلفات ويذيع المثل الطيب بسلوكه الشريف. ويقول الدكتور زكى مبارك نقلاً عن الشيخ مصطفى عبدالرازق أن البلد الذى كان الشيخ رضوان يقيم فيه كان يكثر فيه العلماء والمدرسون فهو من الهداة الصالحين الذين عرفتهم مصر فى القرن الثالث عشر، وله رسائل فى شرح بعض الأحاديث شرحاً صوفياً، وفى القراءات، وفى الصلاة على النبى، والتوسل بالإسم الأعظم. والتصوف عنده أفضل علوم العارفين، واختلاف عباراتهم فيه إنما لاختلاف المقاصد، فمنهم من يعبر بالفقر أو بالزهد، وبعضهم بأخذ الحقائق وترك الاختيار والتسليم إلى مراد العالم الحكيم، وبعضهم بقطع كل العلائق واليأس مما لدى الخلائق، وبعضهم كان تعبيره بالقيام بالأدب لكل وقت فى جميع ماطلب من شكر النعم والتوبة وحسن الصبر على البلاء والصدق فى الرضا بالقضاء. وأهل التصوف هم الكاملون المتجردون عما سوى معبودهم، والمتقيدون بامثال أوامره. ولفظ الصوفى اصطلاح، الصاد منه تعنى صرف الهمّة فى كل مرضى، وصدق النية وصد الهوى والصدق بالحق والصلح وصقل القلب بالذكر والصغار بمعنى التواضع، والواو تشير إلى وصل المولى ووده والوعد فى وفائه، والفاء للفتوة وفقد الشهود وفتحه القريب والفناء عن رسومه والفرق والفرقان، والباء للنسبة المتحققة فى الصوفى بما يستحق عليه اسم الصوفى من حيث تعلق قلبه بأحوال الأولياء. وعلم الصوفية علم موروث عن النبى، والعارف بالله هو من أشرفت عليه أنوار حقائق آدابه عليه الصلاة والسلام، وأعظم العارفين رتبة هو المستحق للخلافة والدعوة إلى الله نيابة عنه، ولا يزال يرتقى وتتجلى علومه إلى المقام الأكمل وهو مقام الكشف، بالإيمان عما انطوى فى

مشهد العرفان عن وجوده فى شهوده للحق ، وعندئذ يندرج فى مقام كنت سمعه ويشاهد الأشياء به وله ، فإذا رُد إلى العباد يكون داعياً بينهم بإذنه ، ساعياً بالرشاد ، يذلّهم ويعرفهم ليعبدوه بصدق العزم . وليست الطريقة إلا سلوك المتصوفين نحو تلك الغاية ، وأصوبها التوبة والخوف والرجاء والقناعة والزهد والورع والتوكل والصبر والشكر والمجاهدة والدعاء والعزلة والصمت .

وأرجوزته روضى القلوب تقع فى نحو اثنى عشر ألف بيت ، وربما كانت لذلك أكبر منظومة فى قواعد التصوف ، وتشير إلى شدة تمكن الشيخ رضوان من علم التصوف حيث لم يترك فيه شاردة ولا واردة إلا قيدها بأسباب من النظم الوثيق كما يقول الدكتور زكى مبارك ، وهو بكلماته «قعد التصوف تصعيداً وصيرته من العلوم ذات القواعد والأصول بحيث يرى المطالع أنه ينظر فى فن مقعد مضبوط . وهو فيما يشرحه من الإشارات يعنى ما يقول ويفهم ما يريد . ومن أعجب ما وقع منه أنه يبدأ منظومته بأصعب مسألة وهى وحدة الوجود ويختتمها بأسهل مسألة وهى تعريف التصوف . ويقول عن وحدة الوجود :

وحسبه من ذلك المقصود إشراف نور وحدة الوجود
ويلقى الدكتور مبارك أنه أجراً من الشعرانى الذى تبرأ من وحدة الوجود ، وأصرح من ابن عربى الذى دار حولها فى تيب واحتراس .

كل ماسواه نجم آفل	بل فى شهود العارفين باطل
فليس إلا الله والمظاهر	لجملة الأسماء وهو الظاهر
فغيره فى الكون لا يقال	لأنه فى ذاته محال
ورتبة الإمكان لا تفارق	لممكن ما وهى فيه الفارق
فالحق ذاتاً واجب الوجود	لنفسه وعز فى الشهود
وكل مظهر بروحه استمد	من حضرة الأسماء بخير ما استعد
ومن هنا اليقين والتمكين	فى رتبة الشهود والتلوين
فن صفت مرآته تحقّقاً	بما من الأسماء عليه أشرقاً
وشاهد المشاهد المصونة	وأدرك المواهب الكنونة



الرفاعى (أحمد)

الشيخ الكبير السيد أحمد بن السيد أبى الحسن على الرفاعى الحسينى، مؤسس الطريقة الرفاعية أو البطائحية وينسب إلى جده رفاعه المغربى الحسينى. وكانت ولادته بقرية حسن من أعمال واسط بالعراق سنة ٥١٢هـ، ووفاته بقرية أم عبيده بين واسط والبصرة سنة ٥٧٨هـ، ولم يخلف كتباً إلا أن تلاميذه جمعوا ما قال فى ثلاثة أسفار هى «جمع أسرار الشريعة والحقيقة والطريقة» والمشهور باسم «البرهان»، و«النظام الخاص لأهل الاختصاص»، و«رحيق الكوثر»، ومن أبرز هؤلاء التلاميذ شرف الدين بن عبد السميع الهاشمى الواسطى الذى صرف همه ومعه نفر من الأصحاب إلى جمع بعض المخاطبات التى مفادها موضوع الطريقة وآداب المريد وأخلاق الصوفية وأصل التصوف واشتقاق الكلمة، وكان ذلك هو كتاب البرهان، وأما كتاب النظام الخاص لأهل الاختصاص فهو أصعب على الفهم، وربما لذلك الأجدر به خاصة المريدين، والكتاب لذلك أصغر حجماً، ومداره على الأخلاق، وهو خطبة واحدة، بينما كتاب البرهان عدة مخاطبات، يبدأ الشيخ إما بأبها السادة، أو يأخى. والكتاب الثالث من وضع ابن المهذب صاحب كتاب عجائب واسط، ونسب فيه إليه شعراً ومنه الأبيات التى تقول:

إذا جن لئلى هام قلبى بذكركم أنوح كما ناح الحمام المسطوق

وقد صنف كثيرون كتباً فى الشيخ وفى الطريقة منها ربيع العاشقين لعلى بن جمال الحداد، وترباق المجيب لتقى الدين الطوسى، والنفحة المسكية للفاروق الواسطى، وخلاصة الإكسير لعلى الواسطى، والعقود الجوهريّة لأحمد عزت الفاروقى. ونظرية التصوف عند الرفاعى أساسها احترام الشريعة أولاً وأخيراً، والطرق الصوفية التى تخالف الشريعة زندقة، ومالم تشرق منهاجها بنور علم النبى وعمله فهى باطلة، فالطريق الحق هو طريق النبى، والصوفى المتبع هو الذى يعظم شأن النبى لأنه الداعى إلى الله والمخبر عنه والآخذ منه، وهو باب الحضرة الرحمانية، ومن اتصل به اتصل، ومن انفصل عنه انفصل، والنبوة باقية بعد وفاة النبى كبقائها حال حياته، وجميع الخلق مخاطبون بشريعته، ومن رد أخباره الصادقة كمن رد كلام الله تعالى، والتصوف فيه تجديد للمراتب وإنزال الناس منازلهم، وأشرف النوع الإنسانى هم الأنبياء، وأشرف الأنبياء هو محمد ﷺ، وأشرف الخلق بعده آله

وأصحابه ثم التابعون أصحاب خير القرون. والتصوف الحق لا يأخذ بالرأى، فما هلك من هلك إلا بالرأى، والتصوف لا يحكم فيه بالرأى أبداً إلا فى المباحات، فإن كان هناك تنازع فى أمر فردّه إلى الله. والأولياء ذكرهم بالخير، فقد رفع الله تعالى البعض على البعض درجات، وتأييد الأولياء لا يكون بالدعوى. والأساس فى هذه الطريقة المحمدية إحياء الستة، والصوفى على الرقيق مادام على السنة، فتى حاد عنها زلّ عن الطريق، والصوفية كانوا ربطاء الكعبة فى الجاهلية، وكانوا يميزون الحجاج، فلما أتى الإسلام أسلموا وكانوا عبّاداً، ومن صحبهم سُمى بالصوفى، وكذلك من صحب من صحبهم أو تعبّد ولبس الصوف مثلهم فينسونه إليهم. وأهل الخرقه التزموا الصفاء والمصافاة وعملوا بالآداب الظاهرة وقالوا إنها تدل على الآداب الباطنة، وقالوا أحسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن، وقالوا من لم يسرف أدب الظاهر لا يؤتمس على أدب الباطن، وكل الآداب منحصرة فى متابعة النّبى ﷺ قولاً وفعلًا، وحالاً وخلفاً، فالصوفى آدابه تدل على مقامه، وأقواله وأفعاله وأخلاقه ميزانها الشرع، فن ثقل ميزانه كان له من خلق النّبى، ومن لم يلتزم الآداب الظاهرة فهو فيهم ولكن حاله لا يلتبس بجاهلهم، لأن استعمال الآداب دليل الجنسية، وهى غلة الضم، والتصوف كله أدب. والرفاعى من فرط أدبه الصوفى ينفى عن نفسه أنه شيخ أحد، أو أنه بمقدم على أحد، ويقول: لست بشيخ ولست بمقدم عليكم، ولست بواعظ، ولست بمعلم، وحشر مع فرعون وهامان إن خطر لى أنى شيخ على أحد من خلق الله إلا أن يتفمّدى الله برحمته فأكون كآحاد المسلمين، والإسلام هو حبل الوصلة إلى الله، فاحكموا رابطة الوصلة مع الله بشرائط الإسلام. ويقول: ويقتلون عن الحلاج أنه قال أنا الحق، وقد أخطأ الحلاج بوجهه، فلو كان على الحق ما قال أنا الحق، ويذكرون له شعراً بوجه الوحدة، وكل ذلك ومثله باطل، وما أراه رجلاً واصلاً أبداً، وما أراه شرب أو حضر، وما أراه سمع إلا رنة أو طنيناً فأخذه الوهم من حال إلى حال، ومن ارداد قريباً ولم يزد خوفاً فهو ممكور، فإياكم والقول بهذه الأقاويل، إن هى إلا أباطيل، وقد درج السلف على الحدود بلا تجاوز، والمتجاوز هو الجاهل، فلا تخلطونى غداً بين يدى العزيز سبحانه وقد سبقكم أصحاب الأعمال المرضيات، وعليكم بالأدب، فأقرب الناس إلى الزندقة المتصوفة المشغولون عن العبادات بالخوض فى الكلام على الذات والصفات، ومدعى الوحدة المطلقة محوز عن غيره بجهته ومكانه، والله تعالى منزّه عن الجهة والمكان، وهو محاط بثوبه، والله تعالى بكل شىء محيط، وهو مشور بالعجز فى كل شىء، والله تعالى على كل شىء قدير، فكذب وهمه كما كذب وجوده ليدخل فى أعداد المؤمنين

الصادقين، فكل ما يطرأ عليه الحدث من جانب فهو حادث، فاتقوا الله ونزهوا ربكم، فإن التوحيد أفراد القدم عن الحادث، وطريقنا لذلك هو طريق شيخنا الجنيد أبي محمد، والمريد ينظر بزى من تزيًا وبخلعة من تلبس، فإذا لبس لباس الأنبياء والمرسلين وتزين بزى الأولياء الصالحين فليحفظ حق زيه، بالتخلق بأخلاقهم والعمل بأعمالهم. والطريق واضح أغلقت مناهجه جماعة اصطلاح عليهم الحال وما بلغوا مقام التمكين، فتجاوزوا بالشطح والدعوى الحدود، فتبعهم فريقان، فريق انقاد بحسن الظن، وفريق قاده الجهل، وكلاهما على شفا جرف، إلا أن الطريق محتجة بيضاء، وكل ما فيه من قول وفعل، بظن أو ظهر، لا يتجاوز دائرة الشرع، وكل ما خالف الشرع فهو زندقة. والطريق أن تقول: آمنت بالله، ووقفت عند حدود الله، وعظمت ما عظم الله، وانتهيت عما نهى الله، ولا طريق بعد هذا أبداً، إذ ليس إلا بعد الحق الضلال. ولقد جاء جماعة من أهل هذا الطريق بعبادات زائدة، جعلوها سلماً للعبادة، ونبتوها على كونها بدعة معتادة تدخل في البدع الحسان، إلا أن أهل النقص عظموا تلك العبادات حتى أدخلوها في العبادات، واشتغلوا بها عن العبادات، فانقطعوا عن العافلة وبقوا بلا زاد ولا راحلة، فإياك أيها السالك أن تدخل العادة في العبادة، فإن العبادات المباحة أو المستحسنة صيغت بعقل مخلوق، والعبادات قامت بأمر الخالق، وبين عقل المخلوق وأمر الخالق الفرق بين، تعالى الله علواً كبيراً.

والرفاعية أدخلها إلى مصر أبو الفتح الواسطي تلميذ الرفاعي الذي أقام بالإسكندرية وتوفي ودفن بها سنة ٥٨٠هـ.

الرفاعية

طريقة أحمد الرفاعي، وقواعدها عشرة، وأولها البيعة يؤدبها المريد للمرشد على السجادة لاصقاً ركبتيه بركبتيه ويقرأ الفاتحة، كما يقرأ عليه المرشد البيعة، ويطلب منه الاستغفار والتوبة ويردد خلفه الرضا بشيخته وإرشاده بطريقة أحمد الرفاعي، ويقيم المرشد مريداً على هذا العهد، ثم يجلسه ويوصيه بتقوى الله ويلقنه كلمة التوحيد، ويعلمه الذكر بلا إله إلا الله، يقولها غلصاً متجرداً من الأعماق، ثم يضع جبهته على جبهته ويده على صدره ويدعو له بالتوفيق والإخلاص والبركة، ويحتم دعاءه بالفاتحة، ويقوم مع المريد إلى القبلة ويصليان على النبي أول الخلق وخاتم الرسل والأنبياء

أجمعين، ثم يشتيان بالفاتحة. والقاعدة فى سلوك الطريقة الرفاعية الأدب وصحة الصحبة، وأول ذلك مع المرشد، فيخدمه بطوعه، وعن رغبته، لينطع بطباعه بالمعاشرة، فتحسن أخلاقه، وينسلخ من الدعاوى والغرور والأقاويل والشطح والكسل، ويسلك طريق السلف، ويعمل بمقتضى الكتاب والسنة فيصير قريباً من أهل الحق، ولا تأخذه فى الحق لومة لائم، فإذا ظهرت عليه هذه العلامات يعطيه المرشد أول أوراد الرفاعية، وهى الصلاة على النبى بالعدد الذى يناسب استعدادة، ويلحق به الاستغفار والتوبة بالعدد الذى يناسب استعدادة أيضاً، فإذا طاب له الذكر يزيد له العدد، ويساعده على ذلك بالرياضة أحياناً، وبالسباحة حيناً، وبالتجرد والخلوة والسهر والتهجد والخدمة والصدقات، ويعرفه عقبات الطريق، وهى عند الرفاعية حب الشيخ بالانقطاع إليه عن غيره، واستغراق القلب واللسان بحبة النبى ﷺ، والتمسك بشريعته وأحكام سننه، حتى يشهده ﷺ معه دائماً فى كل مكان ووقت. ويستحسن أن يقرأ السالك مع رواتبه حزب التحفة السنية الخاص بالرفاعية، وهو عبارة عن آيات قرآنية ومجموعة من الأدعيات فى نحو الثلاث صفحات. ومن قواعد الرفاعية الخلوة، مرة كل سنة سبعة أيام، تبدأ باليوم الثانى من عاشوراء، أى الحادى عشر من محرم الحرام، إلى مساء اليوم السابع عشر، فيكون للمختلى فراشه الذى لا تشاركه فيه زوجته ولا غيرها، ويكون على وضوئه باستمرار، ويخلو طعامه من كل ذى روح، ويصلى على النبى الأسمى الطاهر الزكى وآله وصحبه مائة مرة، وأن يكون ذكره بعد الراتب بالعدد الذى يسمح به استعداده، فى اليوم الأول لا إله إلا الله، وفى الثانى يا الله، وفى الثالث يا وهاب، وفى الرابع يا حى، وفى الخامس يا مجيد، وفى السادس يا معطى، وفى السابع يا قدوس. ويلزم استغراق الوقت فى الذكر. ولا يتقيد الرفاعية بزي مخصوص إلا العمامة السوداء عملاً بالسنة المحمدية، وأما الزى الأسود فذاك تخصيص إطلاق بلا قيد، إشارة إلى دوام السودة وشرف الطريقة. وغالباً ما ينصب الورد العام ليلتى الجمعة والاثنين، والورد الخاص كل يوم بعد العشاء، وطريقته التحلق وكل فرد جاث على ركبتيه، ويقرأون الفاتحة، ويستأذنون على الرسول وآل البيت والصحابة والأولياء وسيد الأولياء الرفاعى، بقولهم دستور، ثم يحتمون ذلك بطلب المدد، ويباشرون قراءة الورد، ويتضمن سور الأعلى، والقدر، والنصر، والإخلاص، والفلق، والناس، والفاتحة، ثم يقرأون عدداً من الصلوات والأشعار، ثم الفاتحة ويحتمون. ومن مراسيم عدة النوبة وهى عبارة عن الدفوف والطبول الأحمدية الكبيرة، يضربونها فى ليالى الجمع، ويحتمون

عليها لتنشيط المريدين والترويح عن القلوب، ويمدحون النبي، ويذكرون الصالحين. والقاعدة في أدب المرشد والمريد أن يكون المرشد كاملاً، متشعراً، متديناً، عارفاً بأصول الطريقة وأركانها، وآدابها، وخلواتها، وجلواتها، وأذكارها وأورادها، وسلوكها، وأسرارها، ناصحاً لإخوانه، محباً لهم، لا يلتفت للشطحات. وينبغي أن يكون المريد صاحب أدب وخشوع وخضوع، عارفاً بمقدار شيخه، منقاداً له، لا يعترض عليه، حافظاً لحرمة، وحرمة أهله وأقاربه ومحبيه، لا يصاحب له عدواً، ولا يباعد له صديقاً، ولا يزور أحداً من صالحى الوقت بغير أمره وإذنه، ويكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل. ومن الأدب مع صاحب الطريقة معرفة قرابته بالرسول ﷺ، ليعرف له المريد حق المودة في القربى، وأن محبته من محبة النبي ﷺ. ومن الأدب معه معرفة سيرته ليتخلق أتباعه بأخلاقه، ولا يصح لمن انتسب إلى طريقته أن ينتسب إلى طريقة أخرى بعدها. ولبس الخرقة من القواعد الرفاعية، وقد لبسها صاحب الطريقة من خاله الشيخ منصور البطائحي، الذى لبسها ضمن سلسلة من خمسة عشر إماماً، تنتهى بعلی كرم الله وجهه، التى لبسها من النبي ﷺ.

الرقى (إبراهيم)

برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن معالى الرقى (٦٤٧ - ٧٠٣ هـ) له تصانيف منها «أحسن المحاسن» اختصره من صفة الصفوة فى طبقات الصوفية لابن الجوزى.

روزبهان

أبو محمد روزبهان بن أبى نصر البقلی، ويلقب بشطاح فارس وروزبهان البقلی وروزبهان المصرى، ونشأته ووفاته بشيراز سنة ٦٠٦ هـ، وله فى التصوف نحو من ثلاثين كتاباً، منها تفسير صوفى للقرآن بعنوان لطائف البيان، يذكره معين الدين أبو القاسم جنيد الشيرازى فى كتابه «شد الإزار فى حط الأوزار عن زوار المزار» عن أولياء بلده شيراز، وله مشارب الأرواح، ومنطق الأسرار، وعبر العاشقين يتناول فيه العشق الإلهى وأحوال العاشقين، والشطحات، وقد اهتم المستشرق كوربان بالكتابين الأخيرين وأصدرهما عن المعهد الإيرانى الفرنسى، وكتب مقدمة شاملة عن الشيخ روزبهان، وبسبب الكتاب الأخير كانت تسميته بشطاح فارس. ويبدو أنه

كان كثير الأسفار في شبابه كمادة الدراويش، فزار العراق وكرمان والحجاز والشام، وقضى بمصر خمس عشرة سنة، وفيها تلقى الخزقة عن محمود بن محمود الصابوني، ولذلك أطلقوا عليه في شیراز اسم روزبهان المصري. ولما عاد إلى إيران لزم جامع شیراز المعروف بالجامع العتيق، وقيل إنه توفي عن أربع وثمانين سنة، ووصف نفسه فقال: في هذا الزمان أنا المرشد إلى طريق الله من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، فهل يستطيع العارفون أن يدركوني حقاً، وأنا البعيد النائي عنهم بروحي، حيث مستقر الأرواح؟



الرومي (جلال الدين)

محمد بن محمد بن الحسين البلخي، الشاعر الكبير صاحب المثنوي، المعروف بالرومي حيث كانت ولادته في بلخ عام ٦٠٤هـ، وإقامته ووفاته بقونية تركيا عام ٦٧٢هـ، ومن ثم كانت شهرته باسم القونوي أو الرومي، ومولاناى روم، ويقصدون بروم قونية، واختصاصه بلقب مولانا جاء بعد وفاته، ويذكرونه بمولوى، وينسبون إليه طريقة الدراويش المولوية أى الدراويش الراقصين. وشعره أدب صوفي كامل، له كل المقومات الأدبية وليس عبارة عن فوران عاطفي يعبر عن نفسه في بضعة أبيات كما عند رابعة العدوية، فقد كتب المثنوي في ستة دفاتر أو مجلدات تضم ما يقرب من خمسة وعشرين ألف بيت، وكتب ديوان شمس تبريزي، ويشتمل على غزليات صوفية يبلغ عدد أبياتها ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت تقريباً، وله غير ذلك الرباعيات وتشتمل على ١٦٥٩ رباعية، وعدد أبياتها ٣٣١٨ بيتاً، ومن مصنفاته كتاب «فيه مافيه» ويشتمل على قصص ومواعظ وأمثال، وكتاب «المجالس السبعة» ويشتمل على مواعظ وخطب ألقاها أثناء اشتغاله بالتدريس. وقد كان الرومي يعمل مدرساً للعلوم الدينية إلى أن التقى بالصوفي شمس الدين التبريزي فتأثر به وكان علامة تحول كبرى وانقلاباً في حياته الروحية حيث انقطع إلى الرياضة الصوفية وسماع الموسيقى ونظم الشعر. وكان شمس يلبس ملابس الدراويش، ويقول الرومي عنه إن الشمس هو الذى أرانى طريق الحقيقة، وهو الذى أدين له فى إيمانى وقينى. وقد سأله شمس: ما المقصود من دراسة العلوم، فرد الرومي بأنه الاطلاع على آداب الشرع، فقال شمس: لا، بل الوصول إلى المعلوم، ثم ذكر بيتاً للشاعر الصوفي حكيم اسنائي يقول: إن العلم إذا لم يجردك من نفسك فالجهل خير منه. ويذكر الرومي أنه حبس مع

شمس معلمه أربعين يوماً فى حجرة واحدة لا بدخلها عليها أحد إلا من يخدمها، امتلاً فيها الرومى بروح جديدة وانكشف له خلالها عالم جديد من الحقائق والأذواق. ويبدو أن الرومى كان دائماً فى حاجة إلى هذه الصحبة الروحية، فبعد التبريزى كان شديد التعلق بتلميذه حسام الدين اچلبى، وهذا الأخير هو الذى طلب إليه تأليف هذا الأدب العظيم الذى اختص به الرومى ليكون تراثاً للأجيال من بعده، وزاد فى طلبه بأن يجعله على طريقة حديقة الحقيقة للشاعر الصوفى السنائى، أو منطق الطير للشاعر الصوفى فريد الدين العطار، وكان الرومى يلى على تلميذه، فجاء المثنوى كما يقول: «أصول أصول أصول الدين» يعنى أنه كتاب فى علم الحقيقة الذى يعد أساساً لمعرفة الكتاب والسنة وهما أصل الدين، ومن أقوال الرومى فى ذلك بأن من يريد الوصول بالظاهر فهو مخطيء إذ الوصول يُبتنى على الحقيقة وليس على الظاهر، ومن لا يعرف الحقيقة فإنه لا يدرك ما الكتاب ولا الإيمان. ويقول الرومى عن المثنوى أيضاً «هو فقه الله الأكبر» لاشتماله على مسائل نعد فقها أكبر، لانصرافها إلى تصفية القلب وتطهير النفس وتخليّة العقل، وهذا هو الفقه الأكبر، لأن تلك مهمة أكبر من الفقه المتعلق بالنكاح والطلاق والبيع والشراء. ويبدو أن كتاب المثنوى لذلك لخاصة الناس، وهم الداخلون فى التصوف والغارقون فى بحار معارفه، وأما كتابه «فيه ما فيه» فهو على العكس لعامة المثقفين. وأسلوب الرومى فى أدبه الصوفى قوى البيان، فياض الخيال، بارع التصوير، يوضح المعنى الواحد فى صور مختلفة، ويسوق المثل إثر المثل، والمعانى تأتية أرسالاً، والألفاظ تواتية انشبالاً، وبحور الشعر تطاوعه حتى لينظم حول القصة القصيرة مئات الأبيات، ويصل بها ما يشاء من الآراء والنصائح والعظات والعبر، فقصة الأسد والوحوش والأرنب من قصص كليلّة ودمنة، نظم فيها زهاء خمسمائة بيت، وقلبه فى شعره مفعم بالعشق الإلهى، ومستغرق فيه، فكل شيء يذكر بالله تعالى، وكل فكر يؤدى إليه، ويقول عن العشق إنه أسطرلاب أسرار الله، ويعجز عن تعريفه فيقول الشمس دليل الشمس، يعنى أن العشق يعرف أو يعبر عن نفسه، ويقول العقل فى التعبير عن العشق مثل حمار نام فى الوحل. وفى قصته عن الجارية والملك والدرويش يقول إن العشق الحقيقى هو عشق الحى لا عشق الموتى، لأن الحى هو الباقي أى الله تعالى، وينصح المريض فيقول: عليك أن تختار عشق الأنبياء الذين وجدوا بعشقهم القوة والمجد. وعند الرومى يصح التعبير عن علاقة العبد بربه بالعشق لأنه يعنى المحبة الخالصة والعرفان الكامل والوجد الصوفى واستنارة أنوار الحق. وهو يقول العشق جعل جسم الأرض يعلو على الأفلاك فرقص الجبل وأضحى

خفيف الحركة، والعشق حل في روح الطور فسكر الطور وخر موسى صمقاً. ويقول يامن عشقه الجميل سر هيامنا، ويامن هو الطبيب لكل مانشكو من العلل. وللناى عنده مكانة خاصة لاتصاله بالعشق، وقصة الناي يبدأ بها المثنوى فيقول: استمع للناى كيف يقصن حكايته، فهو يشكو آلام الفراق فى صوت هو شكاية، ويقول به إنه منذ قطعوه من الغابة والناس يكون ببكائه، وصدرة يزقه الفراق، يريد أن يشرحه، لأن كل ما بُعِدَ عن أصله يطلب الوصال ويذكر حلاوة الأيام التى كانت تجمعهم بحبويه. ويقول الناي: أصبح أنينى يتردد فى كل جماعة، وصرت صاحب البائسين والسعداء، ولا أحد يعلم الأسرار داخلى، فلا توجد للعيون الأنوار التى تدرك بها مأساتى، ولا توجد للأذان الأنوار التى تسمع بها أسرارى. ويقول الرومى: كل من تغيرت هيئته بسبب العشق فإن العشق يظهره من العيوب، فيا مَنْ عشقه الجميل هو سر هيامنا، ويامن هو الطبيب لكل مانشكو من علل، ويامن هو الدواء لغورنا وكبرياتنا، إن المعشوق هو الكل، والعاشق ليس سوى حجاب، والمعشوق هو الحى، والعاشق هو الميت.

ومنهج جلال الدين الرومى فى التصوف أساسه هذا العشق الإلهى الذى يبلغ حد الجذب فيكون الترقى فى مدارج الكمال. وفلسفته فى التصوف أساسها وحدة الوجود التى تلخصها قصته عن الاستاذ والتلميذ الذى كان به حَوَل فى عينيه، فقد أمره الاستاذ أن يستحضر زجاجة من إحدى الحجرات، فعاد إليه وسأله أى الزجاجتين، لأنه وجد هناك زجاجتين وليس زجاجة واحدة، لكن الأستاذ أكد له أنه لا توجد غير زجاجة واحدة، والتلميذ أكد له أنه توجد زجاجتان، ولم يجد الأستاذ بداً من أن يطلب إليه أن بكسر إحدى الزجاجتين ويستحضر الأخرى، فلما كسر التلميذ الزجاجاة لم يجد أن هناك زجاجة أخرى كما كان يتوهم له ببصره الذى يعانى الحول، وعلم أن استاذه كان على حق. ويقول الرومى إن مضمون قصته هو نفسه مضمون الآية الكريمة التى تقول لانفرق بين أحد من رسله. ويذكرنا الرومى بعبادة اليهود للمسيحيين وعبادة المسيحيين لليهود، ويقول كلاهما مظهر لأنوار الله، فالناظر لأحدهما بالعبادة وللآخر بالحُب يشبه الأُخول الذى يرى الشئ شيئين، والحقيقة حقيقتين، وفى الحقيقة ليس عيسى إلا روح موسى، وليس موسى إلا روح عيسى. وللرومى فلسفة فى الصلة بين الروح أو القلب والعقل، والوصول إلى الحق له طريقان، طريق الروح أو القلب وطريق العقل، ويقول عليك أن تقبل أوامر الروح؛ ويقول لا تحسب كل وسوسة بحثاً وفكراً، ولا تعتقد كل شئ صحيحاً، ولا تجعل لروحك سجنًا وعذاباً،

ولا تجعلها رهينة للنفس التي تأكل وتشرب فقط ؛ ويقول اجلسوا فى المشهد المقدس بالحضور القلبى ، وإذا رأيتم الروح واعظاً ومذكراً فلا تكن وراء الستار، بل اسمع من الروح ؛ ويقول افتح عينيك لترى بنور العقل أن فى كل ورقة شجر وكل حبة آثار تدل على أنه واحد لا شريك له . العقل أعز من كل شىء وهو مفتاح حريم الدولة ومصباح سرير الحشمة ، والعقل يهذى إلى الرشد ويأتى بالنصر فى المعارك ويستدل به على وجود الله تعالى ، ولكن العقل منه واصل ومنه ضال ، وكلاهما يطلق عليه العقل ، وعليك أن تعرف تفاوت العقول . ولو كان هذا العقل كافياً لمعرفة الحقائق الدينية لكان فخر الدين الرازى أكبر العارفين . وأولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، أعمى الناس علماً وأقلهم تكلفاً ، ولم يقرأوا كتاب حكمة ، ولم يتلقوا درس فلسفة . ويقول : إلى متى العكوف على الفلسفة اليونانية والحكمة المادية ، وهى تباعد بين الإنسان والحقيقة وقتاً ، وتورث الأخذ بالألفاظ والقشور ، وساق أصحاب الاستدلال المنطقى ساق خشبية لامرونة فيها ولا تمكين . ويقول فى أولياء الله إنهم وصلوا إلى ما وصلوا ونالوا الكرامات لأنهم سيطروا على نفوسهم بعقولهم ، ووجهوا عقولهم إلى الأنوار فأخذوا منها ؛ ويقول نحن أطباء الروح تلاميذ الرحمن ، انفلقت لنا البحار وتفجرت العيون من الأحجار . وأطباء الجسم يعرفون مرضى المرضى بالنقص ، ولكننا ننظر بنور الله ونتكلم بوحى الله . ويقول : مادمت منهمكاً فى الشهوات فإبصارك مظلم ، ولا أمل لهديتك . ومن قُتلت فيه شهوات الحس يكون له ذوق روحى يدرك به النور والحق . والحياة الروحية تحتاج للحرارة والماء ، وحرارتها الدمع ، وماؤها لهيب القلب ولوعة الشوق إلى المبادئ العالية . (أنظر المولودة ، وشمس الدين التبريزى)

والرومى أبوه بهاء الدين محمد بن حسين الخطيبى البلخى ، ويعرف باسم بهاء ولد ولقبه سلطان العلماء ، وله كتاب المعارف وهو عبارة عن مواعظ ومجالس ألقاها ونظمها بنفسه ورتبها وشرح فيها حقائق العرفان والدين وتأويلات الآيات ، ويبدأ أغلب أبواب الكتاب بعبارة قلت فى نفسى أو فكرت مع نفسى ، وكان له تأثير كبير فى توجهات الرومى من صباه .



رويم

أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد ، من أهل بغداد وتوفى سنة ٣٠٣ هـ وله بحوث فى

التصوف لعلها أهم ما يسترعى الفارىء من كلامه وأقواله ومن ذلك قوله أن طالبي التصوف فى وقته تحيروا والمريدين فتروا لما رأوا المنتسبين إلى التصوف على طبقات مختلفة ومقامات متفاوتة ، فاستصغروا أهلهم وتراخوا عن الأعمال وتناولوا إلى أحوال يعجزون عن بلوغها . وشخص رويم الداء فى سببين ، وكل سبب منها على أصلين ، أحدهما استعجال المنزلة قبل وقتها عجزاً عما عمل فيه الصادقون وبذله المحققون ، والآخر الجهل بطريق السالكين إليها وإغفال التقوى عما لها وعليها . ويقول إن ذلك دعاء إلى التبين لأموهم والتحذير من غرهم ، واستدعى ذلك منه أن يسأل كبراءهم ويناقش أئمتهم ، فوجد أن فرقة منهم قالت إن حوادث الكون من الأفعال وغيرها من الأجسام والأعراض لا تخلو من أحد أمرين ، إما محدث ظهر إلى الكون بغير علة ولا سبب ، أو يكون حدثها ظهر عن علة وسبب ، ومدار قول هذه الفرقة أن المحترعات أقوالها وأفعالها لله الواحد القهار ، ولكنهم لم يفرقوا بين ما أحدثه المحدث من الخير والشر والهدى والغى ، فذهب على هذه الفرقة ما فضل الله به بعض الأشياء على بعض ، وغاب عنها إحداث الله للخلق على طبائع مختلفة ودواع متباينة ومن ثم تفاوتوا فى العبادة لله والأخذ عنه وإن بدا أن كل شىء فى قبضة التدبير وسلطان القهر وكأنه من الجبر . وفرقة أخرى من الصوفية لهم عجائب فى المقامات والطرق والسير إلا أنهم اغتروا فكانوا صرعى تحت الإشارات فى مجور عميقة بين عالم الجمع والتفريق . وفرقة أخرى قد أنسوا بالفناء واستبطنوا البقاء فلاهم يقومون بعلم الفناء ولاهم دائمون على روح البقاء ، فلم يعرفوا الحق من الباطل ، ولم يفرقوا بين المخلوق والخالق ، ولا الفاعل والمفعول ، ولا الفعل من الانفعال ، ولم يميزوا بين الظاهر والباطن . وفرقة منهم رأوا أنهم مُكُنُوا فى المقامات ولاحت لهم الأحكام ، إلا أنهم علقوها على الخلق لما رأوا آثارهم وحضور إرادتهم فاستوثق منهم العجب وتمكن الجهل لتعلقهم بفقد من الوجد . وأما الفرقة التى علت بها الإشارة إلى علم التوحيد فهم الذين صحبوا الأحوال فى أوقاتها بالوفاء ، والأعمال بالإخلاص ، فلم يرتقوا إلى مقام قبل إحكام المقام قبله ، وتفقهوا بعلومها إلى أن أذاهم ذلك إلى علم المعرفة فأذعنوا لله إذعان المحققين . وهذه الفرقة هى التى يصفهم رويم بأنهم قعدوا على الحقائق بينما غيرهم قعدوا على الرسوم ، وطالبوا أنفسهم بحقيقة الورد ومدومة الصدق بينما طالب غيرهم أنفسهم بظواهر الشرع . والتصوف بهذا المعنى الحقيقى أقل ما فيه بذل الروح « فإن أمكنك الدخول مع هذا فيه وإلا فلا تشغل بُرَّهات الصوفية » .





زاده (خواجه)

خواجه زاده أحمد حلمي، تركي مؤلف موسوعة الطرق الصوفية «حديقة الأولياء» (١٣١٨هـ)، يؤرخ بها لأصول الطرق الكبرى ومؤسسيها ومشايخها والتابعين لهم في تركيا، ويشرح أركانها شرحاً موجزاً مستشهداً بأقوال الأقطاب، وهذه الطرق هي النقشبندية ومؤسسها محمد بن محمد البخاري الأويسي الشهير بالنقشبند، ومن أعلامها مولانا محمد باقى بالله كابلى، وأحمد فاروق سرهندي مجدد الألف الثاني وعلام على دهلوى مجدد المائة الثالثة عشر؛ والجيلانية ومؤسسها عبدالقادر الجيلاني، والجلشيتية ومؤسسها خواجه أبو أحمد أبدال جشتي؛ والسهروردية ومؤسسها شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي؛ والكبروية ومؤسسها نجم الدين كبرى، ومن أعلامها بهاء الدين أبو جلال الدين الرومي؛ والمولوية ومن أعلامها محمد بهاء ولد وشمس الدين تبريزي وجمال الدين الرومي وچلبى حسام الدين؛ والرفاعية ومؤسسها أبو العلمين أحمد الرفاعي، وشعبات الرفاعية هي: الحريرية لأبى الحسن على الحريري، والكيالية لإسماعيل مجذوب الكيالي، والنورية لنور الدين حبيب الله الحديثي، والعزية لحسين أبى الفيض عزى المصرى، والفنارية لشمس الدين محمد بن حمزه الفنارى، والبرهانية لبرهان الدين إبراهيم عمر بن على العلوى، والفضلية لجمال الدين محمد بن فضل، والجندلية لجندل بن محمد الرفاعي، والديرنية لعز الدين بن أحمد الديرينى الشافعى الرفاعي، والجميلية لجمال الدين العراقي، والعطائية لمحمد عطية الرفاعي، والسبسية

لسليمان سبسي، والعمادية لسيد عماد الدين الأكبر، والصيدية للشيخ سعيد عز الدين أحمد الصيادي؛ ومن الطرق الصوفية الكبرى بخلاف ماسبق الأحمدية للقطب الرباني سيدي أحمد البدوي السطوحى الملم، وشعباتها هي: الشناوية لعمر الشناوى الأشعث، والحلبية لشيخ أحمد الأحمدى الحلبى، والعلوانية لأحمد بن علوان، والعبد العالية لعبد العال الأنصارى، والبرنسية لشيخ يوسف برنس، والجوهريّة للشيخ عبد الوهاب جوهرى؛ والبرهانية لقطب الأقطاب أبى العينين سيد إبراهيم برهان الدين الدسوقي، وشعباتها الشرنوبية لشهاب الدين أبى العباس أحمد بن عثمان الشرنوبى المالكى البرهاني، والتازية للشيخ إبراهيم التازى، والسيوطية لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى، والعاشورية لسيد صالح عاشور المغربى؛ والشاذلية لأبى الحسن الشاذلى، وشعباتها الحنفية لشمس الدين محمد بن حسين الحنفى، والوفائية لمحمد وفا بن محمد بن نجم الدين المغربى السكندرى المالكى الشاذلى، والبكرى لأبى المكارم محمد بكرى، والزروقية لأبى العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن عيسى البرنسى الفاسى المعروف بشيخ زروق، والراشدية لأبى العباس أحمد بن يوسف الراشدى المليانى، والغازية لأبى القاسم الغازى السلجماسى، والناصرية لأبى عبدالله محمد بن محمد بن أحمد بن ناصر بن عمرو الدرعى، والعفيفية للشيخ عبد الوهاب بن عبد السلام عفيفى، والجزولية لأبى عبدالله محمد بن سليمان الجزولى، والعيسوية لمحمد بن عيسى المكتاس السباعى المغربى، والمصطارية أو المزطارية للشيخ محمد بن المكتاس المغربى، والعلمية لأبى عبدالله الشريف بن إبراهيم علمى، والمدنية لمحمد حسن بن حمزة ظافر المدنى، والوفائية لإبراهيم بن يوسف بن عبد الباقي السعدى الدمشقى.

وتلك كانت كل الطرف التى يرصدها، وقد ذيل الموسوعة من مشايخ المولوية بالموصل الحافظ عثمان النورى بخاتمة يتدحها ويقول: فقد أطلعنى الشاب السالك نهج هداه والناشئ فى طاعة ربه والغالب وجده على قلبه أحمد أفندى نجل العلم الفرد الجامع لكل إخلاص حضرة خلوصى أفندى على نسخة ألفها خدمة للأصفياء، سمّاها حديقة الأولياء، ترجم فيها أحوالهم العلية، ونقل بعض أقوالهم الشهية، بأسلوب حسن عجيب، وسبك بديع غريب، وذلك خدمة لأبناء جلده، خصوصاً أهل طريقته، مستجلباً من الكل الدعاء الألزم، لحضرة سلطان الأعظم، عبد الحميد خان الثانى، دامت تُنشر بعصره ألوية المعارف:

حديقة سارت بطبع أحمد

بكل سالك وكل مرشد
ترجم فيها حال أرباب الصفا
أوضح نهجهم إلى المسترشد
قد جمعت من طبقات الأوليا
أنفس در صاغه فى مسجد
سَلَسَل عنهم طرقاً دائرة
على الوصول للمقام السرمد
نجل خلوصى الخبر من إخلاصه
سرى بنجله النجيب الأحمـد

الزاهد

أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن سليمان المعروف بالزاهد، صنف كثيراً للمريدين، ومن كتبه «رسالة النور» أربعة أجزاء، و«هدية المتعلم وعمدة المعلم» و«تحفة المبتدى ولعة المنتهى». وكان مولعاً برميم المساجد القديمة، وبنى جامعاً بالمقس يعظ فيه الناس ولا سيما النساء، ونقموا عليه فتواه برأيه من غير نظر فى العلم.

الزبيدى

أبو العباس أحمد بن عبداللطيف الشرجى الزبيدى الحنفى (٨١٢ - ٨٩٣هـ) نسبته إلى شجرة جنوبى زبيد، واشتهر وتوفى فى زبيد، وله «طبقات الخواص أهل الصديق والإخلاص» يقول فيه إن كتب طبقات الصوفية من أمثال رسالة القشيري، والعوارف للسهروردي، والطبقات للسلمي، ومناقب الأبرار لابن خميس وغيرهم لم يتعرض مؤلفوها لذكر صوفية اليمن واقتصروا فيها على أهل الشام والعراق والمغرب ونحو ذلك، ومن شأن ذلك أن يوهم أنه ليس فى اليمن من هو مستحق للذكر ممن يتصفون بصفات الأولياء، فى حين أن أهل اليمن أهل إيمان صادق، وقلوب واعية رقيقة، وصلاح ظاهر، وصفاء بواطن، بشاهد قول رسول ﷺ أهل اليمن أرق قلوباً وألين

أفئدة، والإيمان يمانى، والحكمة يمانية، إلى غير ذلك مما روى عنه فى فضائلهم . ويقول إن الإمام أحمد بن موسى بن عجيل سئل عن الأولياء الذين يذكرون فى الكتب، فيقال فلان المصرى وفلان البلخى وغير ذلك ولا يقال فلان اليمنى، فقال إنما ذلك لكثرتهم فإنهم عصائب عصائب . ويقول الشرجى إنه من أجل ذلك فقد جمع كتابه هذا يخص به أولياء اليمن دون غيرهم ويبين فيه أحوالهم وأقوالهم ومناقبهم وكراماتهم، وقد جعل مراجعة كتب اليافعى والجندى والخزرجى والأهدل والمرزوقى وإسماعيل الجبرتى وطلحة الهتار وأبى بكر بن حسان . ويثبت الشرجى إن الصحابة لم يرو عنهم من الكرامات الكثيرة مثل ما اشتهر عن الأولياء بحجة ابن حنبل أن أولئك كان إيمانهم قوياً لم يحتاجوا إلى زيادة، وغيرهم لم يبلغ إيمانهم إيمان أولئك فقووا بإظهار الكرامات . ويتناول الكتاب ١٩٢ ترجمة، تلحق بها خاتمة على سبيل الإجمال من ٢٣ أخرى .



زُرُوق

أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسى الفاسى (٨٤٦ — ٨٩٩ هـ) من أهل المغرب، قرأ بمصر، وتوفى فى تكرين من طرابلس الغرب، وله التصانيف فى التصوف والفقه والشروح الكثيرة على الحكم العطائية حتى قيل إن عددها تجاوز الثلاثين فكان يستطيع أن يملها عن ظهر قلب وفى كل مرة بعبارة جديدة، ولعل أهم كتبه فى التصوف إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين، وقواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة . وكان شديد النقد لبدع الصوفية وله «البدع التى يفعلها فقراء الصوفية» . ويميل زورق إلى الاختصار فى كتاباته . وأصل تسميته بزورق كما قال عن نفسه أن جده كان أزرق العينين فقالوا له زورق فسرت فى عقبه . ومذهبه أن التصوف لا يعرف إلا مع العمل به، فلاستظهار به دون عمل تدليس وإن كان العمل شرط كماله، وأنه لم تظهر حقيقة قط فى الوجود إلا قبلت بدعوى مثلها وإدخال مالىس منها عليها ووجود تكذيبها، وكل ذلك ليظهر فضل الاستئثار بها وتبين حقيقتها بانتفاء معارضها، وأن أصل التصوف مقام الإحسان وهو نوعان أحدهما بدل من الآخر وهما أن تعبد الله كأنك تراه وإلا فإنه يراك، فالأول رتبة العارف، والثانى رتبة من دونه، وعلى الأول يحوم الشاذلية ومن نحا نحوهم، وعلى الثانى يحوم الغزالى ومن نحا نحوه، واتباع الأحسن محبوب طبعاً ومطلوب شرعاً، وتعدد وجوه الحُسن يقضى بتعدد الاستحسان وحصول

الحسن لكل مستحسن، فن ثم كان لكل فريق طريق، فللعامى تصوف حوته كتب المحاسبي ومن نما نحوه، وللفقيه تصوف رame ابن الحاج فى مدخله، وللمحدث تصوف حام حوله ابن العربى فى سراجہ، وللعابد تصوف دار عليه الغزالى فى منهاجہ، وللمتريض تصوف نبه عليه الفشيرى فى رسالته، وللناسك تصوف حواه القوت والإحياء، وللحكيم تصوف أدخله الخاتمى (يقصد ابن عربى) فى كتبه، وللمنطقى تصوف نما إليه ابن سبعين فى تأليفه، وللطباعى تصوف جاء به البونى فى أسرارہ، وللأصولى تصوف قام الشاذلى بتحقيقه — ويعنى زروق بذلك أنه لا ينبغى الحكم على أحد من هؤلاء ومن نما نحوهم لأن كلامهم له مريدوه وطلابه، وله تخصصه أو زاوية رؤياه، وكل علم يؤخذ من أربابه، وأخذ العلم والعمل يكون عن المشايخ أتم من أخذه دونهم، وأصل كل أصل من علوم الدنيا والآخرة مأخوذ من الكتاب والسنة، إلا أن الناس فى أخذها ثلاث مسالك، أولها قوم تعلقوا بالظاهر مع قطع النظر عن المعنى جملة وهؤلاء أهل الجحود من الظاهرية ولا عبرة بهم، والثانى قوم نظروا لنفس المعنى جمعاً بين الحقائق فتأولوا مايؤول وعدلوا مايعدل وهؤلاء أهل التحقيق من أصحاب المعانى والفقهاء، والثالث قوم أثبتوا المعنى وحققوا المبانى وأخذوا الإشارة من ظاهر اللفظ وباطن المعنى وهم الصوفية المحققون والأئمة المدققون وليس الباطنية الذين حلوا الكل على الإشارة فلم يثبتوا لمعنى ولا عبارة فخرجوا عن الملة ورفضوا الدين كله. والقاعدة أنه لا يجوز أن يقدم أحد على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، وإتيان الشيء من بابہ أمكن لتحصيله، ولا قول فى باب الاعتقاد لموهم ولا مبهم، ولا يجوز لأحد أن يتعدى ما انتهى إليه من العلم بالوجه الواضح، والنظر للأئمة والأشخاص لا من حيث أصل شرعى أمر جاهلى، وينبغى دائماً النظر لعموم فضل الله تعالى من غير مبالاة بوقت ولا شخص إلا من حيث ما خصه الله به، وكل صوفى أهمل أحواله من النظر لمعاملة الحق كما أمر فيها وصرف وجهه لنحو الحق دون نظر لسننه فى عبادة فلا بد له من غلط فى أعماله أو شطح فى أحواله أو وقوع طامة فى أقواله. ويتناول زورق دواعى الإنكار على الصوفية ولا يجد غضاضة فى ذكرها ليحذروا الغلط فيها، وهى خمسة أولها النظر لكمال طريق الصوفية فإذا أتت منهم إساءة أسرع الناس فى الإنكار عليهم لأن التنظيف يظهر فيه أقل عيب، والثانى رقة علومهم ووقع الطعن عليها لأن النفس تسرع إلى إنكار ما لم يتقدم لها علمه، والثالث كثرة المبطلين فى الدعاوى والطالبين للأغراض وذلك بسبب إنكار حال من ظهر منهم بدعوى، والرابع خوف الضلال على العامة باتباع الباطن دون الاعتناء بظاهر الشريعة، والخامس شحة

النفوس بمراتبها إذ ظهور حقيقة يبطل أخرى ومن ثم أولع الناس بالصوفية أكثر من غيرهم وتسلط عليهم أصحاب المراتب أكثر من سواهم .

الزهرأوى

عبد الحميد بن محمد شاكر بن إبراهيم الزهرأوى ، من العلماء الذين اشتغلوا بالإسلام السياسى ، وله كتاب « **الفقه والتصوف** » برد به على أسئلة قرائه ، فقد كان يكتب فى الصحف على طريقة الأفغانى ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا ، وذمّه للتصوف من منطلق سياسى باعتباره حركة دينية انسحابية ، ونشاطاً إسلامياً سلبياً ، وهو يقول إن إدعاء الصوفية أنهم يتبهن أهل الصفة ادعاء باطل ، فأهل الصفة لم يكونوا من المتعطلين لأنهم أرادوا ذلك وإنما لقلة أسباب العيش فى زمانهم ، فى حين أن الطريقة الصوفية تقوم على التجرد من الأسباب وترك الاكتساب ، ويعتمد أصحابها أن يكونوا من الفقراء ويسمون أنفسهم كذلك ، وفى أيام الزهرأوى كان الاسم الشائع لهم هو الدراویش ، وذلك لأنهم من الأعاجم فى رأى الزهرأوى ، واسم الصوفية نفسه يدل على عجمية أصحاب هذا المذهب ، فهو اسم لا أصل له فى العربية ، ولم يعرف أن أحداً من أصحاب الرسول ولا التابعين نعتوه بأنه صوفى ، والاسم من تحريفات اللسان الأعجمى ، والمذهب كله خلط ، حيث يورد أصحابه كلام الفلاسفة الإلهيين القدماء ويخلطونه بالآيات القرآنية وأحاديث الرسول ، ويحاولون أن ينتحلوا ألفاظ القرآن لما يدعونه من مقامات وأحوال ، فصرفوا بذلك الألفاظ اللغوية عما وضعت له ، صرفاً لهم يراعوا فيه العلاقة القريبة والقرائن الدالة ، وغلوا فى تأويلاتهم ، وأغرقوا فى صرف الألفاظ ، فعبثوا بالفلسفة والدين معاً . والزهرأوى من زعماء النهضة الإسلامية ، ومن المجاهدين بالقلم ، وأصدر صحف المنير فى سوريا ، والحضارة فى الآستانة ، وكتب بجريدة المقطم ، ونفى لفترة فى مصر ، وأسهم فى تركيا فى تأسيس حزبى الحرية والاعتدال ، والائتلاف ، المناوئين لحزب الاتحاديين . وعندما عقد المؤتمر العربى الأول فى باريس انتخب الزهرأوى أول رئيس له ، وحوكم بسبب مجاهداته الإسلامية وقضى عليه بالإعدام شنقاً فى دمشق سنة ١٣٣٤هـ (١٩١٦م) ، وكان صدور كتابه **الفقه والتصوف** سنة ١٣١٩هـ ، ومنه نسخة بمكتبة جامعة القاهرة .

ابن زيد (عبد الواحد)

وقيل ابن زياد، توفى سنة ١٧٧هـ، وهو شيخ الصوفية واعتبره ابن تيمية الصوفى الأول وأعظم من لحق الحسن البصرى، قيل صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة، وكان مولى أبى بشر البصرى، ويتخذونه دليلاً على أن التصوف اختص به الموالى غالباً، ويذكره ابن الملكن ضمن سلاسل خرقة، ومن أصحابه بخلاف الحسن عتبة الغلام وفرقد السبخى ومحمد بن واسع ومالك بن دينار، واشتهر بكثرة مواجيدته وبكائه حتى قالوا فيه إن بثه لو قسموه على أهل البصرة لوسعهم جميعاً، وكانت له طريقة فى الإلقاء والبكاء والتحنن بحيث يؤثر فى سامعيه فيشبهون ويدمعون ويهتفون بالصوت المسموع، وكثيراً ما كان يغشى على بعضهم، وقد يموت البعض من رهاف القلوب من شدة الانفعال، وهو إذن من طقة البكائين ونموذج لهم، وزهده مضرب الأمثال فينصح مريديه : عليكم بالخبز والملح فإنه يذهب شحم الكلى ويزيد فى اليقين. ويقول لهم مايسرنى لو أن جميع ماحوت البصرة من الأموال والثمار كانت لى بفلسين. من قوى على بطنه قوى على دينه، ومن قوى على بطنه قوى على الأخلاق الصالحة، ومن لم يعرف مضرتة فى دينه من قبل بطنه فذاك رجل فى العابدين أعمى. وكان يكثر فى مواظبه من قول يا إخوانه. يقول : يا إخواناه ألا تبكون خوفاً من النيران، ألا وإنه من بكى خوفاً من النار أعاده الله تعالى منها. يا إخواناه ألا تبكون خوفاً من شدة العطش يوم القيامة. يا إخواناه ألا تبكون؟ وفلسفته فى التصوف تقوم أولاً على الخوف من الله تعالى، وإجلاله ثانياً، والصبر على ما حكم، والرضا بما قسم. يقول : ما أحسب شيئاً من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضا، ولا أعلم درجة أرفع ولا أشرف من الرضا، وهو رأس المحبة. ومحبة الله رأس كل حكمة وكل عبادة. يقول : منتهى الخوف إجلال الله. ومنتهى الرجاء أن تأمل فى الله على كل الحالات، ومنتهى محبة الله الفرح بلاقائه. وينفرد ابن زيد برواية هذا الحديث القدسى عن الحسن البصرى عن رسول الله ﷺ : إذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت نعيمه ولذته فى ذكرى، فإذا جعلت نعيمه ولذته فى ذكرى عشقنى وعشقتة، فإذا عشقنى وعشقتة رفعت الحجاب فيما بينى وبينه وصرت معالم بين عينيه، لايسهو إذا سها الناس. أولئك الأبطال حقاً. أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة وعذاباً ذكرتهم فصرفت ذلك عنهم. وفى هذا الحديث يأتى ذكر العشق لأول مرة، وقيل وذلك الحديث هو سبب ماذهب إليه الصوفية فى مصطلحهم العشق الإلهى حيث

يعاب ذلك عليهم بدعوى أنه فى مقام الله تعالى نقول المحبة ولا نقول العشق ، فالمحبة تكون بين العبد والله ، وبين الله والعبد ، وأما العشق فينصرف إلى الأشباه فيكون بين العبد والعبد . وابن زيد هو فيما يبدو أول من يذكر الصوفية باسم أهل محبة الله . يقول مناجياً ربه : بأبى أنت يامسيخ نعمه غادية رائحة على أهل معصيته ، فكيف يئأس من رحمته أهل محبته ؟ ومن رأى ابن زيد أن المؤمن إذا أخطأ فخطؤه عن سهو ، ويتبفى دائماً الرجاء والأمل فى الله . يقول : السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بنى آدم . وحياة ابن زيد لذلك هى حياة الصوفى المتكمل ، وفلسفته نظرية ولكن أساسها العمل . وقمة العمل هى الجهاد ، فليس التصوف مجرد عبادات ورياضيات ، وهو يحكى عن نفسه : كنا فى غزاة لنا ونحن فى العسكر الأعظم فنزلنا منزلاً فنام أصحابى وقت أقرأ جزئى ، إلى أن يقول فغلبنى النوم فرأيت فى منامى كائى أرى شاباً جيلاً بيده ورقة مكتوب فيها :

ينام من شاء على غفلة والنوم كالموت فلا تتكل
تنقطع الأعمال فيه كما تنقطع الدنيا عن المتفل

والجهاد ركن الدنيا ، ولا ينسى ابن زيد الله فينساه تعالى ، فحتى فى الحرب والنوم يذكر ربه ، وكان يردد على نفسه السيتين باستمرار ويقول : فرق النوم بين المصلين وبين لذتهم فى الصلاة ، وبين الصائمين وبين لذتهم فى الصيام . ويقولون عنه أنه إذا أقبل سواد الليل قام لمحاربه كأنه فرس رهان مضمر ، فإذا أقبل على صلاته فكأنه رجل مخاطب . ويروى عنه أنه كان كثير السياحات والتردد على أماكن العبادة والإخوان ، وكان يحرص على لقاء الرهبان والتحدث إليهم ، ولعله لهذا الميل عند بعض الصوفية قال من قال من المستشرقين بأثر المسيحية على التصوف . وكان حديث ابن زيد معهم فى الرياضات ، ومن ذلك تأثره بأحدهم وقوله من بعد ذلك إن شهادة لا إله إلا الله وحدها لا تكفى . ويروى عن ذلك قول الراهب له : كما لا يجوز الزيف من الدراهم ، كذلك لا تجوز لا إله إلا الله إلا بنور الإخلاص . ويروى أيضاً عن أحد الرهبان قوله : يا عبد الواحد بن زيد إن أحببت أن تعلم علم اليقين فاجعل بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد !





ابن سبعين

قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بن سبعين كما أطلق على نفسه، أى الفتى الشجاع صاحب المروءة والنخوة والكرم، وله العبارات والإشارات، والمريدون والأتباع، وطريقته تسمى السبعينية. قال عنه ابن دقيق العيد: جلست مع ابن سبعين من ضحوه إلى قرب الظهر، وهو يسرد كلاماً، تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته، واشتهر عنه أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة (يقصد النبي ﷺ) واسعاً بقوله لا نبي بعدى، فيقال أنه نفى من المغرب بسبب هذه الكلمة، أو أن كتاباته ومواعظه لمريديه كثر بها القول بوحدة الوجود، وهو أبرز ممثل لهذا المذهب، ومن أجله كفره فقهاء المغرب فلجأ إلى المشرق وجاور بمكة حتى وفاته سنة ٦٦٩هـ. واختلّفوا فى وفاته، وقيل إنه فصد يديه وترك الدم يخرج حتى تصفّى. وابن سبعين وإن كان يعتبر مغريباً إلا أنه من مواليد مرسية الأندلس سنة ٦١٣هـ، وظل بها حتى نحو العشرين من عمره، وفى المغرب كان له الأصحاب وألف كتبه أو رسائله كلها تقريباً إلا كتاب بد العارف، واشتهر بأنه من فلاسفة الصوفية، حتى أن ملك صقلية قصده للإجابة على أسئلته فى الفلسفة فيما سمي بالمسائل الصقلية، ولم يكن يفلت فرصة تسنح له إلا وينفذ الفلاسفة والصوفية، ويخص منهم المشائين ورئيسهم أرسطو، وأتباعه من غير ملة الإسلام ثامسطيوس والإسكندر الأفروديسى وفرفوريوس، وأتباعه من ملة الإسلام مثل الفارابى وابن سينا وابن ماجه وابن رشد والسهروردى والغزالى والرازى، وعنده أن التصوف لم يصل له هؤلاء، وما كان من الممكن أن يصلوا إليه لقصورهم. وفى الرسالة الفقيرية يجعل موضوعه الفقر ويقول إنه التصوف، ويقول إنه على أوجه، فهو الصبر على المكروه، وشكر النعم الحكيم، والفتوة المحضة ورفع الأذى كله، وفعل

ما يجب كما يجب على ما يجب، وهو الخلافة الباطنة كما أن المُلْك هو الخلافة الظاهرة، وهو الذى تُرسم بدايته بالإرادة، والعبادة، والإسلام، وعالم الشهادة، والخروج من الشر المحض إلى الخير المشترك، والمجاهدة، والطريق المقيد، والتوكل، والتسليم، والتفويض، والتوبة الأولى، والخلوة المشوقة، والأربعينيات المحركة والمهيئة، والرضا، والإيمان، والعبودية، والسفر فى الطريق، والتوبة الثانية، والفكر التابع للسكينة، والذكر المحرك للتخلي، والتحلى، والتجلى، وبعْد الأهل والوطن، وحذف العلائق بالجملة، والتزام السوايع الكاشفة للمقصود، والإحسان، وصرف المحو إلى الصحو، والتوبة الثالثة. ويقول: الفقير هو الذى يجعل الفقير يمسك الشرع فى يمينه، والعقل فى شماله، وبينهما العلم، ويحرك الكل بالأدب والهمة والحقيقة. وهو علم التحقيق أو العلم الإلهى الذى مداره الله سبحانه، الأصل فى كل شىء، فلا حول ولا قوة إلا بالله، يجب عليها الأدب والاستغفار، ولا شك فى الله، ولا شىء أعز من الله، ولا موجود على الإطلاق لا يفتقر إلى الله. ويقول ابن سبعين لتلاميذه ناصحاً أن يتشبهوا بالله، ويعظموا سنة حبيبته وخليله. ويقول للسالك: يا هُمَام، اهتمامك بماهية همتك هو همتك الأهم، فعجل باهتبال عين كمالك، ويكون شوقك إليه لا يتبدل. ولا بد لكل عارف من مقام، ومقامك التوحيد، وأنت فى وقتك فيه واحد الحال، ولا تلتفت فى حياتك إلى الموتى، ولا تتحدث بعيشك إلا فى عيش الآخرة، وقل هو الله أحد، وأعوذ برب الناس من الوهم ومن الكون. الله فقط. اعتدل واملاً صدرك من الله، وقسم ذلك النصيب الشريف على جملة قواك الروحانية والجسمانية، ولازم حب الله حتى يظهر جاه ذاته بالذات فى الذات، ولا تنكر الله على أى حال كان، ولا تحب منه البعض وتكره البعض، من حكمه وأفعاله، وما تعلم منه وما هو عليه. الله فقط. ويقول ابن سبعين فى الرسالة القوسية: أصدق كلمة قالها القائل: ألا كل شىء ما خلا الله باطل. وفى كتاب العقد يقول ابن سبعين فى عهده لتلاميذه: اجبر وقتك مع الله بتوبة صادقة، فإن باباً ما عليه ثواب إلا رحمته خاصة ورضوانه، وإياك من العمل المعلوم، وحبيبك من يدبر أمر آخرتك ويعينك عليها، ويهجر ويصلك من أجلها. وفى كتابه الإحاطة يشرح ابن سبعين الإحاطة ويقصد به الوجود كله كوحدة واحدة، وفيه يختلط الزوج بالفرد، ويكون السبب هو الأحد، والموحد هو عين الأحد، والذاهب من الزمان هو الحاضر، والأول فى العيان هو الآخر، والباطن هو الظاهر، والمؤمن هو الكافر، والفقير هو الغنى، ومعنى ذلك التوحيد المطلق، أو الوحدة المطلقة فى الوجود، وأنه ليس ثم غير ولا سوى، وكل شىء هو الله، وليس إلا الأيس فقط، أى ليس إلا الوجود فقط، وهو هو الله الله.

وأهم مصنفات ابن سبعين فى الفلسفة والتصوف هو كتابه **بُذ العارف**، وهو ينصح لمن يريد أن يطالع مذهبه أن يقصد هذا الكتاب الذى أثبت فيه مالم يثبتته فى أى من كتبه الأخرى، ويعتبره من أهم ذخائر العالم وينصح مقتنيه بأن يحفظه «**فإنه تاسع كتاب وقع فى العلم**». والبُذ فى اللغة هو المعبود، وبذ العارفين هو الله سبحانه «منبه المسترشد إلى واجبه، ومعطى الطالب جميع مطالبه، ومعلم السعيد علم سعادته، ومبصر العابد حق عبادته، ومخرج المنكر من رعونته وعادته، ومغبط السالك بقصده، ومشوقة إلى عالمه وبده»، «فيا أيها السالك لا يبقى لك توجه إلا إلى بُذك الحق الواحد الحق وحده» وهو «بُذ الكل، وبذ العارف والمعرف والمعرفة». وطريقة ابن سبعين فى التصوف أو الطريقة السبعينية أطلق عليها فطب الدين القسطلانى اسم الـ **الليسية** وكان يقول احذروا هؤلاء الليسية، أى اتباع ابن سبعين، لأنهم كما يبدو كانوا يقولون فى ذكرهم ليس إلا الله، بدلاً من لا إله إلا الله.

ومن هؤلاء أبو الحسن الششتري الذى أقام بمصر وتوفى بدمياط سنة ٦٦٨ هـ، وكان أديباً له نظم على طريقة التحقيق، وموشحاته وأزجاله فى «غاية الحسن» وكان الشاذلية يزكونها.

السراج الطوسى

أبو نصر عبدالله بن على السراج الطوسى، الملقب بـ **بطاووس الفقراء**، وصاحب كتاب **اللمع**، وهو من أكثر المراجع وفاء بعلوم الصوفية ومذهبيهم وأخبارهم وأشعارهم ومسائلهم وأجوبتهم ومقاماتهم وأحوالهم، وما انفردوا به من الإشارات اللطيفة، والعبارات الفصيحة، والألفاظ المشكلة الصحيحة على أصولهم وحقائقهم ومواجيدهم وفصولهم. والكتاب فريد فيما قصد إليه، وكان الطوسى رائداً فى هذا المجال، واقتفى أثره القشيري والهجویری والسلمى والكلاباذى. ويعد أقدم المراجع وأوثقها فى التصوف. وكان الطوسى من أوائل من حذروا من المتشبهين بالصوفية، والمتلبسين بلباسهم، والمتسمين باسمهم. وتوفى الطوسى سنة ٣٧٨ هـ، أى أنه عاش فى القرن الرابع الهجرى، ومع ذلك فهو يكتب عن زمانه فيقول: إن الخائضين فى علوم الصوفية قد كثروا، وآلفوا الكتب فيهم بكلام مزخرف من عندهم وليس بالمستحسن، لأنهم غلطوا فيهم، وأقحموا على كلامهم مالم يقولوه، وفسروا ما قالوه بتفسيرات من عندهم جانبت الصوات، فالصوفية لم يكونوا كما رسمهم هؤلاء، فهم طائفة آمنت بربها، ومنهم أبرار صديقون، وبدلاء مقربون، أحبوا الله وأخلصوا له العبادة، واستغنوا

به عن سواه ، وآثروه على ما دونه ، وانقطعوا إليه ، وتوكلوا عليه ، وعكفوا ببابه ، ورضوا بقضائه ، وصبروا على بلائه ، وفارقوا فيه الأوطان ، وهجروا له الإخوان ، وتركوا من أجله الأنساب ، وقطعوا فيه العلائق ، وهربوا من الخلائق ، مستأنسين به ، ومستوحشين مما سواه . ويقسم الطوسى الناس فى زمنه بالنسبة للتصوف إلى خمسة طوائف ، فمنهم من يغلو فى تفضيله ورفعته فوق مرتبته ، ومنهم من يخرج عنه حد المعقول والتحصيل ، ومنهم من يرى أن ذلك ضرب من اللهو واللعب وقلة المبالاة بالجهل ، ومنهم من ينسب ذلك إلى التقوى والتقشف ولبس الصوف ، ومنهم من يسرف فى الطعن وقبح المقال فى الصوفية حتى ينسبهم إلى الزندقة والضلالة . ويذهب الطوسى إلى أن أولى العلم ، القائمين بالقسط ، الذين هم ورثة الأنبياء ، هم المعتصمون بكتاب الله ، والمجتهدون فى متابعة رسوله ، والمتقنون بالصحابة والتابعين ، والسالكون سبيل أوليائه المتقين وعباده الصالحين ، وهم ثلاثة أصناف : أصحاب الحديث ، والفقهاء ، والصوفية ، وكل صنف من هؤلاء مترسم بنوع من العلم والعمل والحقيقة والحال ، ولكل منهم فى معناه علم ، وعمل ، ومقام ، ومقال ، وفهم ، ومكان ، وفقه ، وبيان علمه من جهله من جهله ، ولا يبلغ أحد الكمال الذى به يحوى جميع العلوم والأعمال والأحوال . والصوفية قد اختصوا بالمعاني التى ترسموها ، ولهم فى ذلك آداب وعلوم ومقامات وحقائق ومشاهدات ومراقبات وأسرار واجتهادات ودرجات وإرادات وغلات ، ومعرفة بالنفس وأماراتها وخواطرها وخلاصها وآفاقها ، ومستنبطات فى العلوم تشكل على فهم الفقهاء والعلماء ، وهى لطائف مودعة فى إشارات لهم تحفى فى العبارة من دقتها ، فى معنى العوارض والعوائق والعلائق والحجب وخبايا السرومقامات الإخلاص وأحوال المعارف وحقائق العبودية . والصوفية اختصاصهم ذلك ، وممارساتهم لها بالمنازلة والمباشرة ، والهجوم عليها ببذل المهج ، حتى يجبروا عن طعمها وذوقها ونقصانها وزياداتها . وإنما ينكر علم التصوف جماعة من المترسمين بعلم الظاهر لأنهم لم يعرفوا إلا ما يتعلق بظواهر الأحكام . وقد يكون إنكارهم للصوفية بسبب الغالطين فى التصوف من أبنائه ، وهم ثلاث طبقات ، فطبقة منهم غلطوا فى الأصول من قلة أحكامهم لأصول الشريعة ، وضعف دعائمهم فى الصدق والإخلاص وقلة معرفتهم بذلك ، كما قال بعض المشايخ إنما حرموا الوصول لتضييع الأصول . وطبقة ثانية منهم غلطوا فى الفروع ، وهى الآداب والأخلاق والمقامات والأحوال والأفعال والأقوال ، فكان ذلك من قلة معرفتهم بالأصول ومتابعتهم لحظوظ النفوس ومزاج الطبع ، لأنهم لم يدنوا ممن يروضهم ويجرعهم المرات ويوقفهم على المنهج الذى يودى إلى مطلبهم . فثلثهم فى ذلك كمثل من يدخل بيتاً مظلماً بلا

سراج ، فالذى يفسده أكثر مما يصلحه ، وكلما ظن أنه قد ظفر بجوهر نفيس لم يجد معه إلا خزفاً خسيساً ، لأنه لم يتبع أهل البصيرة الذين يميزون بين الأشياء والأشكال والأخلاق والأجناس ، فعند ذلك يقع لهم الغلط ، ويكثر منهم الهفوة والشطط ، فهم متحIRON ومنفرون بين منهزم ومفتون ، ومتجبر ومحزون ، ومغتر بالظنون ، ومحترف الجنون ، ومتلبس بالجنون ، ومكمد بالشجون ، ومدع ومفتون ومتمن للمنون . وكل طبقة من هذه الطبقات الثلاث على أحوال شتى من التفاوت والإرادات والمقاصد والنيات ، فن غلط فى الأصول فلا يسلم من الضلالة ولا يرجى لدائه دواء ، والغلط فى الفروع أقل آفة . وأغلاط الأصول منها الغلط فى معنى الحرية والعبودية فيظن أن العبد مادام بينه وبين الله تعالى تعبد فهو مسمى باسم العبودية ، فإذا وصل إلى الله فقد صار حراً . ومنها الغلط فى الإخلاص فقد يزعم أن الإخلاص لا يصح للعبد حتى يخرج عن رؤية الخلق ولا يوافقهم فى جميع ما يريد عمله — كان ذلك حقاً أو باطلاً . ومنها الغلط فى تفضيل الولاية على النبوة ، والذى تجرهم فى هذا الغلط قصة موسى والخضر إذ استخلصوا منها أن الولي أفضل من النبي ، لأن الخضر فى هذه القصة يبدو هو العالم بباطن الأمور وأسرار الحوادث ، بينما موسى جهل هذه الأسرار والبواطن ، فظنت هذه الطائفة الضالة أن ذلك نقص فى نبوة موسى عليه السلام وزيادة للخضر عليه السلام على موسى فى الفضيلة . ومنها الغلط فى الإباحة والحظر فقد زعمت طائفة أن الأصل فى الأشياء الإباحة ، وإنما وقع الحظر بسبب التعدى ، فإذا لم يقع التعدى تكون الأشياء على أصلها من الإباحة ، ومن ثم فقد أباحوا لأنفسهم المحظور الممنوع على المسلمين طالما أنهم لم يتعدوا فى تناوله . ومنها غلط الحلولية الذين زعموا أن الحق اصطفى أجساماً حلّ فيها بمعانى الربوبية وأزال عنها معانى البشرية . ومن ذلك الغلط فى فناء البشرية بالزعم بأن من تضعف بشريته يجوز أن يكون موصوفاً بصفات الإلهية ، وادعائهم الرؤية بالقلوب فى دار الدنيا مثل الرؤية بالعيان فى دار الآخرة . وقريب من هؤلاء من زعموا أنهم يرون أنواراً أو أن فى قلوبهم أنواراً وكأنها مستمدة من الأنوار التى وصف الله بها نفسه . وكذلك غلط قوم فى عين الجمع فلم يضيفوا إلى الخلق ما أضاف الله تعالى إليهم ولم يصفوا أنفسهم بالحركة فيما تحركوا فيه احترازاً حتى لا يكون مع الله شىء سوى الله عز وجل فأخرجهم ذلك من الملة وترك حدود الشريعة لقولهم أنهم مجبرون على حركاتهم حتى أسقطوا اللائمة عن أنفسهم عند مجاوزة الحدود ومخالفة الاتباع . وكذلك غلط قوم فى معنى الأنس والبسط فتوهوا أن بينهم وبين الله حالاً من القرب والدنو فلم يراعوا الحشمة والآداب والحدود ، وهذا غلط لأن

الآداب والأحوال والمقامات خلع من الله تعالى على عباده وكرامة لهم فإذا تجاوزوا الحدود وخالفوا نكصوا على أعقابهم وسلبوا الخلع التي أكرموا بها من الطاعات . وكذلك الغلط في ادعاء فقد الحس عن المواجه حتى لا يحسوا بشيء ويخرجوا عن أوصاف المحسوسين ، وقد غلطوا في ذلك لأن فقد الحس لا يعلمه صاحبه إلا بالحس لأن الحس صفة بشرية . وآخر الأغلاط الغلط في الأرواح فقوم قالوا الروح نور وتوهوا أنه نور ذاته ، وقوم قالوا حياة من حياة الله ، وقوم قالوا الأرواح مخلوقة وروح القدس من ذات الله ، وقوم قالوا أرواح العامة مخلوقة وأرواح الخاصة ليست بمخلوقة ، وقوم قالوا الأرواح قديمة ولا تموت ولا تعذب ولا تبلى ، وقوم قالوا تتناسخ الأرواح من جسد إلى جسد ، وقوم قالوا للكافر روح واحد وللمؤمن ثلاثة أرواح وللأنبياء وللصديقين خمسة أرواح . وقوم قالوا الروح خلق من نور ، وآخرون قالوا الروح روحانية من الملكوت فإذا صفت رجعت إلى الملكوت ، وقوم قالوا الروح روحان . روح لاهوتية وروح ناسوتية . وهؤلاء جميعاً غلطوا وضلوا وجهلوا وذلك من تعمقهم وتفكرهم بآرائهم فيما صنع الله تعالى قلوب العباد من التفكر فيه .

ولأنكاد نعرف شيئاً كثيراً عن الطوسي إلا بعض الكرامات ، وأنه كان كثير التنقل بين بغداد ودمشق والقاهرة ودمياط والرملة والبصرة وتبريز ونيسابور ، ينشر علوم التصوف ، متعرفاً إلى أعلامه ، وقد تكون له مؤلفات أخرى غير اللمع .



السَّرخِيني

محمد بن محمد بن المعطى ، نسبه إلى سرغين من المغرب ، له «روض الجنان» في مناقب شيخه عبدالكبير الكتاني ، و«المنحة العطوفية في جواز الرقص للصوفية» و«حل الطلاس في شرح صلاة القاسم» وتوفي بمراكش سنة ١٣٢٩ هـ .



السعودي (عبد اللطيف)

المتوفى سنة ٧٣٦ هـ ، اشتهر بمعارضاته للصوفية ، وله في ذلك «الرد على بعض ما جاء في فصوص الحكم لابن عربي» وهو رسالة في الأزهر ، و«الغيث العارض في معارضة ابن الفارض» .



السقافية

من تريم بحضرموت، اشتهروا بالأدب والتصوف، وجدهم عبدالرحمن السقاف، وكان أبوه محمد بن علي بن العلوي، ولقبه مولى الدولة أي ولي البلد القديم يبحر؛ ومنهم علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف العلوي، الفقيه المتصوف (٨١٨-٨٩٥هـ)، كان مولده ووفاته تريم، وله كتب منها «معارج الهداية»، و«البرقة المشيقة في ذكر الخرقه الأنيفة وشيوخ الطريقة» في تراجم الصوفية من الشيوخ ببلدة تريم، وعدد ضخم من الشعر الصوفي الجيد. ومنهم أبو بكر بن سالم السقاف العلوي، صاحب «معراج الأرواح» و«مفتاح السرائر» و«فتح باب المواهب»، وكلها كتب في التصوف، وكانت ولادته في تريم (٩١٩هـ) ووفاته في عينات (٩٩٢هـ)، وكان مريدوه يسرون في مواكب ويستقبلونه بالأعلام والطاسات، ولمحمد بن عبدالرحمن سراج الدين الحضرمي المتوفى سنة ١٠١٩هـ كتاب في مناقبه اسمه «بلوغ الظفر والمغانم في مناقب أبي بكر بن سالم». ومنهم شيخان بن علي بن هاشم السقاف العلوي (١٢٤٨-١٣١٣هـ) ولد بقرية الغرف جنوبى تريم، وأقام زمناً في سوربايا بجاوة، وتوفى بالكلأ، وله ديوان في التصوف، وكلامه المنثور جمعه أبنه في ثلاثة مجلدات. (انظر باعلوى والعيدروسية).



السَّقَطِيّ (السَّرِّي)

أبو الحسن سرى بن المُغلّس السقَطِيّ، أول من تكلم في بغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال، وكان تلميذاً لمعروف الكرخي، وتلمذ عليه الجنيد والنصراباذي وسمنون والخلدي.. ومولده ووفاته ببغداد سنة ٢٥٣هـ. وكانت أكثر صحبة الجنيد له فقد كان خاله، وقال فيه ما رأيت أعبد منه، فقد أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعاً إلا في علة الموت. وكان يتجر في السوق فمرت عليه جارية معها إناء فوقع منها وانكسر، فأخذ سرى شيئاً من المال من دكانه فدفعه إليها بدل الإناء، وكان معروف الكرخي موجوداً فأعجبه فعله فقال له: بَغَضَ الله إليك الدنيا، فقام سرى لتوه من الدكان وليس شيء أبغض إليه من الدنيا، ولزم داره لا يراه أحد إلا من يقصده، ولولا الجُمعة والجماعة لصد على نفسه الباب لم يخرج. وطريقته قوامها الورع

والزهد، واشتهر بطيب وتصفية قوته حتى بلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل فكان يصفه كذلك بأنه الشيخ الذى يعرف بطيب الغذاء. وكان يقول إن خير الرزق ماسلم من الآثام فى الاكتساب، والمذلة فى الخضوع فى السؤال، والغش فى الصناعة، ومعاملة الظلم. وكان يشكو اضطراب قلبه وقلة سكونه خوفاً من الله ورجاء فيه وحباً له وحياء منه وإنساً به. وكان كل هم أن يجد الأكلة التى يأكلها وليس لله عليه فيها تبعة ولا مخلوق فيها مته، ومثله الأعلى فى الورع أربعة: حذيفة المرعى وإبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط وسليمان الخواص، فهؤلاء نظروا فى الورع فلما ضاقت عليهم الأمور فزعوا إلى التقليل. ويحكى أنه ذهب غازياً ودخل طرسوس وبات مع فتية متعبدين، وكانوا يجربون فانكسر التنور، فأصلحه من ماله، فتورعوا أن يحتبزو فيه. ولما دخل أرض الروم كان معه أبو يوسف الغسولى، فكان الناس يأكلون من طعام الروم والغسولى يرفض، فسأله أتشك أنه حلال، فيقول لا أشك فهو حلال، وإنما الزهد فى الحلال، ويقارن ذلك بفقهائ زمنه الذين يأكلون بدينهم، ويصفهم بالندالة، وإما الفتى حقاً هو المستقيم على أمر الله، والمجاهد الذى ليس معه سهو، والمتيفظ الذى ليس معه غفلة، والمراقب لله فى السر والجهر كالغسولى صاحبه فى الجهاد، فذلك هو الشجاع البطل. ومجلس سرى مجلس علم، ولو علم أن جلوسه أفضل من جلوسه فى البيت ما جلس معهم، ولكن ذلك اقتضاه منه العلم، ورغم أنه ينتقى جلساءه لم يكن يأمن أحدهم على سره، وينصح الجنيد أن لا يصحب الأشرار، وأن لا يشتغل عن الله، وبمجالسة الأخيار، وأن لا يدعى باطل علم ينفض ظاهر حكم، وأن يكون أخوف ما يكون من الله. ويحكى أنه فى إحدى المرات صلى ليلة وقرأ ورده ثم بسط ساقه فى المحراب فسمع كأن هاتفاً يقول له: ياسرى! كذا تجالس الملوك! فضمّ رجله وقال وعزتك لا مددتُ رجلى بعد ذلك أبداً. وورعه وخوفه من الله يهديانه إلى الطريق المختصر للوصول — يقول: لا تأخذ من أحد شيئاً، ولا تسل أحد شيئاً، ولا يكن معك ما تعطى منه أحد شيئاً. وكان يشفق على نفسه ويتمنى مع ذلك لو أن حزن الخلق كلهم ألقى عليه، ويعزو حزنه وهمه وخشيته وكثرة بكائه وتضرعه فى الليل والنهار إلى الخوف من الله، ويصف أحوال الخائف وصف العارف المعانى ويقول إنه دائم الهرب من مواطن الراحة، وأنه كثير الوله، يستشعر الوجل فى قلبه، ويتغصص عليه عيشه من مراقبته لله فى كل ما يقول ويفعل، ويقول إنه ليسطر إلى وجهه كل يوم مخافة أن يكون قد اسود، ويتمنى لو يموت فى مكان لا يعرف فيه، فسأله عن السبب، فقال أخاف أن لا يقبلنى قبرى فأفضح. وله فى الصوفى ثلاثة معان، فهو الذى لا يطمئء نور

معرفته نور ورعه ، ولا يتكلم بباطن فى علم ينقضه ظاهر الكتاب والسنة ، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله . وهو يدعو اللهم مهما عذبتنى بشيء فلا تعذبنى بذل الحجاب ، يفصد بما يشغله عن الحق . ويذكر من علامات العارف قيامه بحقوق الله وإيثاره على النفس فيما أمكنته فيه القدرة . وكان ينشد :

لا فى النهار ولا فى الليل لى فرح فلا أبالى أطال الليل أو قصرا
لأنى طول ليلى هائم دنف وبالنهار أقاسى الهم والفكرا

السلمى (أبو عبد الرحمن)

شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم ، محمد بن الحسن بن محمد بن موسى الأزدى ، ونسبته إلى جده لأمه أبى عمرو إسماعيل بن نجيد السلمى ، فقد كان أبوه رقيق الحال وأهله مضيقاً عليهم فى الرزق ، بينما أهل أمه من ذوى الثراء والسلطان ، ولما مات أبوه وهو فى نحو الخامسة عشرة كفله جده ، وورثه بعد وفاته حيث لم يكن له ولد ، وكانت ثروته كبيرة مكنته من أن يعيش للعلم والتحصيل ، وأن يشتري مكتبة ضخمة جمع فيها ما لم يسبقه إليه أحد من طرائف كتب الصوفية والمحدثين ، وكان شيوخ نيسابور ، حيث ولد وعاش ، يستعرون منه بعض ما تحويه من نفائس . وكان أبوه رغم ضيق حاله صوفياً جليل القدر ، صحب ابن منازل وأبا على الثقفى ، ولما ولد له أبو عبد الرحمن باع ما عنده وتصدق به . وكانت ولادته سنة ٣٢٥ هـ على الأرجح ، وفى أواخر أيامه ابتنى للصوفية خانقاه اشتهرت فى نيسابور وما حولها ، وفيها دفن بعد وفاته سنة ٤١٢ هـ . وله من التصانيف مئة أو أكثر ، منها : الإخوة والأخوات من الصوفية ، وأدب الصحبة ، وآداب الصوفية ، وجوامع آداب الصوفية ، وتاريخ الصوفية ، ورسالة فى غلطات الصوفية ، ورسالة الملامية ، وسلوك العارفين ، ومغن الصوفية ، ومقامات الأولياء ، ومقدمة فى التصوف ، ومناهج العارفين ، وحقائق التفسير ، غير أنه اشتهر من دون كل هذه المصنفات الصوفية بكتابه الأزهر طبقات الصوفية ، وقد ترجم فيه لخمسة ومائة شيخ ، وكان للكتاب وما اتبع فيه من منهج أثره البالغ على المؤلفين فى هذا الفن من بعده مثل أبى نعيم فى جلية الأولياء ، والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ، والقشيرى

فى رسالته ، وعبد الرحمن الجامى فى نفحات الأنس ، والشعرانى فى طبقاته . ويذكر أبو عبد الرحمن فى هدفه وغايته من الكتاب أنه لم يخلُ وقت من داع إلى الله تعالى ، والدعاة فى كل زمان طبقات ، يخلف بعضهم بعضاً بالاتباع والافتداء ، والرسول قد نبه إلى ذلك فقال : خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم (الحديث) ، وقال ﷺ : مثل أمتى مثل المطر ، لا يدرى أوله خير أم آخره ، فعلم أن آخر أمته لا يخلو من الأولياء والبلاء ، وهم خلفاء الأنبياء ، وأرباب حقائق التوحيد والمُحدَثون وأصحاب الفراسات والآداب ، وهو يقول : لا يزال فى أمتى أربعون على خلق إبراهيم الخليل عليه السلام ، إذا جاء الأمر فُبضوا . وطبقات الصوفية يتناول أرباب الأحوال والمتكلمين على لسان التفريد وحقائق التوحيد واستعمال طرق التجريد . وأبو عبد الرحمن فى ذلك يمثل مدرسة فى التأليف الصوفى ، منها أبو نصر السراج صاحب اللمع والقشيري صاحب الرسالة ، وهؤلاء طريقتهم تعتمد على الإيراد والسرد ، بعكس طريقة غيرهم التى قوامها الرأى وأسانيده عند الآخرين . ولقد قيل إن السلمى لم يكن مع ذلك المؤرخ المدقق ، واتهم بأنه كان يضع الأحاديث ويؤلف العبارات وينسبها للصوفية بحسب مشاربهم ونزعاتهم ، وقيل إن تفسيره للقرآن بغير إسناد من طرق العلم حتى اتهم بعضهم بالزندقة الباطنية والتخريف والقرمطة ، إلا أن السلمى لم يَعدْ طريقته أو مدرسته فى التأليف فاكتفى بإيراد تأويلات الصوفية على آيات القرآن وألفاظه . ويروى القشيري أن أستاذه الدقاق طلب إليه أن يزور السلمى فى بيته «فستجده بين كتبه ، وعلى وجه الكتب مجلدة حمراء صغيرة فيها شعر الحسين بن منصور، يعنى الحلاج، فاحملها ولا تقل له شيئاً» ، فصعد القشيري للأمر ووجد الحال كما وصف الدقاق ، وخاف أن يأخذ المجلدة دون إذنه فقص عليه الحكاية ، ويقول القشيري إن السلمى أخرج مجلدة أخرى من كلام الحلاج وقال «احملها إليه وقل إنى أطلعها لأنقل منها لمصنفاتى» ، فالدقاق ينتقد طريقة السلمى ، وكأنه بانتزاعه للمجلدة يحرمه أن «يسرق» منها ، والسلمى لا يجد حرجاً فيما يفعل فهذه طريقته فى التأليف ، ولا تثريب عليه ، وقد كان مع ذلك محل ثناء من معاصريه ، فأبو نعيم معاصره يقول فيه : «له العناية التامة بتوطئة مذهب المتصوفة ، مفارق لما يؤثر عن المتخرفين المتهمين من جهال هذه الطائفة ، منكر عليهم» ، ويقول فى خلقه «إنه ذو صيام وقيام ، مقرأ الأئمة والأعلام على مدى السنين والأعوام ، فى التعبد لبيب ، وفى التعليم أريب» . وعندما أشرف السلمى على الموت قال إنى لأرجو ربى وقد صُمتُ له ثمانين رمضاناً . وقالوا فيه أقرأ السلمى

القرآن فى المسجد أربعين سنة. وكان يأتى بالطعام لنفسه إلى المسجد، فربما يستقبله الفقراء فى الطريق فيطعمه المساكين فيقولون له بارك الله فيك، فيقول وبارك الله فيكم.

السملالى

أبو العباس أحمد بن عبد الله بن يعقوب السملالى الجزولى، من أهل تزموت بسوس المغرب، وله «مختصر كتاب التشوف إلى رجال التصوف» و«أساء بعض الصالحين» و«الفوائد المحمدية لكل كربة»، وتوفى سنة ١٠٩٣ هـ.

السمنانى

علاء الدولة ركن الدين أحمد بن محمد السمنانى (٦٥٩ - ٧٣٦ هـ) مولده سمنان ووفاته ببغداد، وكان ينكر على ابن عربى ويكفره، وله مصنفات تزيد على الثلاثمئة، ومن كتبه الباقية «الفلاح لأهل الصلاح» و«العروة لأهل الخلوة» و«صفوة العروة» وتناول فى الكتابين الأخيرين الآداب الشرعية وصيانة خلوات المتصوفة عن الشطحات والترهات، و«تحفة السالكين».

سمنون المحب

سمنون بن حمزة، قيل أبو الحسن، وقيل أبو القاسم الخواص، فقد كان يشتغل بالخواص، ويسكن بغداد وتوفى سنة ٢٩٨ هـ تقريباً، وكان من أصحاب السرى السقطى، والقصاب والقلانسى، وأصل تسميته بالمحب أنه كان يتكلم فى المحبة، ووصفوا كلامه فيها لأنه «أحسن كلام»، وأقواله أغلبها لا يدور إلا على الصد والهوى والجفا والصبر والرجا والوجد والعتاب والشوق والوصال والبين والبكاء والعذاب والغياب والصبابة والحنان والدموع، ولا يخاطب الناس إلا ويقول يا حبيبى، وما وصلنا منه أغلبه شعر، وهو الأنسب للمحبة، وشعره رقيق للغاية، ويبرر سمنون رفته فيقول: لا يعبر عن الشيء إلا بما هو أرق منه، ولا شيء أرق من المحبة. ومن أرق شعره:

أَمْسى بِخَدَى للدموع رسوم أَسْفَأَ عَلَيْكَ وَفَى الْفُؤَادَ كَلَامُ
وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فِى الْمَصَائِبِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

ومنه :

أَحْسُنْ بِأَطْرَافِ النَّهَارِ صَبَابَةً وَفِى اللَّيْلِ يَدْعُونِى الْهَوَى فَأَجِيبِ
وَأَيَّامِنَا تَفْنَى وَشَوْقِى زَائِدُ كَأَنَّ زَمَانَ الشَّوْقِ لَيْسَ يَغِيبُ

ومنه :

بَلَّيْتُ وَدَمَعُ الْعَيْنِ لِلنَّفْسِ رَاحَةً وَلَكِنْ دَمَعُ الشَّوْقِ يُنْكِي بِهِ الْقَلْبُ
وَذَكَرَى لِمَا أَلْقَاهُ لَيْسَ بِنَافِعَى وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ يَهْيِجُ بِهِ الْكَرْبُ
فَلَوْ قِيلَ لى مَا أَنْتَ قَلْتَ مَعَذِبُ بِنَارِ مَوَاجِيدِ يَضُرُّهَا الْعَثْبُ

ومن الطريف أن سمّون أطلق على نفسه اسم الكذاب، وكان سبب ذلك أبياتاً قال فيها :

فَلَيْسَ لى فِى سَوَاكُ حَظُ فَكَيْفَ مَا شِئْتُ فَاْمَتَحَنِى

فُحْصِرَ بُولُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْإِمْتِحَانُ ، فَكَأَنَّ يَشْكُو وَيَتَلَوَّى مِنَ الْأَلَمِ مِثْلَ الْحَيَّةِ وَيَصْرُخُ وَيَدُورُ عَلَى النَّاسِ يَسْأَلُهُمْ أَنْ يَدْعُوا لَعْمَهُمُ الْكَذَّابُ ، فَلَمَّا أَطْلَقَ بُولُهُ قَالَ يَارَبِّ تَبْتَ إِلَيْكَ ، أَيْ تَبْتَ عَنِ طَلَبِ الْإِمْتِحَانِ .



سنائى الغزنوى أو البلخى

أبو المجد مجدود بن آدم أول الشعراء الصوفية الثلاثة الكبار الذين نظموا المثنويات، وهم على الترتيب: سنائى ثم فريد الدين العطار ثم جلال الدين الرومى، والرومى أعظم الثلاثة ولو أنه يذكر فى تواضع يليق به: أن العطار هو الروح، وسنائى هو بمثابة العينين لهذه الروح، ثم يأتى دورى بعد سنائى والعطار. ولأنكاد نعرف شيئاً عن سنائى سوى أنه فى بداية حياته كشاعر التحق بخدمة

السلطان بهرامشاه، وأنه كان سقيماً فى شبابه وتعرض لتجربة زواج فاشلة، وقام برحلات كثيرة تعرض فى إحداها لانقلاب روحى. ويورد عبدالرحمن جامى فى نفحات الأنس أن سنائى، وكان يجلس فى إحدى الحانات، إذ بمجذوب يحضر ويسخر منه لأنه كان ينشد الشعر فى مدح الملوك، ولا ينشده فى مدح ملك الملوك، فاعتم سنائى وتاب وأتاب، وصار صوفياً لا يقول الشعر إلا فى الأحوال والمقامات؛ وقيل فى رواية أخرى أن سنائى كان مدلهماً بحب صبى، وأن هذا الحب أدله وامتن فيه، فتحول من الحب الحسى إلى الحب الإلهى وتصوف؛ وفى رواية ثالثة أن سنائى وكان يمدح الملوك من أجل المال — لم يحصل شيئاً وخسر نفسه، فأنصرف عن هذا الطريق وتزهد. ويبدو أن سنائى ترجيحاً هو من مواليد ٤٦٥ هـ، وأنه لم ينظم حديقة الحقيقة التى عُرف بها إلا فى أواخر حياته، ولم يكدها يتمها حتى وافته منيته سنة ٥٢٦ هـ. ولم يخلف سنائى فيما نعلم إلا سبع مثنويات والديوان، واشتهرت منها حديقة الحقيقة، والست الباقيات هى: طريق التحقيق، وغريب نامه، وسير العباد إلى المعاد، وكار نامه أو كتاب الأعمال، وعشق نامه أو كتاب العشق، وعقل نامه أو كتاب العقل. والحديقة التى يشتهر بها يهديها إلى بهرام شاه سلطان غزنه، ومضمونها صوفى أخلاقى، أى أن اهتمامه بالسلوك الصوفى أكثر من اهتمامه بالتصوف النظرى، ويبلغ عدد أبياتها أحد عشر ألف بيت، ويقسمها إلى عشرة كتب أو فصول، الأول فى الثناء على الله، والثانى فى الثناء على النبى، والثالث فى مدح العقل، والرابع فى التنويه بعظمة المعرفة، والخامس فى ذم الإهمال، والسادس فى السبى وعلامات البروج، والسابع فى الفلسفة، والثامن فى المحبة، والتاسع يصف فيه ظروفه ويذكر عن أحواله، والعاشر يخصه لمديح بهرام شاه. وفى هذه الأمثلة التى يطرحها فى ثنايا حكايات الحديقة قد نستطيع أن نتبين نوع الحكمة التى خلص إليها سنائى، ويعطيها عنوان «عن صحبة العميان وصفات الفيل» ويقول:

كانت مدينة شامخة ليست بالبعيدة، وسكانها جميعهم من العميان، وفى يوم من الأيام مر أحد السلاطين ونصب خيامه فى الوادى، وكان من مقتنياته فيل عظيم الجثة، مخيف الهيئة، يحتفظ به من باب الأبهة، وأن يستحدث الاحترام فى نفوس مشاهديه، وسمع سكان المدينة العميان بأمر الفيل، ولم يكونوا قد سمعوا بحيوان مثله، فأرسلوا وفداً عنهم يتعرفه، ويتحرى أمره، واقترب العميان من الفيل يتحسونه، فن أمسك بخرطومهم وصفه لسكان المدينة العميان، بأن الفيل كالمخروط البشع، ومن أمسك

بأذن الفيل قال إنه عريض وواسع كالسجادة، وهكذا، أى أن كل واحد حكى عن الجزئية التى تحسها، وكانوا جميعاً على خطأ، فلم يحدث أن عرفوا الفيل على حقيقته، وكذلك الناس فإنهم عميان يلجأون إلى عميان، عندما يحاولون أن يتحصلوا على المعرفة بالله من خلال آخرين مثلهم.

السنوسى

أبو عبد الله محمد بن على (١٢٠٢ — ١٢٧٦هـ) السنوسى الخطابى الإدريسى، مؤسس الطريقة السنوسية، وتصوفه من التصوف السياسى، وكانت ولادته فى محلة الواسطة من بلدة مستغانم على الساحل الجزائرى حيث كانت أسرته. واسم السنوسى نسبة إلى قبيلة بنى سنوس من قبائل تلمسان التى نزل عليها جده فنسب إليها، وتعزى إلى جبل هناك يسمى أسنوس، ولقبه الخطابى من جده خطاب بن يحيى، وكانت الأسرة تعرف باسم آل خطاب، ولقبه الإدريسى من الأدارسة الذين ينتسب إليهم والذين أسس جدهم إدريس الأكبر دولة فى المغرب الأقصى. وقد ربته عمته فاطمة بعد وفاة أبيه فأشغلته بعلم العقائد والتوحيد، وكفله بعدها ابن عم له يدعى الشارف درس عليه الفقه والحديث والتصوف، ولما مات سافر السنوسى إلى فاس طلباً للعلم، وكانت مجعاً للفرق الصوفية، فتعرف فيها على الطرق القادرية والشاذلية والجازولية والتيجانية والدرداقوية والناصرية والحبيبية وغيرها، ورحل إلى القاهرة فترة ثم غادرها إلى مكة لنقص الدراسات الصوفية بالأزهر، وفى مكة التقى بأستاذه أحمد بن إدريس الملقب بأبى العباس العرائشى وأخذ عنه التصوف، فلما توفى سنة ١٢٥٣هـ بنى لنفسه زاوية على جبل أبى قبيس بمكة وبدأ يلقي دروسه وينشر دعوته فالتف حوله المريدون والأتباع، وانتهم مواسم الحج فالتقى بالوافدين من أقطار العالم الإسلامى واستجاب له عدد من أهل طرابلس الغرب. وكانت له طريقة فريدة وهو أنه كان يأخذ أتباعه بالعبادة والنسك الشديدين حتى يكاد الواحد منهم أن يشرف على الهلاك فتصفى نفوسهم وعقولهم من سابق الأهواء والعلوم وعندئذ يطلب إليهم أن ينتشروا إلى بلادهم يُنشئون الزوايا وينشرون الإسلام ويقيمون المجتمع الإسلامى. وكانت الطريقة السنوسية فى التصوف سبباً فى أعمال المقاومة ضد الاحتلال الفرنسى فى الجزائر والثورات المختلفة التى قامت ضد فرنسا كثورة محمد بن عبد الله فى تلمسان وصحراء الجزائر سنة

١٨٤٨ وعصيان محمد بن تكوك في الظهرا سنة ١٨٥١ ؛ ولما عاد السنوسي إلى المغرب اختار برقة مركزاً لطريقته لتوسطها في الموقع ولكونها مخرجاً لإفريقيا الوسطى ، وأمر أتباعه ببناء الزاوية البيضاء ، وكان يختار لإقامة زواياه المواقع الاستراتيجية لتوقعه مباغته قوات الاستعمار لأتباعه . وقد أقام بالعزيات بالجبل الأخضر ثم انتقل إلى واحة جغبوب إمعاناً في الابتعاد عن عيون قوات الاحتلال الإيطالية في ليبيا وبالنظر إلى ارتياب الحكومة العثمانية في نواياه . وظل بجغبوب حتى وفاته ، وتحولت الجغبوب بعد انتقاله إليها إلى مركز تعليمي بسبب مسجدتها ومدرستها ومكتبتها التي أسسها السنوسي ، وأصبحت مركزاً لتعليم مريدي الطريقة وتخرج الدعاة . وله ما يزيد على الأربعة والأربعين كتاباً ورسالة في الفقه والتصوف ، منها « المنهل الراوي للرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق » عن العلماء الذين تلقى عليهم والطرف التي تعرف عليها ، و« السلسيل المعين في الطرائق الأربعين » ، وقد انتخب فيه من كل الطرق التي عرضها أربعين سوية أفردتها برسائله وذكر كفيته وما يتعلق بها من تلفين الذكر وأخذ العهد ولبس الخرقه ، ويقول إن الطرق إلى الله كثيرة بعدد أنفاس الخلائق ولكنها في الحقيقة واحدة ، وقد بين السنوسي أن رسالته هذه هي ملخص رسالة لشيخ مشايخه حسن العجيمي ، وجاء في ختام الرسالة قصيدة له تجمع بين طرق الأقطاب في طريقة واحدة هي طريقته ، ويكثر من القصص الرمزية وضرب الأمثال لتفهيم مريديه وتقريب المعنى الذي يقصد إليه . وبعد وفاته خلفه على الطريقة ابنه محمد المهدي (١٢٦٠ — ١٣٢٠ هـ) وكانت له قوة قيادية وتنظيمية ، وقد زادت الزوايا في خلافته زيادة كبيرة يقدرها البعض بأكثر من أربعة أضعاف عددها في عهد أبيه ، وانتشرت في الصحراء الليبية وعلى طريق مصر وطريق تونس وفي وداي وغيرها ، وزوج أتباعه لمهديته وتردد هذا القول في شعرهم وكتاباتهم كهذين البيتين :

إمامٌ جليل بشّرتنا به العلا على أنه المهدي قد كان في المهدي
إمامٌ إلى بيت النسبوة ينتمي ولا شك عند اثنين في أنه المهدي

وساعد على ذلك أن اسمه محمد المهدي ، وأن أباه اسمه محمد وأمه فاطمة ، وأنه يبلغ الأربعين سنة ١٣٠٠ هـ وله شامة على خده . ولما خشي المهدي الغزو الأوربي انتقل من الجغبوب بعد حوالي ٣٦ سنة إلى واحة الكفرة ثم إلى قرو في الصحراء الإفريقية . وتعاليمه تقوم على مزج العبادة بالعمل فلا تصوف بدون عمل ، وكان يحث المريدين على تعلم ركوب الخيل والرمية والطراد والجلاد ، ويعظم فريضة الجهاد ،

ويخصص لهم كل خميس للعمل اليدوى فيتركون الدروس ويشغلون بالحرف من بناء ونجارة وحدادة ونساجة وصحافة وخاصة الزراعة والغرس، وكان المهدي نفسه يعمل بيديه، ويقول لهم يكفيكم من الدين حسن النية والقيام بالفرائض الشرعية، وينخرط معهم فى العمل ويقول يظن أهل الوريقات والسيحات أنهم يسبقوننا عند الله، لا والله ما يسبقوننا. ونلاحظ أن السنوسية تعتمد فى كل نشاطاتها على الزاوية، وقد اقتبس السنوسى نظام الزاوية السنوسية من الزاوية الصوفية، ورتب لها خليفة يقوم فيها بتعليم القرآن وتدریس العلوم. وللزاوية بيوت للضيافة ومساكن للخدم ومخازن لحفظ المؤن ومتجر وفرن وحجرة خاصة بالفقراء الذين لا مأوى لهم، وتقوم حولها المباني الأخرى التى ينشئها القادرون، ولها أراضى موقوفة عليها لا تباع ولا تشتري، ومن وظائفها إحياء الأراضى البور وإصلاح الخربة. وكانت غاية السنوسى توحيد الطرق الصوفية تمهيداً لتوحيد المسلمين. ويقول أحمد الشريف السنوسى فى كتابه «الأنوار القدسية فى معالم الطريقة السنوسية» أنه سأل عمه المهدي عن الطريقة السنوسية لمن تُنسب فذكر له أنها تسمى السنوسية الإدريسية القادرية الناصرية الشاذلية، وكلها مرجعها محمدية، أى أنها تتابع السنة فى القليل والكثير. ويبدو من أورداد الطريقة أنها إحدى فروع الشاذلية، ومبناها كما يقول أحمد الشريف متابعة السنة فى الأقوال والأفعال والأحوال والاشتغال بالصلاة على النبى فى عموم الأوقات. ولعله لأنها التزمت السنة فإن الوهابيين لم ينتقدوها كنعقدتهم للطرق الصوفية الأخرى. وكان السنوسى يقول إن أعمال الصوفية موزونة بميزان الشريعة. وتجمع السنوسية بين الطريقتين البرهانية والإشراقية كأسلوب للوصول إلى الكمال، ويقول أحمد الشريف إن الإشراقية دأب متصوفها تصفية النفوس من الأكدار وتوجيهها نحو الحق لنهج المعارف والأسرار بدون تعلم ولا تعليم من باب اتقوا الله ويعلمكم الله، وأما البرهانية فدأب متصوفها اتباع الأوامر واجتناب النواهى واقتباس العلوم الأربعة التى هى علوم الذات والصفات والفقه والحديث والدلالات. والطريقة السنوسية جامعة بينهما، فمن أراد الإشراقية سلك بها سبيلها، ومن أراد البرهانية سلك بها سبيلها. وسبيل البرهانية وهو تعمير الظواهر بالآداب على متابعة أقوال النبى، وتعمير البواطن بمراقبة الله فى جميع الحركات والسكنات على السن النبوى والنهج المصطفى. وكان السنوسى يأمر المريدين بقراءة صحيح البخارى والموطأ وبلوغ المرام فى الحديث ورسالة ابن أبى زيد القيروانى فى الفقه والرسائل السبع فى التصوف. وتقوم السنوسية على الصلة بين السالك والرسول، وإمكان تحقيق الاتحاد به. واتباع السنوسية كانوا يقولون إن محمداً المهدي يتلقى عن النبى، وكان هو نفسه

يقول إنه مأمور من النبي . ومن تقاليد السنوسية مناولة السبحة والحزب ولبس الجرد وهو الحرام الصوفى الليبى . ويتحدث المؤرخون للتصوف السنوسى عن ثلاثة أمور أخرى هى الإمامة والهجرة والجهاد، فطاعة الإمام واجبة، والهجرة طلباً للتمكين، والجهاد لإعلاء كلمة الحق والدين . ولابن الشريف كتاب فى الحث على الجهاد بعنوان : « بغية المساعد فى أحكام المجاهد » . ويلخص بعضهم الطريقة السنوسية بأنها عبارة عن جمعية مذهبية وطريقة صوفية وسياسية واجتماعية . وكان تركيز ابن الشريف الذى خلف المهدي على الطريقة على الجهاد بسبب حروبه مع الفرنسيين ، وفى عهده توقف نحو الزوايا للانصراف إلى الجهاد، ولولا ذلك لتتابع انتشار السنوسية فى داخل إفريقيا كما كان مقدراً لها .

السُّهُرُورْدَى

أبو حفص شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله بن عَمَّوَيْه (٥٣٩ — ٦٣٢ هـ) صاحب المتن الأشهر « عوارف المعارف » ، ونسبه إلى سُهُرُورْد من بلاد زنجان ، وقدم بغداد صغيراً وصحب عمه الصوفى الكبير أبا النجيب عبد القاهر السهروردي ، وتلمذ عليه فى التصوف ، ثم انقطع مشغلاً بالعبادة ، ووعظ عند كبر سنه فى مدرسة عمه على شاطئ دجلة ، وكان يحضر مجلسه خلق كثير ، واشتهر ، وتاب على يده جمع غفير وصار له أتباع ، وأملى فى الرد على الفلاسفة « رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية » . وكان مليح الخلق والخلق ، متواضعاً جامعاً للمكارم ، ومالئاً بالقدرة ، ولو حصل منه الألوف فرقها ، ولما طعن فى السن أقعد فكان يحمل على محفة إلى المسجد ، ومات ولم يخلف كفنأ ولا شيئاً من أسباب الدنيا . ويقول فى أسباب تأليفه لكتابه العوارف أنه كان يؤثر الصوفية ويحبهم لعلمه بشرف أحوالهم وصحة طريقتهم المبنية على الكتاب والسنة ، وقد أغضبه كثرة المتشبهين بهم والمتسترين بزهم حتى ساء ظن الناس بهم جميعاً ووقعوا فيهم ظناً أن حاصل التصوف يرجع إلى مجرد الرسم وأن تخصص الصوفية يعود إلى مجرد الاسم . ويقول إن الله قد فتح عليه بمنح وعوارف ، وأجلّ المنح عوارف المعارف . والكتاب يشتمل على نيف وستين باباً فى منشأ علوم الصوفية وفضيلة هذه العلوم ، وماهية التصوف وسبب الاسم ، وأحوال المتصوفة المتشبهة والمنتمين للصوفية وليسوا منهم والملازمة ، وأخلاق الصوفية وآدابهم فى

الرُّبْط وغيرها ، وفى الصيام والطعام واللباس والسفر، ومع الشيوخ والصحبة والتلاميذ، وشروح الأحوال والمقامات وبعض المصطلحات الخ. والصوفى الذى يعنيه السهروردى فى كتابه هذا المرجع هو كما يقول : «المقرب» ، فليس فى القرآن اسم الصوفى ، وإنما وُضع الاسم للمقرب ، فكم فى بلاد الإسلام من لا يسمون صوفية لأنهم لا يتزبون بزي الصوفية إلا أنهم فى الحقيقة كذلك ، ولا مشاحة فى الألفاظ ، فكل الصوفية الوارد ذكرهم فى كتب الطبقات كانوا فى طريق المقربين ، وعلومهم علوم أحوال المقربين ، ومن يتطلع إلى مقام المقربين من جملة الأبرار فهو المتصوف ما لم يتحقق بحالهم ، فإذا تحقق بحالهم صار صوفياً ، ومن عداها ممن تميز بزي ونُسب إليهم فهو متشبه . وعلوم الصوفية منها علم الحال وعلم القيام وعلم الخواطر وعلم اليقين وعلم الإخلاص ، وعلم النفس ومعرفتها ومعرفه أخلاقها وهو من أعز علوم الصوفية . وأقوم الناس بطريق المقربين والصوفية أقومهم بمعرفة النفس وعلم معرفة أقسام الدنيا ودقائق الهوى وخفايا الشهوات ، وعلم الضرورة ومطالبة النفس بالوقوف عليها قولاً وفعلاً وأكلاً ولبساً ونوماً ، ومعرفة حقائق التوبة ، وعلم خفى الذنوب ، وعلم المراقبة والمحاسبة والرعاية ، وحقائق التوكل ، والرضا ، والزهد ، ومعرفة الزهد فى الزهد ، ثم زهد ثالث بعد الزهد فى الزهد ، وعلم الإنابة والالتجاء والدعاء والمحبة ، وعلم المشاهدات كعلم الهيبة والأئس والقبض والبسط ، وعلم الفناء والبقاء والجمع والفرق واللوامع والطوابع والصحو والسكر إلى غير ذلك . ويجمع الصوفية فى كل علومهم شيئان هما الوصف الذى إليه الإشارة فى قوله تعالى : «الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب» ، فقوم منهم خُصّوا بالاجتناء الصرف ، وقوم خصوا بالهداية بشرط مقدمة الإنابة . وأهل الخاصة أو الصوفية هم الذين اجتباهم مولاهم وأكمل لهم النعمة فأسقط عنهم حركات الطلب فصارت حركاتهم فى العمل والخدمة والذكر والتنعم بمناجاته والانفراد بقربه . والمراد محمول على حاله مُعانٍ على حركاته وسعيه فى الخدمة ، مُكفى مصون عن الشواهد والنواظر . والمريد الذى مات قلبه عن كل شىء دون الله تعالى ، فيريد الله وحده ، ويريد قربه ويشتاق إليه . والصوفية هم الفقراء المؤثرون على الغنى تطلعاً إلى العوض عند الله ، وهم الشكفية أى الذين يأوون إلى الكهوف والمغارات يتعبدون كما كان النبی يتعبد فى غار حراء ، وهم الجوعية لأنهم صائون وصابرون على الجوع . والمتشبه هو الذى اختار التشبه بهم دون غيرهم لمحبه إياهم ، وهو صاحب إيمان ، وأما المتصوف فهو صاحب علم . والملاطى هو الذى لا يظهر خيراً ولا يضر شراً ، وقد تحقق بالصدق فلا يجب أن يطلع أحد على حاله وأعماله ، وقد يدعى إلى السماع

فيمتنع لأنه يعرف أنه إذا حضر فسيظهر عليه وجد، وهو يؤثر أن لا يعلم أحد بحاله .
والقلندرية يقولون عن أنفسهم أنهم ملامتية أى لا يحبون أن يظهروا بمظهر التصوف ، إلا أنهم غالوا فقلّت أعمالهم من الصوم والصلاة إلا الفرائض ، وربما اقتصروا على رعاية الرخصة ولم يطلبوا حقائق العزيمه ، وهم من جانب آخر يتمسكون بترك الادخار والجمع والاستكثار ، ولا يترسمون بمراسم المتعشقين والمتزهدين والمتعبدين . ويذكر أن رجلاً كان يتحدث فى المعرفة فقال للجنيد : أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقوى إلى الله تعالى ، فقال له الجنيد : إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال ، ومن جملتهم قوم يقولون بالحلول ويزعمون إن الله تعالى يحل فيهم ويحل فى أجسام يصطفيا ، ويسبق لأفهامهم معنى من قول النصارى فى اللاهوت والناسوت .
ويذكر أن أبا سعيد الخراز قال إن للعارفين خزائن أودعوها علوماً غريبة وأنباء عجيبة ، يتكلمون فيها بلسان الأبدية ويخبرون عنها بعبارة أزلية ، وهى من العلم المجهول . ويقول السهروردي إن قوله لسان الأبدية والأزلية إشارة إلى أنهم بالله ينطقون ، وقد قال النبى ﷺ «بى ينطق» ، وهو العلم اللدنى الذى آتاه الله الخضر عليه السلام ، وهو علم أرباب النهايات الذين استقامت بواطنهم وظواهرهم لله ، وأرواحهم خلصت عن ظلمات النفس ووطئت بساط القرب . وعلامة العارف بالله أن نور معرفته لا يطفىء نور ورعه ، ولا يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم ، ولا تحمله كثرة نعم الله وكراماته على هتك أستار محارم الله ، فأرباب النهايات كلما ازدادوا نعمة ازدادوا عبودية ، وكلما ازدادوا جاهاً ورفعة ازدادوا تواضعاً وذلة . وكمال المعرفة إذا اجتمعت المتفرقات واستوت الأحوال والأماكن وسقطت رؤية التمييز . وحاجة العارفين دائماً إلى الخصلة التى تكمل بها المحاسن كلها ، ألا وهى الاستقامة ، وكل من أتم معرفة كان أتم استقامة . وقد سئل الجنيد عن النهاية فقال : إنها الرجوع إلى البداية ، وفسروها بأنه كان فى ابتداء أمره فى جهل ، ثم وصل إلى المعرفة ، ثم رُد إلى التحير والجهل .



السهروردي

أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد (٤٩٠ - ٥٦٣ هـ) البكرى الصديقى ، حيث نسبته إلى أبى بكر الصديق ، وولادته بسهرورد ، ووفاته ببغداد ، وقبره بها ظاهر يزاره . وكتابه العمدة «آداب المريدين» . وكان فقيهاً واعظاً ، تفقه بالنظامية

على الميئنى، ووليها، ولكنه ترك ذلك وانقطع، وبنى لنفسه رباطاً وصار له خلق كثير من المريدين، وعليه تتلمذ أبو حفص شهاب الدين السهروردى، وسمع الحديث من أبى محمد بن سعيد بن نيهان وغيره، وروى عنه الناس. والتصوف فى مذهبه يقوم فى أوله على العلم، فالعلم له الأساس، وفى أوسطه هو عمل، وأما آخره فهو موهبة. والعلم يكشف مرادات التصوف، والعمل يعين على الطلب، والموهبة تبلغ الغاية، وعلى ذلك فأهل التصوف ثلاثة، المريد الطالب، والمتوسط الطائر، والمنتهى الواصل، فالمرید صاحب وقت، والمتوسط صاحب حال، والمنتهى صاحب يقين. ومقام المريد المجاهدات والمكابدات وتجرع المرارات وبجانبه الحظوظ وكل ما للنفع فيه منفعة. ومقام المتوسط ركوب الأهوال فى طلب المراد ومراعاة الصدق فى الأحوال واستعمال الأدب فى المقامات. وهو مطالب بآداب المنازل، وصاحب تكوين لأنه يرتقى من حال إلى حال ودائماً فى زيادة. ومقام المنتهى الصحو والثبات وإجابة الحق من حيث دعاه، والمنتهى قد جاوز المقامات وصار فى محل التمكن لا تغيره الأحوال ولا تؤثر فيه الأهوال ويستوى فى حال الشدة والرخاء، والمنع والمطاء، والجفاء والوفاء، وأكله كجوعه، ونومه كسهره، فنيت حظوظه، وبقيت حقوقه ظاهرة مع الخلق وباطنة مع الحق، وكل ذلك منقول من أحوال النبى ﷺ.



السهروردى المقتول

شهاب الدين السهروردى، ويلقب بالمقتول وليس الشهيد، لأنه اتهم بالكفر والخروج على السنة، وناظره علماء حلب وكتبوا إلى صلاح الدين الأيوبي بأنه يثير البلبلة بما يتحدث به من فلسفة فى مجال الدين، ويدعيه من تصوف، وكان صلاح الدين يحارب الفرنجة الذين غزوا الشام وفى نفس الوقت يجاهد ضد الباطنية الذين كثرت دعاواهم، فكتب إلى ابنه الملك الغازى بقتل السهروردى، وكان الملك الظاهر قد استمع للمناظرة وقامت بينه وبين السهروردى صداقة، فلم يُرد أن يقتله، إلا أن العلماء بعثوا لصلاح الدين مرة أخرى فهددوا ابنه بالخلع، وتباين الأخبار حول وفاة السهروردى، فقد قيل إنه مات مخنوقاً، وقيل بل مات قتلاً بالسيف، وقيل إنه امتنع بنفسه عن كل طعام حتى وافته منيته.

والسهروردى ينسب لسهرورد التى ولد بها من أعمال زنجان، واسمه الحقيقى أبو

الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك، وكان عمره وقت وفاته سنة ٥٨٧ هـ بين السادسة والثامنة والثلاثين، وهو يقول عن نفسه إنه من الفلاسفة المتألهين أى المتصوفين، وينسب علمه للتراث الأفلوطينى، ويقول إنه علم يحصل لمن يريده عن طريق الذوق الباطنى، وأن كتبه لا يصلح لقراءتها الفلاسفة ولا الصوفية، ولكنها تناسب طالبي التأله وليس الباحث الذى لم يتأله ولم يطلب التأله. ويقول عن ذوقه الذى ينفرد به بين المتصوفة والفلاسفة أنه التجربة التى قوامها الحكمة أو هو الحكمة المحرّبة، وهو ذوق إمام الحكمة ورئيسنا أفلوطين ومن سبقوه من زمن والد الحكماء هرمس ومن جاءوا بعده مثل أنباذوقلس وفيثاغورث، وطريقته هى طريقة حكماء فارس مثل جاماسف وفرشادشور وبورجرهر، ويستخدم فيها الأمثلة والرموز والقصص ولا يريد بها المعنى الظاهر وإنما باطن الرمز، ويترك للقارئ أن يستشف منها المعنى الذى يريده والذى يُحمّله لكلماته، ويزعم أنه تعلم ذلك من مدرسة الصوفى سهل التستري، ويردد أقوال لأبى طالب المكي بما معناه أن الله يقرأ على لسان كل قارئ للقرآن، بمعنى أن القارئ عندما يقرأ يتمثل باطن النصوص، وأن ذلك ما يطلبه من قارئ كتبه. والسهروردي له نحو ٤٩ كتاباً معظمها فى التصوف، ومنها رسالة أصوات أجنحة جبرائيل، وكلمة التصوف، ومقامات الصوفية ومعانى مصطلحاتهم، والغربة الغربية، والكلمات الذوقية والنكتات الشوقية، ومؤنس العشاق، والواردات الإلهية، والبارقات الإلهية والنعيمات السماوية، ولوامع الأنوار. وكان كثير الغشيان للتجمعات الصوفية، ويلبس الرث من الثياب، وتبدو عليه القذارة وقد طال شعره وأظافره، ويضع أحياناً عليه خرقة صوفية، وأحياناً يرتدى ثياباً فضفاضة وعمامة زاهية، وقيل فى تعاليمه الباطنة أنه إسماعيلى ومن الدعاة، جاهر بالدعوة ولم يؤمر بذلك، ولما نزل فى بلاط عماد الدين أمير خربوط أسس مدرسة إشراقية. وكان يؤثر الوحدة ويكثر من التأمل، ويوجه كتبه على هيئة رسالات إلى من يسميهم إخوانه وأصحابه. وكتابه العملة هو حكمة الإشراق، وفلسفته هى الإشراقية، وهى امتداد للسلسلة التى بدأها الحلاج، وهو يدعو باسم أخيه، ويؤلف كتبه فى شكل حكايات لها توجهات صوفية، وعلى هيئة رؤى، وفى «أصوات أجنحة جبرائيل» يرى الرائي أنه أمام عشرة شيوخ لهم سمت حسن وقد انتظموا صفوفاً صامتة إلا العاشر القريب منه فإنه هو الذى يكلمه ويقول له إن هؤلاء لا يمكن أن يكلموك لأنك لست تشبههم، وأنه وحده الذى يستطيع أن يترجم له مرادهم، ويعنى بالشيخ التسعة العقول المفارقة التى تهيمن على الأفلاك، أما العاشر الناطق فهو جبرائيل، الوحى المعبر عنهم. وفى

رسالته «كلمة التصوف» يطلب من القارئ أن يقرأه بوجد وطرب وفكر، وفي «الغربة الغربية» يتمثل الإشارات القرآنية وبخاصة فى سورة الكهف. وهو يقول فى التوحيد إنه لا يقصد به ما هو ذائع من توحيد الله، وإنما معناه عنده تجريد النفس عن كل العلائق حتى ينطوى فى الربوبية كل نظر فى مبادئ الوجود ومراتبه، فلا يكون ثمة مقام وراء مقام. والحكيم المتأله هو نفسه الصوفى المجرب الذى يتذوق. وفى «رسالة صفيير سيمرغ» يبين وجوب نسيان الصوفى لذاته، بل ونسيان نسيانه، أى أن يفنى عن نفسه ويفنى عن فنائه، لأنه طالما هو يقتصر على المعرفة فهو بعيد عن الهدف، وهى حالة من الشرك الخفى، وهو لن يبلغ الكمال ويتحقق له الوصول إلا فى اللحظة التى يفنى فيها معرفته فى العارف، لأن الذى يرضى بمعرفته لا يزال فى حال من يتوجه بكل قصده إلى أن يعرف، ولا تعنى معرفته بالله أنه قد تحقق به. وثمة أربع درجات من التوحيد تودى إلى الدرجة النهائية، الأولى درجة العامة الموحدين بلا إله إلا الله، والثانية من يقولون لا هو إلا هو، وهؤلاء ينفون عن الهو الإلهى كل أنواع الهو، أى أنه لا أحد إلا هو يمكن أن يتسمى بذلك، فكل هو صادر عنه ويشق منه، والثالثة من يقولون لا أنت إلا أنت، وهم السابقون الذين لا يستموت الله بضمير الغائب وينكرون كل أنت تريد أن تشهد على نفسها بذلك، والرابعة وهى درجة المشركين الذين يقوم خطابهم لله بأن تكون هناك مسافة بينه وبينهم، وخطابهم فيه ثنائية. وأما الصيغة الكاملة للتوحيد فهى «لا أنا إلا أنا»، وهى صيغة يعدها غير المتذوقين من غير الصوفية كفرة، فلا أحد إلا الصوفى يعرف أن الأنا التى ينطق بها ليست هى الأنا فى الخطاب العادى، وإنما هو الأنا المفصول عن الأنا، أو أنه أنا قد تجاوز من الله إلى الإنسان، أى يمكن أن ينسب للإنسان مجازاً وليس على الحقيقة، ومع ذلك فإن من يقولها يكون ما يزال على الطريق ولم يصل بعد، لأنه عندما يصل يسقط الهو والأنت والأنا جميعاً وتغرق فى بحر الفناء، فلا تكون أوامر ولا نواه، وتختفى الإشارات حيث «كل شىء هالك إلا وجهه». ويتابع السهروردى حكاياته الرمزية، وفى رسالة «مؤنس العشاق» يدفع القلق الشهوة إلى التعلق بالجمال الإلهى، فيولد الكون، ويأتى لزيارة يعقوب فى بلاد كنعان، ويسأله يعقوب من أين أتيت فيقول أنا قادم من نالجا أباد، أى من حيث أين لا أين، ونفس الشىء يحدث فى رسالة أصوات أجنحة جبرائيل، فالحكيم يقول للرائى إنه قادم من حيث أين لا أين، وفى «رسالة لغة النمل أو لغة موران» يذكر السهروردى أنا أبا طالب المكى ينقل عن الرسول أن المكان انطوى عليه، أى أن الكون والمكان قد زالا عنه، ويذكر قول الحلاج عن

معراج الرسول أنه غمض العين عن الأين . وفى «رسالة الغربة الغربية» يشير إلى لامكان، ويقول بلاد ما وراء النهر، ونعرف من بعد أنه جبل سيناء، وسيناء هى المحنة، لأن موسى فيها امتنع عليه معاينة الله وجهاً لوجه، وينظر السهروردى لقضية موسى باعتبارها قضية التصوف، لأن موسى يمثل الحب الصوفى الكامل، وبتعبيره عن رغبته فى أن يشاهد الله يكون قد تمنى الموت على الحقيقة . وسيناء هى السر المحجوب، وفى رسالة الغربة الغربية يستحضر السهروردى التاريخ من الماضى، ويجعله تاريخ اللحظة وما يجرى للراوى نفسه، وإشاراته إلى موسى وسليمان ونوح ولوط وعزرا ينقلها إلى ضمير المتكلم والحاضر، إلى أن يقول فأنا فى هذه القصة، أى أنه هو الغريب المغترب فى القرية الظالم أهلها، ألقوا به فى بئر لا يخرج منه إلا فى الليل فقط، ليشم من بعيد برو نجد الممنوع دخولها، ولابد من الرحيل والخروج من مصر. وبلوغ سيناء هو بمثابة العودة إلى الوطن من الغربة كما تقول الآية: «يا أيها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية»، والوطن ليس هو دمشق أو بغداد أو أى وطن أرضى وإنما هو الله. ويوضح ذلك أكثر فى رسالته «كلمات ذوقية ونكتات شوقية» ويفسر قول رسول الله «حب الوطن من الإيمان»، والوطن بالنسبة للنفس هو الكعبة، وليس وطنها هو الأبدان الأرضية، فهى أصنام ينبغى تعطيمها، وحب الأوطان أو الأجسام الأرضية أصل كل خطيئة، فأخرج من القرية الظالم أهلها واذهب إلى حيث تنمحي الحدود، إلى الله. ويضرب المثل بالقمر فهو فى عشقه للشمس لا يتوقف، وينتقل من منزل إلى منزل حتى يكون بداراً، فتنعكس عليه الشمس وتبدو ظلمته، ولكنه لو سئل لما أدرك إلا ما يظهر منه، وقد يقول من تنوره: أنا الشمس، إشارة إلى العبارة الشطحية للحلاج: أنا الحق، ولم يكن الحلاج أو البسطامى أو غيرهما وهم يرددون أمثال هذه الشطحات إلا كمثل القمر مع الشمس، فقد تلاّات قلوبهم بأنوار الله فنطقوا بحالم وقالوا أنا الله، وهو أعلى مراتب التوحيد لله عز وجل .

السهرندى (أحمد)

أحمد الفاروقى الحنفى السهرندى (٩٧١ — ١٠٣٤هـ)، ولد فى بلدة سهرند من أعمال لاهور، واشتغل بالطرق الثلاث القادرية والسهروردية والچشتية على والده الذى أذن له بالإرشاد والاستخلاف فى الطرق السابقة، وكان سنه وقتئذ سبع عشرة سنة، إلى أن اجتمع بمحمد الباقي فأخذ عنه الطريقة النقشبندية، ويسمى المجددى بدعوى أنه يحىء على رأس الألف سنة ليجدد الدين، وكان يكثر من حديث رسول الله ﷺ

عن داود قوله : إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد هذه الأمة أمر دينها . وكان يعلق على ذلك فيقول إن هذا ما يكون من أمر المائة سنة فكيف بالألف ، فأنا كمجدد على رأس الألف بينى وبين المجدد على رأس المائة ما بين المائة والألف من تفاوت . ويصف رحلته الروحية الإيمانية فيقول : وجدت الله سبحانه أولاً عين الأشياء كما قال أرباب التوحيد الوجودى من متأخري الصوفية ، ثم وجدت الله فى الأشياء من غير حلول وسريان ، ثم وجدته سبحانه معها بمعنى ذاتية ، ثم رأيته بعدها ثم قبلها ، ثم رأيته سبحانه وما رأيته شيئاً ، وهو معنى التوحيد الشهودى ، المعبر عنه بالفناء ، وأول قدم توضع إلى الولاية ، ثم ترقيت إلى البقاء ، وهو ثانى قدم فى الولاية ، فرأيت الأشياء ثانياً ، فوجدت الله عينا ، بل عين نفسى ، ثم وجدته تعالى فى الأشياء ، بل فى نفسى ، ثم مع الأشياء ، بل مع نفسى ، ثم قبل الأشياء ، بل قبل نفسى ، ثم بعد الأشياء ، بل بعد نفسى ، ثم رأيته الأشياء ، وما رأيته الله تعالى أصلاً ، وهى النهاية التى هى الرجوع إلى البداية والعود إلى مرتبة العوام ، وهذا المقام هو أتم مقامات الخلق إلى الحق . وكان يقول : العلوم والمعارف الصادرة عنه إنما تخرج عن طور الولاية ، وتقتبس من مشكاة النبوة ، وجددت بتجديد الألف الثانى بطريقة التبعية والوراثة ، وهى وراء علوم العلماء ومعارف الأولياء ، وعلوم هؤلاء بالنسبة لها قشر ، وتلك العلوم هى لبابها ، ولا تخالف الشريعة . ويقول : المقصود من الطريقة ازدياد علوم الشريعة لتتخلص من البرهان إلى الكشف . ويقول فى الصوفية : علومهم هى علوم الشريعة ، والفرق بينهم وبين العلماء أن تلك العلوم بالنسبة إلى العلماء نظرية واستدلالية ، وبالنسبة إليهم كشفية وضرورية . ويقول فى الشريعة : هى متكفلة بكل السعادات الدنيوية والأخروية ، وأما الطريقة والحقيقة فهما خادمان للشريعة ، وتحصيلهما لتكميل الشريعة ، وأما الأحوال والمواجيد التى تظهر للصوفية فى أثناء الطريق فليست من المقاصد ، بل أوهام وخيالات لتربية أطفال الطريقة . وقال فى القلب : المدار على القلب ، ولا نتيجة للأعمال الصورية ، وسلامة القلب بعدم التفاته إلى ما سوى الله ، وعلاج القلب بمتابعة المصطفى عليه الصلاة والسلام . والتوحيد قسمان : توحيد شهودى ، وتوحيد وجودى ، والأول لا بد منه ويتعلق به الفناء ، ولا يخالف العقل ولا الشرع ، بخلاف الوجودى ، فإنه يخالفهما . وأقوال المشايخ لا بد أن تحمل على التوحيد الشهودى حتى لا تخالف العقل والشرع ، فالتوحيد الوجودى من مرتبة علم اليقين ، والشهودى فى مرتبة عين اليقين التى هى مقام الحيرة ، كقول الحلاج أنا الحق ، وقول أبى يزيد البسطامى سبحانه ، فإنها جميعاً فى مقام عين اليقين الذى هو

مقام الحيرة قبل الوصول إلى حق اليقين.

والوصول له طريقان : الخدبة والسلوك، أو التزكية والتصفية. والجذبة التي قبل السلوك ليست من المقاصد، والتصفية التي قبل التزكية ليست من المطالب. والجذبة التي تكون بعد تمام السلوك، والتصفية التي تكون بعد حصول التزكية، من المقاصد المطلوبة، فالجذبة والتصمية السابفة لأجل تسهيل السلوك على السالك، وبدون السلوك لا ينال المطلوب، وبلا قطع المازل لا يظهر جمال المحبوب.

وللسهرندى مجموعة رسائل منها «المبدأ والمعاد» و«الرسالة التهليلية» و«المعارف اللدنية» و«المكاشفات الغيبية» و«أدب المريدين» و«شرح ربايعات خواجه باقى الله» وغيرها. إلا أن أشهر هذه الكتابات فى التصوف هى «المكتوبات» التى وجهها إلى مريديه يشرح فيها العفيدة والطريقة على المذهب السنى، وتتميز من أكبر الإسهامات فى نشر التصوف السنى فى الهند وأفغانستان وآسيا الوسطى وفارس وتركيا، وأتباعه يقال لهم المجتهدون، وكتاباته يحاول فيها التوفيق بين الموحدين والقائلين بوحدة الوجود، ومذهبه الجديد فى وحدة الشهود هو إسهامه الذى استحدثه.



السيارى

أبو العباس القاسم بن القاسم، من أهل مرو، وأول من تكلم عندهم فى حقائق الأحوال، وكان فقيهاً عالماً، كتب الحديث ورواه، ورأس طائفة السيارية ومات سنة ٣٤٢هـ، وتكلم فى علوم التوحيد على لسان الجهر، وصحب أبا بكر الواسطى، ومذهبه مبنى على الجمع والفرقة، فكل ما ينسب إلى السالك فهو تفرقة، وكل ما يكون من جانب الله تعالى فهو جمع، ومعنى ذلك أن كل ما يرتبط بمكاسب العبد، وكل ما هو نتيجة قيامه بواجبات العبودية والأحوال البشرية فهو تفرقة، وكل ما كان من المواهب الإلهية، وكل ما كان نتيجة للطف الله تعالى وإحسانه وفضله فهو جمع. والعبد مضطر إلى تحصيل الجمع والفرقة، لأن من ليست له تفرقة فليست له عمودية، ومن ليس له جمع فليست له معرفة، وعلى العبد أن يكون له التفرقة والجمع، والتفرقة هى بداية الإرادة، والجمع نهايتها، وجمع الجمع هو المقام الأعلى والأكمل للجمع، لأن الجمع مشاهدة الأشياء بواسطة الله، وحيث لا يرى العارف فى مثل هذه الأحوال مؤثراً فى

العالم إلا الله، بينما جمع الجمع هو لقاء الفناء عما سوى الله، والذهول التام والانعدام الكامل، وهو مقام الاتحاد والاتصال، والعارف فى هذه الحالة يكون قد تخلص من عالم التعينات الذى هو عالم التفرقة. ويقول السيارى: الحق فناء ليس فيه التناذ، ولا حظ، ولا احتفاظ. ومن عرف الله خضع له كل شىء، لأنه عاين أثر ملكه فيه.

وما نطق أحد عن الحق إلا من كان محجوباً. والحق إذا لاحظ عبداً بآثره غيبه عن كل مكروه فى وقته، وإذا لاحظته بسخطه أظهر عليه من الوحشة ما يهرب منه كل أحد. ومن حفظ قلبه مع الله بالصدق أجرى الله على لسانه الحكمة. والخطرة للأتبياء، وللوسوسة للأولياء، والفكرة للعوام، والعزم للفتيان. وسألوه عن معنى «وألزمهم كلمة التقوى، وكانوا أحق بها وأهلها»، فقال أهلهم فى الأزل للتقوى، فأظهر عليهم فى الوقت كلمة الإيمان والإخلاص. ومن أقواله: الربوبية نفاذ الأمر والمشية والتقدير والقضية: والعبودية معرفة المعبود والقيام بالعهود. وما أظهر الله تعالى شيئاً إلا تحت

ستره، فستر سيرة الأشياء عن الأشياء حتى لا يستوى علمان، ولا معرفتان، ولا قدرتان. وقال للمريد ناصحاً: المريد يروض نفسه بالصبر على الأوامر، واجتناب النواهي، وصحبة الصالحين، وخدمة الرفقاء، ومجالسة الفقراء، والمرء حيث وضع نفسه. كن شريف الهمة، قريب المنظر، بعيد المآخذ، عزيزاً، غريباً، فلباس الهداية للعامة، ولباس الهيبة للعارفين، ولباس الزينة لأهل الدنيا، ولباس اللقاء للأولياء، ولباس التقوى لأهل الحضور. يقول الله تعالى: ولباس التقوى ذلك خير. ولقد قيل لبعض الحكماء: من أين معاشك، فقال: من عند ضيق المعاش على من شاء من غير علة، ووسع على من يشاء من غير علة، والأغنياء أربعة، غنى بالله، وغنى بغنى الله، والرسول ﷺ يقول الغنى غنى القلب، وغنى باليقين، يقول عليه السلام كفى باليقين غنى، وغنى لا يذكر غنى ولا فقراً، لِمَا ورد على سره من هيبة القدرة. وكان رحمه الله يقول لو جاز أن يصلى بيت من الشعر لكان ذلك بهذا البيت:

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاي طلعة حر
وكان ينشد:

صبرت على اللذات حتى توت وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى
وكانت على الأيام نفسى عزيزة فإن أطمعت تاقت وإلا سلت
فلما رأيت عزمى على الذل ذلت وألذمت نفسى صبرها فاستمرت

السيوطى (جلال الدين)

كان من العلماء العاملين الصادقين، وله المكاشفات والعلوم والمصنفات، وقيل مصنفاته بلغت أربعمائة وستين، وقال عن نفسه: رزقنى الله تعالى التبحر فى سبعة علوم هى: التفسير، والفقه، والحديث، والنحو، والمعانى، والبيان، والبديع، على طريقة أهل الفلسفات، وبلغ مرتبة الاجتهاد المطلق، ولما بلغ سن الأربعين، أخذ فى التجرد والعبادة، والانقطاع إلى الله، والإعراض عن الدنيا وأهلها، حتى كأنه لم يعرف أحداً منهم، وشرع فى تحرير مؤلفاته، وترك الإفتاء والتدريس. وله كتاب فى الدفاع عن ابن عربى سماه «تنبيه الغبى فى تبرئه ابن العربى» ويذكر أنه قد قال لصوفية الخانقاه البيرسية: لستم بصوفية، وإنما الصوفى من يتخلق بأخلاق الأولياء، ومن يأكل المعلوم من غير تَخَلُّقٍ بأخلاقهم أَكَلَ حراماً». وتسبب له ذلك أن قام عليه هؤلاء، وسعوا فى قتله عند السلطان، فكان يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل. وما كان يدعو على من آذاه، ولا يقابله بسوء. ومما انفرد به من المؤلفات كتاب «المعانى الدقيقة فى إدراك الحقيقة» وكتاب «تزيين الأرائك فى إرسال نبينا إلى الملائك» وكتاب «أعمودج اللبيب فى خصائص الحبيب». ومات سنة ٩١١ هـ، ودفن بجوش طوسون خارج القرافة بمصر، وقبره ظاهر يزار. وكان شيخه فى التصوف محمد المغربى الشاذلى.



إبن سينا

أبو على الحسين بن عبدالله بن سينا، وكتبه فى الفلسفة والطب والمنطق معروفة ومشهورة، وصيته ذائع بين الأوروبيين لاستيعابه الكامل لأرسطو وفضله فى ترجمته إليهم، ومن مؤلفاته كتاب الشفاء، وكتاب النجاة، والإنصاف، ومنطق المشركين، والرسالة الأضحوية فى أمر المعاد، وعيون الحكمة، ورسالة فى ماهية العشق، وأسباب حدوث الحروف، ورسالة فى الحدود، ورسالة فى أقسام العلوم العقلية، وفى إثبات النبوات، ورسالة حى بن يقظان، ورسالة الطير، وكتاب المباحثات، والتعليقات، والقانون، ومنها أيضاً كتابه الإشارات والتنبيهات ويتضمن فى النظمين الثامن والتاسع بحثاً فى التصوف وأحوال العارفين ومقاماتهم، وقيل إن ما كتبه ابن سينا فى ذلك يفوق بكثير ما كتبه أغلب أكابر الصوفية، مع أن ابن سينا لم

يكن من الصوفية، وكانت حياته حياة ملذات فى الطعام والشراب والجماع حتى أصيب منها بداء القولنج ومات به سنة ٤٢٨ هـ عن ثمان وخمسين سنة .

وابن سينا أصله من بلخ، وهاجر أبوه إلى بخارى وفيها نشأ وتعلّم، وكان موته بهمدان، ويقول فى سيرته الذاتية إنه انتهى من العلوم كلها فى الثامنة عشرة من عمره، وانخرط فى السياسة وتقلبت به الأحوال واستوزره الأمراء وكاد يقتل مرة، ونُهبَت كتبه . ويشكل ما كتبه فى التصوف النظرى استكمالاً لمذهبه العقلى . وهو يقول إن ذوى الخير والكمال يكونون على حال من السعادة والبهجة بإدراكهم وتعشقهم وشوقهم للخير والكمال . والعارفون (أى الصوفية) من هؤلاء، وهم الذين تجردوا من كل الشوائب المادية، وخلصوا إلى عالم القدس، ولهم أمور خفية هى مشاهدات تعجز الأوهام عن إدراكها، وتكلّ الألسنة عن بيانها، وابتهاجهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولهم أمور ظاهرة عنهم هى آثار كمال وإكمال، تظهر من أفعالهم وأفعالهم، ويستنكرها منهم من ينكرها عليهم . ويرد ابن سينا سبب وصولهم إلى هذه المرتبة إلى التجرد عن الشهوات والانصراف إلى الحق، ويصور ذلك بقصته لمن أسماها **سلامان** وأبسال، وهما رمزان للنفس الشهوانية والنفس الناطقة الكاملة والصراع الأزلى بينهما . والعارفون طلاب الحق، وطالب الشئ يتبدىء بإعراض عما يعتقد أنه يبعده عن مطلوبه، ثم بإقبال على ما يعتقد أنه يقربه إليه، وينتهى عند وجدان المطلوب . وطالب الحق يلزمه فى الابتداء أن يعرض عما سوى الحق أى متاع الدنيا، وهو وإن كان فى بدنه إلا أنه كما لو كان قد خلع بدنه . وطالب الحق عند ابن سينا إما زاهد وإما عابد وإما عارف، والزاهد هو المُعرض عن متاع الدنيا، وعمله عمل التاجر الذى يشتري متاع الآخرة بمتاع الدنيا، والعابد هو المواظب على العبادات من قيام وصيام ونحو ذلك، كأن يعمل فى الدنيا لأجرة يأخذها فى الآخرة . وأما العارف فهو المنصرف بفكره إلى قدس الجبروت ويستديم لنور الحق فى سره، وزهده لتنزه عما يشغل سره عن الحق، وعبادته رياضة لهماه وقوى نفسه ليجرها بالتعويد عن جناب الغرور إلى جناب الحق فتصير مسالة للسر الباطن حينما يستجلى الحق، فيخلص السر إلى الشروق الساطع ويصير ذلك فيه ملكة مستقرة فكما شاء السر أطلع إلى نور الحق . وأولى درجات العارفين الإرادة، ومبدؤها تصور الكمال الذاتى والتصديق بوجوده تصديقاً جازماً بسكون نفس، سواء كان يقينياً مستفاداً من قياس برهانى، أو كان إيماناً مستفاداً من قبول الأئمة الهادين إلى الله تعالى، فإن كلاً منهما اعتقاد يقتضى تحريك صاحبه إلى العالم القدسى، وغاية ذلك نيل روح الاتصال بذلك العالم .

وما دامت هذه هي درجة العارف فهو مريد، والمريد يحتاج إلى رياضة، ورياضة النفس تنصرف إلى أغراض، وهى نهى النفس عن هواها وصرفها إلى طاعة مولايها، وذلك بالالتفات إلى الحق وحده لتتنطع إليه وتنصرف عما عداه، ويتوقف ذلك على حصول الاستعداد له وزوال الموانع الداخلية والخارجية وتطويع النفس الأمانة بالسوء لسلطان النفس المطمئنة حتى يتحول التخيل عن الجانب السفلى إلى الجانب القدسي، ثم تلطف السر للتنبيه بمعنى تهئية باطن النفس كى تتمثل فيه الصور العقلية بسرعة، وينفعل عن الأمور الإلهية المهيجة للشوق والوجد بسهولة. وتعين المريد فى ذلك عبادته المقرونة بالفكر، والألحان التى ترقق النفس، والكلام الواعظ الذى يفيد التصديق بما ينبغى أن يكون عليه السلوك، خصوصاً إذا اقترن ذلك بأن يكون القائل ذكياً، بليغ العبارة، رخيخ الصوت. ويعين على تلطف السر للتنبيه الفكر اللطيف، والعشق العفيف الذى يجعل النفس لينة رقيقة ذات وجد، معرضة عما سوى العشوق ولا سلطان للشهوة عليها. فإذا ما ترقى المريد فى رياضته حتى يبلغ حداً معيناً عنت له خلصات من اطلاق نور الحق، لذينة كأنها بروق تومض إليه ثم تحمد عنه، وهو المسمى عندهم أوقاتاً. وكل وقت يكتنفه وجدان، وجد إليه، ووجد عليه، لأن الأول حزن فى استبطاء الوجد، والآخر أسف على فواته؛ ثم تكثر عليه الغواشى إذا أمعن فى الارتياض؛ ثم يوغل فى ذلك حتى تغشاه فى غير الارتياض، فكلماً لمح منها شيئاً عرج منها إلى جناب القدس، يتذكر من أمره أمراً، فيغشاه غاش، فيكاد يرى الحق فى كل شيء. ولعله إلى هذا الحد تستعلى عليه غواشيه ويزول هو عن سكينته، فيؤثر كتمان ما يرد عليه ويستعمل التلبس فيه لاستنكافه عن الترائى بالكمال، إلا أن الرياضة قد تبلغ به بعد ذلك مبلغاً بحيث يصير المخطوف مألوفاً، والوميض شهاباً بينا، فتحصل له معارف مستقرة كأنها الصلابة المستمرة، وينقلب وقته إلى سكينته، ويستمتع فيها بهيجته، فإذا زایلته أسف لمزايلتها؛ فإذا تغلغل فى ذلك أيضاً فإنه يصير فى هذا المقام وكأنه الحاضر الغائب، أو الغائب الحاضر؛ ثم يتدرج إلى أن تكون له هذه الحالة متى يشاء؛ ثم يتقدم فى الرتبة فلا يتوقف أمره إلى مشيئته بل كلما لاحظ شيئاً لاحظ غيره، وإن لم تكن ملاحظته للاعتبار، فيسبح له تعريج عن عالم الزور إلى عالم الحق يستقر به، فإذا تمت رياضته واستغنى عنها لبلوغه مطلوبه وهو الاتصال الدائم بالحق، صار سره مرآة مجلوة عازياً بها شطر الحق، ودّرت عليه اللذات العلى، وفرح بنفسه لما بها من أثر الحق، وكان له نظر إلى الحق، ونظر إلى نفسه، وكان بعد متردداً بسبب اتجاه نظره مرة إلى الحق ومرة إلى ذاته المبهجة بالحق؛ ثم إنه ليغيب عن

نفسه فيلحظ جناب القدس فقط، أى لا يرى ماسوى الله، وهنا تتم الغيبة عن النفس، وإن لحظ نفسه فن حيث هى لحظة لا من حيث هى بزيتها، وهناك يحق الوصول، أى أن ملاحظته لنفسه بالمجاز وليس بالحقيقة لأنه متوجه بكليته إلى الحق. وكأن درجات المريد كلها تسع درجات، الثلاثة الأولى منها تشتمل على مراتب بداية السلوك، وهى أول الاتصال المسمى بالوقت، وتمكنه بحيث يحصل فى غير حالات الارتياض، واستقراره بحيث يزول معه الاستقرار. والثلاثة التى بعدها تشتمل على المراتب الوسطى، وهى ازدياد الاتصال الذى عبر عنه بصيرورة الوقت سكونية، وتمكن هذه الحال حتى يلبس أثر الحصول بأثر عدم الحصول، واستقرارها بحيث يحصل متى يشاء، لافى وقت دون وقت. والثلاثة الأخيرة تشتمل على مراتب المنتهى، وهى حصول الاتصال مع عدم المشيئة، واستقراره مع عدم الرياضة، وثبوتها مع عدم ملاحظة النفس. ثم إن ابن سينا بعد أن فرغ من درجات السلوك وانتهى إلى درجات الوصول، أراد أن يبينه على تقلبات جميع الدرجات قبل درجة الوصول، فبدأ بالزهد الذى هو تنزه عما يشغل عن الحق، وذكر أنه شاغل، وإذن الزهد مؤد إلى ما يحترز منه، ثم عَقَّب بالعبادة التى هى تطويع النفس الأمانة للنفس المطمئنة لتتقوى المطمئنة على أفعالها الخاصة بإعانة الأمانة إياها على ذلك، وذكر أيضاً أنه عجز، أى اعتداد النفس بما يطيعها عجز، وإذن العبادة مؤدية أيضاً إلى ما يحترز منها، ثم عَقَّب بآخر درجات السلوك المنتهى إلى الوصول، فإن التنبيه على نقصانها يتضمن التنبيه على نقصان ما قبلها، وذكر أن الابتهاج بما يحصل لذات المبتهاج وإن كان بالحق تيه وحيرة، فإنه يقتضى تردداً من جانب إلى جانب يقابله، وابتغى بذلك الهداية عن التحير. والوقوف إذن فى هذه الدرجة من السلوك هو أيضاً يتأذى إلى ما يحترز عنه؛ ثم ذكر أن الخلاص من جميع ذلك بالوصول الأخير الذى هو الإقبال بالكلية على الحق. وينتهى ابن سينا إلى تقرير حقيقة العرفان، فيقول إنه مبتدىء من تفريق، ونقض، وترك ورفض، فأما التفريق من ذات العارف وماعسى أن يشغله عن الحق، وأما النقص فاطرّاح الشواغل، وأما الترك فالتخلص من الشواغل ابتغاء توخى الكمال لأجل ذاته، وأما الرفض فهو أن يرفض ذاته بالكلية. وتلك درجات التزكية، ويتلوها بدرجات التحلية، وبيانها بالإجمال أن العارف إذا انقطع عن نفسه واتصل بالحق رأى كل قدرة مستغرقة فى قدرته، وكل علم مستغرقاً فى علمه، وكل إرادة مستغرقة فى إرادته وبل كل وجود، وكل كمال فهو صادر عنه وفائض من لدنه، فيصير الحق حينئذ بصره الذى به يبصر، وسمعه الذى به يسمع، وقدرته التى بها يفعل، وعلمه الذى به يعلم،

ووجوده الذى به يوجد، فصار العارف حينئذ متخلفاً بأخلاق الله تعالى بالحقيقة، ويعبر ابن سينا عن ذلك بقوله: **العرفان** **معن فى جميع الصفات**، ومعناه جمع صفات الحق للذات المريدة بالصدق. ثم إن المرید يعاین هذه الصفات، متكررة بالقياس إلى الكثرة، ومتحدة بالقياس إلى مبدئها الواحد، فإن علمه الذاتى تعالى هو بعينه قدرته الذاتية، وهى بعينها إرادته، إذ لا وجود ذاتياً لغيره، فلا صفات مغايرة للذات، ولا ذات موضوعة بالصفحات، بل الكل شىء واحد، كما قال عزّ من قائل: «**إنما الله إله واحد**»، فهو لا شىء غيره، وهناك لا يبقى واصف ولا موصوف، ولا سالك ولا مسلوک، ولا عارف ولا معروف، وهو **مقام الوقوف**.

ويزید ابن سينا فى تعريف العارف فيقول: **العرفان** حالة العارف بالقياس إلى المعروف، فن كان غرضه من العرفان نفس العرفان فهو ليس من الموحدين، لأنه يريد مع الحق شيئاً غيره، وهذه حال المتبجح بزينة ذاته وإن كان بالحق. وأما من عرف الحق وغاب عن ذاته، فهو غائب لا محالة عن العرفان الذى هو حالة لذاته، فهو قد وجد العرفان كأنه لم يجده، بل يجد المعروف فقط، وهو الخائض لجهة الوصول. وهناك درجات هى درجات التحلية بالأموال الوجودية التى هى النعوت الإلهية، وهى ليست بأقل من درجات ما قبله، أى درجات التزكية من الأمور الخلقية التى تعود إلى الأوصاف العدمية، وذلك لأن الإلهيات محيطة غير متناهية، والخلقيات محاط بها متناهية، وإلى هذا يقول الله تعالى: **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى؛ فالا رتقاء فى تلك الدرجات سلوك إلى الله، وفى هذه سلوك فى الله، وينتهى السلوكان بالفناء فى التوحيد. والعبارة عن هذه الدرجات غير ممكنة، لأن العبارات موضوعة للمعانى التى يتصورها أهل اللغات، أما التى لا يصل إليها إلا غائب عن ذاته، فضلاً عن قوى بدنه، فليس يمكن أن يوضع لها ألفاظ، فضلاً عن أن يعبر عنها. وكما أن المعقولات لا تدرك بالأوهام، والموهومات لا تدرك بالخيالات، والمتخيلات لا تدرك بالحواس، كذلك ما من شأنه أن يعاین عين اليقين فلا يمكن أن يدرك بعلم اليقين، فالواجب على من يريد ذلك أن يجتهد فى الوصول إليه بالعيان دون أن يطلبه بالبرهان.**

ثم يصف ابن سينا أخلاق العارفين بعد أن تناول درجاتهم فيقول إن العارف رجل هش بش، أى طلق الوجه، طيب، تسام، وله أحوال لا يحتتمل فيها الإحساس بشاغل يرد عليه من خارج أو من جهة نفسه يمنعه من الوصول بالحق، ولا يعنيه

التجسس والتحسس، ولا يستهويه الغضب، وإذا أمر بالمعروف أمر برفق، وهو شجاع، صفاً للذنوب. ويختلف العارفون في الهمم والخطاير. وقد يذهل العارف في حال اتصاله بعالم القدس فهو في حكم من لا يكلف، والناس لا يعرفون هذه الحقائق عن العارفين، وهم أعداء ما يجهلون، والله سبحانه ربما كان ذلك منه لأنه سبحانه يجل جنبه أن يكون شريعة لكل وارد، أو يطلع عليه الناس الواحد بعد الواحد. رحم الله ابن سينا، ورحم نصر الدين الطوسي الذي توفر على شرح أقواله فهدانا بها.





الشاذلي (أبو الحسن)

شيخ الطائفة الشاذلية على بن عبد الله بن عبد الجبار، واسم الشهرة هو الشاذلي، نسبة إلى شاذلة إحدى قرى تونس التي هاجر إليها بعد أن غادر قريته غمارة في المغرب. والشاذلي ولد سنة ٥٩٣ هـ، واتخذ الإسكندرية مقراً، وفيها تزوج واقتنى الضياع وكان له الولد والأهل والأحباب، ومات سنة ٦٥٦ هـ في طريقه إلى الحج بالصحراء بين قنا والقصير ودفن حيث مات، وقد استخلف من بعده أبا العباس المرسى. وتلقى الشاذلي علوم الطريقة على الشيخ عبد السلام بن مشيش، ومقامه في المغرب كمقام الشافعي بمصر، وكان يقول له: إلزم الطهارة من الشرك، كلما أحدثت تطهرت من دنس حب الدنيا، وكلما ملت إلى شهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى أو كدت. وعليك بحبة الله على التوقير والنزاهة، وأدمن الشرب بكأسها مع السكر والصحو، كلما أفقت أو تيقظت شربت، حيث يكون سكرك وصحوك به، وحيث تغيب بجماله عن المحبة والشراب، والشرب والكأس، بما يبدو لك من نور جماله، وقدس جلاله.

وكان الشاذلي يأخذ زينته عند كل مسجد، ويتحلى دائماً بالثياب الحسنة، ويعرض عن لبس زى ينادى على سر اللابس بالإفشاء، ويفصح عن طريقه بالإبداء، ومن لبس الزى متمعداً فقد ادعى، وكان يقول: إعرف الله وكن كيف شئت، ومن عرف الله فلا عليه أيضاً إن أكل هنيئاً مريئاً. وكان يأمر غلامه فيقول:

يا بنى برد الماء، فإنك إذا شربت الماء السخن فقلت الحمد لله تقولها بكرازة، وإذا شربت الماء البارد فقلت الحمد لله، استجاب كل عضو منك بالحمد لله. وكان الشاذلى يركب الخيل الجياد ويقول: لا تسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها، أو تنحل أعضاؤك لها فترجع لعانقتها بعد الخروج منها. وكان فى المواسم يحتفل أيا احتفال، بالموكب والأعلام والصاجات. وكان يقول عن طريقته الشاذلية: ليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشعر والنخالة، ولا ببقية الصناعة، وإنما هو بالصبر على الأوامر، واليقين فى الهداية. وقيل إنه جاهد فى موقعة المنصورة بين المسلمين بزعامه الظاهر بيبرس، والفرنجية بزعامه لويس التاسع ملك فرنسا، ورغم أن الشاذلى كان مسناً قد كف بصره فإنه كان فى مقدمة المجاهدين. وكان يقول: من ثبتت ولايته من الله، لا يكره الموت. وكان يكره من المريد أن يكون متعطلاً، وأن يسأل الناس، وكان يقول: لكل ولى حجاب، وأنا حجابى الأسباب. وكان الشاذلى يشارك فى الزرع والحراث والحصاد، ويربى الثيران ويقول: إن أردت أن تكون من أصحابى، فلا تسأل أحداً شيئاً، وإن أتاك شيء من غير مسألة فلا تقبله. وإن كنت مقتدياً بالرسول فى الأخذ، فكن مقتدياً به كيف يأخذ. كان عليه السلام لا يأخذ شيئاً إلا ليثيب من يعطيه ويعوضه عليه، فإن تطهرت نفسك وتقدسست هكذا، فاقبل، وإلا فلا. وكان يقول: نوديت لا تحترم مع الله شيئاً، وإن اخترت فاختر العبودية لله، إقتداء برسول الله عليه السلام حيث قال «عبدوا رسولاً»، وإن كان ولا بد أن تختار، فاختر أن لا تختار، وفر من ذلك المختار إلى اختيار الله تعالى. ويستطرد فيقول: وانتهت فسمعت إن الله اختار لك أن تقول: اللهم وسع على رزقى من دنياى، ولا تحجبنى عن أخراى، واجعل مقامى عندك دائماً بين يديك، وناظراً منك إليك، وأرنى وجهك، ووارنى عن الرؤية، وعن كل شيء دونك، وارفع البين فيما بينى وبينك، يامن هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم.

وكان الشاذلى يسعى فى مصالح الناس، ويستشفعون به من أجل معاشهم، وكان يقول: إذا توجهت لشيء من عمل الدنيا والآخرة فقل: يا قوى، يا عزيز، يا عليم، يا قدير، يا سميع، يا بصير. وكان يقول: إذا ورد عليك مزيد من الدنيا أو الآخرة فقل: حسبنا الله، سيؤتينا الله من فضله ورسوله، إنا إلى الله راغبون. ويقول: إذا تداين أحدكم، فليتوجه بقلبه إلى الله تعالى، ويتداين على الله تعالى، فإن كل ماتدائنه العبد على الله تعالى، فعلى الله أداؤه. وكان يقول: رأيت فى النوم صائحاً

يصيح في جو السماء: إنما تساق لرزقك، أو لأجلك، أو لما يقضى الله به عليك، أو بك، أو لك، وهي خمسة لاسداس لها. ويقول: إياك أن تقف مع الخلق، بل انف المصار والمنافع عنهم، لأنها ليست منهم، واشهدا من الله فيهم، وفر إلى الله منهم، بشهود القدر الجارى عليك وعليهم، أو لك ولهم، ولا تخف خوفاً تغفل به عن الله تعالى، وترد القدر إليهم، تهلك.

وكان رضى الله عنه يقول: مريد واحد يصلح أن يكون محلاً لأسرارك، خير من ألف مريد لا يكونون محلاً لوضع أسرارك. ويقول: التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية. والصوفي يرى وجوده كالهباء فى الهواء، غير موجود ولا معدوم، حسب ما هو عليه فى علم الله. والحقائق هى المعانى القائمة فى القلوب، وما اتضح لها وانكشف من الغيوب، وهى منح من الله تعالى وكرامات، وبها وصلوا إلى البر والطاعات. ويقول: العارف بالله تعالى لا تنقصه خطوط النفس، لأنه بالله تعالى فيما يأخذ وفيما يترك، إلا إن كانت الحظوظ معاص. وإذا ترك العارف الذكر على وجه الغفلة نفساً أو نفسين، قيض الله له تعالى شيطاناً، فهو له قرين، وأما غير العارف فيسامح بمثل ذلك، ولا يؤاخذ إلا فى مثل درجة أو درجتين، أو زمن أو زمنين، أو ساعة أو ساعتين على حسب المراتب. ويقول: من الأولياء من يسكر من شهود الكأس ولم يذق بعد شيئاً، فما ظنك بعد ذوق الشراب وبعد الرى؟ واعلم أن الرى قل من يفهم المراد به، فإنه مزج الأوصاف بالأوصاف، والأخلاق بالأخلاق، والأنوار بالأنوار، والأساء بالأساء، والنعوت بالنعوت، والأفعال بالأفعال، وأما الشرب فهو سقياً القلب والأوصال والعروق من هذا الشراب حتى يسكر، وأما الكأس فهو معرفة الحق. ويكون الشرب بالتدريب بعد التنويع والتهديب، فيسقى كل على قدره، فمنهم من يسقى بغير واسطة، والله سبحانه يتولى ذلك منه له، ومنهم من يسقى من جهة الوسائط، كالملائكة والعلماء والأكابر من المقربين، ومنهم من يسكر بشهود الكأس ولم يذق بعد شيئاً، فما ظنك بعد الذوق، وبعد بالشرب، وبعد بالرى، وبعد بالسكر بالمشروب؟

ولما سئل رضى الله عنه: لِمَا لم تضع الكتب فى الدلالة على الله تعالى وعلوم القوم قال: كتبى أصحابى. ومن وصاياه: إياك أيها الأخ أن تصغى إلى الواقعين فى هذه الطائفة، المستهزئين بهم، لئلا تسقط من عين الله، وتستوجب المقتى من الله، فإن هؤلاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق وإخلاص الوفاء، ومراقبة الأنفاس مع

الله، قد سلموا قيادهم إليه، وألفوا أنفسهم سلماً بين يديه، تركوا الانتصار لنفوسهم حياءً من ربوبيته، واكتفاء بقيوميته، فقام لهم بأوفى ما يقومون لأنفسهم، وكان هو المحارب عنهم لم حاربهم، والمغالب لمن غالبهم. وأصحاب الشاذلى وفدوا معه من تونس ومنهم أبو العباس المرسى، ولما توفى المرسى خلفه على الطريقة أبرز تلاميذه من المصريين - ابن عطاء الله السكندرى. وتصوف الشاذلى والمرسى وابن عطاء الله وهم أركان الطريقة الشاذلية كان تصوفاً سنياً، ابتعد عن الفلسفة، وسلم من تيار مدرسة ابن عربى ومذهبها فى وحدة الوجود، وبقدر ابتعاد الأقطاب الثلاثة عن ابن عربى ومن نحا نحوه فقد اقتربوا كثيراً من الغزالى وطلبوا من مریدهم أن يتخذوه قدوة. ويقول الشاذلى: إذا عرضت لكم إلى الله حاجة فتوسلوا إليه بالإمام أبى حامد الغزالى. وكتاب الإحياء للغزالى يورث العلم، وكتاب قوت القلوب للمكى يورث النور. وانتشرت الشاذلية فى العالم الإسلامى لما فيها من معاشة للواقع، وبلغت الأندلس وكان أبرز ممثليها هناك ابن عباد الرندى المتوفى سنة ٧٩٠هـ والذي تولى شرح الحكيم العطائية، وامتد تأثيرها إلى جنوب شرقى آسيا وغرب إفريقيا وتركيا والبلاد العربية.

الشاذلى

محمد أبو المواهب له مؤلفات كثيرة فى العلوم اللدنية، أهمها كتابه قوانين حكم الإشراق يشرح فيه للمريدين الأحوال والمقامات والسلوك. وكانت له خلوة فوق سطح الأزهري، ويغلب عليه سكر الحال، وله الكثير من الموشحات الربانية التى كانت تنشد فى الموالد والمساجد والاجتماعات على رءوس العلماء والأخيار فيتمايلون طرباً. يقول: تفاخر الغنى والفقر، فقال الغنى: أنا وصف الرب الكريم، فمن أنت يا فقير، فقال له الفقير: لولا وصفى ما تميز وصفك، ولولا تواضعى ما رفعت قدرك، وأنا وصفى وُسمَ بذل العبودية، وأنت وصفك نازع الربوبية.

وللشاذلى لطائف فى التفسير، فقال فى معنى قول الصوفية إن للربوبية سرّاً، لو ظهر السر لعطل نور الشريعة، والمراد به الفناء، وإعطاء سر التكوين، وأن العبد يفعل ما يشاء، يعنى لو أعطى العبد ذلك لتعطلت أفعال الشريعة كلها، وبطل القول بالكسب، واختل النظام. وقال فى قول بعضهم يصل الولى إلى حد يسقط عنه

التكليف ، المراد به سقوط كلفه الأعمال ومشقتها من باب «أرحنا يا بلال» . وقال فى معنى قول عمر بن الفارض : وكل بلا أبواب بعض بليتى ، أى لأن بلاء أيوب عليه السلام فى الجسد دون الروح ، وبلاء العارف فيها معاً . وقال فى معنى قول بعضهم : مقام النبوة فى برزخ فوق الرسول ودون الولي ، يعنى أن مقام النبوة يعطى الأخذ عن الله بواسطة وحى الله ، ومقام الرسالة يعطى تبليغ ما أمره الله به للعباد ، ومقام الولاية الخاصة يعطى الأخذ عن الله بالله من الوجه الخاص . وهذه الحقائق الثلاث كلها موجودة فى من كان رسولاً ، ومن الحال أن يعتقد أحد من أهل الله تعالى تفضيل الولاية على النبوة والرسالة . وقال فى معنى قول محي الدين بن عربى :

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر وإلا تيمم بالصعيد وبالصخر
وقدم إماماً كنت أنت إمامه وصل صلاة الفجر فى أول العصر
فهذه صلاة العارفين برهم فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

المراد بالوضوء طهارة أعضاء الصفات القلبية من النجاسات المعنوية ؛ وماء الغيب هو خلوص التوحيد ، فإن لم يخلص لك بالعيان فتطهر بصعيد البرهان ؛ وقدم إماماً كان إمامك فى يوم الخطاب ثم صرت أنت إمامه بعد سدل الحجاب ، وصل صلاة الفجر التى هى صلاة نهار كشف المشهود بعد حجاب ظلمة الوجود فى أول العصر الذى هو أول زمان انفجار فجرك ، ولا تتأخر لآخر دورك ، لأن الحكم للوقت والتأخير له مقت ، فهذه صلاة العارفين برهم ، وهم الذين لم يخرجوا عن متابعة الأحكام الشرعية فى جميع مشاهدة الربوبية ، فإن كنت منهم فانضح ، يعنى اغسل بماء بحر الحقيقة ما تدنس من بر الشريعة . وقال فى قولهم : النبى مشرع للعموم ، والولى مشرع للخصوص ، أى النبى مبين للعوام برسالته ، ومبين للخواص بولايته ، لا أن الولي يشرع الأحكام الشرعية ، فإنه ليس له ذلك ، وإنما له تبين الحقائق الكشفية بطريق الولاء والوراثة للأتبياء عليهم الصلاة والسلام ، كما أن الولي يبين أجل ما فى السنة ، والنبى يبين أجل ما فى القرآن . وقال فى إنكار بعض المنكرين على قول بعض العارفين إن الخضر مقام لا إنسان ، لا إنكار ، لأن الولي المحبوب يُعطى من الكرامات ما للخضر من المعجزات ، وذلك عند الوراثة ، والوراثة الحضرية قبل الوراثة الموسوية ، ولا شك أن الوراثة مقام . وقال فى إنكار بعضهم على من قال : حدثنى قلبى عن ربي ، لا إنكار ، لأن المراد أخبرنى قلبى عن ربي من طريق الإلهام الذى هو وحى

الأولياء، وهو دون وحى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وأيضاً لا إنكار على من قال :
كلمنى الله تعالى كما كلم موسى. ويقول مخاطباً السالكين : لا تجلسوا العارفين إلا
بالأدب. ويقول : من لم تؤدبه الصوفية فليس بأديب. ويقول : التعبد مفتاح باب
الخير، فمن فاتته الأوراد فى بدايته فقد حرم الواردات فى نهايته، فللأعمال أنوار كما أن
للمعارف أسرار، فعليك أيها السالك بالدوام على الأوراد. ويقول فى الاصطلاح
الصوفى «فلان عنده استعداد» أى صَقَلَ مرآة قلبه بأنواع المجاهدات التى بسببها
يكون الجلاء الموجب لتجلى صور الحقائق فى القلب الصافى كما هو معلوم حساً فى
المحبين، وأما فى المحبوبين فقلوبهم منورة مصقولة اختصاصاً إلهياً. وكان يقول : ما ورد
عليك هو ما ظهر منك لك، وما جلى عليك هو منك إليك، مثال ذلك النواة، إذا
زرعت نكل شىء ورد عليها من ورقها وثمرها كان فيها مودعاً بالقوة، كذلك أنت أيها
الإنسان، لا يرد عليك قط خارج منك من غيرك، بل الوارد عليك فيك غيباً، ثم ظهر
لك شهادة لتعرف مقدار ما أنعم الله عليك. ويقول : من وقف مع عاداته وعلومه، ولم
يظن أن فوق علمه علوماً فهو محروم من جميع المواهب، حتى من أهل مذهبه، ويسمى
هذا بالجاهل المركب، فإياك والجدال مع مثل هذا لمحاولة إقناعه، فإنه لا يرجع،
وتتسع الهوة بينكما، وربما صار يستفتى عليك وينسبك إلى أمور أنت برىء منها، فكف
عنه ما دام يرى نفسه عليك، فإن الجاهل لا ينصف المحق أبداً، لعدم ذوقه لحاله، إلا
أن يتداركه الله تعالى بالتسليم فيؤمن أن فوق كل ذى علم عليمًا. ويقول فى تفسير
قول بعضهم ما فعلت كذا إلا بإذن من الله، مراده بالإذن نور يقع بالقلب، ينشرح
له الصدر، ولا يعنى ذلك أن كل ما يقع للفقير حق، لأنه قد يكون على غير الشرع.
ويعرف الأستاذ فيقول : هو من كمل الدوائر وانطوى فيه علم الأوائل والأواخر،
ويسمى بالعالم المطلق، فكل استاذ شيخ ولا عكس. وينصح الشاذلى المريدين فيقول :
إياكم وصحبة الأحداث والنساء والأمراء والسلاطان وأرباب الدنيا الذين لا خير فيهم.
ويقول : من صحب ظالماً فهو ظالم. ويقول : اختلفوا أى الذكر أفضل، السرى أو
الجهرى، والجهرى أفضل إن غلبت عليه القسوة من أهل البداية، والذكر سرّاً أنفع فى
الجماعة. ولقد اختار أهل التعريف ذكر الله الله الله دون لا إله إلا الله مخافة أن
يستخدموا لا فينفون الإلهية وهم يريدون إثباتها، وأنا أقول أن من غلبت عليه الأهواء
فذكر لا إله إلا الله أنفع له، ومن خلس من الأهواء وذكر الجلالة فقط أى الله أنفع
له. ويقول : ذكر أهل الحضرة الحمد لله، واستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله،
وزدت أنا عليهم آية من كتاب الله لتكون حرزاً عليهم، لأن كل أحد يحب دوام

النعمة عليه ، وهى قوله : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، وكانت تلك هجير الإمام مالك فكان يقولها دوماً حتى كتبها على باب داره ، وقال جنة الرجل داره ، والله يقول : ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، أى لو قالها الرجل لسلمت جنته من الآفات . ويقول الشاذلى : سألت الله أن يلهمنى حمداً أحمده فأعلى على لسانى الوارد فى الحال : الحمد لله ، ولله الحمد بكل المحامد ، على كل المحامد ، بجميع المدائح المحموده ، فى جميع الحمد والمدح ، بما يجب للحمد لك ، حمداً أزلياً ، لا أول لبداية حمده ، غير حمده ، بحمده ، لحمده ، فى جميع المحامد الأزلية والأبدية ، بلسان جمع الحمد وفرقه ، فى جمع المحمود بذاته لذاته ، وبصفاته لصفاته ، وبفعله على فعله .



الشاذلى

محمد المغربى ، كان يرفض أن يؤلف كتباً فى الطريق بدعوى أنه لم يعد هناك من لديه الاستعداد أن يخرج عن ماله وعياله ليتصوف . ويقول فى التريية الصوفية إنها نوعان : تربية سوقية يتعلم بها المريد كلمات هذيانية فى الفناء والبقاء وأحوال القوم ، وتربية بيتية تشارك بها جميع أهل البلاد فى سائر أقطار الأرض فى بلائهم . ويقول : السالكون ثلاثة : جلالى ، وهو إلى الشريعة أميل ، وحمالى ، وهو إلى الحقيقة أميل ، وكمالى ، جامع لهما على حد سواء ، وهو منها أكمل وأفضل . ويقول : كفى شرفاً بعلم القوم قول موسى للخضر عليها السلام : هل اتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشداً ، وهو أعظم دليل وجوب طلب علم الحقيقة ، كما يجب طلب علم الشريعة . وكان يقول : ابن الشريعة ناظر بعين الحكم الظاهر ، وابن الحقيقة ناظر بعين الحكمة الباطنة ، وأدب الشريعة مبنى على شهود الخلق فى شهود الحق ، وأدب الحقيقة مبنى على فناء الخلق فى شهود الحق ، وتباين الأمران يعنى تعيين إظهار الأمر الظاهر ، وتحتّم إبطان الأمر الباطن خشية المعارضة والتعطل . ويقول فى رؤية النبی ﷺ يقظة ، المراد بذلك أن الرؤية تكون يقظة القلب فيرى الرائي الرسول روحياً من غير انتقال ذاته الشريفة من البرزخ إلى الدنيا . ومات رضى الله عنه نحو سنة ٩١٠ هـ ودفن بالقاهرة .



الشاطبي

إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، المتوفى سنة ٧٩٠هـ، له كتاب «الاعتصام» يعترض فيه على الصوفية استنادهم إلى الرؤيا في استخراج الأحكام الشرعية، واجتماعهم للذكر بصوت مرتفع، ثم الغناء والرقص والزمر، والتواجد المبالغ فيه، والضرب على الصدور. ويرى الشاطبي أن أحوال الصوفى ينبغي أن توزن بميزان الشرع فإن وافقته كانت صحيحة وإلا فهي بدعة، ويحتج فى ذلك بأن الإمام أحمد لم ينكر على الحارث المحاسبى سلوكه هو وأصحابه، وكان الحارث المحاسبى نفسه ممن يقتدى بهم ومن كبار مشايخ الصوفية.

الشبلى

أبو بكر دلف بن جحدر، أو ابن جعفر، أو أنه جحدر بن دلف، فاسمه الحقيقى مختلف فيه، وشهرته بكنيته، وله شطحات عرفت عنه كشطحات البسطامى، وإن كان البسطامى له السبق والشبلى والحلاج من أخلافه. وله شعر صوفى جميل، وسليقة شعرية فياضة، وقد جمع الدكتور كامل مصطفى الشبى ما تيسر جمعه منه فى ديوان نشره باسم «ديوان أبى بكر الشبلى». وينسب الشبلى لقرية شبله من خراسان، وولادته فى سُرْمَن رأى سنة ٢٤٧هـ بيت عز وجاه، فقد كان أبوه حاجب الحجاب للموفق، وخاله أمير الأمراء بالإسكندرية. وبلغ الشبلى فى المناصب العامة إلى الحجابة ثم الولاية على دناوند من نواحى رستاق الرى. وكتب الحديث الكثير ورواه، وتفقه على مذهب الإمام مالك، قال: كتبت الحديث عشرين سنة، وجالستُ الفقهاء عشرين سنة. ثم شغلته العناية عن الرواية، فقد التقى بالصوفى خير النساج وحضر مجالسه وفتن به فأنصرف عن الدنيا، وطلب من أهل الولاية التى هو عليها أن يعفوه من أمرهم، وبدأ المجاهدة والتصوف، فصحب الجنيد شيخ الصوفية وارتبط به حتى كانا إذا افترقا سعى الشبلى إليه يقول:

ورمونى بالصد، والصد صعب
فرط حبى لهم وما ذاك ذنب
ما جزى من يحب إلا بحب

عودونى الوصال، والوصل عذب
زعموا حين أزمعوا أن ذنبى
لا وحق الخضوع عند التلاقى

فيجيبه الجنيد :

وَمَنْ نَسِيَ أَنْ أَرَاكَ فَلَمَّا رَأَيْتَكَ
غَلَبَتْ دَهْشَةُ السُّرُورِ فَلَمْ أَمْلِكِ الْبَكَ
وكان الشبلى كالجنيد فقيهاً وصوفياً، وقال فيه أبو عبد الله الرازي: لم أرفى
الصوفية أعلم من الشبلى. ومن تفسيراته الصوفية للقرآن أنهم سألوه فى معنى: ادعونى
استجب لكم، فقال: ادعونى بلا غفلة استجب لكم بلا مهلة؛ وفى معنى قل
للمؤمنين يغضوا من أبصارهم، قال: أبصار الرعوس عما حرم الله تعالى، وأبصار
القلوب عما سوى الله؛ وفى معنى: يحو الله ما يشاء ويثبت، فقال: يحو ما شاء من
شهود العبودية وأوصافها، ويثبت ما يشاء من شواهد الربوبية ودلائلها؛ وفى معنى:
والذين هم عن اللغو معرضون، فقال: كل مادون الله لغو. والله تعالى هو كل
دائرة تفكير الشبلى، وهو كل الحب الذى أودعه الله تعالى فى قلبه، ومركز الدائرة فى
تفكيره هو التوحيد. والتصوف بدؤه معرفة الله، ونهايته توحيده. ولم تكن تسمية
الصوفية بالصوفية إلا لبقية بقيت عليهم من نفوسهم، ولولاها ما تعلق بهم التسمية،
يعنى أن الصوفية لأنهم جردوا أنفسهم لله تعالى، فعرفوه فوجدوه فصفت نفوسهم من
كل كدر. والتصوف ترويح للقلوب بمراوح الصفاء، وتحليل الخواطر بأردية الوفاء،
والتخلق بالسخاء، والبشر فى اللقاء، — يعنى أن الطريق هو التخلق بالأخلاق الربانية
ونبذ الأخلاق الدنية. ويزيد الشرح فيقول التصوف ضبط حواسك، ومراعاة أنفاسك.
وهو لا حال يقل، ولا سماء يظل، يعنى أن الصوفى ليس على حال واحدة، وإنما
طريقه هو الصعود باستمرار عبر مدارج الكمال. ويقول: ما أحد يعرف الله، قالوا
كيف، قال: لو عرفوه لما اشتغلوا بسواه. وقال: ما أجوع الناس إلى سكرة، فقالوا:
أى سكرة، قال: سكرة تغنيهم عن ملاحظة أنفسهم وأفعالهم وأحوالهم والأكوان
وما فيها. وقالوا: أليس يخطر الكون ببالك، قال: ليس يخطر الكون ببالى، وكيف
يخطر الكون ببال من عرف المكون. وقال: أهل الغفلة عن الله تعالى هم أهل
البلاء. مساكين هؤلاء المماليك: نظروا بعيونهم إلى الملكوت المخلوق، ورضوا بالجنات
المخلوقة، فبقوا معها خالدين فيها؛ وأما الملوك فلم يرضوا بها، فنظروا بقلوبهم إلى مالك
الملوك، فبقوا معه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر. وقال: طرفة عين فى غفلة عن الله
لأهل المعرفة شرك.

وكانت مجاهداته فى بدايته فوق الحد، فلا بد من الاجتهاد والمجاهدة، ولكنها
لا يوصلان إلى شىء من الحقيقة، لامتناعها عن أن تدرك بجهد أو اجتهاد، وإنما هى

مواهب يصل العبد إليها بإيصال الحق تعالى لا غير، ولولا أنه تعالى يبدأ العبد بالمحبة ويهديه لَمَا أُحِبَّه. والمريد ليست له فترة، أى هو دائم المجاهدة مثابر عليها، ودائم الذكر لله. اعتباراً لذكر القلوب، يقول: ليس للأعمى من الجوهرة إلا لمسها، ولا للجاهل من الباء إلا ذكره باللسان. والمريد الذى يبلغ الفلاح هو الأهلج بذكر الله، والأسرع عبادة لرضاه تعالى، فذكر الله تعالى على الصفاء ينسى العبد مرارة البلاء، ومع ذلك فليس من استأنس بالذكر كمن استأنس بالمذكور. ويقول الشبلى: إني لا استريح إلا إذا دخلت حضرة الشهود، لأنه لا ذكر فيها، استغناء عنه بالشهود، لأن الذكر إنما هو للغائب.

والأمر فى الزهد عند الشبلى أنه تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء. وكذلك الشأن فى التوكل فهو عند الله وحده، يقول إن أحكم يزعم أنه يتوكل على الله وهو يكذب، فلو توكل عليه لرضى بفعله. وكذلك الرجاء فهو أن ترجو أن لا يقطع بك دونه. وأما المحبة فهي صراط الأولياء، وتقويتها بالهمة، فمن ملّت همته ضعفت محبته. والأعجب عنده من أمر المريد هو أن يعرف الله ثم يعصاه، وأما المحب الذى لا تفتّر محبته فهو دائم الشوف للحق، ومحبته تدفعه إلى سرور من يشاق إليه وموافقته. ولا بد له فى محبته من الأدب، يقول: الانبساط مع الحق بالقول ترك الأدب. وليس للمحبة مع الحق إلا تعريف واحد: أنها اتباع أوامر المحبوب وتجنب نواهيه، ويجب فيها الإخلاص والصدق وكتمان الحال. وهى الفراغ للحبيب وترك الاعتراض على الرقيب. والمحبة كأس لها وهج، إن استقرت فى الحواس قتلت، وإن سكنت فى النفوس أسكرت، فهي سكر فى الظاهر، ومجبة فى الباطن. وسألوه. فهل تظهر صحة الوجد على الواجدين؟ فقال: نوراً مقارناً لنيران الاشتياق، فيلوح على الهيكل آثارها. والمحبة الكاملة لله تعالى هى أن تحبه من قبله.

ليس تخلو جوارحى منك وقتاً
هى مشغولة بمحمل هواك
ليس يجرى على لسانى شيء
علم الله ذا - سوى ذكراك
وتمثلت حيث كنت بعينى
فهى إن غبت أو حضرت تراك

وكان الشبلى يبالغ فى تعظيم الشرع، وإذا جاء رمضان قام بتعظيمه لأنه شهر عظمه ربه، ويقول «لا تأمن على نفسك وإن مشيت على الماء». والمهم هو «مواقفه الله فى أوامره ونواهيه». وكمال المعرفة هو «إذا كنت قائماً بما أمرت، تاركاً لتكلف

ما كفيت ، فأنت كامل العقل ، وإذا كنت بالله متعلقاً لا بأعمالك ، غير ناظر إلى سواه ، فأنت كامل المعرفة . . وسألوه عن معجزته فقال : هي أن تعرض خاطري في حال صحوى على خاطري في حال سكرى ، فلا يخرجان عن موافقة الله تعالى . . والصفوى في لغة الشبلى هو الفقير لأنه في كل أوقاته وأحواله فقير إلى الله تعالى ، والإفلاس هو الاستئناس بالناس ، ونصيحته لأتباعه : إلزم الوحدة وامح اسمك من القوم ، إلزم الجدار حتى تموت .

واشتهر الشبلى بالشطح ، وأهم ما أثر عنه منه قوله لبعض من سمعوه « إيش أعمل بلظى وسقر؟ عندي أن لظى وسقر فيها (يقصد الجحيم) تسكن » (يعنى فى القطيعة والإعراض) ، لأن من عذبه الله بالقطيعة فهو أشد عذاباً ممن عذبه بلظى وسقر . وهو قول يعنى أنه قد جرد الجحيم فجعلها بمعنى القطيعة عن الله ، فالمقطوع عن الله أشد إحساساً بالعذاب المعنوى من عذاب المذهب بالجحيم . وعدم احتفاله بالنار يجعله يطلب أن يُلْفَى فيها فقال لما سمع قارئاً يقرأ عنها أخسأوا فيها ولا تكلمون ، « ليتنى كنت واحداً منهم » ، وذلك لأن عباد الله الصديمين بوسعهم إطفاء النار ، يقول : « إن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفأوها » ، وقوله يقصد به المعنى الباطن ، يعنى تجريدتها من المعنى الحسى ، ولا يكون ذلك إلا لمن انصرف بكليته إلى الله ، وهى درجة إذا بلغها العابد فلا يعود يمه شىء أو أحد . يقول : إن مَرَّ بخاطرك ذكر جبريل وميكائيل عليهما السلام أشركت » ، يعنى أنه صار فى مقام الولاية ، وفى هذا المقام يقول : « يا قوم ، أُمِّرْ إلى ما لا وراء فلا أرى وراء ، وأمر يميناً وشمالاً إلى ما لا وراء فلا أرى إلا وراء ، ثم أرجع فأرى هذا كله فى شجرة من خنصرى » ، يعنى أنه صار يسوى بين الأشياء فاللاوراء يستوى بالوراء ، واللانهاية تستوى بالنهاية ، وكلتاها شجرة من خنصره ، أى كل شىء مهما صَغُر فهو جزء من الوجود ، والوجود هو وحدة كل الأجزاء ، والكل هو الله تعالى . يقول : إن قلتُ كذا فالله ، وإن قلتُ كذا فالله ، وإنما أتمنى منه ذرة » ، يعنى أنه بدأ يستشعر الاتحاد ، ولذلك بدأ يشعر أن له عزة تزيد على عزة الناس ، فإذا كانت العزة لله جميعاً فهو قد صار مع الله حتى صارت عزة الناس من عزته . يقول : « نظرت فى كل عز ، فزاد عزى عليهم ، ورأيت عزهم ذاك فى عزى . ومن كان يريد العزة فلله العزة جميعاً » ، فإذا كان هذا ما آل إليه شعوره فهو يتوجه إلى من حوله ويقول : أنا معكم حينما كنتم . أنتم فى رعايتى وفى كلايتى . . وهو يدرك الفرق بين ناسوته ولاهوته

فيقول مفرقاً بين نفسه وسره: «نفسى تطلب منى كسرة خبز. ولو التفت سرى إلى العرش والكرسى لا حترق»، يعنى أن نفسه محدثة وغلوقة، لكن سره قديم وأقدم من العرش والكرسى ولذلك يحترقان لو شاهدا سره. ويبلغ أقصى ما يمكن أن يبلغه الوجد عندما يقول: «أنا الوقت، ووقتى عزيز، وليس فى الوقت غيرى، وأنا محقق»، يعنى أنه الدهر، والدهر هو الله، فليس يوجد سواه، وهو الباقي والكل يفنى عنه، والذي يبلغه يفنى به فيه، والبلوغ أو الوصول حق لكل ما عده. وهو فى هذه المرتبة يمر بمرحلتين، فى الأولى يكون السلب فيقول لا إله إلا هو، ولا إله إلا الله، وفى الثانية هو الإيجاب فيقول «الله» لا غير، والصوفى الواصل هو الذى يتجاوز السلوب لأنه عدم، ويكون مع الوجوب لأنه وجود يخلو من العدم، ومن كان مع الله فهو الموجود به وجوداً أبدياً لأنه هكذا يخبرنا الحق «خالدين فيها أبداً»، فأما وقد بقى بالله فصار كما يقول الحديث: «سمعه ويده إلخ» ومن ثم فقد صار لذلك يقول: «أنا أقول وأنا أسمع»، «ولو دبت غلة سوداء على صخرة صماء فى ليلة ظلماء ولم أشعر بها أو أعلم بها، لقلت إنه مكمور بى»، يعنى أنه لو كان دون هذه المرتبة كما وعد الحق لفال إنه قد غرّبه، ولكنه يعتقد أنه قد بلغ ما بلغ ولذلك يقول إنه سيشفع فى الناس: «والله لا رضى محمد ﷺ وفى النار من أمته أحد. إن محمداً يشفع فى أمته، وأنا أشفع بعده حتى لا يبقى فيها أحد»، يعنى أنه يضع الولاية فى مرتبة أعلى من النبوة، وهو سيشفع فى كل الناس يوم القيامة بحكم ولايته. ويقول: «أنا النقطة التى تحت الباء»، وتلك أعلى المقامات، فالنقطة فى الباء هى التى تقوم بها، وكذلك الوجود كله، فبالشبلى قيامه، يعنى أنه القطب الغوث وقائم الزمان. يقول: أنا أقول وأنا أسمع فهل فى الدارين غيرى!!

■ ■ ■ ابن شرقاوى

أحد بن شرقاوى بن مساعد (١٢٥٠ - ١٣١٦هـ) من أعلام التصوف فى صعيد مصر، وشهرته أبو العباس الخلفى نسبة إلى قرية الخلفية أو الخلافية من قرى جرجا، وذكره الإمام محمد عبده فقال إنه من العلماء العاملين ومن بفايا شيوخ الطريق المخلصين، ومذهبه فى التصوف تربوى أساساً، وهو من أقطاب الخلوتية فى الديار المصرية وقد عمل على تجديد تعاليمها وكان مصلحاً اجتماعياً دينياً، وله مصنفات «شمس التحقيق وعروة أهل التوفيق» فى التصوف والأخلاق؛ و«نضحة

الذاكرين وإرغام المكابرين» ويضم مباحث في الحقيقة والشرعية والصلة بينهما، و«المورد الرحمانى» وهو منظومة تبلغ مائتى بيت وسبعة فى علمى التوحيد والتصوف وقد استهلها بقوله :

يقول داعى المنهج الحفناوى أحمد نجل الخلفى شرقاوى

ويقصد بالحفناوى الشيخ محمد الحفنى الداعى الأول للطريقة الذى ينسب إليه ابن شرقاوى (ولعله لذلك يكتئى بابن شرقاوى أو الشرقاوى، ويعنى من الشرقية حيث أن الشيخ محمد الحفنى شرقاوى كذلك)، وتحدث فيها عن الطريق وآدابها، و«منحة الفتح ورقية الأرواح» الموسومة بالنفسية التى يقول فى مطلعها :

يانفسى كفى عن سوى مولاك وابنى جِماه فالسوى أرداك

يخاطب فيها النفس ويحذرهما من المعاصى ويطلب إليها التقرب من الملك العلّام ؛ و«الوسيلة الحسنى فى نظم أسماء الله الحسنى» ومطلعها :

يارب بالحسنى من الأسماء أشرف شمس القرب فى سمائى
وافتح صميم القلب ياالله وامزجه بالتوحيد يا مولاه

ومن تلاميذ ابن شرقاوى العارف بالله السيد يوسف الحجاجى الأقصرى (المتوفى ١٣٣٣هـ) وقد ذكره ابن شرقاوى فقال مترجماً له أنه السيد أحمد بن السيد يونس الحجاجى محتداً، والأقصرى بلداً ومولداً، والشافعى مذهباً، والخلوتى سيراً ومرباً. ومنهم أحمد الطاهر الحامدى المتوفى سنة ١٣٣٢هـ من الحامدية مركز الأقصر، وقد تولى شرح منظومة المورد الرحمانى لأستاذه بعنوان «الكشف الربانى عن المورد الرحمانى» ويقول فى المقدمة أن استاذه قد طلب إليه ذلك فى حياته وقد وافقه على ماذهب إليه فيها. وله أيضاً «مطية السالك إلى مالك الممالك» وهو عند الخلوتية من أركان الطريق وآدابها، ويذكر فى المقدمة أنه صنفه بناءً على طلب استاذه ليكون نبراساً للمريدين، واختتمه بأن الطريقة الخلوتية هى خلاصة جميع الطرق وأنها تجمع آدابها. ومن تلاميذه أيضاً محمد حسنين مخلوف والد حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية الأسبق، وقد توفى سنة ١٣٥٥هـ، وله إتخاف الوارد بأشعة الأوراد للسادة الخلوتية، ألفه بأمر استاذه، وشرح المورد الرحمانى فى التوحيد والتصوف، وشرح نصيحة الذاكرين لأستاذه.

الشرنوبى

أحمد بن عثمان بن أحمد بن على الشرنوبى (٩٣١ - ٩٩٤هـ) له «طبقات الشرنوبى» فى مناقب بعض الأولياء، أملاه على تلميذه محمد البلقىنى. ومن نظمه تائية «السلوك إلى ملك الملوك» شرحها عبدالمجيد الشرنوبى المتوفى سنة ١٣٤٨هـ فى كتابه «شرح تائية الشرنوبى».



الشريشى السّلوّى

أبو العباس تاج الدين أحمد بن محمد الشريشى، ولد سنة ٥٨١هـ فى سلا من ضواحي الرباط بالمغرب، وأخذ عن علماء فاس والأندلس وبغداد ومصر، وتصفّى على أبى حفص السهروردى، واستقر فى الفيوم بمصر وتوفى بها سنة ٦٤١هـ، واشتهر بقصيدته الرائية فى التصوف، سماها أنوار السرائر وسرائر الأنوار، وشرحها أحمد بن يوسف الفاسى.



الششتى

الصالح العابد الأديب أبو الحسن على بن عبدالله النيرى الششتى (٦١٠ - ٦٦٨هـ)، وينسب إلى بنى نير من بطون هوازن، وششتى إحدى قرى وادى آش بالأندلس حيث مولده، وله «تقدّم فى علم النظم والنثر على طريقة التحقيق، وشعره فى غاية الانطباع والملاحاة، وتواشيعه ومقفياته ونظمه الزجل فى غاية الحسن». ويذكره الذاكرون فيقولون: «كان من الأمراء وأولاد الأمراء، فصار من الفقراء وأولاد الفقراء»، وقيل بدأ حياته تاجراً متجولاً ورحل إلى بلاد عدة، وفى إحدى رحلاته إلى بجاية حضر حلقة ذكر لاتباع أبى مدين الصوفى المشهور، ولزم مجلس محى الدين بن سراقة تلميذ السهروردى صاحب المعارف، وأخذ عنه التصوف. وفى بجاية أيضاً التقى بابن سبعين فافتتن به رغم أنه كان يكبر ابن سبعين، وانجذب، كما يقول فى بعض قصائده، إلى «مغنطيس النفوس» و«إكسير الذوات»، وبلغ به الافتتان أن كان يطلق على نفسه فى منظوماته اسم «عبد ابن سبعين». ويقول بعض مؤرخيه أنه كان وزيراً وعالماً قبل أن يلتقى بابن سبعين، فلما انضم إليه اشترط ابن سبعين

عليه أن يخرج عن الأسباب ويتضع. قال: «لا تنال منها شيئاً حتى تبضع متاعك وتلبس قشبانية (أى خرقة) وتأخذ بنديراً (أى علماً) وتدخل السوق»، ففعل جميع ذلك، وسأل ابن سبعين فإذا أقول فى السوق، فقال له قُلْ بدأت بذكر الحبيب، ففعل ولم يصف شيئاً مدة يومين، وفى الثالث بدأ يغنى فعلاً بعلوم الأذواق وقال:

بدأت بذكر الحبيب وعيشى يطيب
لما دار الكأس ما بين الجلّاس
عنهم زال الباس
سقاهاهم بكأس الرضا عفا الله عما مضى

واستمر ينشد ويعزف على آلة بيده، سميت الشترية على اسمه، والناس ينظرونه وهو يقول لهم:

شويخ من مكناس فى وسط الأسواق يغنى
إيش على من الناس وإيش على الناس منى؟
وتذكر الرواية أن ابن سبعين لما وجد الشترى متراوحاً بينه وبين أبى مدين قال له: إن كنت تريد الجنة فسر إلى أبى مدين، وإن كنت تريد رب الجنة فهلم إلى. وقد تنقل الشترى وذهب إلى مصر فلما دخلها كانت له طريقته التى تشعبت عن السبعينية إلا أنه كما قيل تبرأ من مذهب الحلول والاتحاد فى آخر حياته. وقيل إنه لما قدم إلى مصر دخلها فيما ينيف على أربعمائة فقير يخدمونه. وقد اعتكف الشترى أول الأمر بالجامع الأزهر، وكان اجتماعه بمريديه فيه أو بباب زويلة. وهو أول من استخدم الزجل فى التصوف، وكذلك كان ابن عربى — وهو أيضاً من دعاة وحدة الوجود — أول من استخدم الموشح فيه. وخطورة الشترى كما يقول خصومه أنه يعبر فى زجله أو شعره عن المذهب ببساطة تعوز ابن عربى، وذلك ما جعل ابن تيمية ينبه إليه وهو يقول فيه صاحب الأزجال، غير أن تلاميذ الشترى كانوا يرجحونه على ابن سبعين لأنه أقرب إلى التصوف السنى من مذهب وحدة الوجود، ولعله لهذا السبب أيضاً لم يطعن فيه فقهاء مصر، وقد صنف عبد الغنى النابلسى رسالة فيه بعنوان: «رد المفتى عن الطعن فى الشترى». واشتهرت الشترية كطريقة متميزة عن طريقة ابن سبعين، على الأقل فى اعتمادها على السماع والموشحات التى كان يؤلفها الشترى. حتى أن ابن الراندى دعا إلى جمع تراث الشترى الشعرى الإنشادى وهاجم ابن سبعين لغموضه، ولكن الشترى فى حياته كان يدافع عن استاذة ويقول:

«إنهم يفعلون ذلك لقصورهم عن فهم حقيقة الشيخ». وفي مصر كان الششتري يتردد على الأديرة ويلتقى بالرهبان وعرف طريقهم وردد ذلك في شعره. واعتبر الششتري نفسه من الشاذلية في مصر وقال «شيونى.. هم شاذلية»، وورث رباطه الشاذلية من بعده، وأنشدوا موشحاته. وله الرسالة العلمية، والمقالات الوجودية في أسرار الصوفية، والرسالة البغدادية. ويقسم أتباعه ديوانه الشعرى قسمين، أحدهما يتضمن مذهبه الصوفى الفلسفى من مثل قصيدته التى يقول فيها :

فكم واقف أردى ولم سائر هدى	وكم حكمة أبدى ولم مملق أغنى
وتيسم الباب المهرامس كلهم	وحسبك من سقراط أسكنه الدنا
وجرد أمثال العوالم كلها	وأبدأ أفلاطون فى أمثل الحسنى

والقسم الآخر موشحات وأزجال لإنشاد وتعليم المبتدئين من مثل :

يا حاضرا فى فؤادى	بالفكر فيكم أطيّب
إن لم يزرر شخص عينى	فالقلب عندى ينوب
ما غبت لكن جسمى	من النحول يذوب

أو قوله :

دعنى ياسالى	لو ذقت سلسالى
عرفت حالى	والذى فى بالى

أو قوله :

مدامك يا شيخ الحضرة	مدام عجيب
وكل العالم به يبرا	إش ما يصيب

الشعرانى

الشيخ الإمام أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعرانى نسبة إلى قرية ساقية أبى شعرة بالمنوفية حيث هاجر إليها جده من الصعيد واستوطنها، وكانت له بها زاوية للتعليم. وعائلة الشعرانى أصلاً من تلمسان وغادروها إلى الصعيد بناء على نبوءة

من الصوفى الإمام أبى مدين المغربى ، ثم غادروها إلى المنوفية . وكان ميلاد الشعرانى سنة ٨٩٨هـ ، وبعد أن توفى أبواه وتركاه يتيماً ليس له إلا الله نصيراً وولياً كما يقول ، سافر الشعرانى إلى القاهرة سنة ٩١٠هـ ، وأقام فى مسجد سيدى أبى العباس الغمرى سبعة عشر عاماً يتعلم ويعلم ويتعهد ويتعبد ، واتصل بصفوة العلماء من يومه الأول ، ومنهم جلال الدين السيوطى وزكريا الأنصارى وناصر الدين اللقانى والرملى والسمنودى ودرس عليهم وعلى أضرابهم العلوم الإسلامية واللغة العربية والأصول والفقه والتصوف والحديث والتفسير والأدب حتى غدا بجرأ زائحراً لا تدرك أبعاده ، تم انصرفت همته إلى سلوك أهل التصوف فاتصل بشيوخهم وتردد عليهم وفتح الله عليه بالشيخ على الخواص فكان معراجة وسلمه ، وعلى يديه أصبح إمام عصره علماً وذوقاً .

والشعرانى عالم متحقق كانت له جهوده فى الدعوة إلى الله تعالى ، وأسس زاوية يتلقى فيها الطلاب علوم الظاهر والباطن ، وأصبحت زاوية الشعرانى منارة إسلامية وكانت مثابة للعلماء ومنبراً للدعوة والإرشاد ، وساحة للذكر والعبادة ، ورواقاً يضم المريدين ويأوى السالكين ، وأثرى المكتبة الإسلامية بعدد كبير من كتب التصوف ، يذكر على باشا مبارك فى موسوعته الخطط التوفيقية أنه رأى منها سبعين كتاباً ، منها «الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية» ، و«الأنوار القدسية فى معرفة آداب العبودية» ، (وبعضهم يجعل العنوان معرفة آداب الصوفية) ، و«بهجة النفوس والأسماع والأحداق فى تميزه القوم من الآداب والأخلاق» ، و«تنبيه المفتقرين فى آداب الدين» ، و«الجواهر والدرر الكبرى» ، و«درر الفواص من فتاوى الشيخ على الخواص» ، و«القواعد الكشفية فى الصفات الإلهية» ، و«الكبرى الأخرى فى علوم الشيخ الأكبر» ، و«لطائف المنن» المشهور بكتاب المنن الكبرى ، و«لواحق الأنوار فى طبقات الأخيار» مجلدان ، ويعرف بطبقات الشعرانى الكبرى ، و«لواحق الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية» ، و«مدارك السالكين إلى رسوم طريق العارفين» ، و«مشارك الأنوار» ، و«المنح السنية» ، و«اليواقيت والجواهر فى عقائد الأكابر» .

ويقول الشعرانى إن مادعاه إلى كتابة هذه الكتب هو الحالة المتردية التى كان عليها التصوف والصوفية فى زمنه ، وينعى على من توفى من أكابر المشايخ ، «فلما ذهبوا زالت حرمة الطريق وأهلها ، وصار الناس يسخرون بأحدهم ويقولون لبعضهم ما دريت ما جرى ، فلان الآخر عمل شيخاً ، كأنهم لا يسلّمون له ما يدعيه لما هو عليه من محبة الدنيا وشهواتها والتلذذ بمطامعها وملابسها ومناكحها والسعى على تحصيلها» .

ويحذر الشعراني من قراءة كتب العارفين إلا لعالم كامل أو من سلك طريق القوم، وأما من لم يكن كذلك فلا ينبغي له مطالعة شيء منها خوفاً عليه من إدخال الشبه التي لا يكاد يفظن أن يخرج منها فضلاً عن غير الفطن. ومما يقع فيه كثير من الناس قولهم: يا من يرانا ولا نراه، وقولهم سبحان من كان العلا مكانه، ونحو ذلك مما لا يجوز التلفظ به لما يورثه من الإبهام عند العوام، وقد أجمع أهل السنة على منع كل إطلاق لم ترد به الشريعة، وأجمعوا على وجوب تأويل أحاديث الصفات كحديث ينزل ربنا إلى سماء الدنيا. ومما يمنع شرعاً إطلاق بعضهم على الله تعالى اسم الخمار والساقى وليلى وليلى وسعدى ودعد وهند والكنز الأكبر ونحو ذلك. وكذلك لا يجوز إجماعاً إرادة ذاته تعالى بقول بعضهم:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدننا
وقولهم:

تمازجت الحقائق بالمعاني فصرنا واحداً روحاً ومعنى

فكل هذا وأمثاله لا يجوز عند أهل السنة. وكذلك مما ينبغي اجتنابه قول بعضهم ما فى الوجود إلا الله، وقولهم إن الله فى قلوب العارفين، وإنما الصواب أن يقال ما فى الوجود فى الأزل إلا الله، ومعرفة الله فى قلوب العارفين، وإليه الإشارة بحديث وسعنى قلب عبدى المؤمن، أى وسع معرفتى من غير إحاطة بى. وكذلك ينبغي اجتناب قول بعضهم هذا زمان سوء لأن الزمان هو الدهر، والدهر هو الله. وكذلك يحذر من مواضع فى كتاب قوت القلوب للمكى من مثل قوله الله تعالى قوت العالم، ومن مواضع فى تفسير المكى، ومن مواضع كثيرة فى كلام ابن ميسرة الحنبلى، ومن مطالعة كتب الشيخ محبى الدين بن عربى لعلو مراقبها ولما فيها من الكلام المدسوس على الشيخ لاسياً فى الفصوص وفى الفتوحات المكية، وكل ما فى كتبه من الأمور المخالفة مدسوس عليه. ويحذر من قراءة كتب عبدالحق بن سبعين مما يوهم الحلول والاتحاد والتشبيه، وأقوال عمر بن الفارض فى الثائية، والجمهور على جواز تأويلها. ودافع الشعراني عن ابن عربى وأوضح، ما يريد من أقواله من مثل حدثنى ربي عن قلبى أو حدثنى ربي عن نفسه بارتفاع الوسائط، فقال ليس مراده أن الله تعالى كلمه كما كلم الأنبياء، وإنما أن الله تعالى يلهمه على لسان ملك الإلهام بتعريف بعض الأحوال.

وكتاب الشعراني المتن من أفضل وأشرف كتب الأخلاق ويوضح فيه معالم

الآداب الإسلامية، وكتابه **لواقيح الأنوار القدسية** في بيان العهود المحمدية هو طرح لمعتقداته مما يمكن أن يكون نبزاً للصوفى ومثلاً حياً له في الأخلاق باعتبار الرسول هو المثل الأعلى لكل مسلم. ويقول في مقدمته هذا كتاب نفيس لم يسبقني أحد إلى وضع مثله، والباعث لى على تأليفه ما رأيته من تنافس الإخوان على ما ينقصهم من دنيائهم، ولم أر أحداً يفتش على ما يقصه من أمور دينه. وفي سبيل الغاية نفسها ألف كتاب **الأنوار القدسية** وخصصه لتوضيح المناهج الصوفية والصلات التي تربط الشيخ والمريد والآداب ككل. وقد فضح الشعراني الدجالين والمشعوذين من مدعى التصوف في كتابه **الطبقات**، فقد رأى فيهم البلاء، وتعقب شيوخ عهده مظهراً جهلهم وكفرهم وسوء أدبهم، وهذا ما يجعل قراء هذا الكتاب يندهشون لإدراج الشعراني هؤلاء ضمن تراجم السلف الصالح، ولكنه جعل ذلك ليتيح للقارئ المقارنة بين هؤلاء وأولئك، وجعل كتبه تنبيه المغترين والمنز الكبري والأنوار القدسية وقواعد الصوفية كلها ليجلو الأخلاق الصوفية المثالية. والشعراني مصلح ديني واجتماعي، ويدعو الصوفى الحق إلى العمل وأن تكون له حرفة يتعيش منها ولا يكون من المتبطلين، وينتقد الفقهاء الذين يعلمون كثيراً ولكنهم لا يعملون بما يعلمون ولا يحضون على الفضيلة وينهون عن المنكر، ويقول إن عداؤه للصوفية والفقهاء الذين ليسوا على الجادة هو الذى ألّب هذه الفئات عليه فكدادوا له وأضافوا إلى مقدمة كتبه ومتمونها إضافات من عندهم تخالف ظاهر الشريعة، واستفتوا عليه زوراً وهتافاً واستعدوا عليه الحاكم، وأخيراً لجأوا إلى محاولة اغتياله فى الطريق، ثم حاولوا دس السم له، وأفلحوا مع تلميذه المناوى فأت بتدبيرهم ونجى الله الشعراني، وحبب فيه الناس حتى أن الأمير حسن بك صنجق صار من مريديه وخرج عن ماله وفرقه على الناس وصمم على أن يبنى ضريحاً للشعراني، ويشاء الله أنه ما أن انتهى العمل فيه حتى وافته المنية سنة ٩٧٣ وكانت آخر كلماته «أنا ذاهب إلى ربى الرحيم الكريم».

شقيق البلخي

أبو على شقيق بن إبراهيم من أهل بلخ، توفى سنة ١٩٤هـ، أول من تكلم فى علوم الأحوال، أى علوم الصوفية، من أهل خراسان، ولسانه يغلب عليه التوكل والزهد، أى أن كلامه ينصرف أغلبه فيها، وكان استاذاً لحاكم الأصب وتلقى التصوف عن إبراهيم بن أدهم، وهو يقول عن نفسه كنت رجلاً شاعراً وموسراً ومرابياً، وأتقنى

أى أفعّل فعل الفتیان ، فوزقنى الله التوبة فخرجت من ثلثمائة ألف درهم . وقيل فى سبب زهده أنه كان فى سفرة للتجارة فى تركيا فدخل بيناً للأصنام ، والعالم الذى یعلم عبديها يقول كلاماً لم يعجبه فقام فيهم وقال للرجل : ما أنت فيه باطل ، وهؤلاء (يقصد الأصنام) ، ولك ، ولهذا الخلق خالق وصانع ليس كمثله شىء ، له الدنيا والآخرة ، قادر على كل شىء ، رازق كل شىء ، فرد عليه العالم بأن قوله لا يناسب فعله ، إذ طالما أن الله خالق وقادر ورازق ، أفا كان الأولى أن يتوكل عليه فيرزق فى بلده بدلاً من السفر والماء طلباً للرزق فى بلاد الثّربة . وأخذ شقيق برده فإ كان أحراره أن يفعل ذلك فعلاً ، ومن يومها طلب أن يتزهد ، وتوكل على الله ، ودخل الطريقة . وقيل أيضاً فى سبب زهده أنه رأى يوماً مملوكاً يمرح ولا يحمل همّاً ، فى وقت اشتدت فيه ضائقة المسلمين وعانوا الجوع ، فعاتبه سائلاً ولماذا الفرح والناس فى كرب ، فرد عليه بما يعنى ولماذا لا يفرح ويتّحى عنه الهم ومولاه غنى ويكفيه رزقه . ويقول شقيق فتسبّحت وتبت بما كنت فيه وسلكت الطريق . ويحكى عن سبب تلمذه على ابن آدم وقد سأله هو عن ذلك فقال : سرت فى بعض الفلوات فرأيت طيراً مكسور الجناحين فقلت أنظر من أبّن يرزق هذا ، فإذا أن بطير فد أقبل وفى فيه جرادة وضعها فى منقار الطير المكسور ، فاعتبرت وتركت الكسب وأقبلت على العادة .

ويتبين من الروايات السابقة أن طريقة شقيق تقوم — كما يقول — أولاً على التوحيد ، وهو أن توحّد الله تعالى بقلبك ولسانك وعملك ، فإذا وحدته بقلبك أن لا إله غيره ، ولا نافع ولا ضار غيره فليس لك بد من أن تجعل عملك كله لله لا لغيره ، فإذا سرت مخلصاً بهذا القول ، عاملاً له أنه لا إله إلا هو فليكن هو أوثق عندك من كل الناس ومن كل من على ظهر الأرض ، وتوكل عليه وحده . والتوكل على الله هو ثانى أركان طريقة شقيق ، ومعنى التوكل هو أن يطمئن قلبك بموعود الله ، ومعناه أن ترضى بما قضى الله ، فهو القادر والرازق ، وهو كل شىء ، ومن لم يعرفه بذلك فهو لم يعرفه ، ومن أراد أن يمتحن معرفته بالله فلينظر ما وعده الله ووعدته الناس ، بأيهما قلبه أوثق . وسألوه بأى شىء يُعرف بأن العبد واثق بربه ، فقال يُعرف بأنه إذا أبطأ عليه شىء من الدنيا يكون أحب إليه من أن يأتيه . والزهد هو الركن الثالث . يقول شقيق عملت فى القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا من الآخرة ، فأصبته فى حرفين وهى قوله تعالى وما أوتيتم من شىء فتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وأبقى . والزاهد هو المنقطع إلى الزهد بقلبه ، يخاف على نفسه من حصول الغنى له كما كان يخاف عليها قبل توبته من حصول الفقر ، وعلامة صدقه فى زهده أن يفرح بكل شىء

فاته من الدنيا ويغتم لكل شيء حصّله منها، ومثله في ذلك كمثّل الرجل يغرس نخلة ويخاف أن تحمل شوكاً، ومثّل المافق كمثّل الرجل يغرس شوكاً ويطمع أن يحصل رطباً. وإذا كان الفقير الذي يريد أن يعرف بالفقر راغباً في الدنيا والتنعّم بملابسها ومناكحها، فبمن يقتدى الراغب حتى يخرج عن رغبته، وإذا كان العالم طامعاً وللمال جامعاً فبمن يقتدى الجاهل، وإذا كان الراعى هو الذئب فمن يرعى الغنم؟ وفرق بين الزاهد والمتزهد، فالأول يقيم زهده بفعله، والثاني يقيم زهده بلسانه. والزاهد يتقى الأغنياء لأنّ صحبته تورث الطمع فيهم فيتخذهم أرباباً من دون الله، وهو الذي يطهر قلبه من حب عروض الدنيا حتى يدخل فيه حب الآخرة. والزهد أوله صبر وآخره رضا، والصبر في الزهد هو صبر على الجوع بالسروور لا بالفطور، وبالرضا لا بالجزع، والصبر على العرى بالفرح لا بالحزن، والصبر على طول الصيام بالفضل لا بالتعسف كأنه طاعم ناعم، والصبر على الذل بطيب نفسه لا بالنكره، والصبر على البؤس بالرضا لا بالسخط. وقوام ذلك كله أو أساس الطريقة هو المعرفة، المعرفة أولاً بالله، وثانياً معرفة نفسه، والثالث معرفة أمر الله ونهيه، والرابع معرفة عدو الله وعدو نفسه.



الשלّمغانى

أبو جعفر محمد بن على، وينسب إلى شلمغان إحدى قرى واسط، يقول ابن الأثير وكان من مذهبه أنه إله الآلهة، يُحقّ الحق، وأنه الأول القديم والظاهر الباطن، الرازق التام، المومأ إليه بكل معنى. وكان يقول إن الله سبحانه يحل في كل شيء على قدر ما يحتمل، وأنه خلق الضد ليدل على المضدود، فمن ذلك أنه حل في آدم لما خلقه، وفي إبليس أيضاً، وكلاهما ضد لصاحبه لمصادته إياه في معناه، وأن الدليل على الحق أفضل من الحق، وأن الضد أقرب شيء من شبهه، وأن الله عز وجل إذا حل في جسد ناسوتى أظهر من القدرة والمعجزة ما يدل على أنه هو. وتأثر بآراء الشلمغانى بعض كبار رجال الدولة العباسية، ومنهم المحسن بن أبى الحسن بن الفرات، كما استمع له ناصر الدولة بن حمدان الذى تستر عليه بالموصل إلى أن رحل منها إلى بغداد، وقد تبعه إليها بعض الكبراء ومنهم الحسين بن القاسم بن عبدالله بن سلمان بن وهب الذى وزره المقتدر بالله، وأبو على بن بسطام، وإبراهيم بن أبى عون، وابن شبيب الزيات. ولما

استفحل أمر الشلمغانى فى عهد الراضى (٣٢٢ — ٣٢٩هـ) قبضوا عليه والكثير من أنصاره، وضبطوا لديه الكثير من المخطوطات المثبتة لادعاءه الألوهية وإغراق أنصاره فى تأليهه، وعرضت المخطوط عليهم فأنكروها وأثبتها الشلمغانى، وأمرهم الخليفة بصفعه فرفضوا، وخاطبه أحدهم قائلاً إلهى وسيدى ورازقى، ولكن الشلمغانى تبرأ مما قال وادعى أنه لم يقل لهم ذلك، واعترفوا أنه لم يدع ذلك صراحة ولكنه زعم أنه الباب إلى الإمام المنتظر، وأفتى الفقهاء بقتله فصُلب الشلمغانى وابن أبى عون من أتباعه فى ذى القعدة سنة ٣٢٢هـ وأحرقا بالنار.



الشيبانى

تقى الدين أبو بكر الشيبانى الشافعى (٧٣٤ — ٧٩٧هـ) له «آداب المريدين» و«الدرة المضية والوصايا الحكيمية» وتصانيف أخرى فى اللغة والنحو. والشيبانى من مواليد الموصل، إلا أنه انتقل منها شاباً إلى دمشق، واستقر ببيت المقدس وتوفى بها، وكان من الصوفية الزاهدين، وتلميذه محمد بن موسى الهذيانى كتاب فى حياته وطريقته وأقواله ومواقفه فى التصوف باسم «فتوح الوهاب».





ابن الصبّاغ القوصى

أبو الحسن على بن أحمد بن الصبّاغ (نحو ٥٤٦هـ - ٦١٢هـ) شيخ التصوف المصرى فى القرن السابع الهجرى ، ولادته بقوص ، وتوفى بقنا ودفن بالقرب من استاذة عبد الرحيم القنائى ، وكان أبوه صبّاغاً على الحقيقة ويعيب عليه عدم معاونته له وانقطاعه إلى أهل التصوف . ومذهبه فيه يقوم فى جانبه النظرى على الحب الإلهى ووحدة الوجود والاتحاد ، وقد روى عنه من الأشعار فى الحب الإلهى :

بقائى فناء فى بقائى من الهوى	فيا ويح قلبى فى فناء بقاؤه
وجودى فناء فى فناء فإنسى	مع الأنس يأتينى هنيئاً بلاؤه
فيا من دعا المحبوب سرّاً بسرّه	أتاك المنى يوماً أتاك فناؤه

ومما روى عنه فى وحدة الوجود :

تسرّبتل وقتى فيك فهو مُسرّبتل	وأفنيّتنى عنتى فعدتُ مجدداً
وكلُّ بكلِّ الكلِّ وُضِلَّ محقق	حقائق حق فى دوام تخلّداً
تفرد أمرى فانفردتُ بقربتى	فصرت غريباً فى البرية أوحداً

ويبدو أنه لم يجد اضطهاداً له بسبب مذهبه كالذى تعرّض له ابن عربى لأنه كان فى الصعيد فلم يدر به أحد . وطريقته عن التصوف يقول فيها ليس لأحد على فى هذا الطريق منّة إلا الله ورسوله ، وفى تعليمه للمريد يقول لن يصفو قلبك إلا بتصحیح

النية من الله عز وجل ، ولن يصفو بدنك إلا بخدمة الأولياء ، وما بك إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب وأداء الفرائض وصحبة الصالحين وخدمة الصادقين . والذاكر لله تعالى لا يقوم له في ذكره عوض . والعارف من توافقه معرفته في الأوامر ولا تخالفه في شيء من أحواله ، والستة التي لم يتنازع فيها أحد من أهل العلم هي الزهد في الدنيا وسخاوة النفس ونصيحة الخلق . ومن علامة محبة الله للعبد محبة العبد إياه . وعلامة محبة العبد لله أن لا يؤثر عليه شيئاً سواه ، ومن علامة عدم الإيثار على الله النظر إلى الدنيا بعين الاحتقار ، وإلى الأكوان ببصر الاعتبار ، والسعيد من أعطاه الله قلباً وفكراً وبصراً معتبراً ، وأذنأ تسمع من الله ، ونفساً ناشطة في خدمة الله . وأحق ما يفتقد العباد من حقوق الله سبحانه الشكر له ، والشكر له ظاهر وباطن ، فظاهره الموافقة ، وباطنه شهود النعمة ، فاشكره من لم يمتثل أوامره وحدوده ، وما حفظه من ضيع عهوده .

وكان للشيخ سماع وتواجد وبكاء ، يقول :

غزّ لى فى الفراق صوتاً حزيناً	إن بين الضلوع داءً دفيناً
ثم جثّ لى بدمع عينك بالله	وكنّ لى على البكاء معيناً
فسأبكى الدماء فضلاً عن الدمع	ومع الفراق أبكى العيوناً
كل أمر الدنيا حقير يسير	غير أن يفقد القرين القريناً

الصُّفَّة

المقصود بها صفة الرسول أو أهلها بالذات ، قيل فيهم أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض ، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض ، وجعلهم قدوة للمتجردين من الفقراء ، لا يأوون إلى أهل ولا مال ، ولا يلهيهم عن ذكر الله تجارة ولا حال ، ولم يحزنوا على ما فاتهم من الدنيا ، ولا يفرحوا إلا بما أيلوا به من العقبى ، وكانت أفراحهم بمعبودهم ومليكهم وأحزانهم على فوت الاغتنام من أوقاتهم وأورادهم ، وقيل فيهم نزلت الآية : «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض» فزوى الله عنهم الدنيا وقبضها إبقاءً عليهم وصوناً لهم لئلا يطغوا ، فصاروا فى حماه محفوظين من الأثقال ومحروسين من الأشغال ، فلا تذهلهم الأموال . وكان من أهل الصفة سبعون رجلاً ليس لواحد منهم

رداء. وكان عدد قاطنى الصفة يختلف على حسب اختلاف الأوقات والأحوال، فربما تفرق طارقوها من الغرباء والقادمين إليها فيقل عددهم، وربما يجتمع فيها واردوها من الرواد والوفود فيكثرون. والمشهور من أخبارهم غلبة الفقر عليهم، وإيثارهم القلة واختيارهم لها، فلم يجتمع لهم ثوبان، ولا حضرهم من الأطعمة لوان، فإنهم لما هاجر الرسول من مكة تبعوه إلى المدينة، منها ومن غيرها من القرى، فلم يكن لديهم ما يُقيتهم، ولم يكن فى المدينة ما يمكن أن يقوموا به من أعمال يؤجرون عليها، فلجأوا إلى رواف المسجد يستظلون بظلته من البرد والحر، وبلغ بهم الفقر أنه ما كان منهم من أحد عليه ثوب تام، وقد اتخذ العرق فى جلودهم طوقاً من الوسخ والغبار، وكان الرسول إذا أمسى قسم أهل الصفة بين الناس من أصحابه، فكان كل صحابى قادر يستضيف منهم الواحد أو الاثنى أو الثلاثة حتى العشرة. وكان الواحد منهم يتوارى منه من العرى. وقيل فيهم إنهم قوم استوطنوا الصفة فصفوا من الأكدار ونُقوا من الأغبار، ومن حالهم واسمهم كان اشتقاق اسم التصوف والصوفى. وقيل فيهم أهل الصفة هم أخيار القبائل والأقطار، ألبسوا الأنوار واستطابوا الأذكار واستنارت منهم البواطن والأسرار. وكان الرسول يحضرهم ويجعلهم مثل الحلقة ورجل منهم يقرأ عليهم القرآن، فيقول فيهم: الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم، وينادى عليهم: «ليبشر فقراء المؤمنين بالفوز يوم القيامة قبل الأغنياء بمقدار خمسائة عام. هؤلاء فى الجنة ينعمون، وهؤلاء يحاسبون». ومروا عليهم يوماً يقرأون فكفوا فسألهم: ما كنتم تقولون، قالوا: نذكر الله ورسوله، قال: فإنى رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها. ومنهم بلال بن رباح وهو من السابقين المعذبين فى الله، والبراء بن مالك الذى قال فيه الرسول: «رب أشعث ذى طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبتره؛ وثقيف بن عمرو كان يخدم النبی حتى إذا فرغ من خدمته أوى إلى المسجد فكان هو بيته؛ وجعيل بن سراقه قال فيه الرسول «فجعيل خير من هذا ملء الأرض»؛ وحارثة بن النعمان من أهل بدر وأحد الثمانين الذين ثبتوا يوم حنين ولم يفروا؛ وحازم بن حرملة قال فيه الرسول يا حازم أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم فإنها كنز من كنوز الجنة؛ وحنظلة بن أبى عامر الذى دعاه الداعى للجهاد وكان جنبا، فلما مات على حاله قال فيه الرسول ﷺ «لذلك غسلته الملائكة»؛ والحكم بن عمير. ويروى أن الرسول توجه فيهم بخطابه: كونوا فى الدنيا أضيافاً، واتخذوا المساجد بيوتاً، وعودوا قلوبكم الرقة، وأكثروا التفكير والبكاء، ولا يختلفن بكم الأهواء، تبسّنوا مالا تسكنون وتجمعون مالا تأكلون وتأملون ما

لا تدركون». «كفى بالمرء نقصاً في دينه أن يكثر خطايا» وينقص حلمه وتفل حقيقته، جيفةً بالليل، بطأً بالنهار، كسوفٌ هلوع، منوعٌ رتوع». «استحيوا من الله حق الحياء. احفظوا الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، واذكروا الموت والبلى، فمن فعل ذلك كان ثوابه جنة المأوى». ومنهم **خباب بن الارت** وكان من المعذبين، ومن السابقين الأولين من المهاجرين وشهد بدرًا، و**خنيس بن حذافة**، من المهاجرين الأولين، وزوجته حفصة بنت عمر من مهاجرة الحبشة، وتوفى بالمدينة في أول الإسلام، فلما تأبعت منه حفصة تزوجها الرسول ﷺ؛ و**خرم بن فاتك**، قال فيه الرسول: «أى رجل أنت لولا أن فيك خصلتين: «تسبيل إزارك وتوفير شعرك» فرفع خريم إزاره وأخذ من شعره؛ و**أبو رزين**، قال له الرسول ﷺ: «يا أبا رزين، إذا خلوت فحرك لسانك بذكر الله، فإنك لا تزال في صلاة ما ذكرت ربك، إن كنت في علانية فصلاة العلانية، وإن كنت خالياً فصلاة الخلوة. يا أبا رزين: إذا كابد الناس قيام الليل وصيام النهار، فكابد أنت النصيحة للمسلمين. يا أبا رزين: إذا أقبل الناس على الجهاد في سبيل الله فأحببت أن يكون لك مثل أجورهم، فالزم المسجد تؤذن فيه لاتأخذ على أذانك أجراً. وقال له: ألا أدلك على ملاك هذا الأمر الذى تصيب به خير الدنيا والآخرة؟ عليك بمجالس أهل الذكر، وإذا خلوت فحرك لسانك ما استطعت بذكر الله، وأحب في الله، وأبغض في الله. هل شعرت يا أبا رزين أن الرجل إذا خرج من بيته زائراً أخاه شيعه سبعون ألف ملك، كلهم يصلون عليه: ربنا إنه وصل فيك فصله. فإن استطعت أن تعمل بذلك في ذلك فافعل». ومنهم **سالم بن عمير**، و**العرباض بن سارية**، وكانا من البكائين وفيها وفي أصحابها نزلت «تولوا وأعينهم تفيض من الدمع»؛ و**طخفة بن قيس**، مات في الصفة؛ و**طلحة بن عمرو**، قال وكان الرسول يجرى علينا المذ من التمر كل يوم حتى ناداه رجل منا: يا رسول الله قد أحرق التمر بطوننا، فقال له: لقد مكثت أنا وصاحبى بضعة عشر ليلة ما لنا طعام إلا البربر (ثمر الأراك) فقدمنا على إخواننا من الأنصار وعظم (أغلب) طعامهم التمر، فواسانا فيه. فوالله لو أجد لكم الخبز واللحم لأطعمتكم، ولكن لعلكم تدركون زماناً تلبسون فيه مثل أستار الكعبة ويغدى ويروح عليكم بالجفان»؛ و**الطفاوى الدوسى** سيد من يقول بالاختيار والخصوص مع متابعتة للآثار والنصوص، وكان من المحفوظين من أصحاب الرسول ﷺ؛ و**أبو ذر الغفارى** وكان من قطان مسجد الرسول فكان متوحداً متعبداً؛ و**أبو هريرة** أشهر من سكن الصفة واستوطنها طوال عمر النبي ﷺ، ولم ينتقل عنها، وكان عريف من سكن الصفة من القاطنين ومن نزلها من الطارقين،

وكان النبي إذا أراد أن يجمعهم لطعام حضره ، تقدم إلى أبي هريرة ليدعوهم ويجمعهم لمعرفته بهم وبمنازلهم ومراتبهم ، وكان أحد أعلام الفقراء والمساكين ، صبر على الفقر الشديد وعن مخالطة الأغنياء والتجار ، وزهد في لبس اللين والحرير ؛ وعبد الله بن أم مكتوم وهو الذي نزلت فيه « عبسى وتولى أن جاءه الأعمى ؛ وعبد الله بن عمرو وهو الذي استشهد بأخذ فقال رسول الله لابنه جابر : أبشرك بخير . إن الله أحيا أباك فأقعده بين يديه فقال تَمَنَّ عَلَى عَبْدِي أعطيكه . قال يارب ما عبدتك حق عبادتك . أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيه مرة أخرى . قال إنه قد سلف منى أنك إليها لا ترجع » ؛ وعبد الله بن زيد الجهنى أحد الأربعة الذين كانوا يحملون الألوية يوم الفتح ؛ وعبد الله بن الحارث وكان مكفوماً اكتفى عن رؤية الناس بالأنس بذكر الله وتقديسه ؛ وعبد بن خالد الغفارى وهو الذى نزل بالسهم فى البئر يوم الحديبية ؛ وفضالة بن عبيد الأنصارى وصف إخوانه من أهل الصفة فقال كان رسول الله ﷺ إذا صلى بالناس يخرج رجال من قامتهم فى الصلاة لما بهم من الخصاصة وهم أصحاب الصفة ، فإذا قضى رسول الله ﷺ صلاته أنصرف إليهم فيقول : لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أنكم تزدادون حاجة وفاقة ؛ ومسطح بن أثانة أبو عباد وهو الذى ذكر فى حديث الإفك ، وكان الصديق ينفق عليه لفقره وقربته ، فلما خاض فيما خاض آلى أن لا ينفق عليه ، فلما نزلت : « فليعفوا وليصغحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم » ، عاد أبو بكر إلى الإنفاق وقال : بلى أنا أحب أن يغفر الله تعالى لى ؛ ووابصة بن معبد الجهنى فلما استقر بالرقعة من بعد ظَلَّ على حاله يجالس الفقراء ويقول هم إخوانى على عهد رسول الله ﷺ ؛ وهلالى مولى المغيرة ، قال فيه الرسول ﷺ : ليدخلن من هذا الباب رجل ينظر الله إليه — يعنى هلالا . وقال : ما أحبك على الله وما أكرمك عليه .

فهؤلاء هم بعض أهل الصفة الذين يقتدى الصوفية بسيمتهم ، ويلازمون طريقتهم ، ويتتبعون آثارهم ، وقد أحصاهم عبدالرحمن السلمى فى طبقات الصوفية ، وأبو نعيم فى الحلية ، لتوطئة مذهب المتصوفة وتهذيبه على ما بينوه ، إذ حقيقة هذا المذهب متابعة الرسول ﷺ فيما بلغ وشرع .

الصفوية

طريقة شيعية فى التصوف ، بمعنى أنها تقرن التصوف بالتشيع ، وتسبب لشيخها

صمى الدين الأردبيلي من مريدى كمال الدين عربشاه الأردبيلي ، توفى سنة ٧٣٥ هـ، وخلفه ابنه صدر الدين موسى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ فأدخل الفتوة على الطريقة فوصفه محمد نور بخش أنه من أوتاد الأولياء وفتيانهم ولقبوه بخليل العجم ، وخلفه علاء الدين على سياه بوس وظهرت فى أيامه ضمن المريدين اتجاهات عسكرية هدفها تكوين دولة فارسية وتقويض الخلافة العربية أو دحر العرب من بلاد الفرس والترك ، وأطلقوا على أنفسهم لأول مرة اسم الفدائيين ، وفى خلافة الجعيد بن إبراهيم بن علاء الدين شرع فى تكوين طريقة من المتصوفة من الشيعة الغالية ، وبعد قتله تولى ابنه حيدر ثم إسماعيل بن حيدر. والصفوية وإن كانت صوفية اسماً إلا أنها شيعية جوهراً ومبنى. ومنها متصوفة الشبك وهم فى حقيقتهم بكتاشية وتحولوا إلى صفوية ويجمعون بين التصوف والتشيع ويصدرون عن نزعة ملامتية جعلتهم يستخفون بالتكاليف والشرائع فأبطلوها وعاقروا الخمر وأهملوا الاستنجاء وتحلوا جنسياً، ومن ذلك احتفال دينى عندهم يسمى ليلة الكشفة تجتمع فيها النساء والرجال فتراق الخمر وتباح الفروج. ومنهم الباجوان فى أنحاء الموصل على عقيدة الشبك، وكذلك المالوية. والإبراهيمية هم صفوية تلغى من أقضية الموصل من غلاة الشيعة، وكتابهم فى التصوف هو مناقب الأولياء ويتناول التصوف كباطن للدين، ويرد فيه أن الإبراهيمية نسبة إلى إبراهيم الزاهد الكيلانى وتتصل طريقته بالطريقة العشقية التى يقال لها أيضاً الشطارية لأنها تقوم على الشطار جمع شاطر وهم الفتوة وتصدر عن روح الفتوة فى زعمهم. وقيل إن نجم الدين كبرى وروزبهان البقلى استأذه من شيوخها.



الصوفى (عبدك)

قيل هو أول من أطلق عليه اسم صوفى من أهل بغداد، وهو أصلاً من الكوفة، وكان أهل الكوفة يُنسب إليها لبس الصوف أو صناعته، ويطلق عليها البعض اسم الصوفية، فلما هاجر عبدك إلى بغداد كان أول ماتابع لبس الصوف فيها. ويذكر كتاب الأنساب للمفدى أن اسمه عبدالكريم، وحفيده هو محمد بن على بن عبدك الشيعى وكان مقدم الشيعة. وعبدك نقلاً عن ماسينيون هو آخر شيوخ فرقة شيعية فى الكوفة أطلقوا على أفرادها اسم الصوفى، فلما تركها إلى بغداد نادوه باسم الكوفى أو الصوفى. ويذكر الملطى فى كتابه التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع أن عبدك كان رأس فرقة من الزنادقة الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام محرم لا يحل لأحد منها

إلا القوت من حيث ذهب أئمة العدل ، ولا تخل الدنيا إلا بإمام عادل وإلا فهي حرام ،
ومعاملة أهلها حرام ، فحل لك أن تأخذ القوت من الحرام من حيث كان .



الصوفى (محمد)

من كبار العارفين ، وكان يسكن الفيوم بمصر ويأكل من عمل يده بالحياكة ، وله
عبارات يدق فهمها على العقول ، ومن ذلك قوله إن السير سيران ، سير إلى الله ، وسير
فى الله ، فإدام السالك يسير فى مسالك فانية فهو يسير إلى الله ، فإذا قطع كرة
الوجود صار إلى المعبود ، وهى رتبة التحقق بالأسماء ، وفى البداية أنت أنت ، والاسم
الاسم ، وفى منتصف الطريق تارة أنت ، وتارة الاسم ، وفى النهاية أنت أنت ، فإن
التخلف بالاسم يظهر فعله على ناسوتك لقوته ، فلا يُرى منك إلا فعل الاسم . وكان
يقول طى المعانى هو مجال أهل العلم الأكبر ، وطى المحسوسات هو مجال أهل العلم
الأصغر . وكان يقول : الصفات ، وإن كانت راجعة إلى مصدر واحد ، إلا أن بعضها
متوقف على بعض توقف ظهور لا توقف إيجاد . وكان يقول : إنه يجتمع بالنبى فى
اليقظة ، وهو صادق لأنه ﷺ موجود فى شريعته ويمكن أن تلقاه فى أى وقت بمطالعته
فى أى كتاب ، ومراعاة الشريعة فى كل فعل وقول .



الصومعى (محمد)

ابن عبد الرحمن ، الهروى الأصل ، مغرب قرأ على الحسن اليوسى ، وتنقل بين
تاوله وفاس والرباط وغيرها ، وله شرح همزية البوصيرى ، وتوفى بالطاعون سنة
١١٦٣ هـ .





ابن ضيف الله

محمد النور بن ضيف الله السوداني، صاحب كتاب «طبقات الأولياء والصالحين في السودان»، كان أبوه يجمع بين تعاليم القادرية والشاذلية، ونشأ ابنه متأثراً بالمناخ الديني الصوفي بالسودان حيث كانت تسيطر عليه الطرق القادرية والشاذلية والسمانية والحتمية، وكان لشيخها سلطان روى عظيم على نفوس المريدين الذين التزموا بمنهجها الأخلاقية، واعتقدت العامة والملوك على السواء في الأولياء، وذاع التصوف كثيراً نتيجة للتكريم الذي أولاه الملوك لمشايخ الصوفية، وخاصة ملوك الفونج، وكانت المساجد بالإضافة إلى أنها دور عبادة فقد اتخذها الصوفية خلوات، ويذكر ابن ضيف الله أن فكرة الخلوة بمفهومها الصوفي دخلت السودان مؤخراً، وتفرغ الصوفية للتعبد بعد أن كانت بدايتهم الأولى دراسة الفقه وعلوم القرآن وتدريسها في المساجد، وصارت الخلوة أكثر الأسماء استعمالاً ودلالة على معهد التعليم وبمناخ المركز الثقافي والاجتماعي والروحي في كل قرية، ويروي ابن ضيف الله أن لفظة «فكي» العامية صارت تعني في السودان الفقيه والفقه الصوفي معاً، فربما هي تحريف لفقيه، وربما لفقيه. وكان للتصوف وانتشار الطرق الصوفية فضل نشر الإسلام وتعميم الدعوة الإسلامية، إلا أن الاهتمام بالتصوف كان على نواحيه العملية دون النظرية، ويقول يوسف فضل حسن عقق كتاب الطبقات أن السودان لم يشهد مولد نظريات أو فلسفات صوفية، وإن كانت بعض الترجمات التي ترد في كتاب ابن ضيف الله تورد بعض اللمحات الفلسفية الروحية الأصيلة، وهناك نماذج من الحب

الإلهى إلا أنها لا تعكس تجربة أصيلة . ويقرر المؤلف أن دافعه إلى تأليف هذا الكتاب هو التنويه بمناقب الأولياء الأعيان للسودان ، وقد اقتدى فيه بمن تأثر بهم من المحدثين والفقهاء والمؤرخين من ألفوا فى التأريخ والمناقب مثل عبد الغفار النيسابورى والسيوطى وابن حجر العسقلانى والشيخ أحمد المقرئ ، وكان أكثر تأثره بكتاب الطبقات الكبرى للشعرانى الذى روى عنه الكثير من الأخبار ، وكذلك طبقات الشافعية للسبكى ، ويقول : « وأردت أن أجمع الأعيان والعلماء والقراء ، كلاً على حده ، إلا أنهم جمعهم جميعاً فى ترتيب أبجدى ، ونوه بأسماء العلماء والصوفية الذين حفلت بهم مملكة الفونج ، وتحتوى الطبقات على نحو ٢٧٠ ترجمة تشتمل كل واحدة على اسم الصوفى أو الولي ونسبه ومولده ، والعلوم التى درسها ، وشيوخه الذين أخذ عنهم الطريق ، والمريدين الذين تلقوا عليه . ويعتمد طول الترجمة على أهمية الشيخ ، فتراجم الشيخ إدريس ودالأرباب وبدوى أبى دليق وحسن ودحسونه وخوجللى عبدالرحمن وصالح بن نقا طويلة ومنظمة ، وبعض التراجم قصير لا يتجاوز السطور مثل تراجم تاجورى النحاس ومرزوق بن الشيخ يعقوب ، واعتمد المؤلف على المتواتر من أخبار الأولياء بين العامة ، وجمع فى ثنايا ترجماته الكثير من حياة السودانيين الدينية والعلمية والأدبية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والكثير من التعابير والاصطلاحات والألفاظ المندثرة ، وأسماء الأعلام غير العربية مثل تريمجم وحتيك والكرسنى .





أبو طالب المكي

محمد بن عطية الحارثي، الإمام صاحب كتاب «قوت القلوب» وهو المرجع الثبت في التصوف، تأثر به الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، وذكره كأحد المتون في كتابه المنقذ من الضلال، واقتبس منه الكثير أبو حفص شهاب الدين السهروردي في كتابه «عوارف المعارف». والمكي من أهل الجبل بين بغداد وواسط، وكانت نشأته وشهرته بمكة، وإليها ينسب. والكتاب عنوانه الكامل «قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد». وقيل إن المكي رحل إلى البصرة، فاتهموه بالاعتزال، وسكن بغداد ووعظ بها فحفظ الناس عنه أقوالاً هجروه من أجلها، وتوفي ببغداد سنة ٣٨٦هـ. وقيل في وصف هذا الكتاب إنه لم يُؤلف في هذا الباب مثله، وكان وما يزال مدرسة للمريدين والسالكين، وكل الطرق الصوفية تستقي منه وتصدر عنه فيما تأخذ به من أذكار وأداع وصلوات وصيام، وقد اختصره محمد بن خلف الأموي المتوفى سنة ٧٤٣هـ بدمشق وسماه «الوصول إلى الغرض المطلوب من جواهر قوت القلوب» ليسهل مذاكرته على الطالبين. وللمكي أيضاً كتاب «علم القلوب» وله تفسير كبير. والكتاب يشتمل على ثمانية وأربعين فصلاً تناول فيها ما ينبغي للمريد من أعمال بالنهار وفي الليل، وصلواته وتسابيحه وقراءاته قبل وبعد كل صلاة، وما يستحب من الذكر والدعاء، وأوراد الليل والنهار، وتعريف النفس ومحاسبتها ومواجيد العارفين، والمقامات، والغفلة، واعتقادات القلب ومعاملاته وخواطره، وعلوم الباطن، وعلماء الدنيا والآخرة، والإخلاص والمؤاخاة والمحبة

وأوصاف المحبين، ويحذر من المبتدعين الضالين، والصوفية من أصحاب الشطح الغالطين المتجاوزين للكتاب والسنة والمستطيين للعلم والأحكام. والتصوف من منظور أبي طالب المكي أساسه الصدق في الإرادة، والعلم بالطريق، فإذا كان المطلوب محجوباً، والدليل مفقوداً والاختلاف موجوداً لم ينكشف الحق وتحير المريد. ولا بد في تربيته من خصال سبع: الصدق في الإرادة وعلامته إعداد العدة، والتسبب إلى الطاعة وعلامة ذلك هجر قرناء السوء، والمعرفة بحال نفسه وعلامة ذلك استكشاف آفات النفس، ومجالسة عالم بالله وعلامة ذلك إثارة على ماسواه، والتوبة النصوح فبذلك يجد حلاوة الطاعة ويثبت على المداومة، وعلامة التوبة قطع أسباب الهوى والزهد فيما كانت النفس راغبة فيه، ولا بد له من طعمة حلال لا يذمها العلم، وعلامة ذلك الحلال المطالبة عنه، وحلول العلم فيه يكون بسبب مباح وافق فيه حكم الشرع، ولا بد له من قرين صالح يؤازره على ذلك، وعلامة القرين الصالح معاونته على البر والتقوى ونهيه إياه عن الإثم والعدوان، فهذه الخصال السبع تقوى الإرادة، ولا قوام لها إلا بها. ويستعان على هذه السبع بأربع هن أساس بنيانه وبها قوة أركانه، أولها الجوع، ثم السهر، ثم الصمت، ثم الخلوة، فهذه الأربع: سجن النفس وضيقها، وضرب النفس وتقييدها بهن يضعف صفاتها، وعليهن تحسن معاملتها، ولكل واحدة من الأربع صنعة حسنة في القلب، فأما الجوع فإنه ينقص من دم القلب فيبيض، وفي بياضه نوره، ويذيب شحم الفؤاد، وفي ذوبه رفته، ورقته مفتاح كل خير، لأن القسوة مفتاح كل شر، وإذا نقص دم القلب ضاق مسلك العدو منه، لأن دم القلب مكانه، فإذا راق القلب ضعف سلطان العدو منه. والجوع مفتاح الزهد وباب الآخرة، وفيه ذل النفس واستكانتها وضعفها وانكسارها، وفي ذلك حياة القلب وصلاحه. وأقل ما في الجوع إثارة الصمت، وفي الصمت السلامة وهي غاية العقلاء، ومن صفة الأبدال أن يكون أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة. وعلم التصوف ينجزى على قسمين، نصفه سكوت، ونصفه أن تدرى أين تضعه. والخلوة هي أن تفرغ القلب من الخلق، وتجمع الهمّ بأمر الخالق، وتقوى العزم على الثبات، إذ في مخالطة الناس وهن العزم وشتات الهمّ وضعف النية. والخلوة يكون بها الانصراف إلى الذكر، وجلاء القلوب بالذكر، وبه يبصر القلب، وعلم القلب هو حقيقة الفقه، والرسول يقول ماحك في صدرك فتعنه، والإثم حواز القلوب، يعنى مايؤثر فيها فينحزها لرقتها وصفائها ولينها ولطفها. وقال للرجل الذى سألته عن البر والإثم استفتيت قلبك وإن أفنأك المفتون، أى أن المتقين يعلمون معانى التأويل والرخصة، ولولا أن علم القلوب هو حقيقة الفقه مارد

صاحبه من فتيا أهل الظاهر إليه ولا حكم على المفتين به ، فقد صار علم القلوب هو علم العلم إذ جعله الرسول قاضياً على المفتين بالحكم ، وصار عالم البطن هو عالم العلماء إذ لم يسعه تقليد العلماء . وفي حديث آخر البرّ ما اطمأن إليه القلب وسكنت إليه النفس وإن أفتوك وأفتوك ، فهذا وصف قلب مُكاشَف بالذِّكر ، ونَعَتْ نفس ساكنة بمزيد السكينة والبرّ ، كما وصف قلوب المؤمنين في صريح الكلام وفي دليل الخطاب ، فأما صريحه فبقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، وقوله تعالى هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ، وأما دليل الكلام الذى يشهد بالتدبر فبقوله تعالى فى وصف قلوب أعدائه المحجوبين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً ، وقال ﷺ فى مجمل صفة القلب التقوى ههنا وأشار إلى القلب ، وفى الخبر إذا أراد الله بعبد خيراً جعل الله له زاجراً من نفسه وواعظاً من قلبه ، وقال الله تعالى فى التوبة من ميل القلوب ، وقال فى تحقيق العمى للقلب فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ، فأهل القلوب يتعظون بلا واعظ ويزدجرون بلا زاجر . والقلب خزانة الله تعالى من خزائن الغيب ، وهذه المعانى جنود الله تعالى مقيمة حول القلب يحضى منها ما يشاء ويظهر ، ويبدى منها ما يريد ، ويعيد وييسط القلب بما يشاء منها ، ويتبضه فيما شاء عنها . وإذا كان الإيمان فى ظاهر القلب كان العبد محباً للآخرة والدنيا فهو مرة مع الله ومرة مع نفسه ، فإذا دخل الإيمان إلى باطن القلب أبغض العبد الدنيا وهجر هواه . وقيل إن للقلب تحويفين ، أحدهما باطن وفيه السمع والبصر ، وهو قلب القلب ، والآخر ظاهر القلب وفيه العقل ، ومثل العقل فى القلب مثل النظر فى العين . وخواطر القلب أولها الهمة وهو ما يبدو من وسوسة النفس بالشئ ، فإن صرفها بالذكر انمحت وإن تركها بالغفلة كانت خطرة وهو خطور العدو بالتزيين ، وإن نفى الخاطر ذهب ، وإن ولى عنه قوى فصار وسوسة ، وهذه محادثة النفس للعدو وإصغاؤها إليه ، وإن نفى العبد هذه الوسوسة بذكر الله خنس العدو وصفت النفس ، وإن طاولت النفس العود بالإصغاء والمحادثة قويت الوسوسة فصارت نية ، فإن أبدل العبد هذه النية بنية خير فاستغفر منها وتاب ، وإلا قويت فصارت عقداً ، فإن حل هذا العقد بالتوبة وهو الإصرار ، وإلا قوى فصار عزمًا وهو القصد ، فإن تداركه الله بعُد العزم ، وإلا تمكّن العزم فصار طلباً وسعياً وأظهر العمل على الجوارح فصار من أعمال الجسم .



الطرق الصوفية وفروعها

- الإباحية :
 الاتحادية :
 الأحمدية : طريقة السيد البدوي المتوفى ١٢٧٦م ولها عدة فروع : الشناوية ،
 والمراقة ، والكتاسية ، والانباية ، والحمودية ، والمنائفية ، والسلامية ،
 والحلبية ، والزاهدية ، والشَّعْبِيَّة ، والتسقيانية ، والعربية ، والسطوحية ،
 والبندارية ، والمُسلِّمية أو الشَّربلالية ، والبيومية .
- الإدرسية : فرع من الطريقة الحاضرية فى العسير .
 الأدهمية : تنسب إلى إبراهيم بن أدهم .
 الاسماعيلية : طريقة نوبية فى كردفان .
 الإشرافية : أتباع السهروردي الحلبي .
 الأشرفية : فرع تركى من الطريقة القادرية مؤسسها عبدالله الأشرفى الرومى
 (٨٩٩ هـ) وتسمى أيضاً الواحدة .
- الإعت باشية : فرع تركى من الطريقة الخلوتية .
 الاغتشاشية : فرع خراسانى من الطريقة الكبراوية (إسحق خٲٲلانى المتوفى فى القرن
 الخامس عشر) .
- الأكبرية : هى الحاتمية .
 الأميرغنية : فرع نوبى من الطريقة الإدرسية .
 الأمى سنانية : طريقة تركية .
 الأويسية : تنسب لأويس الفرنى الصحابى .
 البابائية : طريقة تركية فى أدرنة .
- البحورية :
 البدوية : نسبة لأحمد البدوى .
 البراقية : مؤسسها براق بابا من تركيا .
 البرهانية : أو البرهمية طريقة إبراهيم الدسوقى وفرعاها الشهاوية والشراينة .
 البسطامية : أو الطيفورية نسبة إلى أبى يزيد طيفور البسطامى .
 البكتاشية : طريقة أناضولية ولها فرع ألبانى مركزه آقجه حصار .
 البكرية : أنظر الصديقية ، وتطلق أحياناً على بيت البكرى شيوخ الصوفية فى

القاهرة منذ القرن السادس عشر، وهى فرع سورى مصرى من الشاذلية وطريقة خلوتية .

- البكائية: فرع سودانى للفادرية ، ولها فرعان الفضلية والآل سيدية .
- البنوة: فرع القادرية فى الدكن .
- البوعلية: فرع جزائرى مصرى من القادرية .
- البونوخية: طريقة مغربية .
- البيرية: طريقة من طرق قيلعية .
- البيرحاجات: طريقة أفغانية من أتباع الأنصارى الهروى .
- البيرامية: مؤسسها حاجى بيرام فرع تركى من الطريقة الصفوية ، وانفصمت إلى الحمزاوية والشيخية والهمتية .
- البيومية: فرع من الأحدية .
- التبائية: طريقة تونسية .
- التجانية: طريقة جزائرية مغربية انتشرت إلى السودان .
- التششتية: طريقة هندية أفغانية مركزها أجير .
- التلقينية: زندقة .
- التهامية: هى الطيبيه .
- الجباوية: هى الطريقة السعدية .
- الجراحية: فرع تركى من الخلوتية .
- الجزولية: من فروع الشاذلية ، ومنها فروع الدرقاوة والحمادشة والعيسوية والشرقاوة والطيبيه .
- الجلالة: فرع الفادرية فى المغرب .
- الجلالية النجارية: فرع هندى من السهروردية (مؤسسها مخدوم جهانيان المتوفى ١٣٨٣ م) .
- الجمالية: فرع فارسى من السهروردية مؤسسها أردستانى المتوفى فى القرن الخامس عشر الميلادى . والجمالية أيضاً طريقة تركية مكانها استنبول .
- الجلوتية: فرع تركى للصفوية ، وفروعها الهاشمية والروشنية والفنائية والهدائية .
- الجنيدية: تنسب للجنيد وتفرع منها الخواجكان والكبراوية والفادرية .
- الحاتمية: تنسب لابن عربى .
- الحبيبية: فرع من الشاذلية فى تافيلالت .
- الحروفية: زندقة .

الحربية:	فرع حوراني من الرفاعية.
الحفوية:	فرع مصري من الخلوتية (توفي ١٧٦٧م).
الحكيمية:	تنسب للحكيم الترمذی.
الحلاجية:	تنسب للحلاج.
الحلمانية:	فرقة حلوية.
الحلولية:	زندقة.
الحمادشة:	فرع مغربي من الجزولية ولها فروع هي الدغوية والصدائقية والرباحية والقاسمية.
الحمزاوية:	مزيج من البيرامية والملامية.
الحنصلية:	طريقة مغربية.
الحيدرية:	فرع فارسي من القلندرية.
الحاضرية:	أو الحضرية طريقة ابن الدباغ بالمغرب، وتفرعت منها الميرغنية والإدرسية والسنوسية.
الخرازية:	تنسب لأبي سعيد الخراز.
الخفيفية:	تنسب لابن خفيف الشيرازي.
الخفية:	لقب النقشبندية في الصين وتركستان.
الخلوتية:	فرع السهروردية في خراسان، وفروعها في تركيا الجراحية والاغتباشية والعشاقية، والنيازية والسنبلية والشمسية والكلشنية والشجاعية، وفي مصر الضيفية والحنوية والسباعية والصاوية الدرديرية والمغازية، وفي النوبة والحجاز والصومال الصالحية.
الخليلية:	تونس.
الخموسية:	تونس.
الخواجهكان:	في إيران متفرعة من الجتيدية، وفي تركستان هي اليسوية نسبة إلى يوسف الهمذاني المتوفي سنة ١٤٤٠م.
الخواطرية:	فرع ابن عراف للطريقة المدنية بالحجاز.
الدرديرية:	فرع مصري من الخلوتية.
الدرقاوه:	فرع جزائري مغربي من الجزولية، وفروعها البوزيدية والكتانية والحراقية والعلوية.
الدسوقية:	هي البرهانية.

الدهرية:	اليمن والصين وتركستان .
الذهبية:	الاسم الفارسي للكبراوية .
الرحالية:	المغرب .
الرحمانية:	فرع خلوتى فى بلاد القبائل .
الرسولشاهية:	الهند .
الرشيدية:	الجزائر منشقة عن اليوسفية .
الرفاعية:	البصرة ثم دمشق واستنبول ، وفروعها السورية الحربية والسعدية والسيادية ، وفروعها المصرية البازية والمالكية والحبيبية .
الركنية:	فرع عراقى للكبراوية (علاء الدولة السمنانى المتوفى سنة ١٣٣٦م) .
الروشنية:	فرع خلوتى مصرى وتركى (الكلشنى المتوفى ١٥٥٣م) .
	والروشنية فرع أفغانى من السهروردية .
الرومية:	هى الأشرفية .
الزرزوقية:	فرع إيرانى من الشاذلية .
الزرقية:	أو الزرقية زندقة .
الزبانية:	فرع مغربى من الشاذلية .
الزنية:	فرع تركى من السهروردية فى بروسه .
الساسانية:	رباط حرقى فى سوريا والأناضول .
السالمية:	السهلية .
السبعينية:	طريقة ابن سبعين .
السعدية:	فرع سورى من الرفاعية .
السقطية:	تركية (السقطى المتوفى ٨٦٧م) .
السلامية:	وهى العروسية أيضاً .
السلطانية:	تركستانية .
السمانية:	فرع مصرى وسودانى من الشاذلية .
السنبلية:	فرع تركى من الحلوتية .
السنان أهمية:	تركية .
السنانية:	تونسية .
السنوسية:	ليبية .
السهروردية:	عراقية (عبد القاهر السهروردى وعمر السهروردى) وتسمى الصديقية

على اسم أبى بكر الصديق، وفروعها الجلالية والجمالية والخلوتية والروشنية والصفوية والزينية.

نسبة إلى سهل التستري. السهلية:

فرع جزائري للشاذلية. السهيلية:

نسبة لأبى العباس السيارى. السيارية:

فروعها فى المغرب الغازية والحبيبية والكرزازية والناصرية والشيخية الشاذلية:

والسهيلية واليوسفية والزروقية والزيرية. وفروعها المصرية البكرية

والخياطية والوفائية والجوهرية والمكية والهاشمية والسمانية والعفيفية

والقاسمية والعروسية والهندوشية والقاووجية. ولها فروع فى استنبول

ورومانيا والنوبة وجزائر القمر.

فرع مغربى من الجزولية. الشرقاوه:

مصرية من الخلوتية. الشرقاوية:

هندية وسومطرية وجاوية. نسبة إلى شطار المتوفى ١٤١٥ م. الشطارية:

تركية خلوتية. الشعبانية:

تركية خلوتية. الشمسية:

تركية سبعينية. الشوذية:

أولاد سيدى شيخ فى وهران وهم شاذلية. الشيخية:

فرع آذرى من السهورودية. الصفوية:

مغربية. الطالبية:

مغربية جزولية. الطيبية:

نسبة إلى أبى يزيد طيفور البسطامى. الطيفورية:

زندقة. العاشقية:

طرابلسية قادية. العروسية:

تونسية. العروزية:

تركية خلوتية. العشاقية:

هندية شطارية (أبويزيد عشقى المتوفى فى القرن الخامس عشر). العشيقية:

حجازية. العلوانية:

تونسية جزائرية قادية. العمارية:

جزارية درقاوية. العلوية:

العلوية :	نسبة إلى على بن أبى طالب .
العوامرية :	تونسية عيسوية .
العيدروسية :	يمنية كبراوية .
العيسوية :	مغربية جزولية .
الغازية :	مغربية شاذلية .
غزالية :	مدرسة الغزالي .
الغوثية :	هندية شطارية .
فردوسية :	هندية كبراوية .
قادرية :	نسبة لعبد القادر الجيلانى ولها فروع فى اليمن والصومال : اليافعية والمشارعية والعرايية، وفى الهند البناوة والكرزمر، وفى الأناضول الأشرفية والهندية والخلوصية والنابلسية والرومية والوصلنية، وفى مصر الفارضية والقاسمية، وفى المغرب العمارية والعروسية والبوعلية والجلالة، وفى السودان الغربى البكائية .
القرائية :	تونس .
القشيرية :	تنسب للقشبرى .
القصارية :	تنسب لحمدون القصار واسمها الملامتية .
القلندرية :	فارسية .
القونياوية :	نسبة لصدر الرومى — انبثقت من الحانمية .
الكبراوية :	خراسان من الجنيدية، وفروعها العيدروسية والهمذانية والاشتاشية والنوربخشية والنورية والركنية .
الكارزونية :	فارس من الخفيفية .
الكرزارية :	شاذلية فى تافيلالت .
الكرزمر :	هندية قادرية .
الكلشنية :	الروشنية .
المتبولية :	مصرية .
الحاسبة :	الحارث المحاسبى .
المحمدية :	نسبة إلى النبى استعمل الاسم على الخواص والشعرانى .
المدارية :	هندية .
المدنية :	اسم الشاذلية أولاً .

المرادبة:	تركية .
المرآقة:	فرع الأحمدية .
المشارعية:	يمنية قادرية .
المشيشية:	ابن مشيش .
المصرية:	النيازية .
المطاوعة:	الأحمدية .
المغربية:	مريدو الشاعر الفارسي مغربي .
الملامية:	خراسان .
الملامتية:	الحمزاية فرع البيرامية في تركيا .
المنصورية:	الحلاجية .
المولوية:	جلال الدين الرومي ، وفروعها البوستنشينية والإرشادية .
الناصرية:	المغرب شاذلية .
النبوية:	رابطة حرفية في سوريا .
النعمت اللية:	طريقة شيعية في كرمان فارس من القادرية اليافعية .
النقشبندية:	تركستان من الطيفورية وفروعها في الصين وقازان وتركيا والهد وجاود .
الحالدية:	نقشبندية نسبة إلى خالد النقشبندی .
النوريخشية:	خراسان كبراوية (محمد نور بخش المتوفى ١٤٦٥ م) .
النورالدينية:	الجراحية .
النورية:	مدرسة أبي الحسين النورى .
النيازية:	تركية جلوتية .
الهدارة:	المغرب .
الهمذانية:	كشمير كبراوية .
الوارث عليشاهية:	هندية .
الوحدنية:	زندقة .
الوصولية:	زندقة .
اليسوية:	فرع خواجكان بتركستان .
اليوسفية:	شاذلية مغربية .
يونسية:	سورية (الشياني المتوفى ١٢٢٢ م) .



ابن طفيل

أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن أحمد بن طفيل القيسي، الأندلسي والقرطبي والإشبيلي أيضاً، والمعروف عند الفرنجة باسم أبو باسر Abubacer تحريف لأبي بكر، صاحب قصة حبيب بن يقظان، أشهر ما دبرته اليراع عن التصوف وطريق الصوفية، وقد ترجمت بمختلف اللغات، ومنها الترجمة التي توفر عليها بوكوك باللاتينية بعنوان الفيلسوف الذي علم نفسه Philosophus Autodidactus فلما قرأها لاينتس امتدحها أيما امتداح. وابن طفيل فيها فيلسوف صوفي، والنهاية أو الدرس الذي نستخلصه منها هو درس صوفي خالص، وإن كان الطريق الذي اتبعه في تعليمه هو طريق الفلسفة، غير أن ابن طفيل من بداية القصة يهدها بنقد شديد للفلسفة عند أئمتها، ويعلن أنه إلى جانب الحكمة المشرقية أي التصوف، وليس إلى جانب الحكمة المغربية أي الفلسفة، ولا يحاول أن يوفق بين الفلسفة والدين، وإنما هو يقول إن الفلسفة مرحلة على الطريق، وأن العقل بوسعه أن يصل متحرراً من كل سلطة إلى المعرفة التي تنهاى له بالشريعة، والفلسفة أقل مرتبة من الدين، لأنها من تحصيل العقل، بينما الدين يعالج ما تعالجه الفلسفة بالإضافة إلى متطلبات الروح، غير أن رجل الدين تعلقه بالظاهر، والصوفي تعلقه بالباطن، وهو مشغوف ومشغول بالحق، ومرتبه لذلك أعلى المراتب في الإنسانية، ويضرب ابن طفيل لذلك مثلاً بمكفوف البصر الذي كان كذلك منذ ولادته، ولكنه جيد الفطرة، قوى الحدس، ثابت الحفظ، مسدد الخاطر، فنشأ يتعرف أشخاص الناس وأنواع الحيوان والجمادات والسكك والمسالك والديار والأسواق، بما له من ضروب الإدراكات الأخرى، حتى صار بمشي في مدينته بغير دليل، ويعرف كل من يلقاه ويسلم عليه بأول وهلة. وكان يعرف الألوان بشروح أسمائها وبعض الحدود التي تدل عليها. ثم إنه بعد أن حصل هذه الرتبة حدثت له الرؤية البصرية، فشئ في تلك المدينة كلها وطاف بها فلم يجد أمراً على اختلاف ما كان يعتقد، ولا أنكر من أمرها شيئاً، وصادف الألوان على نحو صدف الرسوم عنده، غير أنه في ذلك كله حدث له أمران هما زيادة الوضوح، واللذة العظيمة. ويخلص ابن طفيل من هذا المثل إلى أن حال الناظرين الذين لم يصلوا إلى مراتب الصوفية أو مرتبة الولاية هي حالة الأعمى الأولى، وفي مرتبة الولاية يكون الوصول، وتكون اللذة، وهي حال تعجز عنها العبارات، ولا يبلغها إلا الفرد بعد الفرد، ومن ظفر فيها بمعرفة لم يكلم الناس عنها إلا رمزاً، لأن الملة الحنيفية والشريعة المحمدية تمنع من

الحوض فيها وتحذر عنها، والفلسفة لاتزودنا بشيء عن هذه المعرفة، لأنها لاتتحقق بالبحث والنظر، وإنما بالذوق والمشاهدة، فمن أرادها ينبغي له الزمن غير اليسير والفراغ من الشواغل والإقبال بالهمة. ويلجأ ابن طفيل للرمز والأساطير، وحي **بن يقطان** إنسان يوجد في جزيرة متوحدة، ووجوده فيها على الفطرة ومنذ البداية له فرضان، فإما أنه بحسب القصة ابن لأميرة شديدة الحُسن، لها أخ منعها من الزواج لأنه لم يجد لها كفؤاً، وكان لها قريب يقال له **يقطان** تزوجها سرّاً فحملت منه وولدت، وخافت أن يفتضح أمرها فوضعت طفلها في تابوت، وقذفت به إلى اليم الذي دفعه إلى جزيرة تكسّر خشب التابوت على ساحلها، وبكى الطفل فوق بكاءه على أذن طيبة فقدت ولدها، فأقبلت عليه وأرضعته كولدها وتعهدته، وهذا افتراض من يقولون أن ولادة الإنسان لا بد فيها من أبوين؛ وإما بحسب الافتراض الثاني أن التولد من الممكن أن يحدث من تخمرات الطين فتحلّ فيه الروح الذي من أمر الله فإنه تعالى فيتأص دائماً على جميع الموجودات، ولم يكن بالجزيرة شيء من سباع، فربى الطفل ونما واغتذى بلبن تلك الطيبة، وتدرج في المشي وكان يتبع الطيبة فترقب به، وتعلم الأنبياء من حوله وصفاتها وخصائصها، وعرف معنى الموت، والأنواع والأجناس، والفوارق بين الجماد والنبات والحيوان والإنسان، وأل الموجودات لها جسمية ومعنى آخر زائد على الجسمية، ولاحت له صورة الأجسام على اختلافها وهو أول ما لاح له من العالم الروحاني، لأنها صور لا تدرك بالحوس، وإنما تدرك بضرب من النظر العقلي، وأدرك في الحيوان النفس الحيوانية، وفي النبات النفس النباتية، وفي الجماد المادة والصورة. ونظر في ارتباط الموجودات فعلم أن كل حادث لا بد له من مُحدث، فارتسم في نفسه فاعل للصورة ارتساماً على العموم، وتتبع الصور فرأى أنها كلها حادثة ولا بد لها من فاعل، وتبين أن الأفعال الصادرة عنها ليست في الحفيفة لها وإنما لفاعل يفعل بها الأفعال المنسوبة إليها، فلما لاح له من أمر هذا الفاعل على الإجمال حدث له شوق حثيث إلى معرفته على التفصيل، وجعل يطلبه على جهة المحسوسات، وطرحها كلها لما رأى أنه مامن منها برىء عن الحدوث والافتقار إلى فاعل، وانتقل فكره إلى الأجسام السماوية، وكان عمره وقتها ثمانية وعشرون عاماً، فعلم أن السماء وما فيها من كواكب أجسام لأنها ممتدة في الطول والعرض والعمق، وعرف بقوة نظره أن الفلك في جملته بما يحتوي عليه كشيء واحد متصل، وأن الأرض والماء والهواء والنبات والحيوان كلها ضمنه، وكأنه حيوان كبير هي منه بمثابة الأعضاء. فلما تبين أن الكون كله كشيء واحد في الحقيقة، وأنه محتاج إلى فاعل مختار، أدرك أن هذا

الفاعل لا يمكن أن يكون جسماً كالأجسام، ولو كان جسماً لكان من جملة العالم، وكان حادثاً واحتاج إلى مُحدث، وإذن لا بد من فاعل ليس بجسم، وإذا لم يكن جسماً فليس إلى إدراكه بشيء من الحواس سبيل، لأن الحواس الخمس لا تدرك إلا الأجسام أو ما يلحق الأجسام، وإذا كان لا يمكن أن يحس فلا يمكن أن يتخيل، لأن التخيل ليس شيئاً إلا إحضار صور المحسوسات بعد غيها، وإذا لم يكن جسماً فصفات الأجسام كلها تستحيل عليه، وإذا كان فاعلاً للعالم فهو لا محالة قادر عليه وعالم به، وإذا كانت كل الموجودات مفتقرة إليه في وجودها ولا قيام لها إلا به فهو علة لها وهي معلولة له، ولقد تصفّح جميع الموجودات تصفّحاً على طريق الاعتبار في قدرة فاعلها، والتعجب من غريب صنعتها ولطيف حكمته ودقيق علمه، فتبين له في أقل الأشياء، فضلاً عن أكثرها، من آثار الحكمة وبدائع الصنعة ما قضى منه كل العجب، وتحقق عنده أن ذلك لا يصدر إلا عن فاعل مختار في غاية الكمال وفوق الكمال، أعطى كل شيء خلقه ثم هده لاستعماله فعلم بذلك أنه أكرم الكرماء وأرحم الرءاء. وتتبع صفات النقص كلها فرآه بريئاً منها ومنزهاً عنها، وكيف لا يكون بريئاً منها وليس معنى النقص إلا العدم المحض أو ما يتعلق بالعدم. وكيف يكون العدم قد تعلق أو تلمس بمن هو الموجود المحض الواجب الوجود بذاته، المُعطى لكل ذى وجود وجوده، فلا وجود إلا هو، فهو الوجود، وهو الكمال، وهو التمام، وهو الحُسن، وهو البهاء، وهو القدرة، وهو العلم. وانتهت به المعرفة إلى هذا الحد وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، فشغل بأمر هذا الفاعل حتى صار يبحث لا يقع بصره على شيء إلا ويرى فيه أثر صنعته، فينتقل بفكره فوراً إلى الصانع ويترك المصنوع، ويشد به الشوق إليه، وانزعج قلبه بالكلية عن العالم الأدنى المحسوس وتعلق بالعالم الأرفع المعقول. ولما كان قد أدرك أن حواسه كلها لا تدرك إلا جسماً أو ما هو في جسم، وأن الموجود الواجب الوجود برىء من صفات الأجسام لا سبيل إلى إدراكه إلا بشيء ليس بجسم، ولا هو قوة في جسم، ولا تعلق له بأى وجه من الوجوه بالأجسام، وقد تبين له أنه أدركه بذاته، فتبين له أن ذاته التي أدركه بها لا بد أن تكون أمراً غير جسماني، وأن كل ما يدركه من ظاهر ذاته من الجسيمات فإنها ليست حقيقة ذاته، وإنما حقيقة ذاته ذلك الشيء الذي أدرك به الموجود المطلق الواجب الوجود. فلما علم أن ذاته ليست هذه المتجسمة التي يدركها بحواسه ويحيط بها هان عليه جسمه بالكلية، وجعل يتفكر في تلك الذات الشريفة التي أدرك بها ذلك الموجود الشريف الواجب الوجود، ونظر في ذاته هل يمكن أن تبعد أو تفسد أو هي

دائمة البقاء، فرأى أن الفساد إنما هو من صفات الأجسام، وأما الشيء الذى ليس بجسم ولا يحتاج فى قوامه إلى الجسم، وهو منزّه عن الجسيمات، فلا يتصور فساده ألّبتة. فلما ثبت له أن ذاته الحقيقة لا يمكن فسادها أراد أن يعلم عن حالها إذا طرحت البدن وتخلت عنه، ولقد تبين له أن كل القوى المدركة تكون تارة مدركة بالقوة، وتارة تكون مدركة بالفعل، مثل العين فى حال تغميضها أو إعراضها عن البصر فإنها تكون مدركة بالقوة، ومعنى ذلك أنها لا تدرك الآن وتدرك فى المستقبل، وفى حال فتحها واستقبالها للمبصر تكون مدركة بالفعل. وتبين له أن كل واحدة من هذه القوى إن لم تدرك قط بالفعل فهي مادامت بالقوة لا تتشوق إلى إدراك شيء مخصوص لأنها لم تتعرف به، مثل مَنْ خُلِقَ مكفوف البصر، وإن كانت قد أدركت بالفعل تارة ثم صارت بالقوة فإنها مادامت بالقوة تشاق إلى الإدراك بالفعل لأنها قد تعرفت بذلك المدرك وتعلقت به، وبحسب ما يكون الشيء المدرك أتم وأبهى وأحسن يكون الشوق إليه أكثر، والتألم لفقده أعظم، فإن كان فى الأشياء شيء لانهائية لكماله، ولا غاية لحسنه وجماله وبهائه، وهو فوق الكمال والبهاء والحسن، وليس فى الوجود كمال ولا حسن ولا بهاء ولا جمال إلا صادر من جهته وفائض من قبله، فَمَنْ فقد إدراك ذلك الشيء بعد أن تعرّف به فلا محالة أنه مادام فاقداً له يكون فى آلام لانهائية لها، كما أن من كان مدركاً له على الدوام فإنه يكون فى لذة لا انفصام لها، وغبطة لا غاية وراءها، وبهجة وسرور لانهائية لها. ومن كانت له مثل هذه الذات المُعدّة لهذا الإدراك فإنه إذا طرح البدن بالموت، فيما أنه قبل ذلك فى مدة تصريفه للبدن لم يتعرف قط بهذا الموجود الواجب الوجود ولا اتصل به ولا سمع عنه، فهذا إذا فارق البدن لا يشاق إلى ذلك الموجود ولا يتألم لفقده، وكذلك جميع القوى الجسمانية فإنها تبطل ببطلان الجسم ولا تشاق لمقتضيات تلك القوى ولا تتألم لفقدها، وهو حال البهائم غير الناطقة سواء كانت فى صورة الإنسان أو لم تكن؛ وإما أنه فى مدة تصريفه للبدن قد تعرّف بهذا الموجود إلا أنه أعرض عنه واتبع هواه حتى وافته منيته على تلك الحال فيحرم المشاهدة وعنده الشوق إليها فيبقى فى عذاب طويل وآلام لانهائية لها، فيما أن يتخلص من تلك الآلام بعد جهد طويل ويشاهد ما تشوق إليه قبل ذلك، وإما أن يبقى فى آلامه بقاءً سمردياً بحسب استعداده لكل واحد من الوجهين فى حياته الجسمانية؛ وأما مَنْ تعرّف بهذا الموجود الواجب الوجود قبل أن يفارق البدن وأقبل بكليته عليه والتزم الفكرة فى جلاله وحسنه وبهائه، ولم يعرض عنه حتى وافته منيته على حال من الإقبال والمشاهدة بالفعل، فهذا إذا فارق البدن بقى

فى لذة لانهاية لها وغبطة وسرور وفرح دائم لاتصال مشاهدته لذلك الموجود
الواجب الوجود. فلما تبين له أن كمال ذاته ولذتها إنما هو بمشاهدة ذلك الموجود على
الدوام مشاهدة بالفعل حتى لا يعرض عنه طرفة عين لكى توافيه منيته فى حال
المشاهدة بالفعل فتتصل لذته، جعل يتفكر فيه كل ساعة، فما هو إلا أن يسبح لبصره
محسوس أو يخرق سمعه صوت أو يعترضه خيال فتختل فكرته ويزول عن حال المشاهدة
إلى أن يرجع إليها بعد جهد، وخاف أن تفجأه منيته وهو فى حال الإعراض فيفضى
إلى الشقاء الدائم وألم الحجاب، وإلى ذلك أشار الجنيد شيخ الصوفية وإمامهم عند
موته بقوله لأصحابه: هذا وقت يؤخذ منه «الله أكبر»، وأحرّم للصلاة. وساء ذلك
وجعل يتصفح الحيوانات والنباتات ورأى أنها لم تشعر بذلك الموجود ولا اشتاقت إليه،
وأنها كلها صائرة إلى حال العدم أو شبه العدم. وأدرك أنه مباين لسائر المخلوقات،
وتفكر لِمَا اختص هو بهذه الذات، ورأى أنه لابد قد خُلِقَ لغاية أخرى وأُعد لأمر عظيم
لم يُعد له سائر الحيوان، وأنه بهذه الذات أو هذا الجزء الأشرف الذى عرف الموجود
الواجب الوجود، فيه شَبهُ منه من حيث هو مُنَزَّه عن صفات الأجسام، كما أن الواجب
الوجود مُنَزَّه عنها، ورأى أنه يجب عليه أن يسعى فى تحصيل صفاته لنفسه، وأن
يتخلق بأخلاقه، ويقتدى بأفعاله، ويجد فى تنفيذ إرادته، ويسلم الأمر له،
ويرضى بجميع حكمه، رضاً من قلبه ظاهراً وباطناً. وكذلك رأى أن فيه شَبهاً من
سائر الحيوان بجزئه الذى من عالم الكون والفساد، وهو البدن المظلم الكثيف الذى
يطالبه بالمحسوسات من المطعوم والمشروب وغيرها، وعلم أن هذا البدن لم يخلق له
عبثاً ولا قُرْن به لأمر باطل، وأنه يجب عليه أن يتفقدّه ويصلح شأنه، وأن ذلك
لا يحصل له إلا بعد التمرن والرياضة، وألزم نفسه أن لا يأخذ لبدنه إلا بقدر
الضرورى الذى به بقاؤه. وأن يتدرب على قطع كل العلائق بالمحسوسات، فكان
يغمض عينيه ويسد أذنيه ولا يفكر فى شىء سوى الموجود الواجب الوجود حتى كأنه
يشاهده، وكان يكدره أن لا تغيب عنه نفسه، وأن تكون ذاته مشاركة فى الملاحظة،
فما زال يطلب الفناء عن نفسه والإخلاص فى مشاهدة الحق حتى تحقق له
ذلك، فغاب عن كل شىء وعن كل العوالم، وغابت ذاته فى جملة الذوات،
وتلاشى الكل واضمحلت وصار هباء منثوراً، ولم يبق إلا الواحد الحق الموجود
الثابت الوجود، واستغرقته حالته حتى شاهد ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت،
ولا خطر على قلب بشر، ومن رام التعبير عن هذه الحال فقد رام مستحيلاً، وهو
بمنزلة من يريد أن يذوق الألوان المصبوغة من حيث هى الألوان، ولا سبيل إلى

التحقيق بما فى ذلك المقام إلا بالوصول إليه. وعاد إلى عالم الحس، ثم تكلف الوصول إلى مقامه بعد ذلك فكان أسير عليه من الأول، وكان دوامه أطول، وما زال الوصول إلى ذلك المقام الكريم يزيد عليه سهوله، والدوام يزيد فيه طولاً حتى تمتنى أن يريجه الله تعالى من كل بدنه الذى يدعو إلى مفارقة مقامه فيتخلص إلى لذته تخلصاً دائماً، وبقي على حالته تلك حتى أناف على عمر الخمسين. وفى يوم من الأيام وقع بصره على إنسان، وكان ذلك الإنسان اسمه أبسال، وكان من جزيرة قريية تعبد الله على الشريعة، ونشأ مع آخر يدعى سلاهان نشأة فاضلة متدينة، إلا أن أبسال كان محباً للعزلة بطبعه، وأشد غوصاً على الباطن، وأكثر عثوراً على المعانى الروحانية، وأطمع فى التأويل، بينما كان سلامان محباً للجماعة بطبعه، وأكثر احتفاظاً بالظاهر، وأشدّ بعداً عن التأويل والتأمل، وكان اختلافهما سبباً لافتراقهما، فقد اشترى أبسال بماله مركباً وارتحل يطلب جزيرة متوحدة حتى عثر على جزيرة حتى بن يقظان، وكان التقاء أبسال وحى، وبعد خوف ووجل تعارفاً، وتعلم حى من أبسال الكلام، وحكى له قصته كما عاها وما صار إليه أمره، وعرف من أبسال عن دينه، واستمع منه أبسال إلى وصف الحقائق التى أمكنه وصفها مما عرفه عن الحق وشاهده عند الوصول من لذات الواصلين وآلام المحجوبين، فأدرك أنه أمام ولى من أولياء الله، وأن ما عرفه بخاطره ووجدانه هو ما تحكى عنه الشريعة من أمور الله، وعند ذلك تبين التطابق بين المعقول والمنقول، وقربت عليه طرق التأويل، ولم يبق عليه مشكل فى الشرع إلا انفتح، وطمع أبسال أن يأخذه إلى أهل بلده يستمعون إليه لعل الله يهدى على يديه طائفة من معارفه المرئدين، وتهيأت لها الوسيلة للسفر، وبلغا بلده وكان سلامان قد صار رأس الجماعة وكبيرها، وشرع حى بن يقظان يبتث الناس أسرار الحكمة وما كاد يترقى عن الظاهر قليلاً ويصف ما سبق إلى فهمهم خلافه حتى انقبضوا واشمأزت نفوسهم مما أتى به، وتسخطوا عليه فى قلوبهم لنقص فطرتهم. وتصفح حى طبقات الناس فرأى كل حزب بما لديهم فرحون، وقد اتخذوا إلههم هواهم، ومعبودهم شهواتهم، وتهالكوا على الدنيا وألهاهم التكاثر. وبان له وتحقق أن غايباتهم بطريق المكاشفة مستحيلة، وتكليفهم فوق طاقتهم غير ميسور، وأن حظ أكثر الجمهور من الانتفاع بالشريعة إنما هو فى حياتهم الدنيا ليستقيم لهم معاشهم وليس أكثر من ذلك، وعندئذ انصرف إلى سلامان وأصحابه وأوصاهم بالتزام ما هم عليه من حدود الشرع والأعمال الظاهرة وقلة الخوض فيما لا يعينهم، وأمرهم بمجانبة ما عليه جمهور العوام من إهمال للشريعة والإقبال على الدنيا، وودعهم مصطحباً أبسال إلى جزيرتهما، يعبد

أبسال الله بالشريعة، ويطلب حتى بن يقظان مقامه الكريم بالنحو الذي كان عليه، واقتدى به أبسال حتى قرب منه أو كاد إلى أن أتاها اليقين.

والقصة كما يقول ابن طفيل لن يفهمها حق فهمها إلا أهل المعرفة بالله، ولن يقدر الدرس المستفاد منها إلا أهل العزة بالله. ولانعرف لابن طفيل أعمالاً أخرى بخلافها سوى رسالتين في الطب وبعض الآراء التي نوه بها البطروجي في الفلك، ورسائل ومراجعات بينه وبين ابن رشد في رسمه للأدوية في كتابه الكليات. وكان ابن طفيل الطبيب الأول لأبي يعقوب يوسف سلطان الموحدين وكان به ميل للعلوم والحكمة والفلسفة وقد جمع حوله المفكرين من كل الأنحاء ومنهم ابن طفيل وابن رشد. وتوفي ابن طفيل سنة ٥٨١هـ في مراکش ودفن بها، ولم يعرف تاريخ ميلاده، والأرجح أنه بين سنتي ٤٩٥ و ٥٠٥هـ.

الطلمستاني (أبو بكر)

يوصف بالصوفي الرباني فقد كان لا يقول إلا جالسوا الله وهاجروا إلى الله وأصدقوا الله، وكان مشايخ وقته يحترمونه لذلك، وهو أصبهاني لكنه قدم إلى نيسابور وتوفي بها سنة ٣٤٠هـ، ومذهبه على النسبية في المعرفة والأخلاق، وكلامه يقوم على المضادات، فالحياة لا تكون إلا في الموت، وحياة القلب لا تتحصل إلا بإماتة النفس، واليقظة للأخرة، والغفلة للدنيا، وأهل اليقظة هم أهل الآخرة بينما أهل الغفلة هم أهل الدنيا، والطريق إلى الله يتعدد بتعدد الخلق، والحكمة أو المعرفة كل واحد يصيب منها على قدر ما يكشف له. ويأمر أصحابه جالسوا الله كثيراً والناس قليلاً، ومن صحب الكتاب والسنة وعزف عن نفسه والخلق والدنيا وهاجر إلى الله فهو الصادق. والنفس لا يمكن الخروج منها بالنفس وإنما بالله وبصحة الإرادة من الله. ويحذرهم من العلم الذي يقطعهم عن الله، ويقول لهم إذا لم تقدروا أن تصبحوا الله بالأدب فأصبحوا من يصحبه لتصل إليكم بركات صحبته.

الطهطاوي

أبو القاسم بن عبد العزيز الطهطاوي، نسبة إلى طهطا من صعيد مصر، وقبره فيها ظاهر يزار، ومسجده ينعت بالعتيق، وكانت وفاته سنة ١١٨٣هـ، ومن أحفاده رفاة

رافع الطهطاوى من أركان النهضة العلمية فى مصر، وقد أوفدته الحكومة المصرية ضمن بعثة إلى فرنسا فلما رجع كان رئيساً للترجمة فى المدرسة الطبية وأشرف على مدرسة الألسن وعلى جريدة الوقائع المصرية، وألف وترجم الكثير، ومن آثاره تخلص الإبريز فى تخلص باريز أو الديوان النفيس بإيوان باريس ويعرف برحلة الشيخ رفاعه، والمرشد الأمين فى تربية البنات والبنين، وتوفى سنة ١٢٩ هـ. وللطهطاوى الكبير أقوال فى الطريق تدل على القدم الراسخة فيه، ومن ذلك قوله المشاهدة هى ارتفاع الحُجُب بين العبد والرب فيطلع بصفاء القلب على ما أخفى من الغيب فيشاهد الجلال والعظمة وتتغير عليه المقامات والحالات فتداخله الحيرة والدهشة، ثم تخرجه الحيرة إلى البهتة فتصير أبصاره خاشعة بالحق إلى الحق، فتارة يشاهد الجلال، وتارة يطالع الجمال، وتارة يرى البهاء، وتارة ينظر الكمال، وتارة تلوح له الكبرياء والعزة، وتارة يبدو له الجبروت والعظمة، وتارة يشاهد الهجة، فهذا يبسطه، وهذا يقبضه، وهذا يطويه، وهذا ينشره، وهذا يُفقدّه، وهذا يعيده، وهذا يُقيّقه، وهذا يُقنيه، فهو زائل عن نعوت البشرية، قائم بصفات العبودية، لا يحس بالأغيار، ولا يشهد غير عظمة الجبار. وكان رضى الله عنه كثير الاستشهاد بهذه الأبيات:

بواجد حق أوجد الخلق كلها	وإن عجزت عنها فهوم الأكابر
وما الحب إلا خطوة ثم نظرة	تنشى لهيباً بين تلك السرائر
إذا سكن الحق السريرة قد عرت	ثلاثة أحوال لأهل البصائر
فحال بعيد السر عن سكنه وجده	وتحضره الأشواق فى حال حائر
وحال به رحب وذو السر كاسب	إلى نظر أفناه عن كل ناظر

إبن طورخان

حسن بن طورخان بن داود بن يعقوب الاقحصارى، وكان صوفياً بلا تصوف، وربما متقشفاً كثير الصيام، يبغض مشايخ الطرق فى زمانه ويقرعههم بحجج الشرع، ويقول لو كانت الكرامة تنال بالرياضة لنتها. وله رسالة فى ذم الصوفية يقول فيها: إعلموا أن مذهب أهل التصوف مذهب باطل، وضلاتهم أشد من ضلالة الفرق الضالة كلها، وتفرق مذهبهم واجب. واعلموا أن صاحب الفصوص (معى الدين بن عربى) قد كان فى أول حاله من أفضل العلماء، وفى آخره رئيس الملحدين، كالشيطان، كان فى أوله رئيس الملائكة، وفى آخره رئيس الكافرين، فقال كل من

عبد شيئاً من الممكنات فقد عبد الله، كما قال فى فصوصه إن الحق المنزّه هو الخلق المشبه، وأن من سجد للصنم عنده أعلم ممن كفر به ووجد. وقال إن ترك عبادة الأصنام جهل. وقال فى قوم نوح إنهم لو تركوا عبادتهم جهلوا من الحق بقدر ما تركوا من هؤلاء. وقال فى فصوصه إن كل عبدة الأصنام ما عبدوا إلا الله. وقال عن قوم هود إنهم حصلوا عن القرب فزال البعد، فزال مسمى جهنم فى حقهم، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق. وقال إن من ادعى الألوهية فهو صادق فى دعواه. ومراده من هذه الأقوال أن وجود الواجب الذى هو عين ذات الله هو وجود الممكنات، وإلا لَمَا صح قوله كل من عبد شيئاً من الممكنات فقد عبّد الله، لأنه من البين أن فيض المعبود لا يكون إلهاً معبوداً، وذلك منه كفر، فقد أحدث مذهب الوجودية، فقال إن حقيقة الواجب هو الوجود المطلق الذى هو عين ذات الله، وهو وجود الممكنات فى الظاهر، ولزم من ذلك أن جميع الأشياء من الممكنات واجب، كما صرح من النصوص لولا سريان الحق فى الموجودات بالصورة ما كان للعالم وجود، ولزم أيضاً من هذا القول أن لا يكون للواجب تأثير فى وجود الممكنات لأنها عنده نفس الواجب، ومن البين امتناع تأثير الشئ فى نفسه. ولزم أيضاً من هذا القول تعطيل الصانع تعالى، وتكذيب جميع الرسل والأنبياء وجميع الكتب المنزلة. ومذهب المتصوفين من الحلولية الوجودية هو نفس مذهب صاحب الفصوص.

وابن طورخان من أهل البوسنة، ولد فى أفحصار سنة ٩٥١هـ، وولى قضاءها، وتوفى بها سنة ١٠٢٥هـ، ويقال له حسن كافى، واشتهر بكافى، وهو فقيه باحث له «أصول الحكم فى نظام العالم» وهو مترجم للتركية والألمانية والفرنسية والبوسنية، وكان تلاميذه يصفونه بالنبي من أجل نبوءاته وزهده وتدينه، وله سمت الوصول إلى علم الأصول، وشرحه، وروضات الجنات فى أصول الاعتقادات، وتمحيص التلخيص فى المعانى والبيان، نقح فيه تلخيص الخطيب الفزوينى، وشرح مختصر القدورى، فى أربعة أجزاء فى الفقه، وشرح كافية ابن الحاجب فى النحو، ورسالة فى تحقيق كلمة جلبي، ونظام العلماء إلى خاتم الأنبياء ذكر فيه سلسلة مشايخه فى الفقه إلى الإمام أبى حنيفة ثم منه إلى رسول الله ﷺ، مترجماً كل واحد. وكان يجيد العربية والتركية والفارسية وتلقى تعليمه فى الآستانة.



الطيفورية

هم أتباع بايزيد طيفور بن عيسى البسطامي، وطريقته كما يقول الهجویری فی كشف المحجوب هی طريقة الغلبة والسُّكْر. وغلبة الحق عز وجل وحب السكر ليسا من جنس كسب الإنسان. وكل ما كان خارجاً عن تناول اختيار الإنسان تعتبر الدعوة إليه باطلة والتقليد فيه محال. ومن أقوال البسطامي أن الصحو يتحقق بتمكين صفة الإنسانية واعتدالها، وهو الحجاب الأعظم عن الحق تعالى. ويتحقق السكر بزوال الآفة ونقص الصفات البشرية وذهاب تدبيره واختياره واضمحلال تصرفه في نفسه ببقاء طاقة متمكنة في ذاته خلافاً لجنسه، وذلك أبلغ وأتم وأكمل. ويخالف مذهب البسطامي مذهب الجنيد الذي هو طريقة الصحو مخالفة تامة. ويقول الهجویری إن الجنيد وفرقته من رأيهم أن السكر هو محل للآفة لأنه مشوش للأحوال، ومزِيل للصحة، ومضیع لزمام النفس، ولأن قاعدة المعاني كلها هي الطلب، فإنه يكون إما بحسب فوائده، وإما بحسب بقائه، وإما بحسب محوه، وإما بحسب إثباته، وإذا لم يكن صحيح الحال لم تحصل له فائدة التحقيق، ومن أقوال النبي ﷺ: اللهم أرنا الأشياء كما هي؛ وهذه الجملة لا تتحقق إلا في حالة الصحو، وأهل السكر ليست لهم معرفة بهذا المعنى. وكان أتباع البسطامي يتجنبون مخالطة الناس وصحبته على الأغلب، ويفضلون الخلوة والعزلة، وكانت الشطحات كثيرة بين أتباع البسطامي، أي أتباع طريقة السكر، لأن الصوفي إذ يعتبر نفسه مظهراً كاملاً لأسماء وصفات الحق يرى كل دعوة في مثل هذه الظاهرة صحيحة في عالم الهيام والفناء والاتصال بالحق. يقول البسطامي: طفت مدة حول البيت، ولما بلغت الحق وجدت البيت يطوف حولى. وسأله أحدهم ما هو العرش، فقال أنا العرش. وقال ما هو الكرسي، فقال أنا الكرسي، فقال وما هو اللوح والقلم، فقال أنا اللوح والقلم. وتوجد شطحات كثيرة في الأشعار الصوفية من الطيفورية. (انظر البسطامي)





عامر بن عامر

صوفى متشيع من البصرة اشتهر بقصيدته التى يعارض بها ثائية ابن الفارض الصوفى المصرى ، ويبدو أنه قد انتهى من نظمها سنة ٧٠٥هـ، ويقول عن نفسه فيها أنه كان يسكن الغوير قرب السماوة على الفرات، وسافر إلى سيواس مركز الصوفية من أصحاب وحدة الوجود حيث ألف ابن عربى الفتوحات المكية، وتزوج فيها أم صدر الدين القنوى، وتعرف قصيدته باسم الثائية العامرية، ويكرر فيها معانى التوحيد عند ابن الفارض بتصورات جديدة استدخل فيها المفاهيم الاسماعيلية الفلسفية بخصوص النفس والروح والمعاد والمبدأ والأدوار والأكوار وأوصاف المهدى :

ظهرت لنا فى صورة عيسوية ومن بعده فى صورة أحمدية
وقد آن أن تبدو لنا الآن ظاهراً بلا مرية فى صورة آدمية
ويقول :

تجلى لى المحبوب من كل وجهة فشاهدته فى كل معنى وصورة
وخاطبنى منى بكشف سرائر تعالت عن الأغيار لطفاً وحلت
فقال أتدرى من أنا، قلت أنت يا منادى أنا وكنت أنت حقيقتى
فقال كذاك الأمر لكننى إذا تعينت الأشياء بى كنت نسختى
فأوصلت ذاتى باتحادى بذاته بغير حلول بل بتخصيص نسبتي

وهي عبارات واضحة الدلالة على مذهب وحدة الوجود .

إبن عباد

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن إبراهيم بن يحيى بن عباد النفزى الحميرى الرندى (٧٣٣ - ٧٩٢هـ) له «غيث المواهب العلية بشرح الحِكَم العطائية» يشرح فيه كتاب «الحِكَم» لابن عطاء الله السكندرى ، ويعرف بشرح النفزى على متن السكندرى ، و«بغية المريد» نَظَم به الحكم العطائية ، بأن يذكر الفصل من الحكم ثم يأتى بعده بالأبيات بعنوان ترجيئه ، وله كذلك «الرسائل الكبرى» ، و«الرسائل الصغرى» و«كفاية المحتاج» فى التصوف والتوحيد . وابن عباد أندلسى ، ولد برندة ، ونشأ بها ، وتعلم بفاس وتلمسان ، ولازم فى طنبجة الصوفى أبا مروان بن عبد الملك ، ثم استدعى إلى فاس خطيباً لمسجد القيروان ، ومن تلاميذه يحيى السراج ، وابن السكّاك والخطيب بن قُنفذ .

عبد الرازق (مصطفى)

مصطفى بن حسن بن أحمد عبد الرازق (١٣٠٢ - ١٣٦٦هـ = ١٨٨٥ - ١٩٤٦م) المفكر الإسلامى ، من أسرة عبد الرازق فى أبى جرج من قرى المنيا ، ولد بها وتخرج بالأزهر وتلمذ على الشيخ محمد عبده ، وأرسل فى بعثه إلى باريس وانتدب للتدريس بليون وعين وزيراً للأوقاف المصرية ، وله كتاب فى «التصوف» وكتب التعليق على مادة التصوف فى دائرة المعارف الإسلامية ، ومن كتبه تاريخ الفلسفة الإسلامية ، وفيلسوف العرب والمعلم الثانى فى سيرة الكندى والفارابى ، والدين والوحى والإسلام ، وسيرة محمد عبده الإمام وغير ذلك . والتصوف فى المنظور الفلسفى عند مصطفى عبد الرازق هو العلم الذى يصور المثل الأعلى الإسلامى فى الأخلاق ، وإذا كان الصوفية هم البناة لهذا المثل الأخلاقى الأعلى فى الإسلام فإن للمرأة إسهامها فيه مثل أم الدرداء ومعاذة العدوية ورابعة القيسية وحادة الصفوية وغزالة الشيبانية ، والميلاء وحيدة وليلى الناعظية ، ولهن من أشعارهن وأخبارهن مايقوم مقام الكتب المدونة . ومنهن رابعة العدوية التى توفيت عام ١٨٥هـ وتركت فى الإسلام شذا من ولايتها

لا يزال أريجها واستعملت في غير تهيب كلمة الحب في العشق الإلهي معتمدة على ما جاء في القرآن . ويستكر مصطفى عبدالرازق الرواية التي تقول إن عبدالواحد بن زيد قد خطبها فأنبته وقالت له يا شهواني اطلب شهوانية مثلك باعتبارها رواية مختلفة كسائر الروايات الكثيرة عن رابعة التي مقصودها إعلاء شأنها وترسيخ ولايتها وتفوقها على الكثير من أعلام الصوفية . ومن الروايات التي ينكرها كذلك تلك الرواية التي تؤنب فيها أحد الصوفية إذ تراه يقتل ولدًا من أولاده بقولها « ما كنت أحسب أن في قلبك موضعاً فارغاً لمحبة غيره تبارك اسمه » فيقول الشيخ مصطفى وليس من شأن المرأة مهما بلغ بها التصوف أن تنكر الحنو على الأطفال . ويقول الشيخ إن رابعة العدوية على عكس ما ينسب إليها المستشرق ماسينيون لا يمكن أن تكون قد قصدت في شعرها إلى معالجة المسائل الفقهية والكلامية والصوفية ، وأنها ما كانت تتكلم في ذلك إلا بما كان يفيض عن نفسها الشاعرة ، وكانت بحكم أنها امرأة أول من أدخلت الحب والحزن في هيكل التصوف الإسلامي بتعبيراتها الصادقة فيها ، وما فاض به الأدب الصوفي بعد ذلك من شعر ونثر في هذين البابين هو نفحة من نفحات رابعة العدوية إمام العاشقين والمحزونين في الإسلام .

عبدہ (محمد)

الإمام محمد عبدہ بن حسن خير الله (١٢٢٦ - ١٣٢٣) مفتي الديار المصرية وصاحب الدعوة إلى الإصلاح والتجديد في الإسلام ، ولد في شنرا من قرى الغربية بمصر ، ونشأ في محلة نصر بالبحيرة ، وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا ثم بالأزهر ، وتصوف وتفلسف ، وكتب في الصحف ، وناصر الثورة العربية ، وسجن ونفى إلى الشام ، وأصدر مع جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى في باريس ، وتولى منصب القضاء ثم الإفتاء ، وله تفسير القرآن الكريم (لم يتمه) ورسالة الواردات في التصوف . وللشيخ مصطفى عبدالرازق سيرة الإمام الشيخ محمد عبدہ . وقد أكمل محمد رشيد رضا التفسير عن الإمام ونشره ، وكان يكتب ما يلقى من دروس في التفسير ويحفظه ويقرأه عليه ، ولما استقل بالعمل بعد وفاة الإمام توسع وزاد بما يمكن أن يخدم الدين ، ويقول في الجزء الثاني (ص ٧٢) عن أستاذه إن بعض الباحثين اشبهه عليهم السبب في سقوط المسلمين في الجهل العميق ، وبحوثا في تاريخ الإسلام وما حدث فيه فكان له هذا الأثر الانقلابي ، وكان من أهم ما عرض لهم في ذلك مسألة التصوف ،

وظنوا أنه من أعظم أسباب سقوط المسلمين في الجهل بدنيهم وبعدهم عن التوحيد الذي هو أساس عقائدهم، وليس الأمر كما ظنوا فقد ظهر التصوف في القرون الأولى للإسلام فكان له شأن كبير، وكان الغرض منه في أول الأمر تهذيب الأخلاق وترويض النفس بأعمال الدين وجذبها إليه وجعله وجداناً لها، وتعريفها بأسرار وحكمه بالتدرج. وابتلى الصوفية في أول أمرهم بالفقهاء الذين جمدوا على ظواهر الأحكام المتعلقة بالجوارح والتعامل، فكان هؤلاء ينكرون عليهم أسرار الدين ويرمونهم بالكفر، وكانت الدولة والسلطة للفقهاء، لحاجة الأمراء والسلاطين إليهم، فاضطر الصوفية إلى إخفاء أمرهم، ووضع الرموز والاصطلاحات الخاصة بهم، وعدم قبول أحد معهم إلا بشروط واختبار طويل، فقالوا لا بد فيمن يكون منا أن يكون أولاً طالباً فريداً فسالكا، وبعد السلوك إما أن يصل وإما أن ينقطع، فكانوا يختبرون أخلاق الطالب وأطواره زمناً طويلاً ليعلموا أنه صحيح الإرادة صادق العزيمة، لا يقصد مجرد الاطلاع على حالهم والوقوف على أسرارهم، وبعد الثقة يأخذونه رويداً رويداً، ثم إنهم جعلوا للشيخ (المسلك) سلطة خاصة على مريديه حتى قالوا يجب أن يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدي الغاسل، لأن الشيخ يعرف أمراضه الروحية وعلاجها، فإذا أبح له مناقشته ومطالبته بالدليل تعسر معالجته أو تتعذر، فلا بد من التسليم له في كل شيء من غير منازعة، وقالوا إن الوصول إلى العرفان المطلق لا يكون إلا بهذا، ثم أحدثوا إظهار قبور من يموت من شيوخهم والعناية بزيارتها لأجل تذكر سلوكهم ومجاهداتهم وأحوالهم والتأسي بها، والتأسي هو طريق التربية، فظهر من هذا الإجمال أن قصدهم في هذه الأمور كان صحيحاً وأنهم ما كانوا يريدون إلا الخير المحض، لأن صحة القصد وحسن النية أساس طريقهم. فإذا كان أثر ذلك في المسلمين؟ كان منه أن مقاصد الصوفية الحسنة قد انقلبت ولم يبق من رسومهم الظاهرة إلا أصوات وحركات يسمونها ذكراً يتبرأ منها كل صوفى، وإلا تعظيم قبور المشايخ تعظيماً دينياً مع الاعتقاد بأن لهم سلطة غيبية تلو الأسباب التي ارتبطت بها المسببات، بحكمة الله تعالى بها يديرون الكون ويتصرفون فيه كما يشاءون، وأنهم قد تكفلوا بقضاء حوائج مريديهم والمستغِيثين بهم أينما كانوا، وهذا الاعتقاد وهو عين اتخاذ الأنداد وهو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف. وزادوا شيئاً آخر أظهر قبحاً وهدماً للدين وهو زعمهم أن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر، فإذا اقترف أحدهم ذنباً فأنكر عليه منكر قالوا في المجرم أنه من أهل الحقيقة فلا اعتراض عليه، وفي المنكر أنه من أهل الشريعة فلا التفات إليه. ولقد جاء في كلام بعض الصوفية أن في كلام الله ورسوله

ما يعلو أفهام العامة ويشير إلى دقائق لا يعرفها إلا الراسخون في العلم ، فحسب العامة الوقوف عند ظاهره ، ومن آتاه الله بسطة في العلم ففهم منه شيئاً أعلى مما تفهم العامة فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ممن يجد ويجهد للزيد من العلم ، فهذا ما يسمونه علم الحقيقة ، وليس فيه شيء يخالف الشريعة ، ومن آتاه الله نصيباً منه كان أثنى الله ، وكان الصوفية الأوائل على هذا ، فلما فسد التصوف وضعف الفقه فصار مناقشات لفظية اتفق المتفهمون الجامدون والمتصوفة الجاهلون وأذعن أولئك إلى هؤلاء واعترفوا لهم بالسر والكرامة وسلموا لهم ما يخالف الشرع والعقل على أنه علم الحقيقة ، فصرت ترى العالم الذي قرأ الكتاب والسنة والفقه يأخذ العهد من رجل جاهل أُمي ويرى أنه يوصله إلى الله تعالى ، فإن كان كتاب الله وسنة رسوله ، وما فهم الأئمة واستنبط الفقهاء منها ، كل ذلك لا يفيد معرفة الله تعالى المعبر عنها بالوصول إليه ، فلماذا شرع الله هذا الدين والناس أغنياء عنه بأمثال هؤلاء الأئمة وأشباه الأئمة ؟ وهل القصور إذن فيما أنزل الله أم في بيان الرسول له وبيان الأئمة ؟ حاشا لله ، فلا طريق لمعرفته عز وجل غير ما نزل من الهدى ، وإنما كان غرض الصوفية الصادقين فهم الكتاب والسنة مع التحقني بمعارفهما والتخلق بآدابها من تقليد لأهل الظاهر ولا جود على الظاهر. ولقد تشوهت سيرة مدعى التصوف في هذا الزمان وصارت رسومهم أشبه بالمعاصي والأهواء من رسوم الذين أفسدوا التصوف من قبلهم ، وأظهرها في هذه البلاد الاحتفالات التي يسمونها « المولد » وهي أسواق للفسوق وإضحاك الناس ، وبعضها يكون في المقابر ، وكلها منكرات ، ولم يكن في القرن الأول شيء من هذه التقاليد ، ولا في الثاني ، ولا يشهد لهذه البدع كتاب ولا سنة .

■ ■ ■ ابن عجيبة

أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي ، الحسني الأنجري (١١٦٠ — ١٢٢٤ هـ) دفن ببلدة أنجرة من المغرب ، وله التصانيف الكثيرة منها في التصوف « شرح صلوات بن مشيش » و « الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية » و « الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الآجرومية » جمع فيها بين النحو والتصوف ، و « إيقاظ الهمم في شرح الحكيم » لابن عطاء الله . ويبدو أن اسمه ابن عجيبة كان تعبيراً من أهل زمنه عن سعة اطلاعه وتمكُّنه من ثقافته وقدرته على شرح آراء غيره واستيعابها .

ابن عربى

أبو بكر محمد بن على ، شيخ الصوفية الأكبر، وشهرته محبى الدين باعتبار مصنفاته فى التصوف وتفسيراته فى الدين التى قيل إنه بها قد جدد الدين وأحيا الملة ، وهو أيضاً ابن عربى حيث أنه الصوفى المتميز بعرويته وليس من العجم كمشاهير الصوفية الفرس وغيرهم ، وهو ينحدر من قبيلة حاتم الطائى ، واسمه المرسى ، حيث كانت ولادته بمُرسية الأندلس سنة ٥٦٠هـ ، ويعرف فى الأندلس باسم ابن سراقه ، وفى الشرق أعطوه اسم ابن عربى بدون أداه التعريف تمييزاً له عن القاضى أبى بكر بن العربى المتوفى سنة ٥٤٣هـ . ولابن عربى نحو الأربعمئة كتاب ، أشهرها موسوعته الكبرى فى التصوف التى أطلق عليها اسم الفتوحات المكية فى خمسمئة وستين باباً ، يلخصها جميعاً الباب التاسع والخمسون ، وقد اختصرها الشعرانى فى كتابه البواقيت والجواهر . ولما طلب ابن عربى من ابن الفارض الشاعر الصوفى المصرى أن يشرح للناس تأنيته أجاب ابن الفارض أنه لا يجد لها شرحاً خيراً من الفتوحات المكية . ويلى الفتوحات المكية فى الأهمية كتاب فصوص الحِكم وهو الذى ألب عليه الفقهاء وأشهرهم الإمام ابن قيمية وله رسالة فى التصوف كتبها حول ابن عربى ومن ذهب مذهبه من الحلوليين والاتحادين ، وعلى القارى وله أيضاً رسالة فى التصوف يرد بها على كتاب فصوص الحكم لابن عربى ، والإمام جمال الدين محمد بن نور الدين وقد ذكره فى كتابه « كشف الظلمة عن هذه الأمة » ، والتفتازانى الذى تصدى له بالرد فى إحدى رسالاته . وقد نشر كتاب فصوص الحكم فى مصر أول مرة بشرح لعيد الرزاق القاشانى سنة ١٣٠٩هـ . ودافع عن ابن عربى كثيرون ، ومنهم الجلال السيوطى فى كتابه « تنبيه الغبى فى تبرئة ابن العربى » ، وسراج الدين الخزومى فى كتابه « كشف الغطاء عن أسرار محي الدين » . ومن أبرز المدافعين عنه مجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس المحيط ، وكمال الدين الزملىكانى وشهاب الدين عمر السهروردى وقطب الدين الحموى وصلاح الدين الصفدى ومحمد المغربى استاذ جلال الدين السيوطى ، وسراج الدين البلقى ، وتقى الدين السكى . ولابن عربى التفسير الصوفى للقرآن ، وديوانان من الشعر الصوفى ، أحدهما ترجمان الأشواق كان غزلاً صوفياً . وقد بدأ ابن عربى التصوف فى العشرين من عمره ، ودخل الطريقة وأصبح صوفياً فى الحادية والعشرين ، وكان أبوه صالحاً ، كما كان له خال ترك المُلِك ليصبح صوفياً ، وآخر كان يصلى طوال الليل حتى تكل قدماه فيضربها مغضباً . وكانت لابن

عربى سياحات كثيرة فى الأندلس والمغرب والأناضول والعراق والشام والحجاز، وحاولوا اغتياله فى مصر، وقال فيه محبوه إنه الفطرب والعارف بالله والولى، وقال أعداؤه إنه الزنديق والمشرک. وكان كلما نزل بلداً يجرى عليه أغنياؤها وحكامها معاشاً كبيراً ينفقه على إخوانه ومريديه وفى أعمال البر، واستقر فى دمشق، وبها توفى ودفن بسفح جبل قاسيون سنة ٦٣٨ هـ. وكتبه تنحو إلى الفلسفة، وهو من فلاسفة الصوفية، وقيل مذهبه وحدة الوجود، لم يصرح به ولكن كتبه تتضمن إشارات قصد أن تكون غامضة ومدارها أن الحقيقة الوجودية واحدة فى جوهرها وذاتها، متكررة بصفات وأسمائها، ولا تعدد فيها إلا بالاعتبارات والنسب والإضافات، وهى قديمة أزلية لا تتغير وإن تغيرت الصور الوجودية التى تظهر فيها، فإذا نظرت إليها من حيث ذاتها قلت هى الحق، ومن حيث صفاتها وأسمائها أى ظهورها فى أعيان الممكنات، قلت هى الحق، فهى الحق والخلق، والواحد والكثير، والقديم والحادث، والأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو يقول فسبحان من خلق الأشياء وهو عنها، وياخالق الأشياء فى نفسه، وأنت لما تخلقه جامع، وتخلق مالا ينتهى كونه فيك، وأنت الضيق الواسع، فما نظرت عينى إلى غير وجهه، ولا سمعت أذننى خلاف كلامه. وعبد ابن عربى لافرق بين الواحد والكثير، والحق والخلق، والله هو الحليفة الأزلية، والوجود المطلق الواجب الذى هو أصل كل ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، ووجود العالم بالنسبة إليه كوجود الظلال أو كصور المرايا، والعالم فى نفسه خيال وحلم، والوجود الحقيقى هو وجود الله، وهو الوجود الجامع لكل وجود، والظاهر بصورة كل موجود. ولا يحاول ابن عربى أن يبرهن على وجود الله، فوجوده غنى عن كل برهان، لأن الحق ظاهر بصور جميع الموجودات، ولا شىء أظهر من الوجود، وأما وحدة الوجود مع الحق فالبرهان عليه ذوقى وليس عقلياً. ويبسبى ابن عربى على وحدة الوجود وحدة الأديان، والكل عنده يعدون الله الواحد المتجلى فى صور كل المعبودات، وقيل إن ابن عربى قد غير عقيدة التوحيد الإسلامى من لا إله إلا الله، ولا معبود بحق إلا الله، إلى مذهب فى وحدة الوجود قوامه أن ليس فى الوجود على الحليفة إلا الله، ولا معبود فى الواقع غير الله.

وابن عربى فى تأليفه لكتبه لم يكن يجرى فى التأليف بجرى المؤلفين، ولكنه كان يترك نفسه لفيوض الرحمن ويعكف بقلبه على باب حضرته. وهو يقول إن الله سبحانه هو معلمه، وأن إرثه هو الإرث النبوى المحفوظ والمعصوم من الخلل، ويصف كلامه بأنه ذكر، ويجعل من التصوف بديلاً عن الفلسفة، ومصفاته فى أغلبها نصائح للمريد

والطالبين والسالكين، ويشرح فيها لغة المتصوفة، وله ما يشبه الفاموس اعتاد الناشرون أن يلحفوه بكتاب التعريفات للجرجاني، ومصطلحاته هي التي غلبت على لغة المتصوفة، وتدرس دائماً بالمقارنة إلى ما يفهمه عنها غيره من الصوفية، وشروحه عليها يغلب فيها التفلسف، وكثيراً ما تحتاج الشروح لشرح عليها. وطريقته في التصوف يطلقون عليها اسم الأكبرية نسبة إلى شهرته باسم الشيخ الأكبر. ومبنى طريقة ابن عربي على أربع خصال هي الصمت والعزلة والجوع والسهر.

والفرق بين كتابات ابن عربي وكتابات الغزالي، أن الغزالي يكتب عن الصوفية لجمهور المؤمنين، أما ابن عربي فتوجهه للمتصوفة دون غيرهم. ولا بد للمريد في طريقة ابن عربي من أن يتلقى عن شيخ، ويقول ابن عربي: من لا شيخ له، فإن شيخه الشيطان. وشرط الشيخ أن يكون مجازاً من شيخ آخر، وأن يكون عالماً، وأن يكون مؤدباً متشديداً، يتجنب كل ألفة بينه وبين المريد، وأن يطلب منه الطاعة التامة كي تمحى إرادته في إرادته. ويأخذ المريد العهد على الشيخ، ولا يلتزم بلباس معين، ولا يوصى ابن عربي إلا بأن يكون قاشة من النوع الزهيد، وألا يفيد إلا في ستر العورة مع الحشمة، وأن يكون قصيراً، وإذا قُبل المريد بالجماعة خضع لسلطة الشيخ المطلقة، ويلزم الخلوة لا يبارحها إلا بإذن الشيخ، ولا يتصل المريدون ببعض إلا في حضوره، وإذا خرجوا خرجوا جماعات ذاكرين الله، لا يلتفتون يمينه ولا يسرة، ولا إلى وراء، ويحتمعون للصلاة والطعام والنوم والذكر وإنشاد الأشعار الصوفية. وينصح ابن عربي المبتدئين أن يكسبوا قوتهم من حرفة يحترفونها إن لم يصلوا إلى رتبة التوكل، ومن كرامات الشيخ أنه يفهم ما يدور في عقول ونفوس تلاميذه، ويمكنه أن يوجههم عفوياً من خلوته. ولا يدخل عليه أحد هذه الخلوة إلا خادمه، وعليه أن يطلب الإذن في كل مرة حتى لا يفاجئه في مبادله، وهو يسهر على نومه ويرقد بالقرب من بابه، وإذا دخل قبل يده ووقف في خشوع، وإذا أمره أن يجلس أقعد الأرض خارج الحصورة التي يجلس عليها الشيخ، وإذا صلى خلفه احتاط أن لا يزحمة، فإذا سار معه في الطرقات يكون خلفه، وفي كل الأحوال فإن النظر إلى وجهه من سوء الأدب، وإذا مات الشيخ لا يتزوج أرملته، وإذا طلق زوجته لا يتزوج مطلقة، ويعادى من يعاديه ويصادق من يصادقه. والسير في الطريق يتوقف على استعداد المريد وملازمة الباعث، واستفامة المهمة، وصحة التوجه، وأن يعلم أن سيره أو سفره مبنى على المشقة، وأن لا تكون غايته فيه سوى تحصيل الكمالات، فأما الكرامات واشتاء المقامات فإن طلبها انحرف عن الهدف. وينصح ابن عربي المريد أن يستفيد من وقته

دون توقف، وأن يحرص على التطهر، والأصل في ذلك أن النفس والقلب والروح فقدت روحانيتهما بالاتصال بالبدن، وتجليتها تكون بالمجاهدة، والتجلية ضرورة لرفع الغشاوة عن البصر، والرين عن القلب، والكدر عن النفس، ولكي تسترد الروح صفاءها وشفافيتها، ويتحقق ذلك بالتوبة والخلوة والذكر، والتوبة تعنى الاقتراب من الله والبعد عن المخلوقات، والجوع والسهر يسيران التطهر، والعزلة والصمت يقمعان النفس الغضبية، ويعبر ابن عربي عن ذلك رامزاً بالموت فيقول: إن عناصر الرياضة أربعة أنواع من الموت، هي الموت الأبيض وهو الجوع، والموت الأحمر وهو مخالفة الشهوات، والموت الأسود وهو احتمال أذى الخلق واحتمال الآلام الجسدية والمعنوية، والموت الأخضر وهو الزهد فى الفاخر من الثياب. والزهد أولى درجات فضائل التصوف بعد التوبة، حقيقته الإعراض الإرادى عن الدنيا، ويأتى بعده التجرد أى تخلية القلب وقطع كل العلائق، ويكون معه البذل عن رضا، والتضحية عن طواعية، والإحسان عن غنى نفسى، والقناعة عن اقتناع. وبلوغ الكمال يكون بمحاسبة النفس صباحاً ومساءً، واستدامة استشعار حضور الله، والأنس به عن كل الخلق، والذكر والتلاوة والدعاء والتفكير. والله يهب المقامات بواسطة الفضائل، والمقامات كالتوكل والشكر والصبر والرضا، والعبودية والاستقامة والإخلاص والصدق، والحياء والحرية، والولاية والرسالة والنبوة، والمحبة والأنس والخوف والرجاء. ومجموع الأحوال والمقامات والمنازل تؤلف الحياة الروحية للمتصوف، وتكتمل الصورة بالكرامات، والكرامة خارقة يمنحها الله للخاصة مكافأة لفضائلهم فى الدنيا. ويصنف ابن عربي الكرامات إلى نوعين، ظاهرة أو مادية باعتبارها ظواهر من خارج الشخص، وباطنة أو روحية تتحقق فى نفس الصوفى أو فى غيره، وتتناسب الكرامة مع الفضيلة التى هى ثواب لها، فكرامات البصر هى ثواب عن الفضائل المتعلقة بالبصر، وكرامات السمع والمشى تفيد مكافأة فضائل هذه الجوارح وهكذا. ولكل مقام صورة ابتلاء، ومن ينبجح فى الامتحان فإنه يكون قائماً بالعهد الذى قطعه على نفسه مع الله تعالى. والتجلى والمكاشفة والمجاهدة من الكرامات، والنفس فى المكاشفة تدرك المعانى الممثلة للحقائق الإلهية، وفى المشاهدة تدرك ماهيتها، والتجلى عبارة عن ظهور نورانى للذات الإلهية وصفاتها. وأعلى الكرامات هو الفناء فى الله، ويظهر الوجد الفنائى فى المراحل الأخيرة من الرياضات الصوفية وخصوصاً فى السمل والصلاة والخلوة عن طريق إنكار ماسوى الله، فيفقد العبد الشعور بالأعمال الإدانية الخاصة به وبغيره، بأن يراها آثار الله الذى هو علّتها الوحيدة، ثم يفقد الشعور بتواه وصفاته، فالله وليس

هو الذى يبصر ويسمع ويفكر، ثم يزول شعوره بشخصيته، وتستغرق نفسه فى مشاهدة الله والأمور الإلهية، ويفقد الشعور بأنه هو الذى يشاهد، ولا يتفطن إلى أن ما يشاهده هو الله، ثم تؤدى مشاهدته لله إلى إبعاد كل ماسواه عن النفس، ثم يتضاءل بمجاله الشعورى أكثر فتزول الصفات الإلهية، ويتجلى الله تعالى للعبد فى مشاهدته، بوصفه المطلق الذى ليس له علاقات ولا صفات ولا أسماء، ويتذوق خلال ذلك ظواهر انفعالية يصفها ابن عربى بالحلاوة والسعادة، ويحصل له خدر فى الجوارح لقوة اللذة واستفراغ الطاقة. وطبيعة هذا الشعور لا يمكن التعبير عنها، والصوفية فى هذا الصدد ثلاث طوائف، فأحياناً يكون الوارد الإلهى على الصوفى شديداً لا تحتمله قواه، فيستولى عليه ويجرده من كل إرادة طوال مدة الحالة، وربما طوال الحياة، وأحياناً يكون هناك بعض التمييز، بحيث يمكن للصوفى المستغرق فى الفناء أن يقوم بنفسه بتلبية بعض احتياجاته، ولكنه يفعل ذلك كما تفعله الهميمة بلا وعى، وأحياناً يكون الفناء مع الوارد طوال مدة بقائه فقط، فإذا زال زالت معه هذه الحالة. وهناك طائفة رابعة لا تظهر عليهم أية ظواهر غير عادية وهم فى فنائهم، سوى أن يشملهم استغراق، ويبدو عليهم وكأن شيئاً ما يجرى فى دخالهم، مع احتفاظهم بحالتهم العادية. ويقول ابن عربى: **والمردود، أى الذى يرجع من فنائه، أكمل من الواقف المستهلك، لأنه يُرَدُّ فى حق نفسه، وهو العارف يرجع لتكميل نفسه من غير طريقه الذى سلك فيه، وقد يُرَدُّ إلى الخلق بلسان الإرشاد والهداية، وهو العالم الوارث. وتؤدى كل الطرق إلى غاية واحدة هى الاتحاد بالله عن طريق الحب، وحب الله هو غاية كل المقامات العالية، وثمره ممارسة أعلى الفضائل، وهو ليس صفة عرضية أو مجرد علاقة بالحب، ولكنه خاصة جوهرية له، لأنه لا يتوقف أو يزول مادام الحب موجوداً، ومن ثم يتحول حب الصوفى بحيث يستحيل فى نفسه الحب والمحبوب واحداً، وتتطابق إرادة الحب وإرادة المحبوب. وليس ثمة غير الحب الإلهى فى الواقع، لأن الله تعالى أحب أن يعرف فتجلى فى خارج ذاته حتى تحبه المخلوقات، والله تعالى يحبنا من أجل ذاته، وأيضاً من أجل ذواتنا، لأنه خلقنا لى نعرفه ونحبه، وخلقنا أيضاً من أجل أننا بحبنا وعبادتنا له نسعد السعادة الأبدية. وفى المشاهدة الصوفية تظل النفس مأخوذة بالجمال الإلهى تجلياته فى الموجودات، فتحب الله فى كل شيء، كما تحب كل شيء من أجل الله، ويستغرقها الحب لله، فإذا جاءت الغزليات لهند أو لىلى أو سعاد الخ فإنما المقصود هو الله، فهو وحده الجمال الحقيقى الجدير بالحب، وقد احتجب تحت نقاب الصور الجسمانية، فما ثم إلا الله، وما ثم غيره، وما ثم إلا عينه وإرادته، والوصول هو تلك**

الحالة التي يكون فيها بحيث إذا نظر إلى معرفته فلا يعرف سوى الله، وإن نظر إلى همة فلاهم له سوى الله، فيكون كله مشغولاً بـكله، وينسلخ من نفسه ويتجرد له، فيكون كأنه هو، فالنفس لا تصير الله، بل تكون كأنها هو، والوصول ليس من قبل العبد، بل بعناية الله، وتصرف جذبات الألوهية، وسبب حصوله هو كسب العبد.

وقضية الحيرة في تفسير أقوال ابن عربي توجزها قصة اتهامه بالحلل في مصر، فإنه لما نزلها على ما يرويه في كتابه محاضرة الأبرار وترجمته في الفتوحات، ساكن جماعة من مريديه من بلده، في زقاق يقال له زقاق القناديل، وفي ليلة بغرفة دامية الظلام، وقد جلسوا إلى عباداتهم ومجاهداتهم، تنورت أجسامهم ورأى ابن عربي كأن شخصاً له سمت جميل قد دخل عليهم مبلغاً إياه رسالة من الحق يقول له فيها: إن الخير في الوجود، والشر في العدم، والحق قد أوجد الإنسان بجوده وجعله واحداً ينافي وجوده، فتخلق بأسمائه وصفاته، وفنى عنها بمشاهدة ذاته، فرأى نفسه بنفسه، فعاد العدد إلى أسه، فكان هو ولا أنت. وحكى ابن عربي عما شاهد واستمع، وبلغت هذه الأقوال له فقهاء مصر، فناقشوها وفهموا منها الحلل، وكلموا أصحاب السلطان فيها وطلبوا

محاكمته واتهموه بالزندقة، وسعوا في إراقة دمه، لكن الشيخ البجائي كان من مناصريه ودافع عنه، وفسر مقالته تفسيراً رمزياً وتأولها، فلم يستمع السلطان لخصومه وأطلق سراحه. ويقول في ترجمته إنه لام البجائي على الدفاع عنه، وقال له مقالة ماتزال تورده موارد الملوك «كيف يُحبس من حلّ منه اللاهوت في الناسوت؟» ومع ذلك فإن البجائي التفت إليه مباسطاً وقال: يا سيدي تلك شطحات في محل شكر، ولا عتب على سكران».

وتخلف ابن عربي بعد وفاته ولدين، أحدهما سعد الدين محمد (٦١٨ - ٦٥٦ هـ) وكان شاعراً صوفياً مجيداً وله ديوان شعر، ودفن بجوار والده، والآخر عماد الدين أبو عبد الله محمد توفي بمدرسة الصالحية ودفن بجوارهما. وكانت له بنت اسمها زينب يحكى عنها ابن عربي أنها كانت تتلقى إلهاماً علوياً، فلما كانت دون الستين كلمتها أبوها قائلاً ما رأيك في رجل جامع امرأته ولم يُنزل - ماذا يجب عليه؟ فقالت بلسان فصيح وأمها وجدتها يسمعان «يجب عليه الغسل» فصرخت جدتها وغشى عليها.



ابن العريف

أبو العباس أحمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي (٤٨١ - ٥٣٦ هـ) من أعلام التصوف الأندلسي، وله كتاب محاسن المجالس الذي حققه وعلق عليه ونشره المستشرق الكبير أسين بلاثيوس سنة ١٩٣٣، واعتبره ابن عربي من أهم الكتب التي اعتمد عليها في تأصيل مذهبه في وحدة الوجود. واسمه الذي اشتهر به يرجع إلى مهنة أبيه في السابق فقد كان عريفاً أي رئيساً للشرطة المنوط بهم الحراسة في الليل في طنجة قبل أن يغادرها إلى المرية في الأندلس وكانت قصبة للفكر الصوفي وخاصة بعد أن عرف الأندلسيون كتاب الإحياء للغزالي، فكان بمثابة الدم الجديد للفكر الصوفي المتقدم والذي ران عليه طويلاً تأثير ابن مسرّة. ويدين ابن العريف وابن برجان وابن قسى وأبو بكر الميورقي بالكثير للغزالي، إلا أن التفكير الصوفي للثلاثة الآخرين كان تفكيراً غير تقليدي وقد جرّ عليهم لذلك نقمة الحكام، بينما ظلت لابن العريف مكانته حتى بعد اتهام قاضى المرية المدعو ابن الأسود له واستدعائه من قبل عليّ بن يوسف بن تاشفين إلى مراكش مع ابن برجان والميورقي، ولقد هرب الميورقي، وامتحن ابن برجان وزجوا به في السجن فأتته سنة ٥٣٦ هـ، وأطلق سراح ابن العريف معزراً مكرمًا، فلم يرض بذلك القاضي ابن حدين وقيل إنه دس له السم فأت أيضاً بعد قليل. وكانت علاقة ابن العريف وثيقة بابن برجان، وقيل إن ابن العريف ربما تتلمذ على ابن برجان، غير أنه مع ذلك كان شديد التأثير عليه، وابن العريف لم يجعل من تصوفه وسيلة لاستحداث تغييرات اجتماعية أو سياسية، وغايته من التصوف معرفة الله وعبادته، وقيل إنه لم يعجبه ابن حزم الأندلسي لأنه غلط في الفقهاء وفي التصوف وقال فيه عبارته المشهورة لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف شقيقان. وله شعر طيب ومنه البيتان المعروفان عنه:

يا واصلين إلى المختار من مبصر زرتم جسوما وزرنا نحن أرواحاً
إننا أثمنا على عذر وعن قدر ومن أقام على عذر كمن راحا



أبو العزائم

محمد ماضى أبو العزائم، توفي سنة ١٣٥٦ هـ له المصنفات في التصوف ومنها

أصول الوصول إلى معية الرسول، وشراب الأرواح من فضل الفتاح، ومعراج المقربين ومذكرة المرشدين والمسترشدين والنور المبين لعلوم اليقين، ولعل أبرز ما فى طريقته التربية الأخلاقية، ويقول فى ترجمته لنفسه أن اسمه ماضى نسبة إلى عين ماضى بالمغرب الأقصى، وأبوه من نسل إدريس الأكبر، وجده لأمه من نسل الشيخ عبد القادر الجيلانى، وفد من بغداد إلى مصر وهى معه، وميلاد أبى العزائم برشيد من أعمال مصر، ثم انتقل والده إلى محلة أبى على غربية من بلاد مصر ونشأ بها وتعلم. وشقيقه أحمد ماضى أبو العزائم مشهور بعلوم الدين وخدمة الوطن وأسس جريدة المؤيد، ويبدو أن الدكتور جمال ماضى أبو العزائم قد انتقل إليه ميراث محبة علوم الحكمة والطب عن الشيخ، وكان مغرمًا بها محبًا للتقرب من المجاذيب ومجالسة أهل العاهات ويؤثرهم على نفسه، وله تفسير للعلم ينصرف إلى معناه الحديث فيقول إن كل من تعلم علماً من العلوم له معلوم من علوم الدين وغيرها من علوم الدنيا كالطب والبيطرة، وعلوم القضاء والفتيا للولاية، وعلوم اللسان والإنشاء للوزارة، وعلم حماية الثغور واستحكام المعاقل وأصالة الرأى وتدبير الأحكام وعلم الحوادث والوقائع لقيادة الجيوش، كل واحد من هؤلاء يسمى عالماً بعلم نافع، ويجب على العلماء أن يجالسوا العباد ليتعلموا منهم العلوم النافعة، والعباد يجالسون العلماء ليتعلموا منهم ما لا بد لهم منه حتى يكون المؤمنون كجسد واحد، ينتفع الجسد كله بكل عضو على حدته، والجسد كله فى منفعة العضو الواحد، وبذلك يكونون رحاء بينهم فيمنحهم الله العزة على الكافرين والذلة لإخوانهم المؤمنين، فيكونون جميعاً فى أى مكان كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً. وأبو العزائم يستخدم بدلاً من العارف بالله اسم العالم بالله ويذكر له خمس علامات هى الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق والزهد. وأبو العزائم كان فى حياته ومع مريديه هكذا، وكان كلامه فى الأخلاق والتوحيد، وامتن التدریس، وكان يصرف بقية وقته يعلم العامة حتى صار له إخوان يعينونه على مواجيدته، وانتقل بعلمه إلى المنيا. ثم الشرقية فسواكن فأسوان ثم حلفا ثم أم درمان فالخرطوم. وكان علم التصوف هو علمه المفضل والذى أفاض فى الشرح له ويعرفه بأنه العلم الذى يعرف منه أحوال النفس فى الخير والشر وكيفية تنقيتها من عيوبها وآفاتنا وتطهرها من الصفات المذمومة والرزائل والنجاسات المعنوية التى ورد الشرع باجتنابها، والاتصاف بالصفات الحمودة التى طلب الشرع تحصيلها، وكيفية السلوك والسير إلى الله تعالى والفرار إليه. وموضوعه القلب من ناحية ما يعرض له من اللمحات والخواطر والهواجس والوساوس والعلوم والنيات والقصود والعزائم والاعتقادات وحديث النفس ومسائله الأحكام المتعلقة بهذه

الخطاظر والهاواجس والنيات وسائر أحوال النفس. وعلوم اليقين التى يكون بها الترقى الإيمانى للسالك هى علوم أخلاقية تتناول التوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والزهد والتوكل والرضا، وأعلها علم المحبة، ومن عرف الله من طريق المحبة أحبه الله فقربه وعلمه ومكنه، وذلك نهاية الطريق ومطلب المريد والسالك على السواء.

■ ■ ■ ابن عطاء الأدمى

أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمى نسبة إلى بيع الأدم وهو الجلد، توفى سنة ٣٠٩هـ، وصفه أبو سعيد الخراز فقال إن التصوف خُلِقَ وما رأيت من أهله إلا الجنيد وابن عطاء، واشتهر بتفسيراته التى ينفرد بها لآيات القرآن والتى يسمعا السامع فىستملحها ويستظرفها منه، ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى: «أو ألقى السمع وهو شهيد» أن الله خلق الأنبياء للمشاهدة، بينما خلق الأولياء للمجاورة لقوله تعالى: «عز جارك»، وخلق الصالحين للملازمة لقوله تعالى: «وألزمهم كلمة التقوى» وهى لا إله إلا الله، وخلق العوام للمجاهدة فقال تعالى: «والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا»، وكأن ابن عطاء يقول بطبقات دينية وبرسالة اجتماعية لكل طبقة، ثم جعل لكل منها آدابا تكون بها الصلاحية بمقام يسميه بساطاً، يقول: من تأدب بآداب الصالحين صلح لبساط الكرامة، ومن تأدب بآداب الأولياء صلح لبساط القرية، ومن تأدب بآداب الصديقين صلح لبساط المشاهدة، ومن تأدب بآداب الأنبياء صلح لبساط الأئس والانبساط. ويشرح ابن عطاء قوله تعالى: «واسجد واقترب» أى اقترب إلى بساط الربوبية نعتك من بساط العبودية. ويقول فى قوله تعالى: «ثم تاب عليهم ليتوبوا» أن الرب مالم يعطف على العبد بالرحمة لم يعطف العبد على الله بالطاعة. ومن شروحه الطريفة لمعنى الطهارة مثلاً: الطهارة بالنفوس، والصلاة بالقلوب، فبغسل الوجه نعرض عن الدنيا، وبغسل اليدين نكفى الخلق يمنة ويسرة، وبمسح الرأس نبرأ عن أنفسنا، وبغسل القدمين نقوم لمناجاة ربنا، فإذا كبرنا للصلاة خرجنا من جميع كليتنا لتصح لنا مناجاة ربنا. ومن أملح ما قال أن الرسول لما قبض قام أبو بكر يسوس الناس بقضيب مع قوة نسيم النبوة، فلما توفى أبو بكر تقدم عمر على سياسة الناس فأقام حدود الله بذرته، ولم يقدر عثمان على سياسة الناس بالدرة فأخرج السوط فلم يستقم له الأمر كما استقام لصاحبيه، فلما استشهد لم يقدر على شىء يسوس به الخلق سوى السيف. وفى رواية مختلفة عن السابقة قال

كان أبو بكر يشم نسيم الرسالة ، وعمر يشم نسيم النبوة ، وعثمان يشم نسيم الاصطفاء ، وعلى يشم نسيم المحبة ، فكان بيان إشاراتهم مما خصوا به من الكرامة فى هجيرهم ، فكان هجير أبى بكر لا إله إلا الله ، وكان هجير عمر الله أكبر ، وهجير عثمان سبحان الله ، وهجير على الحمد لله ، فكان أبو بكر لم يشهد فى الدارين غير الله فكان يقول لا إله إلا الله ، وكان عمر يرى مادون الله صغيراً فى جنب عظمة الله فيقول الله أكبر ، وكان عثمان لا يرى التنزيه إلا لله ، إذ الكل قائم به غير معزى من النقصان ، والقائم بغيره معلول ، فكان يقول سبحان الله ، وكان على رضى الله عنه يرى نعمة الله فى الدفع والمنع والمحبوب والمكروه فكان يقول الحمد لله .



ابن عطاء الله السكندرى

أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله ، وكنيته تاج الدين ، وينسب إلى الإسكندرية حيث ولد وعاش إلى أن غادرها إلى القاهرة بعد وفاة شيخه أبى العباس المرسى سنة ٦٨٦ هـ . وكانت له اليد الطولى فى العلوم الظاهرة والمعارف الباطنة ، وإماماً فى التفسير والحديث والأصول ، وصاحب المرسى اثنى عشرة سنة ، وتلقى عنه الطريقة الشاذلية ، ويعد أبرز ممثلى التصوف المصرى فى القرن السابع الهجرى ، وكانت بدايته إنكاراً للتصوف واعتراضاً على المرسى ، ثم استمع إليه وأعجب به وخلفه على الطريقة بوصاية أستاذه . واشتهرت عنه خصومته للإمام ابن تيمية بسبب مقاله ابن عطاء من أن الإمام يغلط فى الصوفية وينتقد بعضاً من عبارات الشاذلى فى أوراده ، وقد استعدى ابن عطاء السلطان عليه فخيرة بين الإقامة فى دمشق أو القاهرة بشروط ، أو الحبس ، فاخترار الإمام الحبس . وابن عطاء هو الذى جمع أقوال الشاذلى وتلميذه أبى العباس المرسى ، وترجم لها ، وحفظ تراثها وكان داعية للطريقة الشاذلية له أثره ، وجميع الطرق الشاذلية فى مصر ترجع بالسند إليه وإلى ياقوت العرشى تلميذ المرسى . ومن مصنفاته **الحكم العطائية** من عيون النثر الصوفى ، ويستخدم فيها الرمز ، وتلخص مذهبه ، وأغلبها فى صورة مخاطبات موجهة للمريد السالك ، والمناجاة العطائية وتعد من روائع الأدب الصوفى ، والتنوير فى إسقاط التدبير ، أى إسقاط الإنسان لتدبيره مع الله تعالى ، والرضا بما يورده عليه ، ولطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه الشاذلى أبى الحسن ، يذكر فيه عن سيرتها ومناقبها وأحزابها ومناقلاتها ، وتاج العروس الحاوى لتهذيب النفوس وهو مواعظ فى التصوف ، وكتب

أخرى كثيرة يتميز فيها ابن عطاء كمرب ومعلم بتوجه بإرشاداته للمريدين والطلابين فيقول: أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعنة عدم الرضا عن النفس، وإذا التبس عليك أمران، فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه، فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً. وينبغي عليك أن لا تيأس على فقد شيء، وأن لا تركز إلى وجود شيء، فإن من وجد شيئاً فركن إليه، أو فقد شيئاً فحزن عليه، فقد أثبت عوديته لذلك الشيء الذي أفرحه وجوده وأحزنه فقده. ومتى كنت إذا أعطيت بسطك العطاء، وإذا منعت قبضك المنع، فاستدل بذلك على وجود طفوليتك، وعدم صدقك في عبوديتك. وليقل ما تفرح به، يقل ما تحزن عليه. ويقول في الإرادة والتسيير والمعصية والطاعة: يقول الله تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»، فبين الله تعالى أنه إنما خلق هذين الجنس لعبادته، أى ليأمرهم بها، كما تقول لعبدك: ما اشتريتك أيها العبد إلا لتخلمنى، أى لأمرك بالخدمة فتقوم بها. وكما أنه خالق الطاعة بفضل، كذلك هو خالق المعصية بعدله. قل كل من عند الله. والله خلقكم وما تعلمون. واعلم أن سر خلق التدبير والاختيار ظهور قهر القهار، وذلك أن الله تعالى أراد أن يتعرف إلى العباد بقهره، فخلق فهم تدبيراً واختياراً، ثم فسح لهم بالحجة حتى أمكنهم ذلك، فلما دبر العباد واختاروا توجه بفهره إلى تدبيرهم واختيارهم، فزلزل أركانهم، وهدم بيانهم، فلما تعرف للعباد بقهر مرادهم علموا أنه القاهر فوق عباده، فى خلق الإرادة فيك لتكون لك إرادة، ولكن لتدحض إرادته إرادتك، فتعلم أنه ليس لك إرادة. والغافل إذا أصبح ينظر ماذا يفعل، والعامل ينظر ماذا يفعل الله به. واعلم أنه مامن نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه، وأن الله تعالى أراد أن يجعل الحاجة للإنسان إما ليعرفه أو ليعرف به. والحاجة باب إلى الله، وسبب يوصلك إليه. يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، فيجعل الله الفقر إليه سبباً يؤدي إلى الوصول إليه والدوام بن بديه. ولعلك أن تفهم قول رسول الله: من عرف نفسه عرف ربه، أى من عرف نفسه بحاجتها وافتقارها وذاتها وفاقته ومسكنتها، عرف ربه بعزه وسلطانه وجوده وإحسانه، إلى غير ذلك من أوصاف الكمال. واعلم أن المؤمن قد ترد عليه خواطر التدبير، ولكن الله لا يدعه لذلك. الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور. والمؤمن إذا وردت عليه خواطر الاضطراب والتدبير لا تثت، لأن نور الإيمان قد استغرق قلوب المؤمنين.

ويقول ابن عطاء الله فى آداب المريد: هى عامة فى ظاهره وباطنه، وآداب الظاهر تبع لآداب الباطن، وآداب الباطن هى التحلى بمحاسن الأخلاق كلها.

وعلامات السقوط من عين الله ثلاث: الرضا عن النفس، وعدم الرضا عن الله، ومزاحمة الحق بالقضاء والقدر. وينصح ابن عطاء المريد فيقول: عليك بالخلوة والعزلة، فن كانت العزلة دأبه كان العز له، ومن صدقت عزلته ظفر بمواهب الحق له بالمن، وعلامتها كشف الغطاء وإحياء القلب وتحقيق المحبة. واعلم أن طريق المجاهدات والرياضات لا بد منها، فإنه لا يمكن للسالك أن يصفى روحه ويظهر ذاته، واللذات الحيوانية مستعلية على روحه، والشهوات الجسمانية متغلبة على نفسه. وإرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية. وتوفى رضى الله عنه بالقاهرة سنة ٧٠٩هـ. ونالت حكمه العطائية الكثير من اهتمام الشراح، ومن ذلك كتاب «احكام الحكم» فى تفسيرها لابراهيم المواهبى المتوفى سنة ٩٠٨هـ، و«غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية» لابن عباد الرندى المتوفى سنة ٧٩٢هـ، و«شرح الحكم العطائية» لأحمد بن أحمد زروق الفاسى المتوفى سنة ٨٩٩هـ (وله أيضاً فى التصوف «البدع التى يفعلها فقراء الصوفية» مئة فصل، و«القواعد فى التصوف»، و«إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين»).

■ ■ ■ العطار

محمد فريد الدين العطار النيسابورى، صاحب المثنويات الشعرية، وله تذكرة الأولياء، ضمنها ١٠١ ترجمة صوفية، وكتاب مقامات الطيور المعروف باسم عنطق الطير، برع فى التعبير عن الأشواق الصوفية والتضرع والاحتراق والفناء، وفى كتبه ومصنفاته التى بلغت ١١٤ مصنفاً بعدد سور القرآن، طرح من أسرار التوحيد وحقائق الأذواق والمواجيد ما أشهره كمتصوف وصاحب طريقة، حتى اشتهر باسم فريد الدين، وكما قيل كان فريداً فى تدينه وفى شعره، وكان أحد ثلاثة شعراء متصوفة برزوا فى الأدب الفارسى هم سنائى والعطار وجلال الدين الرومى. والعطار شاعر الحب الإلهى، وشعره بسيط، وسحره فى هذه البساطة، وقيل فيه إنه سوط السالكين، لأنه يهديهم إلى الحقيقة ولكنهم أثناء ذلك يحرقهم الشوق الذى يستثيره فيهم الشعر، ويكتون بنار المحبة. والقصص فى شعره رمزى، ويكثر فيه من استخدام المجاز والاستعارة والحكمة. وقيل إن العطار، وكانت مهنته عطارة الأدوية، كان بباب دكانه يوماً فسأله درويش صدقة فلم يأبه له العطار، فأنبه

الدرويش فكيف تصنع إذا جاءك الموت، فرد العطار ساخراً بأنه سيصنع مثله، فا كان من الدرويش إلا أن قعد على الأرض واستند إلى حائط ونظر إليه أن يصنع مثله لو استطاع، وقال «يا الله» ثم أسلم الروح. واضطربت حياة العطار من ذلك اليوم، فتاب وانخرط فى التصوف، وقرأ فيه حتى ذكر أنه لكى يكتب تذكرة الأولياء التى يؤرخ بها لسير الصوفية قرأ سبعمائة كتاب وعشرة، وغايته منه أن يقوى به قلوب المريدين، ويفيدهم بكلام المشايخ السابقين، فيكون منه المدد الروحى على مواصلة الطريق. وواضح أن العطار قد خالط الدراويش منذ طفولته، وأن مهنة عطارة الأدوية أطلعت على نواح من الإنسان ألهبت عقله بالتفكير، ولم يهتد بعقله إلى شىء، ولهذا فقد قال إن الطريق إلى الله هو طريق القلب، وطريقة العطار فى التصوف تقوم على المجاهدة والرياضة وتركيب النفس وتصفية القلب وتجلية الروح. وهو يصف النفس الإنسانية بأنها كالكلب، أو كالموقد المتأجج بالنار، وإذا قيدت الكلب وكبحت النار كنت الفتى الحقيقى، وتكون قادراً من بعد على كل شىء. وبطل العطار فى منطق الطير، وهو المسمى شيخ صنعان، يطلب من مريديه أن لا يستريحوا من الرياضة أبداً، وأن يكون صومهم وصلاتهم بلا حدود، وأن لا يتركوا السنن، ويوصيهم بمراقبة أنفسهم والحذر الدائم فإبليس ظل يعبد الله زمناً طويلاً ثم عصاه فأضاع نفسه وكل عباداته السابقة وحلت عليه اللعنة. وهو يقول الطريق إلى معرفة الله هو القلب وليس العقل، والعقل هو الذى اختلف به الناس حول الله وعبادته، ولكنهم بالقلب يتحابون. وفى كتابه مصيبت تامة يجعل العطار أحد السالكين يتوجه إلى العقل طلباً للإرشاد، فينصحه العقل نفسه بأن يستفتى قلبه، ويقول له العقل أجل أعرف الحق، ولكن القلب أكمل منى فى معرفته. وليس للعقل إلا أن يطيع الشريعة وإلا يكفر وإن بلغ الكمال، والعقل البسيط هو أفضل العقول، والعقل قاصر فالخمر تؤثر فيه وتستره فكيف يمكن الوثوق به. ويمتدح العطار طريق الفقهاء، ومنهم أبو حنيفة والشافعى وابن حنبل، ويهجو طريق الفلاسفة، وهو فى ذلك يشبه الغزالى، ويقول إن طريق المتدينين هو طريق الشوق إلى الحق وطريق الذوق. وفى كتابه أسرار تامة ينصح العطار المريدين بالابتعاد عن الفلاسفة، وأن يسلموا أنفسهم لمشايخهم فى الطريقة، يتمهدون فيه أذواقهم ويرشدونهم فى رحلة الروح. ويقول العطار: يا ولد، الطريق طويل وكله مشاق وعثرات، وقد تسقط فى إحدى المهاوى وإن تكن أسداً حقاً، وأنت بدون من يأخذ يدك كالأعمى، فهل أبصرت أعمى يسير مستقيماً بدون عصا تقوده وتهديه. وفى إحدى الحكايات فى كتابه مصيبت تامة يقول

العطارة: السالك يا ولد يجد نفسه فى مفترق طرق ثلاثة، الأول مكتوب عليها إن الطريق طويل وصعب ولكن له نهاية، والثانى مكتوب عليه إنه طريق عظيم ولكن نهايته غير معلومة، والثالث الكتابة عليه تقول الطريق مهلك ولا عودة منه للسالك، فهكذا الشريعة والطريقة والحقيقة، والطريق الأول هو طريق الشريعة، والثانى الطريقة، والثالث الحقيقة، والسير فى هذا الطريق الثالث معناه الفناء للسائر فى الله والبقاء به سبحانه، فن فنى فيه بقى به، وأما الطريقة فهى السفر فى النفس. ويقول العطارة إن رحلة النفس مراحلها سبع بعدد المقامات، ويسمى المقام واد، والوديان التى يقطعها المسافر السالك هى أودية الطلب والعشق والمعرفة والاستغناء والتوحيد والحيرة والفقر والفناء، وبعد ذلك فليس ثمة سير ولا طريق، لأنه بعد قطع تلك المسافات تقع الجذبة وينمحي كل شىء. ويتحدث العطارة عن مقام العشق فيقول إن حب الصورة أو الجسد هو أدنى مراتب المحبة، والجسد ليس سوى أخلاط ولحم ودم فأى جمال فيه؟ ليس الجمال إلا الجمال المعنوى. ويروى العطارة حكاية عن تلميذ أحب وتدله فى الحب حتى أنساه المواقبة على الحضرة، فعلم الأستاذ واستحضر جاريته التى أحبها التلميذ، وأعطاهها مسهلاً وقصدها، واحتفظ بأخلاطها ودمها فى طشت أعدده لذلك، ثم طلب التلميذ وأطلعه على الجارية بعد ذوبها، وأشار إلى الطشت ومافيه، فقد كان هو الفرق والذى كان يصنع جمالها المادى، وثاب التلميذ لرشده وعاد للمواقبة على الحضرة. ويقول العطارة فى المعرفة إن شمسها عندما تشرق يصيب منها كل أحد على قدر حاله. ويمثل العطارة لفناء الخبيث والطيب بالعود والخطب، تلقى بها فى النار فيحترقان ويتخلف عنها رماد متشابه فى الظاهر، ولكنه ليس كذلك فى الحقيقة، فأن ينعدم أحدهما فهذا هو الفناء، وأما مايفنى عن الفناء فإنه يبقى بقاء العود بعد الاحتراق. وهو يمثل لفكرة الفناء بزيت المصباح الذى يحترق فيستحيل دخاناً أسود، فيخرج عن زيتيته، ولكنه يبعث النور. والذين يصلون إلى مقام الفناء قليلون، فيبلغون درجة الوصال والاتحاد بالله، وليس معنى الاتحاد الحلول، وإنما معناه الاستغراق فى الكل، ويقول العطارة للمريد: لا تكن هنا حلولياً أيها الفضولى، إذ ليس الرجل المستغرق حلولياً.

وميلاد العطارة وموته مختلف فيها، والأرجح أنه ولد بين سنتى ٥٢٨هـ و ٥٣٦هـ وأنه عاش نحواً من سبعين إلى ثمانين سنة، ويبدو أنه تزوج قبل أن يتصوف، وكان شيخه الروحى أبا سعيد بن أبى الخير، ولم يثبت أنه قد مات مقتولاً على يد كفار

التتار. والأرجح أن وفاة العطار كانت بالشيخوخة نحو سنة ٦٠٧هـ، أو نحو سنة ٦١٧هـ، وقبره مزار عظيم.

ابن علوان

صفى الدين أحمد بن علوان (المتوفى ٦٦٥هـ) له «الفتوح المصونة والأسرار المخزونة» و«البحر المشكل الغريب» رسالتان في التصوف، و«ديوان شعر» أغلبه في التصوف. وابن علوان يبنى من قرية يفرس من قرى تعز، واشتغل كاتباً في بعض الدواوين السلطانية.

عنقا (على)

جلال الدين على أبو الفضل عنقا (١٢٦٦ — ١٣٣٣هـ) له التصانيف العديدة في الكلام والمنطق والبيان والتصوف، ومنها رسالة في الصحو، ورسالة الاصطلام، ومثنوى أنوار قلوب السالكين، وديوان حقائق المناقب. وهو فارسي ولد بقزوين، واشتغل بالتدريس ثم انصرف إلى التصوف وانضم إلى الأويسية والنعمة اللّهيّة (نسبة إلى شاه نعمة الله ولي) والذهبية. (نسبة إلى سيد حسن حسين الموسوي الدزفولي الذهبي). ويقول إن أساس العرفان هو النبي خير الأنام، وهو الذي ذكر أن لكل نبي حرفة، وحرفتي اثنان: الفقر والجهاد، والحرفة هي التي يحق للنبي بها القربة وصنعها الحق في روحه وقلبه، فواحد له الصبر، وآخر له الرضا أو السخاء أو الحزن أو الإخلاص أو الصفاء أو التسليم أو الغربة أو الرجاء. ويقول عنقا إن حرفة روحه في الجهاد، ووجوده هو نفسه من الاجتهاد والافتقار. وفي ديوانه الحقائق يرد المقامات والأحوال إلى آل البيت، ومعظم قصائده تتحدث عن العشق كنهاية للطريق، ودين العشق ملّة ليس فيها كافر ولا مسلم، والمؤمن المتكمل هو العاشق بقلبه، والعشق لا يعنى إلا الإيمان، والعشق لا يبرهان له إلا العشق، والعشق هو الكثر الخفي وأحببت أن أعرف، والعشق المطلق عندما تجلّى ظهر العقل الكلي، وليس الهدف من خلق العالم إلا ظهور العشق، والعقل الكلي هو الباعث على سيرة العشق.

ولما توفي على عنقا خلفه على الطريقة ابنه قطب الدين محمد عنقا (١٢٧٤)

(١٣٤١هـ) وله التجليات ، وكتاب الإرشاد والمراقبة والشهود وكتب أخرى ، وفيها النظم والنثر فى التصوف .

إبن عيَّاض (الفضيل)

أبو على الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي (١٠٥ - ١٨٧هـ) شيخ الحرم المكي، خراساني من ناحية مرو، قيل ولد بسمرقند، وقيل ببخارى، ونشأ بأبيورد، وأصله من الكوفة، وتوفى بمكة، وكان ثقة فى الحديث، وأخذ عنه خلق كثير ومنهم الإمام الشافعى . وقيل إنه كان قاطع طريق، وعشق جارية، فبينما هو يرتقى الجدران إليها سمع تاليا يتلو «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله»، فقال يارب قد آن، فرجع وأوى إلى خربة، فوجد بها جماعة قالوا نرتحل، وقال بعضهم بل نبقى حتى الصباح فإن فضيلاً يقطع الطريق، فانتبه وتاب، وأتمهم، وجاور الحرم حتى مات .

وطريق الفضيل قوامها الخوف من الله، وكان من خوفه خيفاً بآدى الحزن والغم، فإذا ذُكر بالله أو ذكره أو سمع القرآن استشعر الوجل وفاضت عيناه وبكى حتى ليرحمه من بحضرته، وكان دائم السهوم شديد الفكرة، وقيل فيه : ما رأينا رجلاً يريد الله بعلمه وأخذه وإعطائه ومنعه وبذله وبُغضه وحبه وخصاله كلها كالفضيل . ووصف أحواله بعض أصحابه فقالوا : كنا إذا خرجنا مع الفضيل فى جنازة لا يزال يعظ ويذكر ويبكى حتى لكأنه يودع أصحابه ويذهب إلى الآخرة، فإذا وصلنا إلى المقابر يجلس فكأنه من الموتى من فرط حزنه وبكائه، فإذا قنا لنعود فكأنه يرجع من الآخرة يخبر عنها !

وكان رحمه الله من فرط خوفه يتمنى لو لم يولد ولو لم يكن إطلاقاً . يقول لو خُيرت بين أن أبعث يوم القيامة وأن لا أبعث لا اخترت أن لا أبعث . ولو خُيرت بين أن أعيش كلباً وأموت كلباً ولا أرى يوم القيامة لا اخترت أن أعيش وأموت كلباً .

وكانت قراءته للقرآن حزينة بطيئة مترسلة كأنه يخاطب بها إنساناً، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة تردد فيها وسأل، وكانت صلواته فى الليل أكثر وهو قاعد، فتلقى له حصير فى مسجده فيصلى من أول الليل ساعة حتى تغلبه عينيه، فيلقى نفسه على

الحصير فينام قليلاً، ثم يقوم فإذا غلبه النوم نام، ثم يقوم وهكذا حتى يصبح. وكان إذا حدث عن رسول الله ﷺ صدقاً، ولكنه كان يتخرج من ذلك ويقول لو أنك تطلب منى الدراهم لأحب إلى من أن تطلب منى الأحاديث، فقد كان يخشى الله ويخشى نبيه، ويخشى أن يعرفه الناس كمُحدث وأن يظهر بينهم. يقول إذا كنت في جماعة الناس فاحفظ شخصك، وإن رهبة العبد من الله على قدر علمه به، والتعبير كله باللسان لا بالعمل، وأشد الورع في اللسان، فاحفظ لسانك، واعرف زمانك، واخف مكانك، وأقبل على شأنك. وحزن الفضيل هو حزن العابد وليس مرض الاكتئاب، ولقد ظل ثلاثين سنة لا يضحك كما يقول أبو على الرازي الصوفي، ولكنه رآه مبتسماً يوم مات ابنه على، فلما سأله عن ذلك قال إن الله عز وجل أحب أمراً فأحببت ما أحب الله. وحزنه كما يصفه هو حزن التائب، وبسبب خوفه وحزنه زهد الدنيا لعله بزهد ينصلح قلبه وعمله، وشعاره الذى ما يزال يردده على إخوانه أصْلَحْ ما أكون أفقر ما أكون، وإنى لأعصى الله فأعرف ذلك فى خلق حمارى وخادمى. والصالح هو الخائف الذى يتزهد كل شىء ويتورع عن كل فعل ردىء، وصلاحه ينصلح به من حوله، حتى الحيوانات التى تعيشه، وخوفه من الله هو الذى يحزنه على ما آل إليه أمر الناس، وإنه ليستحى أن يشيع والناس فيهم الظلم والحق قد زال فلماذا يفرح؟ يقول لأصحابه: ألا أحدثكم حديثاً حسناً، قالوا بلى، قال لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين. وينتقد العلماء والصوفية الذين يراءون ولا يخشون الله، فقد رأى أصحاب الحديث يمزحون ويضحكون فناداهم مهلاً يا ورثة الأنبياء، إنكم أئمة يقتدى بكم. ويقول إنما هما عالمان، عالم دنيا وعالم آخرة، فعالم الدنيا علمه منشور، وعالم الآخرة علمه مستور، فاتبعوا عالم الآخرة، واحذروا عالم الدنيا. واذكروا قول الله إن كثيراً من الأخبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل. والعلماء كثير والحكماء قليل، وإنما يراد من العلم الحكمة، فمن أوتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً. وحامل القرآن حامل راية الإسلام فلا ينبغي له أن يلغومع من يلغو، ولا أن يلهو مع من يلهو، ولا أن يسهو مع من يسهو. ولا ينبغي على حامل القرآن أن يكون له إلى الخلق حاجة، وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه. ولو كان مع علمائنا صبر ماغدوا لأبواب الملوك والخلفاء. ويقول أف من الدنيا، إنها ليست دار إقامة فما حاجتهم منها؟ إنما أهبط آدم إليها عقوبة. ولو أن الدنيا جميعها عُرضت على حلالاً لأحاسب بها فى الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه!! وأما الصوفية فقد كره الفضيل منهم لباسهم، ولما رأى جماعة منهم من الشبان وقد وضعوا الصوف قال لهم

وددت أنى لم أركم ولم ترونى حتى لا تحكون أنى رأيتمكم وأنكم رأيتمونى . ولما ناقشته أحدهم قال له : لا تكن مرئياً وأنت لا تشعر . تصنعت وتهأت حتى عرفك الناس فقالوا هو رجل صالح فأكرموا وقضوا لك الحوائج وسعوا لك فى المجالس ، ولولا أنهم عرفوك فى الله هنت عليهم كما هان عليهم الفاسق ، لم يكرموا ، ولم يقضوه ، ولم يوسعوا له فى المجالس . لو حلفتُ إنى مرئى لكان أحب إالى من أن أحلف أنى لست مرئياً . إن الناس تنظر إلى العالم وتنظر إلى الصوفى فيجتمعون حوله ، ومن من الناس لا يجمع الناس حوله فلا يجود لهم كلامه ؟ إنكم تفتنون الناس بينما كان الواحد من الصالحين من بنى إسرائيل لا يفتى ولا يحدث حتى يتعبد سبعين سنة . لأن أكل عند اليهودى والنصرانى أحب إالى من أن أكل عند صاحب بدعة ، فإنى إذا أكلت عندهما لا يقتدى بى ، وإذا أكلتُ عند صاحب بدعة اقتدى بى الناس . والله يغفر للجاهل سبعين ذنباً ولا يغفر للعالم ذنباً واحداً . وكذلك صاحب البدعة لا يرتفع له عمل إلى الله . وما أدرك فى الإسلام من أدرك بكثرة الصيام ، ولا الصلاة ، ولا التعامل ، ولا التصوف ، وإنما أدرك بسخاء الأنفس وسلامة الصدور ونصح الأمة . وذلك هو طريق الفضيل رضى الله عنه .

العيدروسية

من تريم محضرموت ، كانوا من أهل العلم والتقوى ، ولهم طريقة صوفية انفرعت عن الطريقة العلوية ، وجدهم الأكبر محمد بن على بن علوى ، وكان رباطه فى يَبْخُرْ ، ومنهم أبو بكر بن عبد الله الشاذلى العيدروس (٨٥١ — ٩١٤ هـ) وله كتاب «الجزء اللطيف فى علم التحكيم الشريف» وثلاثة أوراد على الطريقة الشاذلية ، وديوان شعر نظمه ضعيف ، ومن مريديه جمال الدين بحرق الحضرمى ، وله فيه كتاب «مواهب القدوس فى مناقب ابن العيدروس» ، وما يرويه عنه أنه أثناء سياحاته فى اليمن أطلعه أتباعه على البن ، فاقتات به مثلهم فأعجبه ، وعممه على أتباعه ، وكان يدعو زواره عليه ، فذاع استخدامه عن ذلك الطريق ، وكان ارتباط البن اليمنى باسم العيدروسية لهذا السبب . ومنهم شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس (٩١٩ — ٩٩٠ هـ) ولد فى تريم واستقر فى الهند وتوفى فى أحمد آباد ، ومن كتبه «العقد النبوى والسر المصطفوى» ، و«حقائق التوحيد» ، و«معراج» ، و«نفحات الحكم على لامية العجم» بلسان التصوف . ومنهم محمد بن عبد الله

بن شيخ العيدروس الصوفى الزاهد، وله «إيضاح أسرار علوم المقربين»،
وعبد القادر شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس (٩٧٨ - ١٠٣٨ هـ)
وله كتب كثيرة لعل أهمها «تعريف الأحياء بفضائل الإحياء» و«الفتوحات
القدسية فى الخزقة العيدروسية» و«الحضرة العزيزة بعيون السير الوجيزة»
و«غاية القرب فى شرح نهاية الطلب» و«قرة العين فى مناقب الولي
باحسين» و«الزهر الباسم من روض الأستاذ حاتم»، وجعفر بن على بن
عبد الله بن شيخ العيدروس (٩٩٧ - ١٠٦٤ هـ) ولد فى تريم واستمر فى سورت
بالهند، وبها توفى، وله مصفات منها «تحفة الأصفاء بترجمة سفينة الأولياء»
وعبد الرحمن بن مصطفى العيدروس الحسينى (١١٣٥ - ١١٩٢ هـ) له «لطائف
الجود فى مسألة وحدة الوجود»، و«إتحاف الخليل» فى الطريقة النيشيدية،
و«النفحات المدنية» فى الأذكار، و«فتح الرحمن فى شرح صلاة أبى
الفتيان». (انظر باعلوى والسقافية)





الغزالي

حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)، وله المواقف من الفلسفة والتصوف، وكتبه نحو من مائتي كتاب، منها إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة وفصائح الباطنية، وماطره من موضوعات يجعل منه موسوعة كاملة، فقد طاف بميادين المعرفة، وانتهى به الأمر إلى الشك الفلسفي الذي أسلمه إلى التصوف فوجد فيه النجاة وعصمه وأوصله إلى اليقين. وكانت نشأته في غزالة من قرى طوس، و'مله لذلك سمي الغزالي، أو أن تلك كنيته لاشتغال أهله بالغزل، وترعرع في جو صوفي من طفولته، وهو يقول في كتابه المنقذ من الضلال الذي يترجم فيه لحيانه الروحية، أنه لما فرغ من العلوم العقلية أقبل على طريق الصوفية، فعلم أن طريقهم إنما تتم بعلم وعمل، وأن حاصل علومهم هو قطع عقبات النفس والتمتره عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكره. وكان العلم أيسر عليه من العمل، فابتدأ بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم، مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي، وكتب الحارث المحاسبي، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغيرهم من المشايخ، فظهر له أن أخص خواصهم لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات، وهناك فرق بين أن تعلم حد الصحة والشبع مثلاً وأسبابها وشروطها، وبين أن تكون صحيحاً أنت نفسك وشبعان، وفرق بين أن تعرف حدود السكر وأنه يتحصل نتيجة أبخرة تتصاعد من المعدة وتستولى على الفكر، وبين أن تجرب أنت نفسك أن

تكون سكران ، وكذلك هناك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطه وأسبابه ، وبين أن يكون حالك هو الزهد والعزوف عن الدنيا . وقد وجد الغزالي نفسه منغمساً في العلائق ، وتبين له أن نيته في التدريس الذي كان بمتهنه لم تكن خالصة لوجه الله ، وأدرك أنه هالك إن لم يتدارك نفسه ، وظلت الهواجس تخترمه ويعانى الصراع النفسى بين أن يترك كل شىء : التدريس وبغداد والأهل والصحاب والولد والجاه والشأن ، أو أن يبقى وربما لا يستطيع أن يعود فى الغد إلى ما ينوى تركه اليوم ، ولم يحسم ترده إلا إصابته بما يسميه علماء الطب النفسى الحبسة الكلامية أو عقال المدرس ، وتلك حالة يبلغها المرء حينما يتراوح بين أمرين كلاهما صعب عليه تحقيقه ، ويتساويان فى ضغوطهما عليه ، وقد حدث أن أقفل الله عليه لسانه كما يقول ، حتى اعتقل عن التدريس ، فكان لسانه لا ينطق بكلمة واحدة ، وتداعى بالمرض النفسى وعاف كل زاد وحرار فيه الأطباء ، فدبر السفر إلى الشام وتلطف بالحيل ليخرج من بغداد ، وفى دمشق أقام سنتين لا شغل له إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة ، اشتغالاً بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما سبق أن حصل من كتب الصوفية ، ثم رحل إلى بيت المقدس وكان يدخل كل يوم الصخرة ويغلق بابها عليه ، وتحركت فيه داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة الرسول فسار إلى الحجاز ، ثم جذبته الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن فعاد إلى بغداد ولكنه استمر يحرص على خلوته ، وداوم على ذلك عشر سنوات ، وانكشف له فى أثنائها : أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أذكى الأخلاق ، بل إنه لو جُمع عقل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ، ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم وببدلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا إليه سبيلاً ، وذلك أن جميع حركات الصوفية وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم ، مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به . وماذا يقول القائلون فى طريقه أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها هو استغراق القلب بالكلية بذكر الله ، وآخرها الفناء بالكلية فى الله . ومن أول الطريقة بتبدى المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق ، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز منه . وعلى

الجملة ينتهى الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول، وطائفة الاتحاد، وطائفة الوصول، وكل ذلك خطأ، والذي تلابسه هذه الحالة لا ينبغي أن يزيد على أن يقول:

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وبالجملة فن لم يرزق منه شيئاً بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الاسم، وليست كرامات الأولياء على التحقيق إلا بدايات الأنبياء، وكان ذلك حال رسول الله ﷺ حين كان يقبل على جبل حراء فيخلو إلى ربه يتعبد حتى قالت فيه العرب: إن محمداً عشق ربه!! وهذه حالة يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها، فن لم يرزق الذوق فتيقنه لها يكون بالتسامع والتجربة إن أكثر الصحبة مع الصوفية حتى يفهم أحوالهم ويستفيد الإيمان من مجالستهم، فهم القوم لا يشقى جلسهم، ومن دونهم الجهلة الذين يقول الغزالي فيهم إنهم الضالون عن التصوف الذين يزعمون أنهم وصلوا فيه إلى مبلغ من الترقى يغنيهم عن العبادة، وقد يتعللون بشبهة أخرى من شبهات الإباحة. ويغلو الغزالي على المدعين لإسقاط الأعمال فيقول فى إحياء علوم الدين إن من ينطق بشيء من ذلك فقتله أفضل فى دين الله، ويعود إلى نفس المعنى فى كتاب فيصل التفرقة فيقول إن ضرره فى الدين أعظم لأنه يفتح فيه باباً من الإباحة لا ينسد، ويقول فى أصحاب الشطحات إن كلامهم لا فائدة منه إلا تشويش القلوب وتحير الأذهان وإدهاش العقول. ويصف هذا الصنف من الصوفية الضالة فيقول ما أغلب الغرور على الصوفية، والمفترون منهم فرق كثيرة. ويقول فى أصحاب مذهب الاتحاد والحلول إنهم كالنصارى القائلين باتحاد اللاهوت والناسوت. ويؤيد ابن تيمية الغزالي فيما ذهب إليه فى كتابه المنفذ من الضلال من عثوره على حل لأزمته الروحية فى التصوف، لأنه عن طريق المشاهدات التى تحدث للصوفى يتأكد له صدق ما أخبر عنه النبى ﷺ، مع فارق أن المشاهدات التى تحصل للأنبياء أكثر شمولاً واتساعاً وتأثيراً من التى تحدث للأولياء، وكما أن لكل علم روادا فإن الأنبياء يكونون بذلك رواد طريق المكاشفات. وقد تبين مع ذلك للغزالي أن طريق الصوفية إن كان يفيد منه الصوفى إلا أنه لا يكفى وذلك أنه هناك من الصوفية من ضلوا وأضلوا، ومن الفلاسفة والتعليلية والمتوسمين من العلماء، ومن أجل ذلك فقد عاد الغزالي إلى التدريس وأنهى عزلته وخرج من الزاوية بعد إحدى عشرة سنة من العزلة لينشر العلم ويصلح به نفسه والناس مخلصاً لله النية هذه المرة.

ويقول الغزالي في كتابه **المقصد الأسنى** أن للمعرفة سببين، أحدهما السبيل الحقيقى وهو مسدود إلا فى حق الله تعالى فلا يكاد يطلبه أحد من الخلق إلا وترده سُبُحات الجلال إلى الحيرة ويغضى للدهشة طرفه. والسبيل الثانى هو معرفة الأسماء والصفات، وذلك مفتوح للخلق، وفيه تفاوت مراتبهم، ويستشهد بقول الجنيد: لا يعرف الله إلا الله تعالى. ويقول الغزالي إن حظوظ المفريين من معانى أسماء الله تعالى ثلاثة: الأول معرفة معانى الأسماء على سبيل المكاشفة والمشاهدة، والثانى التشوق إلى الاتصاف بما يمكن من تلك الصفات الإلهية ليقربوا بها من الحق قربا بالصفة لا بالمكان، فيأخذوا من الاتصاف بها شهاً من الملائكة المفريين عند الله، والثالث السعى فى اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلى بمحاسنها، وبه يصير العبد ربانياً أى قريباً من الله تعالى، فإنه يصير رفيقاً للملأ الأعلى من الملائكة، فإنهم على بساط القرب، فمن كان سعيه لينال شيئاً من صفاتهم فإنه ينال شيئاً من قرهم بفدر ما ينال من أوصافهم المقربة لهم إلى الحق تعالى. وكأن الغزالي يقول إن الوصول الذى هو من مصطلحات الصوفية هو هذا القرب وحده بالمعنى السابق وليس بمعنى الحلول والاتحاد، وهو غاية نظريته فى التصوف. وفى كتابه الذى يخاطب فيه مريديه بأمرها الولد يقول الغزالي عن تجربته الروحية: خلاصة العلم أن تعلم أن الطاعة والعبادة ما هى؟ واعلم أنها متاعه الشارع فى الأوامر والنواهى بالقول والفعل، فالعلم والعمل بلا اقتداء الشرع ضلالة، وينبغى ألا تغتربشطح الصوفية وكراماتهم، لأن سلوك هذا الطريق يكون بالجأهة وقطع شهوة النفس وقتل هواها بسيف الرياضة، لا بالطامات والترهات.



الغزالي

أحمد بن محمد الغزالي المتوفى ٥٢٠هـ، أخو الإمام أبى حامد الغزالي، له «الذخيرة فى علم البصيرة»، و«لباب الإحياء» اختصر فيه كتاب الإحياء لأخيه، و«بحر الحقيقة» بالفارسية يشرح فيه مدارج السالكين، و«سوانح العشاق» عن أسرار العشق وأحواله وهو من المراجع الهامة فى التصوف. وكان من تلاميذه عين القضاة الهمداني المتوفى سنة ٥٢٠هـ وله عدة تصانيف منها زبدة الحقائق.



الغمري

أبو عبدالله شمس الدين محمد بن عمر، الواسطي الغمري المحلي، وشهرته الغمري، من فقهاء الشافعية، أصله من واسط، ومولده بميت غمر بمصر وإليها نسبته، وسكنه بالمحلة الكبرى وتوفي بها سنة ٩٠٥هـ. وكتابه الأشهر قواعد الصوفية، وقد قرأه عليه زكريا الأنصاري، وعنه أخذ الخزقة وأنشأ الكثير من الجوامع أو أصلحها، ودفن بجامع المحلة.





ابن الفارض (عمر)

أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي (٥٧٦ هـ - ٦٣٢ هـ) «الصوفي المصري الأول بلا منازع ورأس شعراء الصوفية من العرب» كما يصفه الشيخ مصطفى عبدالرازق، ولقبه سلطان العاشقين، فقد حفل ديوانه بأناشيد الحب الإلهي فصار بها تحفة أدبية تزدهو به العربية على آداب الأمم، وتراثاً روحياً فلسفياً يقول فيه ابن أبي حجلة: هو من أرق الدواوين شعراً، وأنفسها درأً، برأً وبحراً، وأسرعها للقلوب جرحاً، وأكثرها على الطول نوحاً، إذ هو صادر عن نفثة مصدور، وعاشق مهجور، وقلب بحر التوى مكسور، والناس يلهجون بقوافيه، وما أودع من القوى فيه، وكثر حتى قلّ من لا رأى ديوانه، أو طئت بأذنه قصائده الطنانة». والديوان في جلته استوعب حياة الشاعر الروحية كلها، وكثرت فيه الشروح والتفاسير وخاصة لقصيدته التائية الكبرى والخمرية، ولعل أوفاه وأخصبها شرح عبدالغنى النابلسي. وقصيداته المشار إليها هي اللتان مطلع الأولى منها:

سقتني حيا الحب راحة مقلتي وكأسي محيا من عن الحسن جلت

ومطلع الثانية والتي تسمى الميمية:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

والقصيدتان تشتملان على الرموز والتلويحات والإشارات والمصطلحات، وليس
 التائية الكبرى إلا ترجمة الشاعر لنفسه روحياً، وهو يقصّ فيها ما عانى من الرياضات
 والمجاهدات والمحن والآلام، وأما الميمية فالمقصود بالمدامة فيها، أى الخمر، المحبة
 الإلهية، أصل الوجود والخلق. ويقول **عبد الرزاق القاشاني** الصوفى فى شروحه
 للتائية: فلما تصفحتها مراراً وقلبها أطواراً واحتظيت بمعانيها على قدر ما قدر لى من
 الاستعداد، واجتليت مبانيها على ما وفق لى من النظر بالفؤاد، وجدنها مبينة على
 قواعد العلم والعرفان، منبئة عن نتائج الكشف والوجدان، مشيرة إلى ما أطلع الله
 ناظمها عليه، ووصل قدمه إليه من حقائق التوحيد ودقائق التفريد، والمواجيد الصحيحة
 والمكاشفات الصريحة، والمعاملات النفسية والمنازلات القلبية والمواصلات الروحية». ولعله
 لهذه الأوصاف عرفت التائية باسم آخر هو «نظم السلوك». ويذكر حفيد ابن
 الفارض الذى يؤرخ لسيرته أن القصيدة كان أول ما سميت به **أنفاس الجنان**،
ونفائس الجنان، ثم رأى جده النبى عليه
 الصلاة والسلام فى المنام فأمره أن يسميها **نظم السلوك**. وأما قصيدته الميمية فالغالب
 أن شراحه هم الذين أطلقوا عليها اسم **الخمرية** حيث كنى الشاعر عن المحبة الإلهية
 بالخمر. ولم يعلم أن قصيدة من القصائد أو ديواناً من الدواوين حظى بمثل السروح
 التى حظى بها ديوان ابن الفارض أو قصيدته، ولعل شرح **القيصرى** للخمرية، المتوفى
 سنة ٧٥١هـ، هو أفضل هذه الشروح حيث أنه يميل فيه إلى الفلسفة ويفدم له بمقدمة
 فى حقيقة المحبة وأقسامها. وقصائد ابن الفارض من الذبوع والشيوع فى كل بلاد
 الإسلام، وتنشد فى حلقات الذكر لإهاجة الانفعال وإثارة الوجدان، وقد ترجمها
 اللاتين بمختلف اللغات، ومن هؤلاء **فابريسيوس** و**جونز** و**فالين** و**دى ساسى** و**لاجرانج**
 و**درمينج** و**نيكلسون** و**فالرجا** و**دى ماتيو**.

وحقيقة تسمية ابن الفارض بهذا الاسم أن والده وكان قد هاجر من حماه إلى
 مصر واستوطنها عمل فارصاً، أى الذى يثبت الفروض للساء على الرجال بن يدى
 الحاكم، وغلب عليه هذا الاسم. وكانت ولادة عمر بالقاهرة وانطبع بالمصرية وأحب
 مصر وقتن بها حتى كان يقول:

وطنى مصر وفيها وطرى ولنفسى مستهاها مستهاها

وقد اختلفوا فى ابن الفارض حتى أدرجوه مع ابن عربى والعفيف التلمسانى
 والقنوى وابن هود وابن سبعين وتلميذه الششتري وابن مظفر والصفار ضمن من قالوا:

«أقوالاً ردية أو غير مرضية». ومن الذين انتقدوا عليه القاضي عبدالرحمن بن بنت الأعرز المتوفى سنة ٦٩٥ هـ، وابن تيمية، وابن خلدون، والبغاعي المتوفى سنة ٨٥٨ هـ، ومن الذين ناصروه السلطان قايتباي والقاضي زكريا بن محمد الأنصاري الذي أصدر فتواه بتبرئته من التهم التي قال بها خصومه، وأحمد بن حجر الهيتمي وجلال الدين السيوطي وعبد الوهاب الشعراني. وكانت تهمة ابن الفارض أنه اتحادى وبفول بوحدة الوجود، وأنه تلميذ لابن عربي، وفي رأى العص ومنهم ماسينيون أن اتحاد ابن الفارض ليس من نوع الاتحاد الفلسفى كالذى عند ابن عربي، ولكنه اتحاد نفسى أملاه أن ابن الفارض شاعر يرى تجلى الله تعالى فى كل الطبيعة :

جَلَّتْ فى تجليها الوجود لناظري ففى كل مرئى أراها برؤية

أو أن اتحاده اتحاد صوفى هو حال من الأحوال التى تدرك فيها الوحدة فى مقام سكر الجمع أو فى مقام صحو الجمع، والوحدة التى تنسب إليه لذلك هى وحدة شهود وليست وحدة وجود، بمعنى تجلى الله فى مظاهر الكون وسهود السالك للذات الإلهية شهوداً يرى فيه كل شىء على أنه عدم فى ذاته بالقياس إلى الوجود الحق الواحد. والشهود عند ابن الفارض فى أمثال هذه الأبيات :

أروح بفقد لى التزاماً بحضرى ويجمعنى سلبى اصطلاماً بغيتى
إخال حضيضى الصحو والسكر معرجى إليها ومحوى منتهى قباب سدرتى

هو علة فهذه لوجوده الذاتى واتحاده بذات محبوه، على عكس الوجود فإنه علة وجوده لذاته وتفرقه عن ذات محبوه. وقضية الحب الذى استوعب حياة ابن الفارض والذى يفسر بها فلسفته هى نفسها التى تجعل منه شاعر الحب الأول، فقد جعل منه ديناً ومذهباً يجمع فيه كل الأديان والمذاهب :

وعن مذهبى فى الحب مالى مذهب وإن ملت يوماً عنه فارقت ملتى
ولو خاطرت لى فى سواك إرادة على خاطرى سهواً قضيت بردتى



الفاسى

شمس الدين عبد الله الفاسى رئيس المجلس الصوفى العالمى وشيخ الطريقة

الشاذلية الفاسية، ورث المشيخة عن أبيه، وكانت ولادته بمكة سنة ١٣٤٥هـ، وتعليمه بالهند وقد تخصص فى القانون، ويهدف الفاسى من إنشائه للمجلس الصوفى أن يجمع به شمل الطرق الصوفية تحت لوائه، وفلسفته فى ذلك أنه لا اختلاف بين الطرق الصوفية طالما أن مصدرها واحد ولا تقود جميعها إلا للحق تبارك وتعالى، فلماذا التفرق الذى لا يخدم سوى أعداء الإسلام؟ ووحدة الصوفية هى حلم الدكتور الفاسى، وكما يقول فإنه إذا كانت الطريقة الشاذلية هى الأصل والأم بالنسبة للطرق الصوفية عموماً فمسئولية من يتولى أمرها أن يحمل هذه الريادة وأن تكون مهمته تكوين طليعة للجهاد المقدس وحرس خاص للمقدسات والحرمات والشرعية. وكان تأسيس المجلس الصوفى العالمى كمركز ومجلس للدعوة لوحدة الصوفية فى لندن بعيداً عن الأوضاع السياسية التى تحكم العالم الإسلامى، وكانت البداية فى سريلانكا عام ١٩٨١ حيث مفر الطريقة الشاذلية الفاسية، وقد استجابت كل الطرق هناك لدعوته وعددها ٢٨ طريقة بالإضافة إلى ١٨ هيئة إسلامية صوفية، ثم كان اختيار الفاسى للندن كمقر للمجلس ليأى بالدعوة للوحدة الصوفية العالمية عن الحركات الدينية الجديدة التى يروج بها الوطن العربى للفتح لهذه الحركات فرصة بلورة أفكارها وتوضيح مناهجها قبل أن تفكر فى الانضمام للمجلس وهى بعد فى طور التكوين، وحتى لا يتسبب المجلس فى إحراج أية حكومة عربية، وليتسنى للفاسى أن يقول ما يشاء فلا يحسب قوله على أحد ولا يتسبب لأحد فى مشاكل. وربما كان اختيار لندن كذلك لنشر الدعوة الإسلامية فى أوروبا هو نفس الدور الذى لعبته الطرق الصوفية فى الماضى عندما انتشر الإسلام من خلالها فى إفريقيا وآسيا. والفلسفة التى يصدر عنها الفاسى أن الإنسان الغربى قد أوصلته الحضارة المادية إلى غربة عن العالم الذى صنعه بها، وأصبحت هذه الحضارة أضخم منه، وأصيب بسببها بالأمراض النفسية والتوتر والقلق، ومن الطبيعى أن يكون رد الفعل فى الاتجاه الآخر المضاد لحركة التحديث، أى الاتجاه الروحى الذى تمثل الصوفية إحدى قيمه. وإذا قيض للإسلام أن ينتشر فى أوروبا فالمؤكد أن ذلك سيتم عن طريق الحركة الصوفية دون غيرها، فالتصوف يملك مفاتيح الطريق الذى يعين الإنسان المغترب عن بيئته، وذلك من الأسباب التى دفعت الفاسى إلى الاعتقاد بأهمية وحتمية تكثيف النشاط الصوفى فى قلب أوروبا، وبالتالي من الأسباب التى دفعته إلى تأسيس المجلس الصوفى العالمى حيث من الممكن اجتذاب المزيد من الباحثين عن الحقيقة. وقد أفلح الفاسى أن يضم إلى المجلس أكثر من ٣٢ طريقة صوفية من الهند وتوالت البيعات له من أنحاء العالم الإسلامى. وهو يختار من بين المجالس

الصوفية فى كل قطر واحداً من أعضائه ليكون رئيس المجلس الصوفى فى هذه البلد ويخلفه على رئاسته. ويبدو أن تلك المرتبة التى يسعى إليها الفاسى هى مرتبة القطبية من مراتب الحكومة الصوفية والتى كانت غيباً فى الماضى ويشهدها العالم الإسلامى حضوراً فى شخصية الفاسى وما يمثله من أفكار تتجاوز العلاقة التبعية التى كانوا فى الماضى ينشدونها للصوفى مع ربه، وفى ذلك يقول الفاسى إن التصوف عمل وأخلاق وأمانة وفكر وحرص وتقوى، والله يحب الأقوياء. ويقول الفاسى فى الاجتماع السنوى احتفالاً بمولد الرسول: هل نكتفى بالاجتماع كل عام للاحتفال، أم نحول احتفالنا بمولد نبينا إلى جهاد، نجتمع فيه على الحق كالبنين المرصوص، يداً واحدة تقاوم الفتنة والشر. أين منا فلسطين وصبرا وشاتيلاً؟ أين منا مسجدنا وقبيلتنا الثانية؟ هل نحتفل بمولد النبى الكريم دون عمل؟ نريد أن نجتمع لكى نجاهد فى سبيل الله وننتصر كما انتصر الرسول، فكونوا عباد الله إخواناً وانبذوا الفرقة بينكم. نريد أن نتحرك نحن المسلمين لنخلص المسلمين مما بهم وما أصابهم فى أرواحهم وقلوبهم وعقولهم. نحن الذين علينا أن نحررهم. الحاكم وظيفته أن يرفعى البلاد ويذود عنها شر المعتدين ويحفظ شرع الله ويؤدى الحقوق للناس بالعدل والقسطاس، ولكن كيف تصلح الإنسانية؟ إصلاحها ليس من حق الحاكم وإنما من حقكم أنتم، حق الأئمة والزعماء، وحقنا نحن المسلمين.



فالين

جورج أوغسط فالين Wallin (١٨١١ - ١٨٥٢م) فنلندى، ترجم الكثير من النصوص الصوفية الإسلامية، وأهمها ترجمته لشرح الشيخ عبدالغنى النابلسى لتأثية ابن الفارض باللغة اللاتينية، وكانت معظم مصنفاته عن الإسلام والمسلمين باللغة اللاتينية، وله كتاب باللاتينية عن الفروق فى لهجات العرب المتأخرين والمتقدمين، واستأذه للعربية كان الشيخ الطنطاوى بجامعة بطرسبرج (ليننجراد)، وقد غير زيه الأوروبى ولبس الزى العربى، وتسمى باسم عبدالولى، ولما توفى أقاموا على ضربيه بهلسنكى شاهدا كتبوا عليه اسمه «عبدالولى» بحروف عربية، وله مذكرات فى حياته الروحية وإقامته بين المسلمين وتجاربه الصوفية أو الدينية معهم.



الفرجى

أبو جعفر محمد بن يعقوب بن فرج، وشهرته الفرجى، من أهل سامرا، ووفاته بالرملة سنة ٢٧٠هـ أو نحو ذلك، وكان من علماء الصوفية أى الذين أحكموا علومهم وأتقنوها، وله التصانيف فيها، ومنها كتاب الورع، وكتاب صفات المريدين، نوه بهما أبو نعيم، واتبع فى تأليفه طريقة الحارث المحاسبى فقد صحبه وأخذ عنه، وكتابه فى التصوف عن التجربة وليست منقولة، وظل عشرين سنة كما يقول لا يسأل فى مسألة إلا وينارها، أى يجربها، قبل أن يتكلم فيها، وكان المدافع عن الصوفية المتحققين ويرفع منهم وينتصر لهم بينما يضع المدعين ويزرى عليهم، ومن ذلك أنه كان ينكر الزعقة فلما عاتبوه فى ذلك قال إنما أنكرها على الكذابين، ويروى عن نفسه أنه زعق ثلاث مرات فى حياته، وكانت مناسبتها أنه شاهد صوفياً من الشطّاحين وقد أخرجه من السجى ليضرب على جسر بغداد، وتجمع الناس للفرجة وكان هو منهم، والكل يتعجب من صبر الرجل على الجلد، فتقدم الفرجى منه ليسأله عن سر ذلك، وهل هناك وقت يكون فيه الضرب سهلاً هكذا، فأجابه الرجل نعم إذا كان من ضربنا له يرانا، يريد إذا كان الله يشهد ما يفعلونه به وعدئذ يصبح العذاب فى سبيله محتملاً، وقد أبدعت الإجابة الفرجى ولم يتمالك نفسه فصاح.



الفلالى

أحمد بن هاشم بن صالح الفلالى (١٢٦٠ - ١٣٢٧هـ) من أهل تافلاّت ونسبته إليها، وهى فى السوس، له «رسالة الملكية» فى التصوف، جاور بمكة إحدى عشرة سنة، وعاد إلى بلده وتوفى بها.



الفيضى

السيد محمود أبو الفيض المنوفى الحسى، عميد السادة الفيضيين، وولادته فى منوف سنة ١٨٩٢م، وكان والده من كبار رجال الأزهر والقضاء ويجمع فى دعوته بين الإصلاح الدينى والإصلاح الاجتماعى، وأسس لذلك أول مجلة إسلامية هى لواء

الإسلام سنة ١٩٢٢، وأسس ما سماه الكلية الصوفية والفلسفية سنة ١٩٢٦ م، وله المصنفات التي أهمها كتاب الوجود، ووحدة الدين والفلسفة والعلم، والله أكبر حكمة وعقيدة، ونفائس الحكمة، ونشيد الأرواح، وبداية الطريق إلى مناهج التحقيق، ومعالم الطريق إلى الله، والمدخل إلى التصوف، وشرح منازل السائرين للهروي. ويقول إن التصوف علم وذوق ووجدان وتحقيق وعرفان، لا يفهمه من جهله ولا يعرفه إلا من تذوقه، وكُتِبَ المتقدمين فيه على شدة نفعها للسالكين وبفاسة ما احتوت من أقوال الأولياء والعارفين قد قلَّ الانتفاع بها، لشدة تعقيدها وانغلاق عباراتها وتهويش دلالاتها. وموضوع التصوف هو عرفان الذات الإلهية وما يسبب إليها من نعوت وأفعال، وما يقع بين العبد وربّه من مواجيد ومُعارفة وأحوال، وشرف كل علم بشرف موضوعه وسمو غايته، ولقد أصبح أكثر المترسبين له حرماً عليه، وتصدّى لنفذه قوم من غير أهله لم ينهلوا من بحره، ولم يجبروا قواعده، ولم يسلكوا نهجه، ومن أجل ذلك وضع كتابه الشامل معالم الطريق ليكون لهذا العلم كالأثم ولطلابه كالمرجع، أو هو دائرة معارف صغيرة شاملة لعلوم الصوفية وأقوالهم وأحوالهم ومكالماتهم ومصطلحاتهم، وأما كتابه المدخل إلى الصوفية فهو كمقدمة لكتابه هذا الأكبر، ويضم أربعة أقسام أو كتب هي كتاب المفتاح وكتاب الشريعة وكتاب الطريقة وكتاب الحقيفة، واستتماما للفائدة فقد قفى عليه بكتاب ثالث هو جمهرة الأولياء وأعلام الصوفية ليكون نموذجاً مكتملاً لأخلاق القوم ونظمهم وحياتهم ومناهج طرقهم. ويفرق الفيضى بين التصوف والفلسفة حيث يستمد الصوفية المعرفة من الله مباشرة بعد نهذيب النفس ورياضتها من النفائض وتصفية القلوب من التوائب، بينما يتحصل الفلاسفة المعرفة بكفاية العقل والحس، وكلاهما قاصر عن إدراك الحقيفة الغائية - حقيقة الوجود المطلقة. والعارف الصوفى تشرق له حكمة الحق فى الكائنات، ثم يستقرى وحدات الكائنات طلباً لزيادة الإيمان، والفيلسوف تلمع له بوارق نوع الحق فتتغل ذهنه وعقله فيطلب المعرفة بالعلة، ويستمرى الوجود مستدلاً على العلة بمعلوها، وعلى الصانع بالمصنوع. ويقول الفيضى فى كتابه بداية الطريق إنه لما وضع معالم الطريق فإنه كان للبالغين فصّف بداية الطريق ليكون صنواً له للمبتدئين، ومنهجاً للسير والسلوك فى شرح حقيفة التوحيد والتزينة، وسيرة النّبى الكريم وكونه خاتم البينين، والقرآن آخر الكتب، والقضاء والفدر والموت، والقيامة والحساب والميزان، والعلم وفضله، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والطاعات والمعاصى والنية، ويتدرج من ذلك إلى التصوف ومصادره، وأخلاق الصوفى ومراحل السلوك، وعلاقة الشيخ بالمريد، وآداب

الإخوان مع بعضهم ، وآداب المريد . ومجموعة كتب الفيضى تشكل موسوعة متكاملة وعصرية فى التصوف ، يُستغنى بها عن كل القراءات الأخرى ، وقد صاغها بأسلوب جميل وعبرة رائعة وإخلاص متدفق . وشرحه للهروى قد أوفى فيه وبلغ الكمال .





القارى

على بن محمد نور الدين، المُلّا الهروى القارى، ولد فى هراة وسكن مكة وتوفى بها سنة ١٠١٤هـ، وكان يكتب فى كل عام مصحفاً وعليه طُرز من الفراءات والتفسير، فيبيعه فيكفيه قوته من العام إلى العام، وله تصانيف كثيرة، منها «بداية السالك» و«تعلق على بعض آداب المريدين لعبد القاهر السهروردي»، و«سيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني»، و«رسالة فى الرد على ابن عربى فى كتابه الفصوص»، وعلى القائلين بالحلل والائحاد»، ومن كلامه فى ذلك أن بعض جهلة المتصوفين يقولون للمريد عد تلقينه كلمة التوحيد، أن جميع الأشياء باعتبار باطنها متحدة مع الله، وباعتبار ظاهرها مغايرة له وسواه، فقلت هذا كلام ظاهر الفساد، مائل إلى وحدة الوجود أو الائحاد، كما هو مذهب أهل الإلحاد، فالله خالق كل شىء، أى موجود ممكن، فى عالم مشهود، ومن الحال أن يكون الحادث بباطنه متحداً بالقديم الذى هو الله سبحانه. ويبين القارى بطلان الأحاديث التى يستد ابن عربى وغيره إليها من الزاعمين بالحقيقة المحمدية والنور المحمدى مثل كُتُ نبياً وآدم بن الماء والطين، أو كنت نبياً وآدم لا ماء ولا طين، أو أنه ﷺ كان نوراً يسبح حول العرش أو كوكباً يطلع فى السماء مما ذكره عمر الملا فى وسيلة المتعبدين، وابن سبعين، فإنها كذب. ويقول القارى عن نور النبى أنه فى غاية الظهور شرقاً وغرباً، والله يسميه فى كتابه بوراً، وفى دعائه عليه السلام يقول اللهم اجعلنى نوراً، وفى التنزيل يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، فذلك ما ذكره الله عن نور النبى

وليس ما يدّعيه هؤلاء. وللقارى كتاب «تذكرة الموضوعات» وفيه يقول إن حديث لولاك ما خلقت الأفلاك الذى يزعمه ابن عربى حديث موضوع وابن عربى كاذب، وإن كان معنى الحديث صحيحاً فقد روى ابن عباس عن النبى: أثنى جبريل فقال يا محمد لولاك ما خلقت الجنة، ولولاك ما خلقت النار، وفى رواية لابن عساكر لولاك ما خلقت الدنيا، والحديث قد يعنى كما يقول الفزالى أنه كان مقدراً أن النبى يكون نبياً قبل الخلق، فالذى سبق الخلق هو التقدير لا الإيجاد، وليس يعنى أسبقية الوجود المحمدي أن نبينا كان موجوداً بشخصه قبل وجود آدم، ولكن وجوده كان الوجود الذهنى الذى يسبق الوجود العيى، والذى سبق الخلق هو التقدير لا الإيجاد.



القاشانى

أبو الغنائم كمال الدين عبد الرازق الكاشى أو الكاشانى أو القاشانى، صاحب كتاب اصطلاحات الصوفية، وهو كتاب فى ألفاظ الفوم جاء شرح القاشانى لها بعد أن قام بشرح لكتاب مازل السائرين للهروى، وكتاب فصوص الحكيم لمحى الدين بن عربى، فسأله أن يفسر لهم ما استعجم من الألفاظ. واعتبر الكتاب مرجعاً فى المصطلح الصوفى، واقتبس منه التهانوى فى الكشف، والكشخاى فى جامع الأصول، والحفنى فى المعجم. وكان القاشانى من أقطاب الطريفة السهروردية ورأسها لفترة، وكان من علماء التفسير، وله غير ما سبق مؤلفات «كشف الوحوه الغرى» فى شرح تائيه ابن الفارض، و«السراج الوهاج فى تفسير القرآن»، و«تأويلات القرآن»، و«رشح الزلال فى شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال». وتوفى نحو سنة ٧٣٠هـ بشيراز ودفن بها فى خانقاه الصوفية. ويقول القاشانى: اصطلاحات الصوفية لم يتعارفها أكثر أهل العلوم المعقولة والمقولة، ولم تشتهر بينهم. وجاء شرح القاشانى موجزاً ولكنه يعنى بالغرض وإن لم يستوف فيه كل ما ورد من المصطلح، وله فيه لوايح ولطائف، تزيد من ترويح القلوب، وتبين المهمل من ذلك، وتفصل الجمل. ويقول القاشانى فى التصوف إنه التخلو بالأخلاق الإلهية، وأنه يبنى على خصال ثلاث هى التمسك بالفقر والافتقار، والتحقيق بالبدل والإيثار، وترك التعرض للاختبار، وغايته نهذيب النفس باجتباب الرذائل وتركيتها عما، واكتساب الفضائل، وتخليص القلب عن الكون باستئثار المكون. والعبادة للعامة هى غاية التذلل لله تعالى، وللخاصة هى تصحيح النسبة إلى الله بصدق المقصد إليه فى

سلوك الطريقة ، ولخاصة الخاصة هي أن يشهدوا نفوسهم قائمة به . وخرقة التصوف هي ما يلبسه المريد من بد شبهه إعلانا للدخول في إرادته والتوبة على يده وليتلبس باطنه بصفاته كما تلبس ظاهره بلباسه ، وهي لباس التقوى ظاهراً وباطناً . ويقول القاساني عن الحقيقة المحمدية هي الذات مع التعن الأول ، فله الأساء الحسنى كلها وهو الاسم الأعظم . ويقول أيضاً : التجلى الثاني هو الذى تظهر به أعيان الممكنات الثانية التى هي شئون الذات لذاته تعالى ، وهو التعن الأول .. لأن الأعيان معلوماته الأول . والقاساني بتأسى بابن عربى فيما قال ، ومضمون كلامه أن حقيقة نبينا محمد ﷺ وذاته موجودة قل الخلقى باعتبارها عيا وحقيقة ثابتة فى العدم والأزل .



ابن قاضى سِماوَنَة

بدر الدين محمود بن اسماعيل ، وشهرته ابن قاضى سِماوَنَة ، وكان أبوه قاضياً بهذه البلدة من أعمال كوتاهية بتركيا ، وله كتاب «مَسْرَة القلوب» فى التصوف ، وكتاب «الواردات الغيبية» الذى تولى شرحه الشيخ عبد الهادى إلهى . وكان فقيهاً حنفياً ، درس بالقاهرة ، واشتغل مؤدّباً لأولاد الممالك ، ثم رحل إلى أرمينية ، وكان شيخها حسيناً الأخلاطى ، فتصوّف عليه ، وناظر بعض الفقهاء فى تفليس فى حضور تيمور ، وعاد مع حاشية تيمور إلى بلده ، واتصل عقب وفاة بايزيد وأثناء الحروب التى نشبت بسبب ذلك ، بموسى الذى نادى بنفسه سلطاناً على تركية أوروبا ، فعينه قاضى عسكر ، ثم قتل موسى وعفا أخوه محمد الأول عن ابن سِماوَنَة وحدّد إقامته فى إزنيق ، ثم قامت حركة دينية يتزعمها من يدعى بور كلوجه مصطفى من تلاميذه ، وكان اتباعه يسمونه دده سلطان ، وهم فرقة من الإباحية ، وهرب ابن سِماوَنَة إلى زغرة من ولاية روم إيللى ، واتهم بأنه يريد السلطنة فقتلوه بسيروز . وله كتب فى الفقه عند الحنفية منها لطائف الإشارات ، وجامع الفصولين .



القسطلانى

أبو العباس شهاب الدين القتبى (٨٥١ — ٩٢٣هـ) من علماء الحديث ، وكان شديد الورع وفارثاً يبكى الناس من قراءته ويغشى عليهم وجداً ، وله مصنفات كثيرة

ومنها فى التصوف «المواهب اللدنية فى المنح المحمدية» و«الروض الزاهر فى مناقب الشيخ عبد القادر».

إبن قسى

أبو القاسم أحمد بن الحسين، أول من مزج التصوف بالثورة على الفساد وسعى إلى إقامة إمامة فاضلة يحكمها الصوفية. وكان رومياً من بادية شلب من بنى قسى، انتحلوا الإسلام واستعربوا، ولكنهم عملوا على تقويض الدولة الإسلامية فى الأندلس. وكان ابن قسى خليعاً أحاط نفسه كما يقول بأصحاب السوء، إلا أنه «برحمة من الله» تاب وأتاب وباع أملاكه وتصدق بها على الفقراء وسلك مسلك الصوفية، وكان له رباط يجمع فيه المريدين فيحدثهم فى التصوف والفلسفة ويفتبس من الغزالي، وقيل كانت إشاراته للغزالي تمويهاً بسبب أن الغزالي كان مقبولاً كفقيه وصوفى إلا أنه فى الحقيقة كان على مذهب ابن مسرة ويتبع مدرسة المرية فى التصوف التى كان منها ابن العريف وابن برجان والميبرقى، وكلهم كانوا معادين للفقهاء ولهم وطأة على الفضاة أصحاب الفتاوى الذين يخللون الحرام ويحرمون الحلال للأمراء. وقيل فى ابن قسى إنه كانت له مخاريق، وفيها هو مشعوذ وصاحب حيل يقصد بها التأثير على العامة وجمع الناس حوله وتصديق أنه المهدي والإمام. ولما توفى ابن العريف وابن برجان سنة ٥٣٦هـ بشبهة السم من قاضى مراکش بن حمدين بعد محاكمتها قام ابن قسى بالثورة بعد سنة واحدة أى سنة ٥٣٧هـ، وكان قد درّب مريديه على القتال بدعوى الجهاد، وملأهم حماساً فقد كان شاعراً فصيحاً، وأطلق عليهم اسم المرابطين. فأشار بأن يستولوا على قلعة ميرتلة غربى الأندلس، ونشروهم فى القرى المجاورة مقتفياً أثر ابن برجان ومتاعاً طريقته وداعياً لنفسه إماماً، إلا أنه كصوفى لم يستطع أن يوفق كسياسى، فحالف الموحدين حتى ولّوه أمر شلبى، وطلب محالفة الفرنجة فتآمر عليه مريدوه وقتلوه سنة ٥٤٦هـ. ويبدو أنه مصنف كتاب «خلع النعلين فى الوصول إلى حضرة الجمعين» وهو مختصر فى التصوف، وترتبط شهرته بهذا الكتاب وباقتران اسمه بالتصوف السياسى، وقد تولى الشرح عليه ابن عربى بعد أربع عشرة سنة من مقتله، وابن عربى كما يجمع النقاد يدين بالكثير له فى فلسفته الصوفية كما يدين لابن مسرة وابن العريف وابن برجان.

القشاشى

صفى الدين أحمد بن محمد بن يونس الدجاني القشاشى (المتوفى سنة ١٠٧١ هـ) أصله من القدس وكان جده يبيع القشاشة وله نحو السبعين كتاباً، أكثرها فى التصوف، ومنها شرح الحِكَم العطائية يورد فيه الحكمة وحديثاً يناسبها، وحاشية على المواهب اللدنية، والسمط المجيد فى طريق القوم، وكلمة الجود فى القول بوحدة الوجود.

القشبرى

أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشبرى صاحب الرسالة القشبرية المشهورة فى التصوف، التى تناول فيها شيوخ الطريفة فى آدابهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعقائدهم بفلوبهم، وما أشاروا إليه من مواجيدهم، وكيفية ترقيمهم من بدايتهم إلى نهايتهم، لتكون لمريدى هذه الطريقة قوة، وقد وجهها لجماعة الصوفية ببلاد الإسلام سنة ٤٣٧ هـ، باعتبارهم الصفوة الذين فضّلهم الله على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه، واختصهم بطوالع أنواره، لعل فيها السلوى عما وصلت إليه الطريقة من تفريط وتراخ وقلة مبالاة بالدين واحترام للشريعة، على يد قلة متشبهة بالصوفية، والتصوف منهم براء، فمع انقراض أكثر المتحققين من أهل القدوة وقلة الشباب المهتدين، كثر الأدعياء المقلدون للسوقة، والساعون وراء الحكّام والنسوان، والمزيفون للطريفة بما نسبوه لأنفسهم من حقائق الوصال، والمكاشفة بأسرار الأحدية، وزوال أحكام البشرية. وكانت هذه الرسالة، وما تزال، مرجعاً من المراجع الكبرى فى التصوف وعلوم الصوفية وأخبارهم، وقد تصدى لها بالشرح والتفسير أعلام المسلمين من أمثال زكريا الأنصارى والعروسى. وكان تأليف القشبرى لها تصحيحاً للفكرة الصوفية حتى يظل لها نقاؤها، فيقصد إليها القاصدون، وينهلون من منهلها الصافى. ومن رأى ابن تيمية أن تأليف القشبرى للرسالة كان رداً على الحلولية والاتحاديين وليبين أن طريقة مشايخ الصوفية تحالف ما عليه هؤلاء، فإنهم يجعلون الرب حالاً فى المخلوقات، محدوداً بحدودها، متكلماً بحروفها حتى ليجعلونه هو المتكلم على أنفسهم، وهؤلاء كثيرون فى المنتسبين إلى الصوفية، وعلى مثل ذلك قُتل الحلاج. ويأخذ ابن تيمية على القشبرى امتداحه لعلم الكلام، والقشبرى يبدى تعجبه ممن يقول ليس فى القرآن علم الكلام،

فآليات كثيرة فى القرآن التى فى الأحكام الاعتقادية ودلائلها، وفى الجملة لا يحدد علم الكلام إلا رجلاً: رجل جاهل ركن إلى التقليد، أو رجل يعتقد مذاهب فاسدة. ويعلق الشيخ سلامة العزاصى الصوفى الكبير بما يعنى أن الكلام المنهى عنه هو كلام المبتدعة الذى نهى عنه الأئمة من الخوض فيه، فخافت الأمة على الضعفاء من أتباعهم أن يعلق بأذهانهم ما لا يستطيعون الخلاص منه. ويذكر الشيخ سلامة أن هناك علم كلام غير منهى عنه مثل علم الكلام الذى سلكه القشيري لما اشتد جدل المبتدعة ولم يجد أهل الحق بدأ من التشمير عن ساعد الجد والنظر فى الكتاب العزيز واستخراج أصول الدين منه للرد على المبتدعة من القدرية والجهمية والحشوية، فألف أهل الحق كتب العقائد والتوحيد للرد على هؤلاء. ولقد كان القشيري فقيهاً أصولياً جمع بين طرق الأشعرى والشافعى وابن فورك والاسفرايينى. وله لطائف الإشارات فى تفسير القرآن تفسيراً يجمع بين الشريعة والحقيقة، وله حياة الأرواح والدليل على طريق الصلاح والصلاح، والمعراج، وشكاية أهل السنة، والفصول، والتوحيد النبوى، والتيسير فى علم التفسير، وترتيب السلوك، والتمييز فى علم التذكير، والقصيدة الصوفية. والقشيري من أصول عربية وإن كان قد ولد ونشأ بخراسان. وأهله من العرب الذين استوطنوا أشتى، وكانت ولادته سنة ٣٧٦هـ، ومات أبوه وهو صغير فتربى يتيماً، وقرأ الأدب فى صباه، وحضر إلى نيسابور ليتعلم الحساب لأجل قريته، فاتفق حضوره مجلس الدقاق، فأعجبه كلامه، ووقع فى قلبه، فلزمه وسلك طريق الإرادة، وقبله الدقاق وقد تفرس فيه فجذبه، فأقبل عليه وزوجه ابنته مع كثرة أقاربها الراغبين فيها. وحج القشيري فى رفة الإمام البيهقي صاحب السنن، والجويني والد الإمام الجويني وغيرهما؛ وسمع ببغداد والحجاز، وكانت له فراسة وفروسية، وكانت له الإمامة فى مجلس التذكير، وتوفى سنة ٤٦٥هـ. واتبع القشيري فى تفسيره الفريد للقرآن استبطان الألفاظ وعدم التوقف عند ظواهرها، واستنباط الإشارات منها، ففى قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة يقول كمثال: إن إتمام الحج على لسان العلم هو القيام بأركانه وسننه وهيئته، وعلى لسان أهل الإشارة الحج هو القصد، فقصد إلى بيت الحق، وقصد إلى الحق، فالأول هو حج العوام، والثانى هو حج الخواص، كما أن الذى يحج بنفسه يُحرم ويقف، ثم يطوف بالبيت ويسعى، ثم يخلق، فكذاك من يحج بقلبه، فإحرامه بعقد صحيح على قصد صحيح، ثم يتجرد عن لباس من مخالفاته وشهواته، ثم باشماله بثوبى صبره وفقره، وإمساكه عن متابعة حظوظه من اتباع الهوى وإطلاق خواطر المنى وما فى هذا المعنى، ثم الحاج أشتت أغبر تظهر عليه آثار الخشوع والخضوع والتلبية.

وأفضل الحج الشج والعج، فالشج صب الدم، والعج رفع الصوت بالتلبية، فكذلك سفك دم النفس بسكاكين مخالفتها، ورفع أصوات السر بدوام الاستغاثة وحسن الالتجاء، والوقوف بساحات القربة باستكمال أوصاف الهيبة. وموقف النفوس عرفات، وموقف القلوب أسماء الله الحسنى وصفاته، وطواف القلوب حول مشاهد العز، والسعى بالأسرار بين صفى كشف الجلال ولطف الجمال، ثم التحلل بقطع أسباب الرغائب والاختيار والمعارضات بكل وجه.

وذهب القشيري في تفسير قوله تعالى: «فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه» (سورة الزمر الآية: ١٨) فيقول اللام في قوله (القول) تقتضى التعميم والاستغراق، والدليل عليه، أى على التعميم والاستغراق أنه مدحهم باتباع الأحسن، وعلى هذا الأساس فسر القشيري أن سماع الأشعار بالألحان الطيبة مباح فى الجملة. ويقول ابن تيمية إن هذا رأى يذكره طائفة منهم أبو عبد الرحمن السلمى، وهو غلط لأن الله لا يأمر باستماع كل قول بإجماع المسلمين حتى يقال اللام فى القول للاستغراق والعموم، بل من القول ما يحرم استماعه، ومنه ما يكره، واللام ليست لعموم كل قول وإنما لقول معهود معروف بين المخاطب والمخاطب، وهذا القول هو الذى اثنى عليه الله وأمر باستماعه وهو القرآن الكريم، ويتضمن هذا السماع الوجد المشروع. ويقول القشيري فى تفسير «فهم فى روضة يحبرون» (الروم / ١٥) أنهم يحبرون يعنى بالسماع بالأشعار والألحان الطيبة والنغم المستلثة، ولا خلاف أن الأشعار أنشدت بين يذى الرسول ﷺ، وأنه سمعها ولم ينكر عليهم فى إنشادها، فإذا جاز استماعها بغير الألحان الطيبة فلا يتغير الحكم بأن تسمع بالألحان. وقد جرى على لفظ رسول الله ﷺ ما هو قريب من الشعر، فكانت الأنصار يحضرون الحنفد ويقولون نحن الذين بايعوا محمداً، على الجهاد ما بقيت أبداً، فأجابهم الرسول ﷺ اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فأكرم الأنصار والمهاجرة. وقد سمع السلف والأكابر الأبيات بالألحان، ومن قال بإباحته من السلف مالك بن أنس، وأهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء، والحداء كلهم مجمعون على إجازته. وينتفد ابن تيمية رأى القشيري ويقول إنه منقول عن الغزالي والسلمى، ويقول الشعر أعظم مما وصفه القشيري فقد ثبت عن النبى ﷺ أن من الشعر حكمة، فلا يتعين من حكمته أن يسمع بالألحان الطيبة، والسماع الحسن هو سماع القرآن، وسماع شعر الحكمة والمواعظ بدون ألحان. ويستشهد القشيري بأقوال للجنيذ فقد سأله ما بال الإنسان يكون هادئاً فإن سمع السماع يطرب، فقال الجنيذ إن الله تعالى لما خاطب الذر فى الميثاق الأول بقوله ألسنت بربكم قالوا بلى

فاستفرغت عذوبة سماع الكلام الأرواح، فلما سمعوا السماع حركهم ذكر هذا. ويعلق ابن تيمية بأن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن الجنيد لأنه أجل من أن يقوله، ومذهب الجنيد يقوم على كراهة التكلف فى السماع فى الحضور والاجتماع عليه، وقد أثر عنه قوله: السماع فتنة لمن طلبه، وترويح لمن صادفه.

وابن القشيري «أبو نصر» كان عالماً كآبيه، ومتصوفاً مثله، ومن شابه أباه فما ظلم، واستمع لإمام الحرمين وواظب عليه فحصل طريقته فى المذهب، وكان يعظ فى المدرسة النظامية وفى رباط شيخ الشيوخ ببغداد، ثم رجع فى أواخر حياته إلى نيسابور، يدرس ويعظ بها إلى أن توفى سنة ٥١٤هـ.



القصار

أبو صالح حمدون بن أحمد، شيخ الملامية الذى نشرها فى نيسابور وما حوها، وكان قصاراً، واشتغل بالفقه على مذهب الثورى قبل أن يتحول إلى التصوف، وقيل تلاميذه كانوا كثيراً وإنما أكثرهم أخذاً عنه كان عبد الله بن منازل، وربما كان ابن منازل من تابعى التابعين له لأن القصار توفى سنة ٢٧١هـ وابن منازل توفى سنة ٣٢٩هـ. والملامية هم الذين يسترون صلاحهم بأمر تتداولها العوام وليست بمخالفات ولا معاصى، ويفعلون ذلك مبالغة فى الخفاء عن الشهرة. ولعل القصار لذلك دائم اللوم لنفسه ولأصحابه بدعوى أن سير السلف تشعره بالتقصير وتخلفه عن درك درجات الرجال، وهم الذين قال فيهم الله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه. وسأله تلاميذه عن سبب قلة نفع الكلام فى التصوف فى أيامهم وسمو وجدوى كلام السابقين، فرد القصار أنه لإخلاصهم، فالسابقون تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، وهم يتكلمون لعز نفوسهم وطلب دنياهم واعتقاد الخلاق فيهم. وكان شديد القسوة فى نقد تلاميذه ويلج عليهم فى سلوك طريقه المبنية على الضعف والفقر والتضرع والالتجاء وينهاهم عن الكبر، ولما طلب منه ابن منازل أن يوصيه حذره من أن لا يغضب لشيء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وأن لا يهتم لشيء مما جرى عليه فى سابق العلم، ومن طلب القوت، فكلُّ تُساق إليه كفايته مُيسرة من غير تعب ولا نصب، وإنما التعب فى الفضول فاحذر الفضول تسلم، ولا تُفش على أحد ما تحب أن يكون مستوراً منك، ولا تتكلم إلا لأداء فرض أو لنجاة إنسان من بدعة تخاف هلاكه فيها. وكان القصار

نفسه إذا أهبّ أو سفه عليه أحد لا يرد ويحتمل وينظر لأصحابه ويقول فلائى شىء تعلمنا العلم إذن إذا كنا سنسفه. ويقول المهجورى إن مذهب القصار أو طريقة أتباعه إظهار ونشر الملامة، لأن الآفة العظمى والحجاب الكثيف للسالك هو الإعجاب بنفسه وقبوله فى نظر الناس، أى أن يعجب الخلق بسلوكه وأعماله ويمدحونه عليها، وذلك من شأنه تعويقه فى الطريق وانحرافه، واتباع طريق الملامة على العكس مراده الحق لا الخلق وأن ينطلق السالك متحرراً لا يشغله عن الحق شاغل. وعلى الصوفى الملامتى أن يترك السلامة ويعرض نفسه للبلاء ويؤدب نفسه بالتحقير والمهانة التى توجه إليه من الخلق. ومن نوادر اتباع القصار أنه فى إحدى المرات سألهم استاذهم عن الفتوة، فأجابهم أحدهم فتوتنا أم فتوتك، فقال القصار كليهما، ورد التلميذ فتوتى أن أخلع هذا القباء وأرتدى مرقعاً وأمارس العمل حتى أصبح صوفياً فأنتقى المعصية حياء من الخلق فى ذلك الثوب، وفتوتك هى أن نترك المرقع حتى لا يفتن الناس بك، وفتوتى إذن هى حفظ الشريعة بالإظهار، وفتوتك هى حفظ الخفية بالأسرار.

٢ ٣ ٤ ابن قضيب البان

أبو الفيض عبد القادر بن محمد، شهرته ابن قضيب البان (٩٧١ — نحو ١٠٤٠هـ) وله التأليف الحسنة الدالة على رسوخ قدمه فى التصوف والمعارف الإلهية، ومن جللتها «الفتوحات المدنية»، ألقها على وتيرة «الفتوحات المكية» للشيخ الأكبر ابن عربى، وله «منهج السعادة» فى التصوف، و«ناقوس الطباع فى أسرار السماع»، و«شرح أسماء الله الحسنى»، و«رسالة فى أسرار الحروف»، وكتاب «مقاصد القصائد» و«نفحة البان» و«حديقة اللاك فى وصف الآل» و«كتاب المواقف الإلهية» و«عقيدة أرباب الخواص»، وغير ذلك ما يفوق على أربعين تأليفاً.

ولد ابن قضيب البان فى حماه، وتوطن أبوه فى حلب، وبها نشأ، ثم ارتحل إلى مكة وجاور بمكة، وتوجه منها إلى القاهرة «بإشارة القطب»، وكان شيخ الإسلام يحيى بن زكريا قاضياً بمصر فبشره بمشيخة الإسلام وبإيعه على الطرق الثلاثة النفشبنديّة والفادريّة والخلوتية، ثم أقره على طريق القشبنديّة وأمره بالذكر القلبى. ولابن قضيب البان ديوان شعر على لسان القوم، وله تأثية عارض بها تأثية ابن الفارض، ومن لطائف شعره الصوفى:

أرى للقلب نحوكم انجذابا لأسمع من جنابكم خطابا
فكم ليل بقربكم تقضى إلى سحر سجودا واقترابا
وكم من نشوة وردت نهارة فلا خطأ وعيت ولا صوابا
ومن رقيقه قوله :

سقانى الحب من خمر العيان فتُهِت بسكرتى بين الدنان
وقلت لرفقتى رففاً بقلبي وخاطبت الحبيب بلا لسان
شربت لحبه خمرا سفانى كصحبى فانتشى منها جنانى
شطحت بشرها بين الندامى ورشدى ضاع مما قد دهانى
فأكرمى وتوجنى بتاج يقوم بسره قطب الزمان
وأقرنى على الأقطاب حتى سرى أمدى بهم فى كل شان
وأطلعنى على سر خفى وقال السر من سر المعانى
فهام أولو الثهى من بعد سكرى وغابوا فى الشهود عن المكان
مريدى ! لا تخف واشطح بمسرى فقد أذن الحبيب بما حيانى

ويحكى ابن قضيبة البان بعضاً من هذه الأسرار للمعاني التى حياه به الله تعالى فى كتابه **المواقف الإلهية**، وهى ٢٨ موقفاً، منها موقف نفس الرحمن، والبرازخ العرشية، والغيب والشهادة، والإيمان بالغيب، والإسراء، ومقام العلى، ومقام الولي، ومقام الخلافة، ومقام المحبة، وموقف العلم، وموقف السكر، والأنانية، والقطبية، والفناء، والغوثية، والحقيقة المحمدية، وسفر السالكين وغير ذلك. ويقول فى تعريف السلوك إنه الخلاص من الفيود وإزالة التعينات وشهود أزل العين. وهو الدخول فى المقامات الشهودية والمنازل الوجودية والحضور فى المراتب الغيبية والدرجات الكشفية. ويتحدث عن الإنسان الكامل فيقول إنه الوجه لكل وجه والجامع لأحكام الوجوب والإمكان ومجمع البحرين أى الظهور والبطون. ويقول عن العارف إنه الذى يكمل الأعمال بالعلم، والأحوال بالسر، والأفعال بالأدب. وجمع العارف سقوط تفرقه ومحو إشارته، ووصوله استغراق أوصافه وتلاشى نعوته، وتغيرته أن لا يعرف ولا يُعرف. والإخلاص هو أن يغيب عن السالك جميع الخلق فى شهود حقه.

قَلَنْدَرِيَّة

إحدى فرق الملامتية ، واللامتى كما يقول السهروردي حاله شريف ومقامه عزيز، فهو متمسك بالسنن والآثار، ومتحفظ بالإخلاص والصدق، وليس مما برعم المنتون بشيء. وأما القلندرى فهو إشارة إلى أقوام ملكهم سُكْر طيبة قلوبهم حتى خربوا العادات وطرحوا التقيد بآداب المجالس والمحادثات، وساحوا في ميادين طيبة قلوبهم، فقلبت أعمالهم إلا من الفرائض، ولم بالوا بتناول شيء من لذات الدنيا من كل ما كان مباحاً برخصة الشرع، وربما اقتصروا على رعاية الرخصة، ولم يطلبوا حقائق العزيمة، ومع ذلك هم متمسكون بترك الادخار والجمع والاستكثار، ولا يترسمون بمراسم المتقشفين والمتزهدين والمتعبدين، وقنعوا بطيبة قلوبهم مع الله تعالى، واقتصروا على ذلك ولا يتطلعون إلى المزيد سوى ما هم عليه من طيبة القلب. والفرق بين الملامتى والقلندرى، أن الملامتى يعمل في كتم العبادات، والقلندرى يعمل في تخريب العادات. واللامتى يتمسك بكل أبواب البر والخير ويرى الفضل فيه، ولكنه يخفى الأعمال والأحوال، ويوقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه وحركاته وأموره، وسترأ للحال لئلا يُفطن له، وهو مع ذلك متطلع إلى طلب المزيد. والقلندرى لا يتقيد بهيئة ولا يبالى بما يُعرف من حاله وما لا يعرف، ولا بتعطف إلا على طيبة القلوب وهى رأسماله. وأما الصوفى فالشأن معه مختلف، لأنه يضع الأشياء في مواضعها ويدبر الأوقات والأحوال كلها بالعلم، ويقم الخلق مقامه، ويقم أمر الحق مقامهم، ويستمر ما ينبغي أن يستمر، ويظهر ما ينبغي أن يظهر، ويأتى بالأمر في موضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق وإخلاص.

ومن قواعد القلندرية فى هدم العادات خلق شعر الرأس والحاجبين واللحية والشارب، ويروى المقرئى أن سلطان مصر حسن بن محمد بن قلاوون أمر سنة ٧٦١هـ بالآل يخلق القلندرية لحاهم وأن يتركوا هذه البدعة والتزى بزى الأعاجم والمجوس، ويبدو أنه كان لهم لباس خاص وكانوا يسمونهم بالجولقية لأنهم يلبسون الجوالق. ويحكى جلال الدين الرومى فى حكاية البقال والبيغاء أن جولفيا مر وكان حليق شعر الرأس، وكذلك كان لحافظ الشيرازى انسجماً خاصاً مع هذه الفرقة.

ويذكر محمد بن بهاء الزركشى صاحب رسالة «زهر العرش فى الكلام عن

الحشيش» أن أول من اكتشف الحشيش هو أحمد القلندرى ولذلك سميت الحشيشة بالقلندرية .

القنائى (عبد الرحيم)

أبو محمد عبد الرحيم بن أحمد حجون (٥٢١ - ٥٩٢ هـ) شيخ قنا من صعيد مصر ، جمع بين علمى الشريعة والحقيقة ، مغربى من ترغائى من أعمال سبتا ، مات أبوه وهو صغير فكفله أخواله فى الشام وبها تعلم ، وجاور مدة تسع سنوات بمكة ، وفى الحج العاشر التقى بالشيخ مجد الدين القشبرى من قوص فأقنعه بمصاحبته إلى مصر ، وزوجه ابنته ، وأقام بقنا يعظ ويتاجر ، وتقوم طريقته على أن الإسلام دين وعمل وأخلاق فمن ترك واحدة فقد ضل الطريق . والتصوف ليس هو القعود عن العمل ، وليس فعل الأعمال المنكرة والمبتدعة فى الدين ، فذكر الله يجب أن يفعله عاقل بإدراك ، فإن لم يجده سقط عنه حق العبادة وأصبح مجوناً ، وأما إذا كان نفاقاً فهو مطالب بالإقلاع عن البدعة حتى يثوب ويرجع إلى ربه . والتصوف ليس ركناً من أركان الإسلام ولكنه ركن من أركان الأخلاق ، والأخلاق الحسة من دأبها الخس على الكمال وإتيان الحسن من الأفعال ، والقرآن كله كمال ، واتباع الدين وسيرة الرسول هو ذات الكمال ، والأخلاق تنبع من امتزاج العلم الظاهر والباطن ، والعمل المنتج يغسل النفس الأمانة من أدرانها ويتحصل به العقل على إدراك الأمور إدراكاً صحيحاً ، وتتكون به المعارف السليمة ، فينصلح حال الإنسان ويتجه ب كله إلى الله وإلى كلام الرسول ، وهذه تسمى الأخلاق الزاكية ، وهى أعلى درجات الكمال ، وبها اتصف الرسول ﷺ فقال فيه الله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم . ونظريته فى الأخلاق جديدة كما نرى لأنه لا يجعل العمل المنتج تابعاً للأخلاق ، ولكنه يلحق به الأخلاق ، فالأصل أن تحسن الأعمال وتعناد ذلك فتحسن به أخلاقك وتزكو . والعلم مصدره الأحاسيس التى تصل بين العقل والإرادة ويقوم عليها الإنتاج الفكرى سواء كان جديداً فى بابيه وبيانه أو أنه قديم صادر عن الذاكرة مخزن الأسرار . والعلم علم الواقع والعلم الطبيعى ، والأول حسى ظاهرى ، والثانى تحوطه المعرفة وهى ما يتبصره الإنسان وينظر بها ظاهراً الأشياء وأسبابها الحقيقية . ويرتبط العلم الطبيعى بالدين ، وهو الذى يجز صاحبه إلى البحث والتنقيب وراء خالق الكون ، ويدفعه إلى التعمق إلى ما وراء ذلك من أمور تتصل بكلام الله وأقوال الرسل ، وأن يخلص نفسه جسماً وروحاً للارتقاء

والسير فى الطريق مجاهداً بنفسه ليلبغ المرتبة العليا من هذا العلم أو أسمى حقائق الدين، وبه أخذ التصوف، بل هو التصوف نفسه. والعلم أصل العقائد الدينية. وكان الشيخ يدعو كل من يحضر مجالس علمه أن تكون له حرفة والمزيد من العمل إلى جانب العلم، لأنه ضرورة، فبالإضافة إلى أنه سبب للرزق وسد الحاجات فهو استغلال للطاقة من أجل الخير والناس والحياة التى خلقها الله لنا، وتظهر به نعمة العقل. وكان يقول إن النبى ﷺ تصوف قبل الرسالة بغار حراء فانقطع عن الدنيا إلا ما يقيم صلبه، ولم يبتعه هذا من أن يعمل قبل الرسالة وبعدها عمل أهل الأرض. ودعوته للعمل كأصل من أصول التصوف دعوة جديدة تناسب العصر وترفع التصادم التفلدى بين التصوف والاجتماع. وهو يقول إن العمل أصل نجاح العباد وعمران البلاد، ولا مصيبة أشد من أن يتمتع الفرد بكل مطالبه وتصل إليه جميع حاجاته بدون كد أو تعب. والأمة التى ليس من بين شعبها ميل إلى العمل والكد والكبح يجب حذفها من بين الأمم، ووجب عزلها لأنها أمة مريضة. ولا يخاطب القنائى الناس إلا بيا أمة محمد لتعميق مفهومهم بالجماعة وبما يمكن أن تختص به ويكون سمة عليها، ويصل فى نظريته عن العمل إلى ربط عمل الدنيا بالآخرة، ويقول: إنه يجب أن يفهم الجميع أن الأعمال كلها تؤدى إلى أعمال الآخرة وثوابها مادام العمل فيها يرضى الله، فليست الصلاة والصيام والعبادات هى وحدها التى نسميها أعمال الآخرة وعليها الجزاء والمحاسبة، ولكن رجلاً يقوم بماله وقدراته ليقم مصنعاً يستوعب مئات من الراغبين فى العمل ثم ينقدهم أجرهم فهذا عمل يؤدى حتماً إلى الجزاء الحسن فى الآخرة، وهو عمل من أعمال الآخرة، ومن لم يتعلم صناعة ولا عملاً فهو حقير، والإمام عمر يقول: إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول أله حرفة فإن قالوا لا سقط من عيني.

وللشيخ عبد الرحيم تفسير للقرآن، ورسالة فى الزواج وأحزاب وأوردة وكتاب الأصفياء ومأثورات، وله كلام كثير فى التوحيد، وكان كلما سمع المؤذن يقول أشهد أن لا إله إلا الله يقول شهدنا بما شاهدنا وويل لمن يكذب على الله تعالى. وكان يقول الهيبة فى القلب لعظمة الله تعالى هى طمس أبصار البصائر عن مشاهدته بمن سواه حساً فلا يرى إلا بأنوار الجلال، ولا يسمع إلا بسواطع الجمال. وكان يقول الرضا سكون القلب تحت مجارى الأقدار، بنفى التفرقة حالاً، وعلم التوحيد جمعاً، فيشهد القدرة بالقادر، والأمر بالأمر، وذلك يلزمه فى كل حال من الأحوال. ويقول يتمكن هو شهود العلم كشفاً، ورجوع الأحوال إليه قهراً، والتصرف بالقادح حكماً،

وكمال الأمر شرعاً. ويقول التجريد نسيان الزمنين حكماً، والذهول عن الكونين حالاً، وغمض البصر عن الأين وقتاً، حتى تنقلب الأكنون باطناً لظاهر، ومتحركاً لساكن، فيسكن القلب بتمكين القدر على قطع الحكم، والابتهاج بمنفسحات الموارد، وانسراح الصدور بصور الأكنون، مع ثبوت المقام بعد التلوين ورسوخ التمكين، فتكون السماء له رداء والأرض له بساطاً. ويقول قطع العلائق بقطع بحر الفقد، وظهور مقام العبد بعدم الالتفات إلى سوى وثقة القلب بترتيب القدر السابق. ويقول الموحّد من عرف الواحد فاستراح واعتمد في كل الأحوال عليه. ولما توفى القنائي قيل إن أكثر من عشرة آلاف كانوا يسرون في جنازته، ودفنوه في مكان إقامته ومحل درسه وهو الذي به مزاره الآن في مدينة قنا.

القونوى

صدر الدين محمد بن إسحق، نسبته إلى قونية من تركيا، وفيها ولد وتوفى سنة ٦٧٢هـ، وكان من كبار تلاميذ محي الدين بن عربي، وتزوج ابن عربي أمه ورباه، ومصنفاته في التصوف كثيرة وكلها مخطوطات ماعدا إعجاز البيان في تأويل القرآن، وفيه يتصدى بالشرح لفاتحة الكتاب تفسيراً صوفياً يهّج فيه منهج استاذه. وله «النصوص في تحقيق الطور الخصوص»، و«اللمعة النورانية في مشكلات الشجرة النعمانية لابن عربي، ومفتاح الغيب، والنفحات الإلهية القدسية، ولطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام. يقول في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم أن التسمية تنبيه للغير أو ترهيب منه، فتى نبه الشخص شعر فرغب وسعى وطلب ليغنى أو أنقى وحذر ليسلم واختصاصه بهذه الحروف دون غيرها لسريعرفه من يعرف أسرار الحروف، وما غاب من حروف هذا الاسم في التلفظ والكتابة فإشارة إلى ما بطن من المسمى به وما لا يقبل التعين منه في عالم الشهادة والغيب المقابل له. وأما الرحمن الرحيم فهو في ذوق هذا المقام المتكلم فيه اسم مركب فلا يخلو كل منها عما تضمنه الآخر، فبعموم الحكم الرحمانى الذى هو الوجود ظهر التخصيص العلمى تم الإرادى المنسوب إلى الرحيم، فيه تعينت الحصص الغيبية صوراً وجودية، كما أن بالرحيم ظهر الوجود الواحد متعدداً بالموجودات العينية. ويقول في تكرار الرحمن الرحيم أن ذلك ليس ترديداً لما فى البسملة بل للواحد تخصيص حكم التعميم، وللآخر تعميم حكم التخصيص، ومتعلق أحدهما الحكم الدائم مقتضى حكم معنى الأمر باطناً مطلقاً،

وللآخر الحكم المقدر المشروط ناهراً وباطن . وسر ذلك وتفصيله أن الرحمة رحمتان ، رحمة ذاتية مطلقة امتتانية هى التى وسعت كل شىء ، ومن حكمها السادى فى الذوات رحمة الشىء بنفسه ، وفيها يقع من كل رحيم بنفسه بالإحسان أو الإساءة بصور الانتقام والقهر، فإن كل ذلك من المحسن والمنتقم رحمة بنفسه . ومن حيث هذه الرحمة وصف الحق نفسخ بالحب وشدة الشوق إلى لقاء أحبابه ، وهذه المحبة بهذه الرحمة لاسبب لها ولا موجب ، وليست فى مقابلة شىء من الصفات والأفعال وغيرها ، وإليها أشارت رابعة العدوية :

أحبك حبين حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى فذكرك فى السرحتى أراكا
وأما الذى أنت أهل له فشغلى بذكرك عمن سواكا
فلا الحمد فى ذا وذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

فحب الهوى لمناسبة ذاتية غير معللة بشىء غير الذات . وأما حب لأنك أهل لذاكا فسببه الثمر له هو العلم بالإلهية . والرحمة الأخرى هى الرحمة الفائضة عن الرحمة الذاتية والمنفصلة عنها بالقيود التى من جللتها قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة ، فهى مقيدة موجبة بشروط من أعمال وأحوال وغيرها .

■ ■ ■ إِنَّ قِيَمَ الْجَوَازِيَةِ

أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعَى الدمشقى ، تلميذ ابن تيمية ، وولادته ووفاته بدمشق (٦٩١ - ٧٥١هـ) ، وله التصانيف والتأليف فى علوم الشريعة والحقيقة ، ومنها كتابه «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» الذى شرح فيه كتاب منازل السائرین للهروى الأنصارى . وكتابته فى التصوف بنفس العناية التى لكتابته فى الفقه والحديث والتفسير ، وقد اقتنى من كتبه مالا يتهاى لغيره ، وكان به ميل لطريق العارفين والسالكين إلى الله ، واستغرقته حياته الروحية وتعبه وانكبابه على كتب القوم يلخصها فى كتابيه «مدارج السالكين» و«طريق المهجرتين» وغيرها ، ونظريته فى المحبة الإلهية من النظريات الصوفية التى تتخلل أغلب مصنفاته ، وطريق الصوفى يبدأ من تحديد المطلوب المحبوب ، فالله سبحانه هو المطلوب المحبوب وحده ، ولكنه ينتقد

صوفية وحدة الوجود، ومصدر الخطأ عندهم هو التأويل والإسراف فيه، فقد ثقلت عليهم النصوص فكرهوها، وأعيأهم حلها فألقوها عن أكتافهم، وتفلتت منهم السنن أن يحفظوها فأهملوها، ولقد باعها ابن عربي بمحصل من الكلام الباطل. ويفسر قوله تعالى قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، بأنهم أرباب الأعمال التي لغير الله وليست على سنة رسوله، وهم المتصوفة المتعبدون بأذواقهم ومواجيدهم. وفي مقدمة كتابه مدارج السالكين يشرح قوله تعالى: والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، فيقول إن الدلالة واضحة على أن كل أحد خاسر إلا من كملت قوته العلمية بالإيمان، وقوته العملية بالعمل الصالح، وكمل غيره بالتوصيو بالحق والصبر عليه، ومعنى ذلك أن الإيمان يقتضى العمل، ومدار ذلك القرآن بتفهيمه وتدبره، فالحقيقة والطريقة والأذواق والمواجيد كلها لا تقتبس إلا من مشكاته، ولا تستثمر إلا من شجرته، وكل علم أو عمل أو حقيقة أو حال أو مقام خرج من مشكاة النبوة فهو من الصراط المستقيم. والإيمان عند ابن القيم بالمصطلح الصوفى ظاهره قول اللسان وعمل الجوارح، وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبه، وأصل هذا التقسيم للظاهر والباطن أن الإنسان خلق من الأرض ولكن روحه من ملكوت السماء، والمؤمن هو المستكفى بالغذاء الإيماني عن الغذاء الحيواني، وهو لذلك يعكف على الله، والجمعية عليه، وحفظ الخواطر والإرادات معه، من تصحيح المحبة والخوف والرجاء والتوكل والإنابة. وخير المتصوفة عنده هم الأوائل لأنهم حائثون على اقتباس الحكمة والمعرفة وطهارة القلوب وزكاة النفوس وتصحيح المعاملة، وكلامهم وإن كان قليلاً إلا أن البركة فيه، بينما كلام متأخري الصوفية كثير وبركته قليلة، وهو لذلك يستشهد بأقوال المتقدمين من الصوفية كالجنييد عندما يقول مذهبا مقيد بالكتاب والسنة، فن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فى طريقنا. وينتقد المحدثين بشدة لأنهم ظنوا أن المتمسك بالكتاب والسنة صاحب ظواهر، وأن المتقدمين لنصوصها جهال منقوصون، ويتعجب من موقفهم ويقول: أفيظن المعرض عن كتاب ربه وسنة رسوله أن ينجو من ربه بالإشارات والشطحات وأنواع الخيال؟ والاتحادى والحلولى والإباحى الشطاح والسماعى يجاهر بالقحة والفرية ويقول حدثنى قلبى عن ربى، ويستشهد بقول الدرارنى الذى رأى فى المنام فسأله عما فعل الله به فأجاب: غفر لى، وما كان شىء أضر على من إشارات القوم. ويخطئ أصحاب دعوى إسقاط التكاليف لأنهم لم يفهموا معنى اليقين فى الآية واعبد ربك حتى

يأتيك اليقين، وفي الآية وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين، فاليقين بالإجماع هو الموت عند أهل التفسير، فن يزعم أنه يصل إلى مقام يسقط عنه فيه التعبد فهو زنديق كافر بالله وبرسوله. وينتقد ابن القيم دعاوى أهل المجاهدات والجور على أنفسهم بترك الزواج والطيبات التي أباحها الله من المطاعم والملابس، وكذلك من تعبدوا بالعبادات البدعية التي ظنوا أنها تجلب الحال والكشف، ودعوى الفصل بين الشريعة والحقيقة، وقال إن كل إسلام ظاهر لا ينفذ منه صاحبه إلى حقيقة الإيمان الباطنة فليس بنافع حتى يكون معه شيء من الإيمان الباطن، وكل حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة لا تنفع ولو كانت ما كانت. وينى على الهروى قوله بمقام الفناء وبالجب، ويعرف التصوف بأنه تزكية النفس وتهذيبها لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى ومعية من تحبه، فإن المرء مع من أحب، ودرجات ذلك ثلاث: هى تحسين الخلق مع الخلق، وتحسينها مع الله، والدرجة الثالثة هى الفناء، ولكنه الفناء على قاعدته وأصوله، أى الإقبال بالكلية على الله تعالى والاشتغال به وحده عما سواه، وفي هذا المقام تتحقق نظرية المحبة فى أكمل صورها، وهى المحبة لله ذاته، وترادف الرغبة فى تحقيق مرادات الله فيكون المحب أصدق ما يكون عندما يصرح أريد أن أنفذ أوامر ربي.

والمؤمن عبر حياته يكون مسافراً إلى الله، ومنازل أو مدارج هذا السير هى المقامات والأحوال، وهى عند ابن القيم يسميها منازل العبودية، والأحوال عنده واردات ومنازلات تصبح مقامات إذا تمكنت وثبتت. وأول المنازل هو اليقظة ثم تكون الفكرة، ثم البصيرة، ثم القصد فيأخذ العبد مع صدق الإرادة إلى إعداد العدة للهجرة إلى الله وقطع العلائق المانعة له. وآخر المنازل هو العزم وهو القصد الجازم المتصل بالفعل، ويحتاج فيه السالك إلى المحاسبة وتأتى بعدها التوبة. ويورد ابن القيم الكثير من مصطلحات الهروى، ومن ذلك الكشف، والكشف الصحيح عنده هو المطابق لمراد الرب الدينى من عبده. ويرى أن المشاهدة من أوهام الصوفية، وغاية ما يصل إليه العبد هى الشواهد، وهى ما يغلب على القلوب الصادقة العارفة الصافية من ذكره ومحبه وإجلاله وتعظيمه وتوقيره بحيث يكون ذلك حاضراً فيها، مشهوداً لها، غير غائب عنها.



كبرى (نجم الدين)

أبو الجناح أحمد بن عمر الخيوقى نسبة إلى مدينة خيوه أو خوارزم ، ويعرف باسم الشيخ نجم الدين كبرى صاحب الطريقة الكبرى فى التصوف ، وقيل إن كبرى اختصار لعبارة الطامة الكبرى وهو اللقب الذى أضفوه عليه بالنظر إلى مهارته فى الجدل ، فكان كأنه المصيبة تحل بالمناظر، ويلقب أيضاً بلقب ولى تراش أى ناحت الأولياء، لأنهم كانوا يعتقدون أنه إذا نظر إلى شخص وهو فى حالة الوجد والانجذاب فإن هذا الشخص ينجذب ويصيبه اللطف ويصبح من الأولياء المجذوبين. ولقبوه أيضاً «أبو الجناح» وذلك كما قيل أنه رأى النبى ﷺ فى المنام، فناداه به ، بمعنى المتجنب للدنيا وما فيها. واستشهد نجم الدين فى غارة للمغول على خوارزم سنة ٦١٨هـ، ويذكر جامى فى نفحات الأنس أن جنكيز خاں لما سمع بأمر هذا الولي أرسل إليه ليترك البلد، ولكنه رفض ودعا للجهاد، وتمنطق وحمل الحجارة وحربة، والتقى الكفار ولكنهم رموه بالسهم، وقيل إنه قمض على خصلة من شعر كافر ومات عليها ولم يستطيعوا تخليص الكافر من يده إلا بقطع الخصلة. وإلى هذه الواقعة يشير الشاعر الصوفى جلال الدين الرومى ، وقد انتسب للكبروية، أو طريقة نجم الدين كبرى — يقول: نحن قوم نشرب نحر الإمام الصافية بإحدى اليدين، ونمسك بصفيرة الكافر بثانية الكفين! ومن تلاميذه مجده الدين البغدادى وسعد الدين الحموى وكمال الجندى ورضى الدين على لالا وجمال الدين الجيلانى وبهاء الدين ولد والد مولانا جلال الدين الرومى. ومن مؤلفات الشيخ رسالة «أقرب الطرق إلى

الله» من صحيفتين أو ثلاث، وموضوعها قول الصوفية المعروف «الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق»، ورسالة «صفة الآداب» عما ينبغي أن يتحلى به المريد، و«فوائح الجمال وفوائح الجلال» وتفسير للقرآن فى ١٢ مجلداً على طريقة الصوفية وتحدث عنه جلال الدين الرومى وكان تلميذاً لتلميذه مجد الدين البغدادى، وقد ظل مجد الدين يأخذ عنه إلى أن دخل فى روعه أنه قد تفوق على شيخه فقال: كنا بيضا على ساحل البحر، فضمننا الشيخ نجم الدين تحت جناحيه، ومازال يحمينا حتى أفرخنا، فلما صرنا بطيطات قفزنا إلى البحر، وبقي الشيخ على الشاطئ، فدعا عليه الشيخ أن يموت فى البحر الذى قفز إليه بالغرق، وقد كان، فيذكر جامى أن ملك خوارزم سَكَرَ فأمر بإغراقه!! وقيل إن نجم الدين لما سمع بذلك دعا على الملك، وقد حاول الملك أن يسترضيه، فقال له على العكس فذلك مكتوب ولا مهرب منه، ستموت وسأموت معك، ومعنا خلق كثير. ويقول جامى إن وفاة تلميذه مجد الدين كانت سنة ٦١٦هـ، وكانت له مكاتيب فى أصول التصوف وآداب المريدين ومراتب السير والسلوك وأحوال السالك ومقاماته، ورسالة أخرى بعنوان رسالة سفر، أى السفر من العالم الترابى إلى عالم الملكوت، ورسالة فى «علم السلوك».

الكلاباذى

أبو بكر محمد بن إسحق الحنفى البخارى الكلاباذى، أطلقوا عليه تاج الإسلام لعلمه وفضله، فقد كان موسوعة، وكان من علماء الصوفية، وله كتاب التعرف إلى أهل التصوف، جمع فيه مذاهبهم وأحوالهم، وعرف بطريقتهم وتسميتهم ومعتقداتهم، حتى قيل إن كتابه صورة للتصوف فى زمنه، وهو القرن الرابع الهجرى، فقد توفى الكلاباذى سنة ٣٨٠هـ، ولم يكتب ما كتب عن التصوف إلا بعد أن عاشر الصوفية، واستمع إلى أعلامهم، وحفظ عنهم، وكتابته كتابة العارف المتحقق مما يكتب، ولذلك فقد قالوا فى كتابه لولا «التعرف» لما عُرف التصوف، وهو قول بليغ يعكس أهمية الكتاب وفوائده والغاية منه، فقد استهدف به أن يخرص المتخرصين والمتقوّلين على الصوفية، ويبين حقيقة مذهبوا إليه فى التوحيد والعبادة، والمعانى التى تنصرف إليها أقوالهم، والمقاصد من عباراتهم وإشاراتهم، ولطائف أقوالهم أو لطائف الله تعالى معهم. وكان الكلاباذى عالماً أصولياً، ومن مؤلفاته: الأربعين فى الحديث، والإشعاع والأوتار، وآمالى فى الحديث، وبحر الفوائد المشهور بمعانى الأخبار وغير ذلك.

ومن أقواله فى كتابه التعرف أن اسم الصوفية لم ينتحله القوم لأنفسهم ، ولكنه ألصق بهم للبسهم الصوف ربما ، أو لتشبههم بأهل الصفة ربما ، أو لصفاء سريرتهم ربما ، ويورد أسماء أخرى لهم شاعت عنهم ، فهم الغرباء لتغريبهم ، والسياحيون لكثرة أسفارهم ، والشكفتية لأنهم يسكنون الشكفت أى الكهوف والمغاور ، والجوعية لأنهم ينالون من الطعام بقدر ما يقيم الصلب ، والفقراء لتخليهم عن الأملاك ، والنورية لتنزل الأنوار عليهم ، ولأن قلوبهم منورة بنور الله تعالى . وتجتمع الصوفية على أقوال فى الله تعالى كانوا فيها السابقين ، فالله ليس بجسم ، ولا شبح ، ولا صورة ، ولا شخص ، ولا جوهر ، ولا عرض ، ولا اجتماع له ولا افتراق ، ولا يتحرك ، ولا يسكن ، ولا ينقص ولا يزداد ، وليس بذى أبعاد ولا أجزاء ، ولا تأخذ السنوات ، ولا تداوله الأوقات ، وصفاته على الحقيقة ، من العلم والقدرة والقوة والعزة والحلم والحكمة والكبرياء والجبروت والقدم والحياة والإرادة والمشيئة والكلام . وهو خالق لأفعال العباد كلها ولأعيانهم ، وبقضاء الله وقدره ، وإرادته ومشئته يفعلون ، ولولا ذلك لم يكونوا عبيداً ولا مربيين ولا مخلوقين ؛ وأجمعوا أنهم لا يتنفسون نفساً ، ولا يطرفون طرفه ، ولا يتحركون حركة إلا بقوة يحدثها الله تعالى فيهم ، واستطاعة يخلقها لهم مع أفعالهم ، ولا يوحده الفعل إلا بها . وأجمعوا على أن لهم أفعالاً واكتساباً على الحقيقة ، هم بها مثابون ، وعليها معاقبون . وأجمعوا على أن الدليل على الله هو الله وحده ، وقالوا المعرفة معرفتان ، معرفة تعرف ، ومعرفة تعريف ، ومعنى التعرف أن يعرفهم الله نفسه والأشياء به ، والتعريف أن يريهم آثار قدرته فى الآفاق وفى أنفسهم . وأجمعوا على إثبات كرامات الأولياء ، وقالوا المعجزات للأنبياء ، والكرامات تجرى على الأولياء من حيث لا يعلمون ، والأنبياء بالمعجزات عالمون . وقالوا فى حقائق الإيمان أنها أربعة : توحيد بلا حد ، وذكر بلا بت ، وحال بلا نعت ، ووجد بلا وقت . ومعنى حال بلا نعت أن يكون وصفه حاله ، ووجد بلا وقت أن يكون مشاهداً للحق فى كل وقت . ويأخذ الصوفية بالأحوط والأوثق فيما اختلف فيه الفقهاء . وأجمعوا على إباحة المكاسب من الحرف والتجارات والحرف ، وسبيلها الأعمال المقربة إلى الله عز وجل . وعلوم الصوفية علوم أحوال ، والأحوال موارث الأعمال ، ولا يرث الأحوال إلا من صحح الأعمال . والتصوف أركانه عشرة ، أولها تجريد التوحيد ، ثم فهم السماع ، وحسن العشرة ، وإيثار الإيثار ، وترك الاختيار ، وسرعة الوجد ، والكشف عن الخواطر ، وكثرة الأسفار ، وترك الاكتساب ، وتحريم الادخار . وكشفوا عن الخواطر ، وتكلموا فى التوبة ، والزهد ، والصبر ، والفقر ، والتواضع ، والخوف ، والتفوى ، والإخلاص ،

والشكر، والتوكل، والرضا، واليقين، والذكر، والأنس، والقرب، والاتصال،
والحبة، والتجريد، والتفريد، والوجد، والغلبة، والسُّكْر، والشهود، والغيبة، والجمع،
والتفرقة، والتجلى، والاستتار، والفناء، والبقاء. وكلامهم فيه أَلغاز يحتاج للشرح
والتفسير، وهو لغتهم التى بها مخاطبتهم. وهم درجات، فهناك المراد، والمراد،
والعارف. والمريد هو الذى لا يريد إلا بإرادة الله، والمراد هو الذى يجذبه الحق جذبة
قوية فيكشف بالأحوال، والعارف أعرف الخلق بالله وأشدّهم تحيراً فيه. وأول
مقامات المعرفة أن يعطى العبد اليقين فى سره لتسكن به جوارحه، والتوكل فى
جوارحه لتسلم به دنياه، والحياة فى قلبه ليفوز بها فى عقباه.

الْكُمُشْخَانَوَى

ضياء الدين أحمد بن مصطفى بن عبدالرحمن الكمشخاوى النقشبندى المجددى
الخالدى (١٢٢٧ - ١٣١١ هـ) ونسبه لمكشخانة من تركيا، وقد وفد إلى مصر وافتتح
بها مطبعة، وله التصانيف التى منها راموز الأحاديث ولوامع العقول ونجاة الغافلين
والأحزاب وجامع الأصول، ولعل أهمها هو الكتاب الأخير واسمه جامع الأصول،
ولعل أهمها هو الكتاب الأخير واسمه جامع أصول الأولياء، وهو من المراجع الهامة
فى التصوف، قيل فيه إنه رسالة جامعة لأصول الطريقة العلية المحمدية، ومجموعة شاملة
لآداب الصوفية الصديقية المفيدة لكل طالب السلوك إلى طريقة الله والراغب إلى
معرفته تعالى، ويذكر الكمشخاوى فى أسباب تأليفه لهذه الموسوعة الصوفية أنه قد رأى
الناس ضيعوا الطريق فأراد أن يجمع نبذة من أصولها وأوصافها والأولياء وأنواعهم
واصطلاحهم وأطوارهم وبعض أسرارهم وآدابهم ومسلكتهم وشروطهم إجمالاً. وهو يرصد
المراجع للطرق الكبرى فالقادية مثلاً مراجعها فى بهجة الأسرار والفنية وقلائد الجواهر
وفتوحات الغيب وفتوحات القدس والمناقب، والشاذلية فى المفاخر العلية والكواكب
الزاهرة والمناقب والواردات، والرفاعية فى بهجة الرفاعى والوصايا والمناقب، والأحمدية
فى بهجة البدوى وشرح متن الغاية والوصايا، والدسوقية فى الوصايا والمناقب،
والأكبرية فى الفتوحات المكية والحلية والتدبيرات وحوض الحياة والمناقب والفصوص،
والموية فى المثنوى والمناقب وفيه ما فيه والسواقب، والكبروية فى فقرات نجم الدين
والتأويلات والمناقب، والسهروردية فى العوارف وتعرف علم التصوف، والجلوتية فى
معيار العلوم وشرحه لعمر الفؤادى وترجمة الحال والمناقب، والجلوتية فى خطاب الحقى

ومجالس أربعين والمسألة والمناقب، والبكناشية فى خطاب البيان والجاودان والمناقب، والغزالية فى الإحياء والحجة والمناقب، والسعدية والحشتية والشعبانية والكلشنية والحمزوية والبيرامية والعشاقية والبكرية والعمرية والعثمانية والعلوية والعباسية والزينية والعيسوية المغربية والبحورية والحدادية والغيبية والخضرية والشطارية والبيومية والملامية والغيدروسية والمبتولية والسنبلية والأويسية وغيرها مذكورة فى كواكب الدرية ونفحات الأنس وتذكرة الأولياء والقاشانى وطبقات الشعرانى والنفحات القدسية ومنقبة الأولياء وطبقات القاضى زكريا ورسالة القشير اى طبقات المشايخ ومقامات العارفين وكتاب المنجلى ولطائف الأعلام واصطلاحات الصوفية وشمس البونى والمناهج وكشف الواردات ودرة الموحدين وحقائق الدقائق وأسرار السرور ومحاضرة الأبرار والتجليات الإلهية والوصايا القدسية وكتاب الإسراء والتمهيد ومفتاح الغيب ومصباح الأنس والإنسان الكامل ومنازل السائرين ومدارج السالكين وكشف الحقائق وحدائق وخالصة الحقائق والميزان للشعرانى والتمييز ومرآة الأصغياء والوصايا الإلهية وكشف الأسرار الأثرية وحاوى الأرواح ومقامات بدر الدين وروضة الواصلين وزبدة الحقائق. ولا تخفى قيمة هذا الرصد الذى يورده الكشخانوى فهو جامع للمراجع الكبرى فى التصوف، وبعض الكتب التى يوردها لم يصل إليها علمنا. ويظهر المؤلف بمظهر الناقد المميز لخصوصية كل ولى والمنبه لها، ويقتبس الكثير من الشاذلى ويقول ذلك صراحة من مثل وقال الشاذلى، ويترجم له ويذكر سلسلته وأسباب تسميته بالشاذلى وطريقته ويقارن بينها وبين النقشبندية، ويدافع عن التصوف عموماً ضد من يسميهم بالمتفقهين المتعصبين والسفهاء لا الفقهاء فإنهم قد قصرُوا مرادهم على أن يعرفوا بين الناس بالعلم والفقه والرياسة لأغراض شيطانية وشهوات نفسانية بفتشون بمقتاها عن عيوب الناس ويفشونها لأنهم لا يرتفعون إلا بإنكار المناكر خصوصاً على الكامل الخاشع والعابد الذاكر. وأما الفقهاء أصحاب القدم الراسخ فى العلوم فإنهم من شدة شفتهم على عباد الله لا يكادون يجدون فى الناس منكراً أصلاً من كمال اشتغالهم بعيوب أنفسهم عن عيوب الناس، ومن هؤلاء شيخ الإسلام الحزومى الذى يقول لا يجوز لأحد من العلماء الإنكار على الصوفية إلا أن يكون قد سلك طريقهم ورأى أن أفعالهم وأقوالهم مخالفة للكتاب والسنة والإجماع والسلف، وأما بالإشاعة والظن والخبر الكذب والبهتان فلا يجوز الإنكار عليهم ولا سبهم، وبالجمله فأقل ما يجب على المنكر حتى يسوغ له الإنكار على أقوالهم وأفعالهم أن يعرف سبعين أمراً ثم يسوغ له الإنكار، منها غوصة فى معرفة معجزات الرسل وكرامات الأولياء واطلاعه على التفسير سلفاً وخلفاً والأحاديث

ومنازع الأئمة والمجاهدين وأسرار الكتاب والسنة والتأويل وشرائطه واللغة والمجازات والاستعارات ومقالات السلف والخلف فى معنى آيات الصفات وأخبارها واصطلاح القوم فيما غيروا عنه من التجلى الذاتى والصورى والذات وذوات الذوات وحضرة الأسماء والصفات والفرق بين الحضرات والأحادية والواحدية والظهور والبطون والأزل والأبد وعالم الغيب والكون والشهادة والشئون والماهية واليهودية والسكر والمحبة والشطح وتأويله بما هو مصطلح عليه بينهم . والكتاب فى جملة عظيم الشأن وكثير الفائدة وأسلوبه سهل ويقصد فيه إلى المعنى الذى يريده بإيجاز واقتدار.

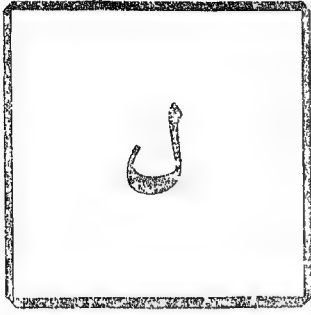


الكوفى (أبو هاشم)

قيل فيه إنه أول من تسمى باسم الصوفى من أهل الكوفة ، ووصفوه فقالوا إنه كان يلبس كتياب الرهبان الضافية من الصوف . وهناك رأى مخالف يقول إن الكوفة كانت تشتهر بصناعة الصوف ، وأن اسم الصوفى لذلك كان مساوياً لاسم الكوفى ، ولهذا قيل فى أبى هاشم أنه أبو هاشم عثمان بن شريك الكوفى الصوفى . ويبدو أنه توفى نحو سنة ١٥٠ هـ ، وأنه عاصر لذلك سفيان الثورى ، وهو الذى قال فيه فى زعم البعض « لولا أبو هاشم ما عرفت دقائق الرباء » يعنى أنه كان أول من خاض فى الكلام عن الرباء وفضل لنا دقائفه ، أى أنه كان ضد الرباء ، فإن كان كذلك فكيف انفرد بلبس الصوف ليعرف هذا عنه ؟ ومع ذلك فالأقوال متضاربة فيه ، وهناك من يقول إنه كان من شيوخ النفاق ، جبرياً فى الظاهر ، وباطنياً دهرى فى الباطن ، وكان يجيد الكلام وينطق الشعر ، ويقول بالحلول والاتحاد ، أو أنه تردد بين الدعويين فلم يُعرف إلى أيها انتهى أمره ، وكان قصده من كل ذلك وانتحاله النسك ولسه الصوف إحداث البلبلة بين المسلمين وإثارة الاضطراب فى الإسلام ، ومع ذلك نسبوا إليه كذلك أنه أول من بنى خانقاه للصوفية فى الرحلة ! ولربما يكون أبو هاشم من الملامية وإن لم يكونوا قد ظهوروا بعد كطائفة متميزة . وأبو هاشم رغم كل ما قالوه فيه لم يختلف أحد فى زهده فى الدنيا ولو تظاهرها ويقول فيها إن الله تعالى وسمها بالوحشة ليكون أنس المريدين بها دونها ، وليقل المطيعون إليه بالإعراض عنها ، فأهل المعرفة بالله فيها مستوحشون ، وإلى الآخرة مشتاقون . وكان على خلق عال وقد نبّه إلى آفة الخلق السىء وأول خطيئة فى الوجود ، يقول — لَفَلَحَ الجبال بالإبر أيسر من إخراج الكيبر من القلوب ، وذلك أن إبليس أبى واستكبر . وأبو هاشم لذلك يترك الكوفة وبغداد ويتجه

إلى الشام لعله فيها يجد الإحلاص ويعيش الورع ولا يضافح النفاق ويطلب الآخرة على الدنيا، ومثله في ذلك قوله لو أن الدنيا قصور وبساتين، والآخرة أكواخ، لكانت الآخرة أهلاً أن تؤثر على الدنيا، لبقاء تلك ونفاذ هذه.





لوليو Lulio

رايموند لوليو (١٢٣٥ - ١٣١٤م) راهب فرانسيكاني قضى فى دراسة العربية وحفظ القرآن تسع سنوات (١٢٦٦ - ١٢٧٥) وأنشأ مدرسة لتعليم العربية فى ميرامار، ومهد بها لإنشاء معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، وقرأ فى التصوف الإسلامى وأخذ به فارتحل إلى تونس وعاش مع الصوفية فيها، وكانوا يعرفونه باسم الصوفى النصرانى، وكانت له معارضاة لفلسفة ابن رشد على طريقة المتكلمين العرب، وأثمرت دعوته لإنشاء كراسى لدراسة العربية فى الجامعات الأوروبية فى باريس وأكسفورد وبولونيا وسلمنكه. وعرف لوليو من الصوفية المسلمين ابن سبعين وابن هود والششتري وأبى مدين وعفيف التلمسانى، وكان حبه شديداً لابن عربى، فلما وضع مذهبه فى الإشراق كان بتأثير الصوفية المسلمين ومن نهج هذا المنهج منهم، وقد شرح ذلك فى كتابه الموسوعى «تأملات فى الله» والذي كتب معظمه باللغة العربية، وله الصديق والمحجوب كتبه على طريقة الصوفية العرب، ومناظرات بين رايموندو المسيحى وعمر العربى وترجمه إلى اللاتينية.





ماسينيون

لويس ماسينيون **Massignon** (١٨٨٣ - ١٩٦٢) مستشرق فرنسى له فى التصوف الإسلامى بحوث ومقالات ومؤلفات بارزة، ولعله ونيكلسون الإنجليزى يصنعان أهم من يشارك من المستشرقين فى التعريف بالتصوف الإسلامى لدى الفرنجة، ويبدو أنه كان للحسين بن منصور الحلاج تأثير كبير على ماسينيون حتى أنه شبهه فى حياته ووفاته بالمسيح، وله فيه أخبار الحلاج وديوانه والشيخ المصلوب والطريقة الحلاجية وكتابه طواسين، واختار لينشر رسالته فيه «عذاب الحلاج شهيد التصوف فى الإسلام» تاريخ مرور ألف سنة على صلبه. ومن كتبه التى يعتز بها فى التصوف «نشأة المصطلح الفنى للتصوف فى الإسلام» استعرض فيه تاريخ التصوف الإسلامى منذ الرسول حتى زمن الحلاج، مع دراسة لألفاظ التصوف كما هى عند أعلام الصوفية. وماسينيون يرفض النظرية التى ترد التصوف إلى التأثيرات المسيحية واليهودية والهندية والفارسية ويؤكد على مصادره العربية الإسلامية من الكتاب والسنة. ومن الذين تناولهم ماسينيون بخلاف الحلاج الخراز والمحاسبى والتوبختى والتستري وابن سبعين والششتري والسفطى والأخضر والوراق. واشتغل ماسينيون بالتدريس فى الإسلام والمذاهب الإسلامية فى الكوليج دى فرانس والجامعة المصرية، وكان من طلابه الدكتور طه حسين، ومن الذين أخذوا عنه توجهاته الدكتوراة زكى مبارك وعبدالحليم محمود وعبد الرحمن بدوى وآخرون، ولما أنشئ الجمع اللغوى سنة ١٩٣٣ عين عضواً عاملاً فيه حتى عام ١٩٥٦، ثم عضواً مراسلاً من سنة ١٩٥٧ حتى وفاته.

ويعسم ماسينيون الخلاف حول أصل كلمة «تصوف» ويقول إنها مصدر الفعل الخماسى المصوغ من «صوف» للدلالة على لبس الصوف، وأنه ينبغي رفض ما عدا ذلك من أقوال، ويؤرخ للفظ الصوفى بأنه يرد لأول مرة كلف مفرّد فى القرن الثانى كنعت لجابر بن حيان وأبى هاشم الكوفى، كما يؤرخ للتصوف الفلسفى بالقرن الرابع الهجرى ويصنف فلاسفة المتصوفة ثلاثة أصناف — الاتحادية كابن مسرة وابن قسى، والإشراقية كالسهروردى الحلبى والجلدكى والدرانى وصدر الدين الشيرازى، والوصولية كابن سينا وابن سبعين وابن طفيل، ويفضد بالوصولية القول بأن النفس تصل إلى موافقة الحق فتكون فى المنزلة الجامعة التى لا تكثّر فيها ولا تعدد ولا تفرقة بأى شكل من الأشكال .

ويعرف ماسينيون الصوفية بأنهم قوم أرادوا أن يهجموا كيفية وصول التبديل فى أحوال الإرادة، ويستندون على ذلك بالأحاديث والآيات، وعلم القلوب عندهم هو علم التقلب أى التبديل فى أحوال الإرادة. وأول من دقق فى هذا العلم هو سهل بن عبدالله العشرى المتوفى سنة ٢٨٣هـ، وهو من الصوفية المقبولين على إجماع فقهاء الإسلام، وإذا رجعنا إلى ابن عربى فى كتابه الفتوحات لوجدناه يقول: وكان سهل بن عبدالله يدقق فى هذا الشأن، وهو الذى نبه على نقر الخاطر. ويقول ماسينيون إن أبا حمزة البغدادى كان أول من تكلم فى المحبة بالمعنى الصوفى وكان متذوقاً للجمال، ومن تلاميذه من كان يتعشقه حتى فى الصورة ويسجد لها. والحلاج هو الشهيد الأول للمحبة الصوفية، وشعره لا يذكر فيه محاسن النساء ولا الغلمان مثلاً فى أكثر رباعيات أبى سعيد بن أبى الخير، والمحبة فيه مجردة. والغزالى هو أول فلاسفة المتصوفة الذين قالوا بأن الله وحده هو المستحق للمحبة، ويعرف الحب بأنه حب كل جميل لذات الجمال وليس لحظ ينال من وراء إدراك الجمال .

مبارك

ركى بن عبد السلام بن مبارك (١٣٠٨ — ١٣٧١هـ — ١٨٩١ — ١٩٥٢م) أو الذكائرة زكى مبارك، من مواليد سنتريس من أعمال منوفية مصر، له «الأخلاق عند الغزالى» و«التصوف الإسلامى» وكتب أخرى فى الأدب. ويؤرخ لتصوفه فيقول إنه كان فى حدائته كأكثر أهل الريف يتشهد بمجالس الصوفية، وكانت لأبيه

صلات روحية بأهل الطريق ، وعندما التحق بالأزهر انضم لنوادي الصوفية وأخذ العهد على طريقة الشاذلية ، ولكنه كان قليل الرعاية للتقاليد الصوفية فنازعه شيخه فافتنع بأن الصوفية أرباب ظواهر وإن ادعوا أنهم أرباب قلوب ، وصنّف كتابه «الأخلاق عند الغزالي» الذى حاز به على إجازة الدكتوراه من الجامعة المصرية سنة ١٩٢٤ ، وقد تجتّى فيه على التصوف ورمى أشياعه بالغفلة والجهل ، وجعل سلوكهم سبباً فى انحطاط الأمم الإسلامية ، ومما قاله فى أغلاط كتاب الإحياء للغزالي استحسانه لأشياء مبناهما على مالا حقيقة له ، وقوله ليس فى الإمكان أبدع مما كان ، وأن المقصود بالرياضة تفريغ القلب بالخلوة والجلوس فى مكان مظلم ، ومنها التقليل من الطعام ، وعدم الركون إلى الدنيا بالزواج وغيره ، والقيام طول الليل ، وأن يضع الصوفى نفسه فى موضع التهم ليخلص نفسه من فتنة النظر إلى الخلق ومراعاتهم له ، ودعوى أن الاشتغال بعلوم الظاهر بطلالة الخ ، وينتقد على الزبيدي دفاعه عن الغزالي فى كتابه «أعلام الأحياء بأغلاط الإحياء» ، ويورد أقوال السبكي فى طبقاته عن الأحاديث التى تضمنها الإحياء وليس لها إسناد ، ويتهم الغزالي بالغفلة وعدم التثبت فهو فى جمع الأحاديث كحاطب الليل ، واتهمه بالعناد فقد قذف ناقده ورامهم بالغباوة والحسد والكذب ، وينسب له أنه أخذ كتابه الإحياء من كتاب قوت القلوب لأبى طالب المكي ، ويجزم بأنه قد نقل عنه كل ماصح لديه وحسن عنده منه وإن لم يشر إلى ذلك ، ويكفى أن نقرأ باب التوكل مثلاً فى الكتابين لنعرف أنها يسيران فى طريق واحد إلى غاية واحدة ، ومن السهل إثبات أثر الرسالة القشيرية على أكثر أبواب الإحياء ، وكذلك أثر ابن مسكويه عليه حيث يأخذ منه عبارات بكاملها . وينقد على الغزالي أن كنه الإحياء والأربعين والميزان والمنهاج والتبر المسبوك والأدب فى الدين وبداية الهداية كلها يكرر فيها نفس الأفكار والعبارات والأمثلة حتى يمكن القول بأن بضاعته فيها واحدة ، وفى خاتمة الكتاب يذكر مبارك أن الغزالي يبدو أنه لا يخلو من سذاجة ، وأن العصور التى تلت عليه كانت مقفرة من النقد ولذلك سادت فيها آراء مع ما تحتوى عليه من عناصر الجمود ، وخلو كتبه من العلوم الكونية دليل على عدم أهميتها عنده . ويبدو أن مبارك ندم على أحكامه فى التصوف والغزالي التى أسسها على العفل الخالص بعد أن التقى بالمستشرق ماسينيون فى باريس واستماعه لمحاضراته فى الكوليج دى فرانس عن التصوف والحب فضحت عزيمته على معاودة الكتابة فى التصوف وقد تبين له أنه ليس وفقاً على الدراويز الذين يتعيشون بالتسول ، وإنما هو نزعة روحية ، ولذلك فقد صنف كتابه التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق

ليكون رسالة دكتوراه للجامعة المصرية سنة ١٩٣٧، وفيه يذهب إلى أن مذاهب الصوفية فى جوهرها ترجع إلى شعب ثلاث، الأولى عاطفة الحب الإلهى، والثانية نظرية وحدة الوجود، والثالثة حب الرسول. واهتمامه بالحب الإلهى لأنه يمثل السمو فى أذواق الصوفية إذ كانوا يتشبهون الفناء فى الله، ويرون الأنس به أشرف الأغراض. وهيام الصوفية بالحب الإلهى حوّلهم إلى أقباس روحية ذوقية، وجعل حياتهم أوتاداً تصدح بأعذب الألحان فى عالم الأرواح والأذواق. والحب الإلهى هو الذى جعل الصوفية لا يرون غير المعانى ولا يعبأون بالأعمال. وتظهر أهمية هذه العاطفة السامية حين ننظر أثرها فى الأدب ونتعرف ما تركت من أقباس الحنان. وعن الحب الإلهى تشأ نظرية وحدة الوجود، فالصوفية لم يفهم أن يكون لهم وجود ذاتى بمتاز عن وجود الناس، ولم يفهم أن يعرفوا بالشوق إلى ذات الديان، وإنما وثب فريق منهم فادّعوا أنهم جرد موصول بحقيقة أزلية هى حقيقة واجب الوجود، فالفريق الذى يحب الله كان يتشرف بنسبة العاشق إلى المعشوق، وأما الفريق الثانى فلا يرى عاشقاً ومعشوقاً، وإنما يرى شوقاً يتمثل فى حنين الجزء إلى الكل، وهى وثبة جريئة فى عالم المعقول. وهذه النظرية شغلت كثيراً من الصوفية وشطرتهم شطرين، شطراً يؤثر الرفض، وشطراً يؤثر القبول، وكان لمعتنقها ضحايا أشهرهم الحلاج. ولا بد من الاعتراف بأن التصوف فى مجلته يرجع إلى هذه النظرية إذ كان الصوفى الحق لا يهيم إلا الفناء فى الله، فإن لم يكن فناء الجزء فى الكل فهو فناء العاشق فى المعشوق، وربما كان تهيمهم من إعلان هذه النظرية نوعاً من التقية وإيثار السلامة من مكاييد الناس. وعن نظرية وحدة الوجود ينشأ حب الرسول الذى أبدع فى اللغة العربية فناً جديداً هو فن المدائح النبوية. وإنما نشأ حب الرسول عن وحدة الوجود، لأن من قالوا بهذه النظرية قرروا أن محمداً عليه السلام هو أول مظهر للذات الأحدية، وأنه خاتم النبيين وأول الأولين وآخر الآخرين، وأنه البرزخ بين الذات الأحدية وسائر الموجودات.

ويقول زكى مبارك إن حَكَم ابن عطاء الله السكندرى نموذج من الأدب الصوفى العالى، ولابن عطاء الله فيها كلمات تذكر بمذهب الحلول ومنها «إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شىء، لغيبهم عن الله فى كل شىء، ولو شهدوه فى كل شىء، لم يستوحشوا من شىء»، وقوله: «علم منك أنك لا تصبر عنه فأشهدك ما برز منه» وهو يفصح إفصاحاً بأن العالم هو الجزء البارز من الله، وأن على المؤمن أن يراه فى كل موجود. وعن ابن عربى يقول زكى مبارك أنه كانت له صبوات فى عالم الحس قبل أن تنقل صبوانه إلى عالم الروح، وأنه فى قصائده فى ترجمان الأشواق كان مقهور

النزوات والأهواء ومحسوساً عن اللذات الحسية فاندفع يطوف حولها فى رحاب عقلية لها رونق وبهاء. وهو يتناول المعانى بطرائق حسية ويواجه الدنيا بعين متشوقة إلى الصور والأشكال، ومن ذلك قوله: رأيت ليلة أنى نكحت نجوم السماء كلها فما بقى منها نجم إلا نكحته بلذة عظيمة روحانية، ثم لما أكملت نكاح النجوم أعطيت الحروف فنكحتها...». ويشبه زكى مبارك الحلاج بالمسيح عليه السلام من نواح كثيرة، منها كثرة السياحات وقوة التنسك وكثرة الأتباع وبشاعة المصير إلى الصلب، والتشابه بينهما قوى جداً من الناحية العقلية، فالمسيح كان يقول بوحدة الوجود كما قال الحلاج بوحدة الوجود، والأساطير تنطق الحلاج باسم المسيح، ولعلها لم تكن أساطير، فالمسيح هو الرب فى نظر أتباعه من النصارى، والحلاج هو الرب فى نظر مريديه من الصوفية، والقرآن يقول إن المسيح لم يصلب وإنما شبه لمن صلبوه. وأتباع الحلاج يقولون إنه لم يصلب وإنما شبه لمن صلبوه. وقصة الحلاج مع ربه قصة نادرة المثال وهى تغزو القلوب بالحزن والعيون بالدمع وتُفهم من لا يفهم أن الحب الصوفى لا يعرف اللعب ولا المزاح، وكان الحلاج يتمنى أن يكون المحب عين المحبوب ليصح له أن يقول:

سبحان من أظهر ناسوته بسرّ سنا لاهوته الشاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهراً فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كل لحظة الحاجب بالحاجب

وعن ابن الفارض يقول زكى مبارك إنه أى ابن الفارض مدين بخلود شعره إلى نزعته الصوفية ولولا التصوف لانطمس ذكره منذ زمان، والمعانى الرمزية هى السرفى إقبال الناس على شعره، وعنايته بالمعانى كانت فاتحة جديدة فى وزن المعانى بعد أن ظل الناس يحرصون على وزن الألفاظ، ويكفيه هذان البيتان:

وحياة أشواقى إليك وحرمة الصبر الجميل
ما استحسنيت عينى سوا ك ولا صبوت إلى خليل

وهما بيتان لا خطر لهما عند من يخفلون بجزالة الألفاظ ولكنها على جانب عظيم من القوة عند من يؤثران المعانى، وهل فى الحب أجل وأشرف من توحيد المحبوب؟ وابن الفارض شغل بالشعر أربعين سنة، ولشعر الصبا لون، ولشعر الكهولة لون، والوحى واحد وهو الحب، إلا أن الحب فى العهد الأول كان حباً حسيّاً، وحبه الحسى كان أساس حبه الروحى فى الكهولة، والهيام بالجمال الإلهى لا يقع إلا بعد الهيام بالجمال الحسى، وابن الفارض شاعر عاشق توزعت عواطفه بين عالم المادة وعالم الروح.

وكتاب التصوف لمبارك موسوعة فى الأدب والشعر والأقاصيص الصوفية،
واللهجات العربية فى مؤلفات الصوفية، وصور المجتمع الإسلامى فى كتب الصوفية،
وأثر التصوف فى الفنون وفى الأخلاق، ويكفى الصوفية أنهم عظموا الأدب العربى
بأريج الكرامة والعزة والصيانة والعفاف، وهم الذين وصلوا المشرق بالمغرب وحفظوا
الإسلام بإذاعة المعانى الروحية والذوقية. وأدباء الصوفية هم الذين رحلوا تاريخ الأدب
العربى من وصمة التزلف بالمديح إلى الملوك والرؤساء والأمراء والوزراء.



مبارك

على بن مبارك بن سليمان (١٢٣٩ - ١٣١١هـ) الوزير المصرى والمؤرخ العالم
صاحب «الخطط التوفيقية» فى عشرين جزءاً جرى فيه على نهج المقرئى فى خطه
ويعدد الزوايا والرُّبُط والخانكات والتكايا الصوفية فى مصر ويذكر أنها كانت لإقامة
بعض الصالحين للتعبد فيها، وأغلبهم من الأجانب، ويعنى أن يكون هؤلاء المتمتعون
بخير البلد أبعد الناس عن التصوف كما عرقه السهروردى فى كتابه عوارف المعارف.
ويؤرخ مبارك لأول خانقاه بديار مصر زمن صلاح الدين الأيوبي سنة ٦٥٩هـ وقد
أنشأها برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ووقفها عليهم، ووقف عدة
أملاك يصرف من ريعها عليها، ورَتَبَ لهم كل يوم طعاماً ولحماً وخبزاً، وبنى لهم
حماماً بجوارها، ثم لما انفردت الدولة الأيوبية هذا حذوهم السلاطين الجراكسة وبعض
الأمراء فصار فى مصر إلى أول القرن التاسع عشر ٢٢ خانقاه، ثم لما زال ملك
السلاطين الجراكسة حصل الإهمال وعدم الصرف وضياع الأوقاف التى عليها فاندثر
أغلبها وتحزَّب الكثير منها واستبدلت بالتكايا وتنوسى اسم الخانقاه بالكلية، وهى كلمة
فارسية معناها بيت العبادة. والتكايا جمع تكية، يسكنها الدراويش الأغراب غالباً
الذين ليس لهم كسب وإنما تجرى لهم مرتبات شهرية وسنوية من ديوان الأوقاف
العمومية أو من أوقاف خصوصية، فلذا تسمى محال إقامتهم تكية كأن أهلها متكئون
أى معتمدون فى أرزاقهم على مرتباتهم. وعدد هذه التكايا فى القاهرة وحدها عشرون
تكية، وأهمها تكية الخلوتية وراء الخلمية على يمين الذهاب إلى شارع محمد على،
وتكية المغاورى بأعلى المقطم، وبها جملة من دراويش العَجَم يشاع عنهم أنهم يشربون
الخمر، ويحتفلون فيها بموسم عاشوراء فيجتمعون ويذكرون ويصيحون ويصرخون ويذبحون
الذبائح ويفرقون على الفقراء. ويتضمن كتاب مبارك تراجم لعدد من الأولياء

والمصوفية وتُعدّ مع كتاب المقرئى أفضل المصادر عن الصوفية والصالحين أثناء حكم المالِك لمصر.

المتبولى

برهان الدين إبراهيم بن على بن عمر، الأنصارى المتبولى، من أصحاب الدوائر الكبرى فى الولاية، وينسب إلى متبول من قرى الغربية بمصر، وله كتاب «الأخلاق المتبولىة» فى مكتبة عارف حكمت وصفحاته ٦١٦، وكان يقول أنا أحمدي، أى من أتباع سيدى أحمد البدوى، ويلبس الصوف ويتعمم به وله طليحية حمراء، وطريقته قوامها الإخلاص وتطهير القلب. يقول طهر قلبك من محبة الدنيا يجر ماء الإيمان فيه جداول، ومن لم ينظف قلبه لم يؤمن. والتصوف عنده ليس تبطلا، وهو يقول لأحب الفقير إلا كان له حرفة تكفه عن سؤال الناس، وكان هو نفسه يعمل فى الغيط ويدير الماء وينظف القناة من الأعشاب. ويصفه ابن إياس بأنه كان نادرة عصره وصوفى وقته، وأخلاقه فى التصوف أساسها البر والمعروف، وكانت حياته تماشى ما يدعو إليه، وأنشأ أماكن للعبادة كثيرة، منها جامع كبير بطنطا، وبرج بدمياط، وتوفى بأسدود. ويروى أنه اختلف مع السلطان قايتباى فقال السلطان إما أنا أو هو فى مصر، فخرج المتبولى يقصد القدس على حمارة ولكنه لم يكمل، وقيل مات عن ثمانين سنة ولم يغتسل قط عن جنابة لأنه لم يحتلم قط ولم يتزوج.

المحاسبى

أبو عبدالله الحارث بن أسد من أهل البصرة، ووفاته ببغداد سنة ٢٤٣هـ، وشهرته المحاسبى فقد كان شديد المحاسبة والمراقبة لنفسه حتى تميزت طريقته فأطلقوا عليها المحاسبية، ومنهجه تحليلى نفسانى، ويصفه المستشرق ماسينيون بأنه إعجاز نادر، ويتحدث شيخ الصوفية الجنيد عن هذا المنهج فيقول إن المحاسبى كان يمر عليه فى بيته ويقنعه بالخروج معه إلى الصحراء للتفكير والنقاش فيبدأه بأن يقول له سألنى، فيقول الجنيد ما عندى سؤال أسأله، فيقول المحاسبى سألنى عما يقع فى نفسك، ويسأل الجنيد فيجيبه المحاسبى، ولكن السؤال يسلم لسؤال غيره، والإجابة تقتضى بدورها إجابة

أخرى وهكذا. وكان ذلك حال المحاسبى مع كل أصحابه وتلاميذه. والمحاسبى استاذ أكثر البغداديين، وأكثر من يروى عنه هو الجنيد، والأسئلة التى تطرح على المحاسبى وأجوبته التحليلية لها هى التى كان يملأ بها كتبه، ويقول الجنيد إنه كان يتوجه إلى بيته بعد المناقشة فيعملها كتاباً، ومؤلفات المحاسبى كثيرة، ويفدرها بعضهم بنحو المائتى كتاب، أشهرها كتاب «الرعاية لحقوق الله عز وجل»، وقيل فيه إن المحاسبى لو لم يؤلف إلا هذا الكتاب لكانت له نفس المكانة والأستاذية على أقرانه ومعاصريه، وإن أثر هذا الكتاب ليتجاوز وقته، وسيظل المحاسبى له الملقبون عنه وإن لم يعاصروه، ومن هؤلاء كان الإمام الغزالى، ومن النقاد من يذهب إلى أن الغزالى فى كتابه الإحياء قد تبطن كتاب الرعاية للمحاسبى، فلولا الرعاية ما كان الإحياء، ومن رأى الغزالى أن المحاسبى هو خير أمة الإسلام فى علم المعاملات، والمقصود به علم الأخلاق النفسانية. وطريقة المحاسبى فى التعليم طريقة فريدة حقاً وتذكرنا بطريقة سقراط. يسأله سائل: بما تُحاسب النفس؟ فيقول: بقيام العقل على حراسة جنابة النفس، فيفقد زيادتها من نقصانها، فيأكل له: وما تتولد المحاسبة؟ فيقول: من مخاوف النقص وشين البخس والرغبة فى زيادة الأرباح. والمحاسبة تورث الزيادة فى البصيرة، والكيس فى الفطنة، والسرعة إلى إثبات الحجة، واتساع المعرفة، وكل ذلك على قدر لزوم القلب للتفتيش، فيقال له: ومن أين تتخلف العقول والقلوب عن محاسبة النفوس؟ فيقول: من طريق غلبة الهوى والشهوة، لأن الهوى والشهوة يغلبان العقل والعلم والبيان، فيسأل: وما يتولد الصدق؟ فيقول: من المعرفة بأن الله يسمع ويرى، فالمعرفة أصل للصدق، والصدق أصل لسائر أعمال البر، فعلى قدر قوة الصدق يزداد العبد فى سائر أعمال البر، فيسأل: وما هو الشكر؟ فيقول هو علم المرء بأن النعمة من الله وحده، وأن لانهمة على خلق من أهل السماوات والأرض إلا وبدائعها من الله، فتشكر الله عن نفسه وعن غيره، فهذا غاية الشكر، فيسأل عن الصبر ما هو؟ فيقول: هو حمل النفس على المكاره وتحمل المؤن واحتمال المكابذات، فيسأل: فكيف السبيل إلى مقام الرضا؟ فيقول: علم القلب بأن المولى عدل فى قضائه، غير متهم، وأن اختيار الله خير له من اختياره لنفسه.

وكان المحاسبى من فرط حسه الأخلاقى الدينى فيه خصلة نفسية بدنية، وهى أنه إذا استشعر حرجاً أخلاقياً دينياً فى طعام يدعى إليه تحرك عرق فى إصبعه كالحذر له فيمتنع لتوه، ويصف هو ذلك فيقول: «بينى وبين الله علامة، إذا لم يكن الطعام عند الله مرضياً ارتفعت إلى أنفى منه فورة فلم تقبله نفسى». وفى ذلك أيضاً يقول الجنيد إن

الحارث ورث ثروة طائلة عن أبيه ولكنه رفض أن يتسلم منها شيئاً لأنه كان يرى أباه واقفياً على غير مذهب السنة، وأن أهل الملتين (مثنى مئة) لا يتوارثون. ومنه أيضاً أن جماعة من أصحابه رأوه متعلقاً بأبيه والناس مجتمعون عليها وهو يقول له: طلق امرأتك فإنك على دين وهى على غيره.

والمحاسبة التى يقول بها المحاسبى والتى ينسب إليها هى محور تفكيره الصوفى ومذهبه فى التصوف، وهى موازنة يقول إنها فى ثلاث مواطن، فيما بين الإيمان والكفر، وفيما بين الصدق والكذب، وبين التوحيد والشرك. وطريقة المحاسبى القائمة على المحاسبة والموازنة والمراقبة أساسها قوله أن الإنسان ليس شيئاً بدون الله، وليس له إلا ما يناله من رضوان الله، وأنه إن اتقى الله وقاه شر من دونه، وإن صالح صلح به الناس، وإن فسد فسد به الناس، وأن عدوه من نفسه طبائعه السيئة، وأوليائه منها طبائعه الحسنة، وأنه لذلك محل صراع نفسانى بين الاثنين، والإنسان الأخلاقى المتدين هو الذى يقاتل بعضه ببعضه، ويستخدم أوليائه ضد أعدائه، فيقاتل الغضب بالحلم، والغفلة بالتفكير، والسهو بالتنبيه. ومراقبة الإنسان الأخلاقى لله على ثلاث خلال على قدر عقل العاقلين ومعرفتهم بربهم، والخلة الأولى هى الخوف من الله، والثانية هى الحياء منه، والثالثة هى الحب له. والخائف مراقب بشدة الحذر من الله تعالى، والمستحى من الله مراقب بشدة انكساره وغلبة إخباته، والمحِب لله مراقب بشدة سروره وغلبة نشاطه وسخاء نفسه. والمراقبة فى أحوال ثلاثة، أولها التثبت بالحذر قبل العمل بما أوجب الله والترك لما نهى عنه مخافة الخطأ، فإذا تبين له الصواب بادر إلى العمل بما أوجب الله والترك لما نهى عنه، فإذا دخل فى العمل فالتكىل للعمل مخافة التقصير، فمن لم يثبت قبل العمل فهو غير مراقب لله، ومن لم يبادر ويسارع إلى العمل بعد ما تبين له صوابه فما راقب الله إذ أبطأ عن العمل وتثبط عن القيام بما أمر به. ومن لم يجتهد فى تكميل عمله فضعيف مفتر فى مراقبة من يراقبه وقد علم أن الله يحب تكميله وإحكامه. والطاعة لله فيما أوجب وما نهى منتزعة من حب الله لعباده، وحبهم لله تعالى من حبه لهم أولاً، فأنه سبحانه هو الذى بدأ فعرف عباده بنفسه ودلهم على طاعته وتجنب إليهم على غناه عنهم. ويحل المحاسبى المحبة نفسياً كعادته فيقول إن الحب لله هو الشوق إليه، والشوق تذكُّر للقلوب بمشاهدة المعشوق، لأن الحب لا يشق إلا إلى حبيب، فلا فرق بين الحب والشوق. وعلامات الحب على المحبين تظهر على أبدانهم وفى ألفاظهم، والمحِب يُعرف بأخلاقه وما يُجربه الله على لسانه بحسن الدلالة عليه وما يوحىه إلى قلبه. والمحبة أصلها فى القلب وفرعها فى اللسان. وأظهر شواهد المحبة

لله شدة النحول بدوام التفكير فى الله وطول السهر فى ذكره والقيام له وسخاء النفس فى الطاعة والمبادرة. والنطق بالمحبة على قدر ما فى القلب منها ، ولذلك قيل علامة المحبة لله تمكينا فى قلب المحب وظهورها على لسانه . والحب لله استنارة للقلب بالفرح لقربه من حبيبه ، فيستلذ الخلوة بذكر الحبيب ، ويحل الأنس بالقلب لله فيستثقل كل أحد سوى الله ، فإذا ألفت الخلوة بمناجاة حبيبه استغرقت حلاوة المناجاة العفل كله حتى لا يقدر أن يستوعب ما سوى الله . وسألو المحاسبي : فكيف نستعين على الطاعة ؟ فقال بذكر حبيب العادين فإنكم لو سفتتم من حبه ﷺ مثلاً ذاف غيركم لنحصلت الراحة وتقصت الهموم . والمحاسبي يجعل الحب والبغض فى الله أعظم ثواباً من الزهد فى الدنيا . ويسبق المحاسبي الجنيد حيث يشرح التوحيد بإفراد تجريد الحق ، وهو الاصطلاح الذى اشتهر عن الجنيد ، وهو ينقله عن المحاسبي فى وصفه لأهل التحقيق والإيمان أى الصوفية فيقول إهم الذين جعلهم الحق أهلاً لتوحيده وإفراد تجريده ، والذابين عن ادعاء إدراك تحديده ، مصطنعين لنفسه ، مصنوعين على عينه ، ألقى عليهم حبة منه له .

ويرسم المحاسبي الطريق النفساني للنجاة بالتوبة ، ويفسم الناس بإزائها إلى منازل ثلاث ، فمن نشأ على الخير وأتى الزلة فحنته أخف لطهارة قلبه فيعود لرعاية حقوق الله فى نفسه ، والثاني التائب بعد الصبوة ، وهو الراجع إلى الله بعد جهالة والنادم على ماسلف منه ، والثالث المصر على الذنب ، وهو المقيم على السيئة فهو محتاج إلى ما يحل به إصراره من نفسه ليتوب إلى ربه ويلحق بصاحبيه السابقين ، ويعتد على ترك الإصرار الخوف والرجاء . ونظرية المحاسبي فى الخير كأنه ليس مفهوماً يفرض نفسه على العبد بالتفكير والتجريد ، ولكنه الخير كما يحده الدين . والرياء يحيط بعمل الخير ، والرياء هو القيام بالخير بإرادة محمدة الناس وليس ابتغاء لوجه الله تعالى . وأعظم المرائين فى نظرية المحاسبي هو من يراعى بالإيمان ويعتقد التكذيب مع ذلك ويضمّر الشك . والشر من النفس وعلاجه بالزهد واتقاء أصحاب السوء . ومن آفات النفس العُجب والكبر والغرة والحسد ، ويصف المحاسبي العلاج منها بتصحيح الباطن فيجلو الطاهر . والعمل الصالح خيره ما كان مراقبة للنفس ومطالعة للغيب وذلك أشرف من العمل بمحركات الجوارح . ومجاهدة الباطن تورث الهداية ، والعلم بالنفس يورث الخوف من الله ومن المعصية كما يورث الزهد فى الدنيا . والمعرفة بالله تورث الإنابة . وحسن الخلق هو الغاية من كل سلوك ، وهو ما ينبغي أن يكون هدف المريد ومنهجه اليومي . ونظرية المحاسبي فى التصوف أن الله تعالى أوجب التوكل كما أوجب السعى

للرزق الضروري للحياة على أساس من الورع الذى هو مجابة كل مايكره الله . والورع يُنال بالحاسبة ، والزهد أعلى منه ، ودواعيه أن الدنيا لاقيمة لها وأن الأولى أن نتحقق منها بالأقل من الكفاية . ومن وهبه الله التفويض زالت همومه واطمأنت نفسه ، ومن توكل على الله ووثق به نال الرضا وهو نعمة سبغها الله على من يحبه من عباده . ورجاء المحبين فى الله استدامة طاعته . ومن رأى الهجویری فى كتابه كشف المحجوب أن الرضا هو خصیصة مذهب المحاسبی ، وأن المحاسبی يعتبره من جملة الأحوال وليس من جملة المقامات ، والفرق فى ذلك أن المقام من جملة الأعمال أى أنه أمر اكتسابی واجتهادی ، وأما الحال فهو معنى يتصل بالسالك من جانب الحق من غير أن يستطيع دفع ذلك الحال بالسعى والمجاهدة عند حلوله . وصاحب المقام قائم بمجاهداته فى حين أن صاحب الحال فان عن نفسه . وظهور الحال لطيف إلهی ینعكس فى قلب السالك . وقد أجاز المحاسبی دوام الحال ولم یجز ذلك الجنید ، لأن الأحوال كالبروق تظهر للحظة ولا تدوم . وكان صوفیة ایران ومنهم الهجویری يعدون الرضا من المقامات بینما یعده صوفیة العراق من الأحوال .



محمود (عبد الحليم)

الشیخ الإمام له المصنفات الكثيرة فى التصوف ، فقد انصرف بهيمته وبعلمه للدعوة إليه ، وكان له المريدون من أهل العلم الذين حققوا الكثير من كتب التراث فيه . ومن آثاره التصوف عند ابن سینا ، والتصوف الإسلامی ، والحارث المحاسبی ، وأبو مدين الغوث ، والشبلی ، وأحمد البدوی ، وقضية التصوف ، وللشیخ نحو من العشرين كتاب فى التصوف ورجاله ، وفى الفلسفة عموماً . وكان ميلاده سنة ١٩١٠م فى قرية السلام من قرى مركز بلبیس بمصر ، وكان أبوه أزهرياً فألحقه بالأزهر صغيراً وحصل على العالمية منه ثم الدكتوراه من جامعة السربون سنة ١٩٤٠ . والمدرج الفكرى للشیخ الإمام كله بمجاهدات ، وقد توجه منذ البداية إلى التصوف ، وكانت رسالته للدكتوراه بإشراف المستشرق ماسينيون صاحب الدراسات المنيفة والأثر غير المنكور على دراسات التصوف الإسلامی ، وقد وجهه ماسينيون إلى دراسة الحارث المحاسبی . ویلخص الإمام مآخذ المنكرين على التصوف فى أربعة مواضع ، فالفقهاء یرون أن التصوف دخیل على الإسلام ، وأن الأدلة على وجود الله ووحدانيته وقدرته وإرادته فى القرآن ولا داعی لالتماسها فى متاهات التصوف ، وأن التصوف ليس فى

متناول الجميع فهو استوقراطية فكرية أو دينية لا يتمشى مع ديموقراطية الإسلام ، ولأنه ليس فى تناول الجميع فهو تكليف بما لا يطاق، لا يطاق، وأن التصوف فيه ضعف والإسلام قوة ؛ والعنليون ينتقدون التصوف لاحتقاره للعقل وهو هبة الله والوسيلة الوحيدة لليقن فى مجال الدين وكل مجال ، والفرآن يحث على استعمال العقل . ويرى الشيخ الإمام أن الاستدلال على وجود الله لا يحتاج فى نظر الصوفية إلى إعمال فكر، وإنما الإنسان فى حاجة إلى ما يزيل القلق والشك من نفسه وعقله إزاء طائفة من القضايا والأسئلة مجالها ما وراء إثبات وجود الله ، والتصوف قد اتبع طريق ثالث إلى نوع من المعرفة ليس هو طريق الحس ، وليس هو طريق العقل ، ولا يستمد صراحة من الكتب النصية ، وهو طريق البصيرة أو الرؤيا ، وهو طريق النبوة التى ليست المعرفة فيها حسية ولا عقلية ، وليست تجربة وليست منطقاً ولا استفراءً ولا قياساً ، ولكنها وحى من الله . وطريق الصوفية هو البصيرة ، والمعرفة الصوفية معرفة إلهامية ، ودليل صحتها كما يقول الإمام محمد عبده ظهور الأثر الصالح من الصوفية وسلامة أعمالهم مما يخالف الشريعة وطهارة فطرته مما ينكره العقل الصحيح . والبصيرة فى نظر الشيخ الإمام عبد الحليم محمود سبيلها تركية النفس ، وهى وسيلة صعبة المرتقى . لا تتوفر إلا لقلّة من السالكين ، ومن هنا كان اعتراض خصوم التصوف بأنه استوقراطى . وطبيعة التصوف تقتضى فعلاً أن يكون كذلك ، لأنه نظام الصفوة المختارة الذين وهبهم الله حساً مرهفاً ، وذكاء حاداً ، وفطرة روحانية ، وصفاء يكاد يقرب من صفاء الملائكة ، وطبيعة تكاد تكون مخلوقة من نور . وإذا كانت الديموقراطية معناها التساوى فى كل شىء فهى أسطورة من الأساطير ، لأن التساوى لا يوجد فى الطبيعة ، والله تعالى لم يسو بين الناس فى ألوانهم وقواهم الجسمية وذكائهم وأرزاقهم وحظوظهم . والتصوف فى أرسطوفاطيته ينسجم مع طبيعة الأمور ومن ثم يتهاافت الاعتراض الرخيص بأن التصوف لو شمل كل الناس لفسد العالم ، ذلك أن الناس جميعاً لا يمكن أن يصبحوا متصوفين ، ولا يدعو الصوفية الناس جميعاً أن يكونوا متصوفة ، فأهل الحق نادرون ، وهذه فكرة بديهة لا تحتاج إلى استفاضة ، غير أن الصوفية إذا كانوا لا يدعون الناس جميعاً إلى التصوف فإنهم يعملون جهدهم للوصول إلى مجتمع أسمى تشيع بين جنباته الروحانية والرحمة والمحبة والناس فيه إخوان متعاونون . والناس فى فهمهم للدين متفاوتون ، والرسول يقول إن مثل ما بعثنى الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسك الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا . وأصاب طائفة منها أخرى إنما هى قيعان

لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثى الله تعالى به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به. وكان التصوف دائماً قوة، ونفوس الصوفية عندهم هيئة فى سبيل الله وكان الكثير منهم مرابطين. والتصوف روحانية، والروحانية قوة. والتصوف فيه الجهاد الحربى والمجاهدة الروحية، والمثل الأعلى للصوفية عن بكرة أبيهم إنما هو رسول الله ﷺ. والصوفية أهل علم، وكان الشيخ الأكبر محي الدين بن عربى قة من قم العلم الشاعرة، وكذلك كان الإمام الغزالى والجنيد والحاسبى. وهم أيضاً أهل عمل، وألقاب الكثير منهم تدل على ذلك مثل القصار والوراق والحرّاز والخواص والبرزاز والحلاج والزجاجى والحصرى والصيرفى والمقرئ والفراء، وكانت للشاذلى المزارع والثيران والتجارة. ويرى الشيخ الإمام عبدالحليم محمود أن لفظة التصوف تنتسب إلى ملبس الصوف الذى كان مظهر وشكل ورسم المتصوفة، وأن الاسم وضع لنمط من العزوف عن الدنيا، وكان لباسهم الصوف علامة الزاهدين والمتنسكين. والتصوف وإن كان زهداً إلا أنه فى حقيقته يتجاوز ذلك، فهو معرفة، بل هو أسمى درجات المعرفة بعد النبوة، وهو مشاهدة وطريقة إلى المشاهدة. وهذه المشاهدة التى هى غاية الصوفى تعبير عما ننطق به فى كل حين حيناً نقول لا إله إلا الله. وطريق الصوفية إلى هذه المشاهدة هو المقامات والأحوال، والمقامات منازل روحية يمر بها السالك إلى الله ويقف فيها فترة مجاهد فى إطارها. والأحوال سمات روحية نهى على السالك فتنتعش بها نفسه لحظات خاطفة. والطريق الصوفى يستند إلى مقياس يزن الصوفى به نفسه وهو الاقتداء برسول الله، والرسول هو الصورة الحية للقرآن. والصوفى الذى يقتدى بالرسول لابد أن تتوفر فيه شروط ثلاثة، أن يرجو الله، وأن يرجو اليوم الآخر، وأن يذكر الله كثيراً، فإذا توافرت فيه هذه الشروط فقد أصبح جديراً بالتأسى برسول الله، وأصبح من الذين يحبونه، فيحاول أن يقترب منه فيبدأ بالدخول فى النظام القرآنى وبعزم على التخلّى عما هو ليس بقرآنى وذلك هو التوبة، وإذا صدقت التوبة استلزم الوزع، وهو أن يترك الإنسان كل ما فيه شبهة. والورع يكون فى الحديث والقلب والعمل، ويقتضى الزهد وهو أساس الأحوال الرضية والراتب السنية، والزهد يُسلم إلى التوكل وفيه الثقة بالله والتفويض إليه والتسليم له والاعتصام به ومحبة، والمحبة لله إذا صدقت كانت إثارةً له فى جميع الأمور، فعلامة المحبة الموافقة للمحجوب، ويتبع الرضا المحبة، لأن المحب يرضى دائماً عن أعمال محبوبة، ومعنى الرضا أن يجهد المحب ليصل إلى ما يحب الله. والرضا آخر المقامات، ثم يفتضى من بعد ذلك أحوال

أرباب القلوب ومطالعة الغيوب وتهذيب الأسرار لصفاء الأذكار وحقائق الأحوال . ويرى الشيخ الإمام عبدالحليم محمود أن الكاتبين في التصوف يخطئون إذ يفقون منه موقفهم من الثقافة الكسبية التي يتأثى فيها التأثر والتطور والتقليد، فاتجاه السالك إلى طريق التصوف له مؤثراته الداخلية النفسية، وقد يكون المتجه إلى التصوف قارئاً للأفلاطونية أو لا يكون، وقد يكون على علم بعقائد الهند أو لا يكون، فذلك لا يفيد في أن يكون صوفياً لأن التصوف لا يكتسب ولكنه ذوق ومشاهدة، ولا يحتاج في وجوده وتحقيقه إلى معارف مكتسبة سوى العقيدة الصحيحة . والتصوف في الإنسان بالفطرة منذ أن وُجد الإنسان، ولم يكن التصوف لذلك شيئاً أضيف إلى الدين الإسلامى وإنما هو جزء جوهري من الدين . وترشد الشَّنة النبوية إلى أن الشريعة والحقيقة كليهما طريق صحيح تعتمد على سلسلة تصل دائماً إلى النبى . والتصوف الإسلامى يختلف عن مثيله المسيحى، لأن الهدف في التصوف الأول هو المعرفة بينما الهدف الثانى هو المحبة، وهناك شروط في التصوف الإسلامى لا توجد في التصوف المسيحى، وذلك أنه يُشترط التأثير الروحى أو البركة ولا تتأتى إلا بواسطة شيخ، وتنتقل سلسلة البركات من الشيخ إلى المريدين، والانتساب إلى السلسلة الصحيحة التى تتحصل عن طريقها البركة ضرورى لبلوغ الولاية، والولى إما يظل ولياً أو يختاره الله لرسالة فيكون نبياً أو رسلاً . والرسول نبى ولكن رسالته عالمية، وهو رحمة للعالمين ومظهر الصفة الإلهية الرحمن، والنبوة بذلك أسمى من الولاية، ودرجة الرسول العالمية أسمى من درجة النبى المحدودة، ودرجة النبى المحدودة أسمى من درجة الولى الخاصة، ومقام الجميع القرب من الله تعالى . والمعرفة في التصوف تسمو على كل معرفة في نطاق المُحسَّات، ومن ثم فهي لا تدخل في نطاق العقلليات، والله ليس كمثله شيء فكيف يُدرك بقياس أو بإنعام نظر، وعلم الكلام الذى لا يسير على نهج سلفى هو آراء من صنع البشر وبدعة وضلالة وعبث وانحراف عن سواء السبيل . والسبيل في التصوف هو التحنث، وكان الرسول يتحنث في غار حراء وينقطع للتأمل . وطريق الكشف أو الإلهام أو الوحي هو طريق البصيرة والمشاهدة، وسماء الصوفية معارج القدس ومنازل السالكين ومدارج السالكين ومنازل الأرواح . والصوفى يبدأ طريقه بالشك ولكنه الشك الصوفى الذى يتناول الحرام والحلال والطيب والخبيث والحس والقبيح، ومن ثم تكون توبته وورعه وتزهد، ويكون شكه في خلجات نفسه من دقائق الرياء ثم ينصرف من ذاته إلى الذات العليا فيستشعر الراحة ويمنحه الله من فيضه وتتحول خشيته من الله إلى محبة له ورؤية الله في كل ناحية وجانب ومكان، وبذلك يكون

الصوفى فى تصفية ، ولا يزال يصفى الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية قلبه عن شوب النفس .

وكانت حياة الشيخ الإمام عبدالحليم محمود حافلة كصوفى وداعية ومعلم ومُربّ وكُرئيس للأزهر، وفى عهده تضاعف عدد المعاهد الأزهرية والكليات الجامعية . ولمّا انتقل إلى رحمة الله سنة ١٩٧٨م بكاه خلقٌ كثير وترحم عليه كل المُخلصين والأبرار وقد عرفوه بكنية «أبو العارفين» وهو تعبّيرهم عن صورته التى عرفوه بها فى مجال المُقبلين على الله من طلاب الحقائق والباحثين عن مشارق الأنوار وأسرار الغيوب ، وقد كان صورة صوفية غير مكررة بما يفيض من القيم وما يُفاض عليه من المواهب .



أبو مدين

شعيب بن الحسن الأندلسى التلمسانى (٥٢٠ - ٥٩٤هـ) الغوث والقطب وشيخ الطريقة ، وكان محبى الدين بن عربى يلقبه بشيخ الشيوخ ويعدّه واحداً من ثمانية عشر نفساً ظاهرين بأمر الله عن أمر الله ، لا يرون سوى الله فى الأكوان . وهو القائل :

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتاداً بصدق مراد
وكان يقول لأصحابه : أعلنوا بالطاعة حتى تكون كلمة الله هى العليا كما يعلن هؤلاء بالمعاصى ولا يستحيون من الله . وكان يقول فى قوله تعالى : فإذا فرغت فانصب ، وإلى ربك فارغب ، أى إذا فرغت من الأكوان فانصب قلبك لمشاهدة الرحمن ، وإلى ربك فارغب على الدوام ، وإذا دخلت فى عبادة فلا تحدت نفسك بالخروج منها وقل ياليتها كانت القاضية . وكان يقول لهم : إياكم أن تميلوا إلى غير الله فيسلبكم لذة مناجاته . ويقول : الحضور مع الحق جنة ، والغيبة عنه نار ، والقرب منه لذة ، والبعد عنه حسرة ، والأنس به حياة ، والاستيحاش منه موت .

وأبو مدين ولد فى قطينانة من أعمال إشبيلية ، وبدأ راعياً ولم يكن يعرف الصلاة ولا يحفظ القرآن ، ويرى النساء فى البرية يتعدون ويصلون فأصابه من ذلك الغم ، وقويت عزيمته على الفرار ليتعلم القراءة والصلاة ، وسار إلى أن وصل إلى البحر ووجد خيمة خرج منها شيخ ، ولما علم بقصته نصحه بالسفر إلى الحاضرة حتى يتعلم العلم لأن الله تعالى لا يعبد إلا بالعلم ، وارتحل إلى فاس ولزم جامعها وتعلم ، وكان من

شيوخه أبو الحسن بن حرزهم ، وتعلم الطريق على الصوفى الكبير أبى يعزى ، وبعد عدة سنوات انتقل إلى مكة والتقى فيها بالشيخ عبد القادر الجيلانى واستمع إليه ، ثم عاد واستقر فى بچاية ، زاهداً ناسكاً حتى اشتهر بين الناس فقصدوه وتابعوه ، وكانت تعاليمه تخالف تعاليم الفقهاء فشكوه إلى السلطان الذى توجس من نواياه لما رأى أتباعه قد كثروا ، ولم يكن أبو مدين يخشى السلاطين والأمراء ، فاعتماده على الله ، ولسانه لا ينقطع عن ترديد عبارة الله الحق . ومن كلماته التى كان يبذرهما بين أحبابه كالنبت الطيب : حياتى قائمة بالوحدانية ، وإشارتى إلى الفردانية ، وروحى راسخ فى علم الغيب يقول إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره ، والحق ما بان عنه أحد من حيث العلم والقدرة ، ولا اتصل به أحد من حيث الذات والصفات . وكلماته كلها مدارها الحق سبحانه ، فالإخلاص عنده هو أن يغيب الحق فى مشاهدة الحق ، والتقوى هى أن ترى الله تعالى فى كل أعمالك ، والتوكل هو الاعتماد على الله فلا يغلب على ذكرك إلا الله ، والتصوف هو التسليم لله ، وحقيقته ألا تذكر ولا تشاهد سواه . وهو يقول :

الله ربى لا أريد سواه هل فى الوجود الحى إلا الله
ذات الإله بها قوام ذاتنا هل كان يوجد غيره لولاه

وأبو مدين من الصوفية الذين يرفى عندهم الوجدان فيرون المعانى فى الأشياء فيأتيهم الوجد أرسالاً من العبارات الموزونة التى مدارها الحكمة وقوامها التراكيب والألفاظ الجميلة . وقصيدته فى الصوفية التى يصفهم فيها بأنهم الفقراء ويقول فيها :

مالذة العيش إلا صحبة الفقراء هم السلاطين والسادات والأمراء
فاصحبهمو وتأدب فى مجالسهم وخل حظك معها قدموك ورا
إلى أن يقول :

يهوى التصوف من أخلاقهم طرفاً تحسن التآلف منهم راقنى نظراً
لازال شملى بهم فى الله مجتمعا وذنبنا فيه مغفورا ومغتفراً
ثم الصلاة على المختار سيدنا محمد خير من أوفى ومن نذرا

وهذه القصيدة هى التى أعجبت الشيخ الأكبر محيى ابن عربى فقام بتخميسها إرشاداً للسالكين فقال :

يا طالبا من لذات الدنيا وطرا إذا أردت جميع الخير فميك يُرى

المستشار أمين فاسمع الخبرا مائدة العيش إلا صحبة الفقرا
هم السلاطين والسادات والأمرا

ولأبى مدين تصانيف منها كتاب «أس التوحيد» و«مفاتيح الغيب لإزالة
الريب وستر العيب». وقيل إنه تخرج على يديه أكثر من ألف تلميذ وكانت لكل
منهم الكرامة والبركة، ولذلك يقال له شيخ مشايخ الإسلام وإمام العباد والزهاد.
وكان يحب أن يلتقى مواعظه عليهم بالأمثلة، ومن ذلك قوله لهم: جاء رجلان إلى أبى
عبد الله التاودى يزورانه فأبصرهما بين يديه هرين جعل كل واحد منهما رأسه على الآخر،
فقالا له: هكذا ينبغي أن تكون الأخوة، فأخذ التاودى لقمة خبز ورمى بها إليهما،
فوثبا كل واحد منهما على الآخر ليأخذ اللقمة، فقال أبو عبد الله: هكذا كانت الأخوة
حتى دخلت الدنيا فأفسدتها. وقال: من اشتغل بطلب الدنيا ابتلى فيها بالذل. والله
سبحانه جعل قلوب أهل الدنيا محلاً للغفلة والوسواس، وقلوب العارفين محلاً للذكر
والاستئناس. ومن لم يصلح لخدمته شغله الله تعالى بالدنيا، ومن لم يصلح لمعرفته شغله
بالآخرة، والذي يظهر الحق معه لم يبق معه غيره، وكل فقير (صوفى) الأخذ أحب
إليه من العطاء لم يشم للفقر (أى للتصوف) رائحة!

والطريق عند أبى مدين يبدأ بالتوبة ثم الإرادة: «طلب الإرادة قبل تصحيح التوبة
غفلة». ومع التوبة تكون الطاعات: فمن يهمل الفرائض ضيع نفسه. وبالحاسبة يصل
العبد إلى درجة المراقبة. ومن رأيت يدعى مع الله حالاً لا يكون على ظاهره شاهد منه
فاحذره. وإحدى آفات التصوف هم هؤلاء الذين يدعون المقامات ويزعمون الكرامات
ويتحدثون عن الدرجات السنية فى القرب، مع أنهم فى أداء الفروض مقصرون، وفى
الذكر فاترون. والدعاوى من رعونة النفس، فاحذر صحبة المبتدعة إبقاء لدينك،
واحذر صحبة النساء إبقاء على إيمان قلبك. وإذا أردت الصفا فالزم الوفا، فالمهل فى
الأحوال لا يصلح لبساط الحق، والحق ما عرف من لم يؤثره. والحق تعالى مطلع على
السرائر والضمائر فى كل نفس وحال، فأى قلب رآه مؤثراً له حفظه من الطوارئ
والمنع ومضلات الفتن. وكل حقيقة لاتمحو أثر العبد ورسمه فليست بحقيقة.
والأساس فى التصوف هو الزهد والاجتهاد.

ومن شعر أبى مدين فى الحب لله تعالى ورسوله ﷺ:

أهل المحبة بالمحسوب قد شغلوا وفى محبته أرواحهم بذلوا

وخرّبوا كل ما يغنى وقد عمروا ما كان يبقى فياحسن الذى عملوا
لم تلهمهم زينة الدنيا وزخرفها ولا جناها ولا حلى ولا حلل

ويقول :

إليك مددت الكف فى كل شدة ومنك وجدت اللطف فى كل نائب
وأنت ملاذى والأنام بمعزل وهل مستحيل فى الرجاء كواجب
وإنى لأرجو منك ما أنت أهله وإن كنت خطاء كثير المعائب
وَصَلَّ على المختار من آل هاشم شفيع الورى عند اشتداد النوائب

وعندما حضرته الوفاة كان آخر ما نطق به : الله الحق . الله الحى . وقبره فى
العماد على مشارف تلمسان مزار عظيم ، ويلقبه الناس فيها «والى تلمسان» . رضى
الله عنه وعنا .



مرجليوث Margoliouth

(١٨٥٨ - ١٩٤٠) انجليزى وكان استاذاً للعربية بجامعة أكسفورد ومن أشهر
المستشرقين ، وله صلات وطيدة بكثير من أدباء العرب ، ومن آثاره فى التصوف سيرة
عبد القادر الجيلانى (١٩٠٧) وسير بعض الصوفية (١٩١٣) .



المرصفى (على نور الدين)

من الراسخين فى العلم ، وكان فى أول أمره أمياً ، وله المؤلفات النافعة فى
التصوف ، منها «منهج السالك إلى أشرف المسالك» اختصر به مقاصد السلوك من
الرسالة القشيرية ، ومنها أيضاً «أحسن التطلاب» فى آداب المريد . وينسب إلى
مرصفة ، وكانت وفاته بالقاهرة نحو سنة ٩٣٠هـ ، ومن كلامه أن المريد إذا وقع منه
شئ مذموم عند شيخه ، وهو محمود عند غيره ، فالواجب عليه عند أهل الطريق رجوعه
إلى كلامه شيخه دون كلام غيره ، وإذا قيل له إن كلام شيخه معارض كلام العلماء
فعليه بالرجوع أيضاً إلى كلام شيخه ، ويكون ذلك أخرى به خصوصاً إذا كان شيخه
من الراسخين فى العلم ، فإذا خرج المريد عن حكم شيخه وقدر فيه ، فلا يجوز لأحد

تصديفه، لأنه فى حالة تهمة لارتداده عن طريق شيخه ومعرفته أن الناس تستنقصه
 حتى يرون أن شيخه طرده، فلا يجد متفصلاً من ضيفه إلا الخط من شيخه والزود عن
 نفسه، كأن يقول لو رأينا فيه خيراً، يفصد الشيخ، مافارقناه، فيزكى نفسه، وإذا
 أراد الله بمريد خيراً، جمعه عند استحكام الخلاف بينه وبين شيخه، على من يصلحه
 عليه فيرجع إليه. وإذا خرج المريد عن حكم شيخه، وانقطع عن مجلسه حياة من
 الشيخ أو من جماعته، أو لزلة وقع فيها، أو فترة حصلت منه، فهو كالطلاق الرجعى
 للشيخ أن يقلبه إذا رجع، لأن معنى رجوعه أنه ما تزال عنده للشيخ حرمة، لاسيما أن
 المريد فى هذه الفترة، أو هذا الاعوجاج، أحوج ما يكون للشيخ، فينغى على الشيخ
 التلطف به. ولا يجوز للمريد أن يسأل شيخه عن سبب هجره أو غيظه، ولا يجوز له أن
 يحيب عن نفسه لو اتهمه شيخه بذنب، لأن الشيخ يرى ما لا يرى المريد.



ابن مسرة

أبو عبدالله بن عبدالله بن مسرة (٢٦٩ - ٣١٩هـ) أندلسى صاحب طريقة
 وتعاليم فى التصوف أساسها وحدة الوجود، وقيل إنه إسماعيلى أو إشرافى، وكانت
 مدرسته تخطط التعاليم الإشرافية بفلسفة أنباز وقلبيس، واتخذ لنفسه منزلاً على مسارف
 قرطبة يجتمع فيه بمريديه ويمارس شعائر طريفته ويفرض على نفسه وعليهم الفواعد التى
 أرادها لطريفته. وللمستشرق الأسباني أسين بلاثيوس دراسة فى فلسفة التصوف عند
 ابن مسرة، ويعتبره من فلاسفة المتصوفة والأصل لكل المدارس التى تلتها والتى قالت
 بوحدة الوجود وبتعاليم الإشراف، وكانت لتعاليمه الاستمرارية من خلال ابن العريف
 وابن عربى إلى أن أثرت على الفكر الأوروبى عند روجر بيكون الفيلسوف،
 وريموندو لوليو المتصوف، ثم دانتى الشاعر فى الكوميديا الإلهية. وقيل إن ابن مسرة
 قد حرص على أن لا تقع تعاليمه فى أيدي غير اتباعه، وأنه التزم بها السرية، غير أن
 له كتاباً يسمى توحيد الموقنين قيل إنه يتكلم فيه عن الصفات الإلهية ووحدتها
 وتناهيها. ولا يوجد عن حياته مانعول عليه سوى الشذرات التى كتبها ابن حزم
 القرطبى وسعيد الطليطلى عن الخصائص العامة لفكره. وقد شاع بين الناس برعم
 السرية التى فرضها على تعاليمه أنه يؤصل مذهبه على عقيدة المعتزلة فى الإرادة الحرة،
 وعنده أن علم الله وقدرته صفتان وقتيتان ومخلوقتان، وأن معرفته بالكليات ولا تحيط

بالجزئيات الحادثة إلا بقدر تخففها في الزمان، وأن الأفعال الإنسانية لا تدخل لفكرة الله فيها، لأن أمرها موكل بالإنسان، والعقاب والثواب ليس مكانها النار والجنة على الحقيقة بل على المجاز، فالنفوس بمقتضى الأفعال تنقلب إلى منقلبات يكون فيها تطهيرها من أدرانها في هذا العالم ليكتب لها الخلاص، ومن ثم فالجحيم والنعيم لا يمكن أن يكونا على الدوام، وخلاصها يكون بعودتها إلى العالم الروحاني الذي فاضت منه أصلاً، وطريقة الخلاص تكون بحاسبة النفس حساباً يومياً يكون به تطهيرها ونقاؤها، والمحاسبة ترقى بها في مدارج المقامات الصوفية، ويتحصل بها العلم بالذات، ومتى تحصل العلم بالذات فقد حصلت الذات، وكذلك جميع الذوات المارقة للمادة بتلك الذات الحقة، والتي نراها كثيرة فتصير عند الصوفي العابد بهذا الظن شيئاً واحداً، والتعدد والكثرة أمران اقتصتهما الحواس الظاهرة وقصور العقل عن إدراك الوحدة الذاتية للأشياء أو مجموعها كمجموع، والوجود من ثم حقيقة واحدة. وقد وقع الناس في كرب عظيم بسبب هذه التعاليم، وكانت لابن مسرة تأويلات لآيات القرآن، وجرت مساجلات حول حقيقة ما يقول ومقصوده مما قال، وما أوقع الناس في اللبس حول مذهبه التناقض الذي عليه أفكاره في جانبها الميتافيزيقي وتطبيقاتها الأخلاقية، فاتهم بالزندقة، وخرج فاراً من قرطبة إلى إفريقية واتجه إلى مكة، ولما تولى عبد الرحمن الثالث عاد إلى قرطبة واستأنف بث تعاليمه إلى أن توفي، وقيل كانت وفاته للإرهاق الذي ترتب على تسككه الشديد، وقيامه على التدريس والجدل مع خصومه، وقد تناولوا مسأله بالرد عليها وخاصة تأويلاته للقرآن. وفي تاريخ قضاة الأندلس أن ابن زرب القاضي (المتوفى سنة ٣٨١هـ) تنع أصحاب ابن مسرة لاستنابة من يعتقد مذهبه، وأحرق ما وجد عندهم من كتبه، ووضع كتاب «الرد على ابن مسرة» في نقض آرائه. ومن الذي تأثروا به في الأندلس اسماعيل الرعيني تلميذه المتوفى سنة ٤٥٦هـ، وأبو بكر الميورقي وابن بركان وابن قسي، وكان من نصيبهم جميعاً أن خلطوا تصوفهم بالفلسفة الإشراقية أو الحكمة الأنباذوقلية.

إبن مشيش

القطب الأكبر عبد السلام بن مشيش له المعام العلى في المغرب، قيل هو كالتفاعى فى مصر، وطريقته قوامها الإخلاص، يقول: «فاعبد الله مخلصاً له الدين — ألا لله الدين الخالص». والعارف لا تنقصه حظوظ نفسه لأنه بالله تعالى فيما يأخذ

ويترك، والصوفى يرى نفسه حسب ما هو فى علم الله، لا يختار من الأمر شيئاً، ويختار أن لا يختار، وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة. وكل مختارات الشرع وترتيباته فهى مختار الله ليس لك منه شىء، فاسمع وأطع، وهذا موضع الفقه الربانى والعلم الإلهى. وابن منيش هو استاذ أبى الحسن الساذلى وهو ينقل عنه ويقول أوصانى استاذى، ومن ذلك تلك العبارة الموجزة والمتضمنة للمذهب كله: حدد بصر الإيمان تجد الله فى كل شىء، وعند كل شىء، ومع كل شىء، وفوق كل شىء، وقريباً من كل شىء، ومحيطاً بكل شىء.. واحمى الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن. كان الله ولا شىء معه. والزم الطهارة من الشرك، كلما أحدثت تطهرت من دنس حب الدنيا، وكلما ملت إلى الشهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى. وعليك بحبة الله على التوقير والنزاهة، وأدمن الشرب بكأسها مع السكر والصحو، وكلما أفقت أو تيقظت شربت حتى يكون سكرك وصحوك به، وحتى تغيب بجماله عن الحمة وعن الشراب والشرب والكأس بما يبدو لك من نور جماله وقدر كمال جلاله. وأما الشرب فهو سقيا القلب، وأما الكأس فهو معرفة الحق. وإن أردت أن لا يصدأ لك قلب، ولا يلحفك هم ولا كرب، ولا ينفى عليك ذنب فأكثر من قول سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، لا إله إلا هو، اللهم ثبت علمها فى قلبى واغفر لى ذنبى. وإن أردت الصدق فى القول فأكثر من قراءة إنا أنزلناه فى ليلة القدر، وإن أردت الإخلاص فى جميع أحوالك فأكثر من قراءة قل هو الله أحد. ومصدر ذلك كله صدف الورع وحسن النية وإخلاص العمل ومحبة العلم، فإن أردت أن تكون مرتبطاً بالحق فتبرأ من نفسك واخرج عن حولك وقوتك وأسقط الخلق من قلبك، ولا تسرف بترك الدنيا، وإذا توجهت لشيء من عمل الدنيا فقل يا قوى يا عزيز، يا عليم يا قدير، يا سميع يا بصير، وإذا ورد عليك المزيد من الدنيا فقل حسبنا الله، سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون».

ولابن منيش رسالة الصلاة المشيشية تناولها الكثيرون بالشرح كأبى العباس الكتانى فى كتابه الحلل العبرية على الصلاة المشيشية. ولأبى محمد عبدالله بن محمد الوراق رسالة فى مناقب ابن منيش. وكان يقول إن كنت مؤمناً فاتخذ الكل عدواً كما قال إبراهيم عليه السلام «فإنهم عدو لى إلا رب العالمين»، وقد قتله أحد هؤلاء ويدعى ابن أبى الطواحن الكتامى على يد جماعة بعث بهم. وكان استشهاده سنة ٦٢٢ هـ.



معروف الكرخی

من جلة مشايخ العراف الذين يذكرون بالورع والفتوة، واسمه أبو محفوظ معروف بن فيروز أو ابن الفيرزان، كان نصرانياً من موالى على بن موسى الرضا فأسلم وهو طفل على يديه، واضطر أبواه أن يسلموا لما شاهدوا منه الإصرار على الإسلام أو هجرهما. وقد اشتغل حاجباً لعلی بن موسى الرضا طوال حياته، إلى أن ازدهت الشيعة على باب علی يوماً فانكسرت ضلوع معروف في الزحام ومات سنة ٢٠٠هـ، وقبره بظاهر بغداد تبرك به، وكان معروف مستجاب الدعوة حتى أنه قال يوماً لسرى السقطي تلميذه: إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بى. والحكايات الكثيرة تروى عن إجابة الله تعالى لدعائه. واسم الكرخی نسبة إلى الكرخی إحدى قرى بغداد حيث نشأ معروف. وقد صحب داود الطائي فقال له أصحابه وهو طفل: إياك أن تترك العمل فإنه الذى يقربك إلى مولاك، وسأهم أى عمل، فقالوا: دوام الطاعة لله وخدمة المسلمين والنصح لهم. وقد ظلب هذه حاله حتى مات فكان من أفضل المشايخ تعليماً للمريدين. ومن كلامه: إذا أراد الله بعد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الكسل، وقيل وأغلق عليه باب الجدل. وكان الكرخی يعاتب نفسه دوماً ويقول: يامسكين، كم تبكى وكم تندب. أخليص تخليص. وقيل له فى مرض موته: أوص، فقال: إذا مت فتصدقوا بضميصى فإنى أريد أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا كما دخلتها عريانا. ولما مات حلم به سرى السقطي كأنه تحت العرش، فيقول عز وجل للملائكة من هذا، فيقولون أنت أعلم يارب، فيقول هذا معروف الكرخی، سكر من حُبى فلا يفنى إلا بلمائى. وسألوه فى منام آخر: ماذا فعل الله بك، فقال: غفرلى، وسألوه: بزهك وورعك؟ قال: لا، بقبولى موعظة ابن السمّاك، ولزوم الففر ومحبتى للفقراء. ويقول معروف عن موعظة ابن السمّاك، أنه كان ماراً فسمع رجلاً يقول له ابن السمّاك يعظ الناس ويقول ضمن ما قال: من أقبل على الله نقله أقبل الله برحمته إليه، وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه، ومن أعرض عن الله بكلية أعرض الله عنه جملة، ومن كان مرة ومرة فأنه يرحمه وقتاً ما. ويقول معروف: فوقع كلامه فى قلبي، فأقبل على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي على بن موسى الرضا. وذكرت ذلك لمولاي فقال يكفيك بها موعظة إن اتعظت!! ومن كلامه: ما أكرت الصالحين وأقل الصادقين فى الصالحين. وطلب منه أحد تلاميذه أن يوصيه، فقال: توكل على الله حتى يكون هو معلمك ومؤنسك وموضع شكواك، فإن الناس لا ينفعونك

ولا يضرونك . **وقال :** غَضُوا أَبْصَارَكُمْ وَلَوْ عَنْ شَاةِ أَنْثَى . **وقال :** علامة مفتت الله للعبد أن يراه مستغلاً بما لا يعنيه من أمر نفسه . **وقال :** طلب الجنة بلا عمل ذنب ، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور ، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحقق . وسألوه عن الطائعين في الله ، بأي شيء قدروا على الطاعة ، **فقال :** بإخراج الدنيا عن قلوبهم ، ولو كان منها شيء في قلوبهم ما صحت لهم سجدة . **وسئل :** بما تخرج الدنيا من القلب ، **قال :** بصفاء الود وحسن المعاملة . **وسئل عن المحبة فقال :** المحبة ليست من تعليم الخلق ، إنما هي من مواهب الحق وفضله . **وقال :** الفتيان علاماب ثلاث : وفاء بلا خلاف ، ومدح بلا جود ، وعطاء بلا سؤال . **وسئل :** ما علامة الأولياء فأجاب : ثلاث ، همومهم بالله ، وشغلهم فيه ، وفرارهم إليه . **وقال :** ليس للعارف نعمة ، وهو في كل نعمة . **وقال :** قلوب الطاهرين تشرح بالتقوى وتزهر بالبر ، وقلوب الفجّار تظلم بالفجور وتعمى بسوء النية . ومن إشاراتة :

الماء يغسل ما بالثوب من درن وليس يغسل قلب المذنب الماء



ابن مُفلح

شمس الدين محمد بن مفلح (٧٠٨ — ٧٦٣هـ) قال فيه ابن القيم أنه مات تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح . وهو من تلاميذ ابن تيمية ، وكان يقول له ما أنت ابن مفلح بل أنت مفلح . وكانت ولادته ونشأته بيت المقدس ، ووفاته بصالحية دمشق ، واشتهر بكتبه الثلاثة في قواعد السلوك والآداب ، وهي الآداب الشرعية الكبرى ، والوسطى ، والصغرى ، وتشتمل على جملة كثيرة من الآداب الشرعية والمنح المرعية مما يحتاج إلى معرفته أو معرفة كثير منه كل عالم أو عابد وكل مسلم ، وقد حرص فيها على نفل آراء السابفين في قواعد السلوك . ويحرم ابن مفلح النظر فيما يمكن أن يستجلب به الضلال ، أو يكون به التردى في الشك والشبهة ، من أمثال كتب أهل الكلام والبدع المضلة كالصوفية ، ويقول إنه ليس أضل من المتكلمين والصوفية ، والأولون إفسادهم للعقول بالشبهات ، والآخرون إفسادهم للأعمال ، ويقول إنه خبر الطريقين ، وأن غاية الأولين الشك ، وغاية الآخرين الشطح ، والمتكلمون عنده خير من الصوفية ، لأن المتكلمين قد يردون الشك ، ولكن

الصوفية يوهمون التشبيه والإشكال. ويحذر من الثقة بهؤلاء وهؤلاء، فإنما الثقة تكون بمن «يحدثون عن الله فما أحدثوا، وعولوا على مارووا وليس على مارأوا». ونقده للتصوف من كراهيته للكلام فى الخطرات والسواس، وحضه على التمسك بكتب الأثر. ويعارض الصوفية الذين يتمايلون ويصبحون فقد كان الرسول والصحابه تفيض دموعهم وتقشعر جلودهم وتلين قلوبهم لذكر الله، ولم يحدث فيهم صعن أو غشيان، وعلى الرغم من أن الصعق والغشيان حدث لغير واحد من التابعين فإن الصحابة أفضل منهم لقوتهم وكماهم، وأما ما حدث بعد ذلك لغير التابعين فإن الصادق منهم عظيم القدر بسبب حضور قلبه الحى وعلمه لمعنى المسموع وتفديره. وتهى الشريعة عن تحريك الطباع بالرغوبات، وتمنع دق الطبول والدب والنياحة والمرح وجو الخيلاء، فعلمنا أن الشرع يريد الوقار دون الخلاعة، فما بال الوجد وتخريق الثياب والصعق والتماوت مع هؤلاء المتصوفة؟

ويرى ابن مفلح أن القلوب تضعف وتمرض وربما ماتت من الغفلة والذنوب، وعلاجها ليس بالتصوف وإنما بالزهد من طريق السُّنة، ويعرفه بأنه الإياس مما فى يدى الناس، والدعاء لله فإن القلوب تحيا وتقوى وتصح بالتوحيد واليفظة، والذنوب تنكت فى القلب حتى يبقى أسود، ومخالفة النفس تمنع عن الذنوب، والصلاة والمجاهدة وسائر أنواع الرياضات تقوى البدن والنفس كتنقيتها بالتعلم والتأدب والصبر والسماحة وحب الخير، فتحصل للنفس القوة والانشراح، والجهد أقوى من هذا المعنى وأولى.



المقرىزى

أحمد بن على بن عبد الفادر (٧٦٦ - ٨٤٥هـ). قيل نسبته المقرىزى لحارة المقارزة فى بعلبك، وله «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ويُعرف بخطط المقرىزى ويؤرخ فيه للديار المصرية، ويفرد فيه أبواباً فى أحوال الصوفية بمصر فى زمنه، وماهم من رُبُط وخانقاوات وزوايا، ويلقى الضوء على مكانة التصوف عند المصريين، وأجناس المتصوفة وطريقة معيشتهم والنظم والقواعد التى يأخذون أنفسهم بها، ومعاملاتهم مع السلطة والشعب. ويقول فى باب ما ذاع عن تعاطى الصوفية للمحدرات تحت عنوان ذكر حشيشة الفقراء - ويفصد بالفقراء الصوفية - أن مشايخ الصوفية فى

خراسان من إيران كانوا أول من اكتشف التأثير المبهج للحشيش وأنه يقلل من الشهية للطعام فيساعد على الصيام، ويمنع التهييج الجنسي فيصون الصوفى عن الرذيلة، ويقول: إن بداية هذا الاكتشاف سنة ٦٥٨هـ، وأن الصوفية تعاهدوا فيما بينهم أن لا يطلعوا العامة على نبات القنب ومفعوله، فقد خص الله الصوفية به، ولم تزل الحشيشة ذائعة فى إيران ولا يعرفها أهل العراق حتى وفد عليهم هرمز فاشتهرت هناك. والفراء، أى الصوفية، يقصدون فى استعمال هذا المخدر، مع ما يجدون من اللذة، تحفيفاً للمنى، وفى إبطاله قطع لتهوة الجماع كى لاتميل نفوسهم إلى ما يوقع فى الزنا. ويقول المقرئى: إن انتشار الحشيشة كان من الصوفية إلى غيرهم، ولهذا السبب غلبت السفالة على الأخلاق، وارتفع ستر الحياء والحشمة من بين الناس، وجهروا بالسوء من القول، وتفاخروا بالمعائب.

ويقول المقرئى: إن «الخونقاه أو الخانكاه»، أى الموضع الذى يأكل فيه الملك، حدثت فى الإسلام فى حدود الأربعمئة من سنى الهجرة، وجعلت لتخلى الصوفية للعبادة. وبعد أن يتحدث المقرئى فى أصل كلمة صوفى وأركان التصوف عند السلف يعلق قائلاً: ثم تدهور الآن حال الصوفية ومشايخها حتى صاروا من سقط المتاع، فلا ينسبون إلى علم ولا ديانة، وإلى الله المشتكى! ويذكر المقرئى بعض أو أشهر هذه الخانقاوات، ومنها دار سعيد السعداء وكانت أول دار تعرف فى الدولة الفاطمية. وسعيد هذا هو الاستاذ قنبر ولقبه سعيد السعداء، وكان من عتقاء المستنصر وقتل سنة ٥٤٤هـ، فسكن داره الوزير رزك ثم شاور، فلما ولى صلاح الدين الأيوبي جعلها برسم فقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة، ويقصد الأجانب عن مصر، ووقفها عليهم سنة ٥٦٩هـ، وولى عليهم شيخاً ووقف عليهم أوقافاً، وشرط أن من مات من الصوفية وترك عشرين ديناراً فما دونها تكون للفراء، ومن أراد منهم السفر يعطى أجرة السفر، ورتب للصوفية فى كل يوم طعاماً ولحماً وخبزاً، وبنى لهم حماماً بجوارهم، فكانت أول خانقاه عملت بديار مصر وعرفت بدورة الصوفية، ونعت شيخها بشيخ الشيوخ، واستمر ذلك إلى أن كانت الحوادث والمحن وانضعت الأحوال وتلاشت الرتب، فلقلب كل شيخ خانقاه بشيخ الشيوخ. وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح، وترجى بركتهم، وولى مشيختها الأكابر والأعيان، كأولاد شيخ الشيوخ بن حويه، مع ما كان لهم من الوزارة والإمارة وتدير الدولة وقيادة الجيوش وتقديم العساكر. ووليا ذو الرياستين الوزير صاحب، وقاضى الفضاة تفى الدين عبد الرحمن، وجماعة من الأعيان، ونزل بها الأكابر من الصوفية. وكان الناس يأتون

من مصر إلى القاهرة يوم الجمعة ليشاهدوا صوفية خانقاه سعيد السعداء عندما يتوجهون إلى صلاة الجمعة بالجامع الحاكمى كى تحصل لهم البركة والخير بمشاهدتهم . وكان لهم فى يوم الجمعة هيئة فاضلة ، فيخرج شيخ الخانقاه وبين يديه خدام الربعة الشريفة ، والصوفية خلفه يمشون فى سكون وخضر إلى باب الجامع فيكون هذا من أجل عوايد القاهرة .

وكان عدد التوفية الازلين بخانقاه سعيد السعداء نحو الثلاثمئة رجل ، لكل منهم فى اليوم ثلاثة أرغفة فى العادة ، زنتها ثلاثة أرتال ، وقطعة لحم زنتها ثلث رطل فى مرق ، وتعمل لهم الحلوى كل شهر ، ويرق عليهم الصابون ، ويعطى كل منهم ثمن كسوة كل سنة مقداره أربعون درهماً . ولما اضطربت أحوال الدولة الاقتصادية رأى المختصون إغلاق مطبخ الخانقاه وإبطال الطعام فلم تحتل الصوفية وتكررت شكواهم .

ومن الخانقاوات المشهورة أيضاً **خانقاه الظاهر بيبرس** ، وكانت أجل خانقاه بالقاهرة بنيانا ، وأوسعها مقداراً ، وأتفنها صنعة ، بناها بيبرس وهو أمير ، وبنى إلى جوارها رباطاً كبيراً وجعل بجانبها قبة بها قبره ، وقرر بالخانقاه أربعمئة صوفى ، وبالرباط مائة من الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت ، وجعل بها مطبخاً يفرق على كل منهم فى كل يوم اللحم والطعام ، وثلاثة أرغفة من خبز الر ، وجعل لهم الحلوى ، ورتب بالمبة درساً للحديث النبوى له مدرس ، وعنده عدة من المحدثين ، ورتب الفراء يتناوبون القراءة بالليل وبالنهار ، ووقف عليها الأوقاف ، فلما حلع من السلطنة غطلت عشرين سنة ثم فتحت من جديد ، ثم من بعد ذلك غُطل المطبخ بسبب الضائقة الاقتصادية واستمر الخنز ومبلغ سبعة دراهم لكل صوفى فى الشهر بدك طعام ، ثم زيد المبلغ إلى عشرة دراهم ، ثم لما قصر مد النيل بطل الخبز وأغلق المحبز من الخانقاه ، وصار الصوفية يأخذون فى كل شهر مبلغاً من المال . ويعمل المفرىزى أنه حضر الخانقاه وكانت لها مهابة ، وقد ذهب تلك المهابة ونزل بها الصغار والأساكفة والعامة . ويذكر المفرىزى من الخانقاوات الأخرى **خانقاه سرياقوس** بسماسم **سرياقوس** ، وكانت معالمها من أسنى المعالم بديار مصر ، ويصرف فيها لكل صوفى رطل لحم من الضأن فى طعم شهى ، ومن الخنز المسمى أربعة أرتال ، ويصرف له فى كل شهر مبلغ أربعين درهماً فضة ، ورطل حلوى ، ورطلان زيتاً من ريب الزيتون ، ومثل ذلك من الصابون ، ويصرف له ثمن كسوة كل سنة ، وتوسعة فى كل رمضان ، وفى العيدين ، وفى مواسم رجب وشعبان وعاشوراء ، وكلما قدمت فاكهة يصرف له

مبلغ لشرائها. وفي الخانقاه خزانة بها السكر والأشربة والأدوية، وبالخانقاه الجرائحي والكحّال ومصلح الشعر. وفي كل رمضان يفرق على الصوفية كيزان لشرب الماء، وتبيّض لهم قدورهم النحاس، ويعطون حتى الأشنان لغسل الأيدي من وضر اللحم. وبالحمام حلاف لتدليك أبدانهم وحلق رؤوسهم، فكان المنقطع بها لا يحتاج لشيء غيرها ويتفرغ للعبادة، ثم استجد بها بعد سنة تسعين وسبعمئة حمام آخر يرسم النساء، ثم تدهور الحال فصار بصرف لهم مبلغ من المال كمقابل للطعام. وأقول فأين ذلك كله من أحوال الصوفية الأوائل الذين استهروا بالزهد وفلسموا الجوع والسهر، فلا عجب أن يتوافد الصوفية على مصر من كل بلاد الإسلام، ويعيشون في هذه الخانقاوات عيشة الترف، وقد قيل إن الشيخ المغربي لما وفد إلى مصر نزل بها وبصحبه خمسمائة من الصوفية!! ويقول المقریزی إنه سمع عن أحدهم كان ينام بالأربعين يوماً بلياليها فلا يستبظ البتة!!

ومن الخانقاوات المشهورة أيضاً خانقاه أرسلان وأول من ولى مشيختها محمد بن جعفر جد الشيخ عبدالرحيم الفنائي. وعن الرُّبُط يذكر المقریزی أنها بيوت الصوفية ومنازلهم، ولكل قوم دار، والرباط هو دار الصوفية، وقد شابهوا أهل الصفة في ذلك، ومن أشهرها رباط **الصاحب** وكان يسكنه عشرة من الفقراء المجردين غير المتأهلين. والربط يمكن أن تكون للنساء المتصوفة كما هي الرجال، وقد علمنا أنهم أضافوا حماماً للنساء بخانقاه سرياقوس حيث يكون من الممكن أن جزءاً من هذه الخانقاه كان للنساء. ومنها أيضاً رباط البغدادية الذي بنته جلييلة ابنة الملك الظاهر بيبرس في مواجهة خانقاه أبيها — خانقاه بيبرس، وخصصته لسكنى الشيخة الصالحة زينب ابنة أبي البركات المعروفة ببنت البغدادية، فأنزلتها بها ومعها النساء الصالحات، ومهمة الشيخة أن تعظ وتذكر النساء وتفقهن، ومن اشتهرن من الزيالات فاطمة بنت عباس البغدادية وكانت فضية وافرة العلم، وزاهدة، عابدة، واعظة، انتفع بها كثير من نساء دمشق ومصر، وكان لها قبول زائد، وصار بعدها كل من قام

بشيخة هذا الرباط من النساء يقال لها البغدادية. وكانت تودع في هذا الرباط النساء اللاتي يطلّغن أو يُهجرن ولا عائل لهن، حتى يتزوجن أو يرجعن إلى أزواجهن، صيانة لهن، لما كان فيه من شدة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات، حتى أن خادمة الففيرات به كانت لا تمكّن أية امرأة من استعمال إبريق بيزبوز وتؤدب من خرج عن الطريق بما تراه.

ومن الزوايا التي يذكرها المقرئى زاوية القلندرية — ويقول فى القلندرية أنهم يتمون إلى الصوفية ، ويسمون أنفسهم أحياناً الملامتية . وبهنا أن نتعرف إلى رأى المقرئى — أو ما يقوله الناس فى زمنه عن القلندرية فى مصر . ويقول المقرئى إن حقيقة القلندرية أنهم طرحوا التقيد بآداب المجالسات والمحادثات ، وقلت أعمالهم من الصوم والصلاة إلا الفرائض ، ولم يبالوا بتناول شئ من اللذات المباحة ، واقتصروا على رعاية الرخصة ، ولم يطلبوا حقائق العزيمة .. إلى أن يقول إن هذه الزاوية خارج باب النصر أنشأها الشيخ حسن الجوالقى القلندرى أحد فقهاء العجم القلندرية ، ولما قدم مصر تقدم عند الأمراء وأقبلوا عليه واعتقدوه فأثرى ثراء زائداً !! وكان يحلحله لحيته ولا يعتم .. وفى عهد السلطان الملك الناصر قلاوون استدعى الشيخ زاوية القلندرية ، وأنكر عليه حلحله لحيته واستتابه ، وكتب توقيفاً سلطانياً منع فيه هذه الطائفة من تحليق لحاهم . ويعلق المقرئى على بدعة القلندرية هذه أنها منذ ظهرت حتى وقته لها ما يزيد على أربعمئة سنة ، وكان أول ظهورها بدمشق سنة بضع عشرة وستمئة . وقد كتب السلطان إلى بلاد الشام بإلزام القلندرية بترك زى الأعاجم والمجوس ، وعدم تمكين أحد من الدخول إلى بلاد الشام حتى يترك هذا الزى المبتدع واللباس المستبشع ، ومن لا يلتزم بذلك يعزر شرعاً .

ملامتية

مذهب فى التصوف انتشر من نيسابور ، قيل صاحبه حمدون القصار (المتوفى سنة ٢٧١هـ) ، ويشترى الاسم من الملامة ، يُفصد بها الصوفى إذا أظهر أعماله أو أحواله للناس ، ومن ثم فالسلوك الأمثل للملامتى هو أن يظهر للناس كما لو كان لا يفصد إلى الخير ، وهو فى نفس الوقت لا يضم بالطمع أى شر . والمقولة التى يقوم عليها المذهب الملامتى هى الإخلاص ، وهو فى تعريفهم أن تكون صادقاً مع نفسك ومع الله دون الخلق ، فالملامتى لا يتوخى الناس فى سلوكه ويكتم أحواله وأعماله ، ويجد لذة فى كتمانها ، وعدم اطلاع الناس عليها ، وإذا ظهرت للناس استوحش من ذلك كما يستوحش العاصى من ظهور معصيته . والملامتى يتمسك بالإخلاص ويعتد به ، إلا أن هناك فرقاً بين إخلاص الملامتى وإخلاص الصوفى ، حيث الملامتى يريد أن يظهر فى نفسه أنه مخلص ، بينما الصوفى من فرط إخلاصه فى حاله وعمله ينسى نفسه فيها ولا بدرى عن إخلاصه شيئاً ، ولذلك قيل إن الملامتى هو حفاً مخلص ، ولكن الصوفى

مخلص خالص ، أو قيل إن الملامتى مخلص (بكسر اللام) بينما الصوفى مخلص (بفتح اللام). ولا شك أن رؤية المخلص لإخلاصه ينتقص من الإخلاص . وقد يظهر العارف أحياناً بعض عمله أو حاله ، ويفصد إلى ذلك ، وهو يريد به أن يراه المريد فيتابعه عليه ويتعلم منه ، ولا يجوز أن نطلق من ثم على سلوك العارف وقتها أنه الرياء ، وهو المقابل للإخلاص ، ولكنه بتعبير أبى سعيد الخراز صورة رياء وليس رياء ، على عكس المريد المخلص الذى يثبت لنفسه أنه مخلص بوعيه بإخلاصه وقصده إليه ، وذلك تفسير مقالة الخراز: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين ، فالمخلص الذى يرى إخلاصه إنما ينتقص من كمال إخلاصه .

وقيل إن الملامتى إذا استدعى لذكر فإنه يرفض لأنه لا يجب أن يظهر وجهه على لسانه . والذكر باللسان عند الملامتية هو ذكر العامة وذكر العادة ولا يكون إلا عند غفلة القلب واستغلاف السر و فراغ الروح ؛ والروح عندهم لها ذكر ، وهو ذكرها للذات فى حال المشاهدة ؛ وللسر ذكر هو ذكر صفاته جل وعلا ، وهو ذكر الهيبة التى للمولى والتهيب الذى يكون عليه حال الصوفى ؛ وللقلب ذكر هو ذكر آلاء الله ونعمه أو ذكر أثر الصفات . ولا يصح للسر أن يطلع على ذكر الروح ، ولا يصح ذكر الروح بإطلاع السر عليه ؛ وأيضاً لا يصح للقلب أن يطلع على ذكر السر ، فإذا اطلع عليه لا يكون صحيحاً ؛ وكذلك لا يصح للسان الإطلاع على ذكر القلب . ومعنى قول الملامتية إطلاع السر على ذكر الروح يشيرون إلى التحقيق بالفناء عند ذكر الذات ، وأما ذكر السر فإشارة إلى معنى القرب وليس الفناء ، وذكر القلب يشعر أن هناك بُعداً ماله أنه اشتغال بذكر النعمة وذهول عن المنعم .

والقلندرية فئة من الصوفية الملامتية ، وحقيقة طريقتهم أنهم تركوا العادات والآداب ، وأهملوا التقيد بتقاليد المجالس والمعاملات ، ويؤدون فرائض الشرع ولا يجيزون الزيادة عليها ، ولا يحرمون أنفسهم من اللذات المباحة ، ولا يلتزمون بالأحكام المتشددة ، ولا يتخذون طريق الإفراط فى الزهد والتقشف وترك الدنيا ، أى أنهم بينما يلزمون أنفسهم بالآداب يدخروا شيئاً ولا يجمعوا حطام الدنيا ، فإنهم فى نفس الوقت لا بالغون فى التعبد والترهد والتقشف ، وما يولونه عنايتهم حقاً هو صفاء القلب مع الله . والفرف بين الملامتى والقلندرى أن الأول يجتهد فى كتمان عبادته ، بينما الثانى يجتهد فى محو العادات ، وتمسك الملامتى بكل وسائل الإحسان والخير إلا أنه يخفى أعماله ويظهر من حيث الشكل والهيئة كالعوام كى لا يف أحد على حقيقة حاله ،

ولكنه فى نفس الوقت يعمل على الاستزادة من العبادة، بينما الفلندرى لايهتم باللباس والمظهر، ولا يهتم باطلاع الآخرين على باطل حاله ولا يهتم شىء البتة إلا إخلاصه لربه وصفاء سره وباطنه، ويلبس كل ما يفع بيده، ولا يأبه بأية هيئة ظهر. ومن مظاهر الفلندرية خلق شعر الرأس واللحية والشارب والحاجبين. ويروى المقريزى أن السلطان حسن بن محمد بن قلاوون أمر فى مصر سنة ٧٦١هـ بأن يترك الفلندرية بدعة خلق الشعر والتزيى بزي الأعاجم والمجوس.



الملطى (أبو الحسين)

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، سبه الملطى لأنه من ملطية، وسكن بعسفلان وتوفى بها (٣٧٧هـ)، وهو من أوائل الذين نقدوا غلاة المتصوفة فى كتابه «التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع»، وأطلق عليهم اسم الروحانية، يقول سموا كذلك لأنهم زعموا أن أرواحهم تنظر إلى ملكوت السماوات، وبها يعاينون الجبان ويجامعون الحور العبن. وسموا أيضاً الفكرية، لأنهم يتفكرون حتى يصيرون إليه، فجعلوا الفكر بهذا غاية عبادتهم ومنتهى إرادتهم، ينظرون بأرواحهم فى تلك الفكرة إلى هذه الغاية، فيتلذذون بمخاطبة الله لهم ومصافحته إياهم ونظرهم إليه — زعموا! ويتمتعون بجامعة الحور العين ومفاكهة الأكرار، على الأرائك متكئين، ويسعى عليهم الولدان المخلدون بأصناف الطعام وألوان الشراب وطرائف الثمار. ولو كانت الفكرة فى ذنوبهم الندم عليها والتوبة منها والاستغفار، لكان مستقيماً، وأما هذه الفكرة فبؤسها لهم الشيطان، لأنه لا يتلذذ بلذات الجمة إلا من صار إليها يوم القيامة، وهكذا وعد الله عباده المؤمنين والمؤمنات. ومنهم صنف من الروحانية زعموا أن حب الله يغلب على قلوبهم وأهوائهم وإرادتهم حتى يكون حبه أغلب الأشياء عليهم، فإذا كان كذلك عندهم، كانوا عنده هذه المنزلة، ووقعت عليهم الخلّة من الله، فجعل لهم السرقة والرنا وشرب الخمر والفواحش كلها — على وجه الخلّة التى بينهم وبين الله، لا على وجه الحلال، ولكن على وجه الخلّة كما يحل للخليل الأخذ من مال خليله بغير إذنه — ومن هؤلاء رباح وكليب، وكانا يقولان بهذه المقالة ويدعوان إليها. ومنهم صنف من الروحانية زعموا أنه ينبغى للعباد أن يدخلوا فى مصمار الميدان حتى يبلغوا إلى عاية السفة، من تضيير أنفسهم وحلها على المكروه، فإذا بلغ تلك الغاية أعطى نفسه كل ما تنسئ وتتمنى،

أحاديث الشرح الكبير فى ست مجلدات ، وتحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج فى ثمانى مجلدات ، وجمع الجوامع وهو قريب من مائة مجلد ، وحقائق الأولياء ويشتمل على ألفى حديث ، و خلاصة الفتاوى يقع فى مجلدين ضخمين ، وذرة الجواهر فى مناقب الشيخ عبد القادر (عبد القادر الجيلانى) ، وشرح للألفية ، ولزوائد جامع الترمذى ، وسنن أبى داود ، والنسائى ، ومسلم ، والعمدة ، ومختصر التبريزى ، ومختصر منتهى السؤل والأمل فى علمى الأصول والجدل ، والمنقى من الأحكام ، والجامع الصغير ، وله طبقات الأولياء أو الصوفية ، وطبقات القراء ، وطبقات المحدثين الخ .

وكتاب طبقات الأولياء أو الصوفية جمع فيه نحواً من مائتى وثلاثين ترجمة ، بخلاف التراجم الفرعية ، ابتداء من منتصف القرن الثانى الهجرى ، بدءاً بإبراهيم بن أدهم المتوفى سنة ١٦١هـ ، حتى العقد التاسع من القرن الثامن الهجرى ، وانتهاء بشهاب الدين القونوى المتوفى سنة ٧٨٧هـ ، ويقع فى قسمين ، الطبقات ، تم الذيل عليها ، ويرتبه وفق الأبجدية ، على غير ما جرى عليه الحال فى التأليف لمثل ذلك ، فالمألوف أن الطبقة هى الجيل الواحد من أهل الصنعة أو العلم ، الذين يجمعهم زمان واحد ، فيأخذون عن بعضهم البعض . وتضم الذيل تراجم للصوفية حسب الكنية أو غير ذلك ، أو أنها تراجم لمن أخذ عن الشيوخ أو عاصروهم . ويقدم ابن الملقن للكتاب هدفه وغايته من تأليفه فيقول : إله جملة من أعلام الأعيان وأوتاد الأقطاب فى كل قطر وأوان ، جمعهم لأهتدى بآثارهم ، وأقتفى بآثارهم ، رجاء أن أنظم فى سلوكهم ، فالمرء مع من أحب ، وأحيا بذكرهم ويزول عنى التَّصَب . ويمتاز الكتاب بالذيل على التراجم ، وكثرة الشعر الصوفى فيه ، إلا أن ما يورده ابن الملقن غير موثق التوثيق الذى عليه تراجم السلمى فى طبقاته ، وبعض التراجم المعلومات فيها ضئيلة قد تقى بالتعريف دون التوصيف .

وقيل إن ابن الملقن أصابه ذهول فى نهاية حياته ، فقد أتى حريق على مكتبته بما حوت من ذخائر ، فأصابه من ذلك حزن بليغ فقد قضى عمره يجمع فيها النفائس ولا يضمن على ذلك بالمال ، وكان ابنه يعزبه ويقول له :

لا يزعجك يا سراج الدين أن لعبت بكتبك ألسن النيران
لله قد قربتها فُتُّبِلت والنار مسرعة إلى القربان

وعنده أن أكل الطيبات كأكل الأراذلة من الأطعمة ، والصبر والخبيص بمنزلة واحدة ، والعسل والخل عنده بمنزلة ، فإذا كان كذلك فقد بلغ السبقة وسقط عنه تضمير الميدان وأتبع نفسه ما اشتبهت ، ومن هؤلاء ابن حيان ، وكان يقول هذه المقالة . ومنهم صنف يفولون إن ترك الدنيا إشغال للقلوب وتعظيم للدنيا ومحبة لها ، ولما عظمت الدنيا عندهم تركوا طيب طعامها ولذيذ شرابها ولبن لباسها وطيب رائحتها ، فأشغلوا قلوبهم بالتعلق بتركها ، وكان من إهانتها مواتة الشهوات عند اعتراضها حتى لا يشتغل القلب بذكرها ويعظم عنده ما ترك منها . ورباح وكليب كانا يقولان هذه المقالة .

والظاهر أن السراج الطوسي قد تأثر به في كتابه اللمع ، فقد كان معاصراً له ، فذهب إلى التنبيه إلى هؤلاء الغلاة وأطلق عليهم اسم المترسمين بالتصوف .

■ ■ ■ ابن الملحن

عمر بن علي بن أحمد الأنصاري ، الشافعي ، سراج الدين ، أبو حفص ، الأندلسي ، ثم المصري ، ولد بالقاهرة سنة ٧٢٣هـ ، وتوفي بها سنة ٨٠٤هـ ، صاحب طبقات الأولياء ، ويسمونها أحيانا طبقات الصوفية ، مات والده وعمره سنة واحدة ، وتركه في كفالة صديق له هو عيسى المغربي الملحن ، فقد كان عمله تلفين القرآن بجامع ابن طولون ، أي يفرئه الناس ويحفظهم ، ولذا سموه بالملحن ، وتزوج الصديق الوصي الأم ، وتعهد الإبن بالترية فاشتهر باسم زوج أمه ، ولكنه كان يؤثر عليه أن يدعى ابن النحوي . وقد أحسن زوج الأم استثمار ماله ، فأنشأ له به ربعا يغل عليه كل يوم مئقال ذهب ، فكان يكتفي بأجرته ، وقد أعانته كثرة المال وقلة العيال وانخفاض الأسعار على اقتناء مكتبة ضخمة خاصة به جمع فيها مالا يدخل تحت حصر ، وكان محبا للعلم والعلماء ، كثير الأسفار ، وقيل إن من أخذ عنهم ابن الملحن من العلماء من الكثرة بحيث يشق على الراصد رصددهم ، ولقد صار من كبار مشايخ عصره من خدموا الحديث والفقه ، وقيل إنه كان موسوعيا ، اشتغل في كل فن ، وقرأ في كل مذهب وأفتى فيه ، وقيل إنه كذلك لم يكن محققا مدققا ، وقال عنه بعضهم إن أغلب تصانيفه كانت كالسرقات من الكتب ؛ ولقد ساعده على كثرة التصنيف أنه بدأ به وهو لم يكن قد بلغ العشرين ، واستمر فيه إلى فترة ثلاث سنوات قبل وفاته عن إحدى وثمانين سنة ، وقيل كان له نحو ثلاثمئة مصنف ، منها البدر المنير في تخريج

واشتد به الاكتئاب حتى حجب عنه ابنه عن الناس ومال به أن توفاه الله ، فدفعه ابنه بحوش سعيد السعداء المعروف بالخائف الصلاحية أو حانقاه سعيد السعداء ، ويذكر المؤرخون أنها أول خانقاه للصوفية في مصر ، أنشأها صلاح الدين الأيوبي أو تنسب إليه ، ومكانها اليوم جامع سعيد السعداء بالجمالية .



ابن منازل

أبو محمد عبد الله بن محمد بن منازل الملامتي أو شيخ الملامية بعد حمدون القصار ، قيل تلقى عنه ، والأغلب أنه كان من أكثر الرواة له ، ذلك أن القصار مات سنة ٢٧١هـ بينما كانت وفاة ابن منازل سنة ٣٢٩هـ . وكان ابن منازل من المشتغلين بعلوم الظاهر وكتب الحديث واشتغل بالتصوف من بعد على طريقة القصار ، ونشر طريقة الملامية في التفكير والسلوك ، وهو يؤكد فيما يقول على اجتناب الكبر والرياء ومجاهدة النفس والسلوك بالصدق . يقول لا تحكى عن أحوال غيرك وإنما تناول أحوالك ، والأولى أن لا تتكلم ، وإذا انتحلت الفقر فليكن ذلك عن حقيقة فلا خير في الفقر إن لم يكن فضيلة ، ويعنى أن الصوفى المتحقق هو الذى يخرج عن الدنيا وعن الخلق ويكون بالله ولله ، فإذا استعاب فليستع بالله ، وليتكسب ولا يتكفف ما استطاع ، واللامتى هو الذى يعانى ذل التكسب ويلزم نفسه ما يحتاج ولا بد منه ، وهو الذى لا يستغنى من سلوكه تعظيم الناس له ، فإذا عظموه خاف على نفسه واتهمها وألزمها ذل السؤال والاتضاع ليحتقره الناس ، وإذا كان عليه أن يقاوم شيئاً فى نفسه فهو الميل إلى الوعظ وأن يستشعر أنه العارف وغيره يجهلون ، ومن يفعل ذلك فهو نفسه الجاهل وأولى به أن يعظ نفسه وأن ينفعها بكلامه وأن يتن عليها الحرب العوان ويساعد الناس عليها فيستجلب عليها ما يستوجب لومها . ويضرب ابن منازل المثل بقول الله تعالى الصابرين والصادقين والقانتين والمستغفرين بالأسحار فيقول إنه عز وجل ذكر أنواع العبادات ثم ختم المقامات كلها بالاستغفار ليرى العبد نقصه فى جميع أحواله وأفعاله فيستغفر منها . ويستشهد بسيرة الصوفى أبى على الثقفى المتوفى سنة ٣٢٨هـ ، ويقول إنه كان الواجب عليه أن يتكلم لنفسه لا للخلق فالواعظ يظهر من نفسه دعوى العبودية ولكنه يضم أوصاف الربوبية ، وهو عاشق لنفسه ويعشق من يعشقتها ومن أجل ذلك يحب الظهور وأن تصل إلى الناس كلماته وكان الأولى به أن ينتفع هو

نفسه بكلامه . ويقول ابن منازل من دخل فى هذا الأمر، يقصد التصوف ، بضعف قوى فيه ، ومن دخله بقوة ضعف فافتضح .

المنأوى (عبد الرءوف)

زين الدين محمد عبد الرءوف بن تاج العارفين ابن على بن زين العابدين المنأوى القاهرى (٩٥٢ - ١٠٣١هـ) له « الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية » أخذ التصوف من جمع ، وتلقن الذكر من عبد الوهاب الشعرانى ، وتابع الخلوتية والبيرامية والتاذلية والنفسبندية ، وأقبل على التأليف وانقطع له فصتف فى غالب العلوم ، وولى التدريس فى المدرسة الصالحية فورد عليه من كل مذهب فضلاؤه حتى كثر حاسدوه ، ولم يخل من طاعن فءسوا له السم ، فتوالى عليه بسبب ذلك نقص فى أطرافه وبدنه من كثرة التداوى ، ولما عجز صار ولده تاج الدين يستملى منه التأليف ويسطرها ، وهى كثيرة ، قيل بلغت نحو التمانين مصنفأ ، وله شروح على منازل السائرین لهروى وحيكم ابن عطاء الله السكندرى وترتيب الحكم للشيخ على النقى سماء فثح الحكم ولكنه لم يكمل ، وشرح على رسالة ابن سينا فى التصوف ثم إرسال أهل التعريف ، ويشرح قصيدته العينية ، وله شرح على المواقف التقوية لم يكمل ، وشرح على رسالة الشيخ ابن علوان فى التصوف ، وكتاب منحة الطالبين لمعرفة أسرار الطواعين . ولما توفى دفن بجانب زاويته التى أنشأها بين زاوية سيدى أحمد الزاهد ومدين الأشمونى . وقيل فى كتابه الكواكب وهو المشهور باسم الطبقات الكبرى أو طبقات المنأوى إنه يتفوف على طبقات السلمى وأبى سعيد النقاش وأبى العباس النسوى وعبد الواحد الشيرازى وأبى نعيم الحافظ وعبد الغفار القوصى . ويبدأها المنأوى بمقدمة فى التصوف رداً على آراء المعتزلة ، وتكلم على كرامات الأولياء ، ثم أتبع ذلك بثمانية أبواب من سيرة الرسول ثم الخلفاء الراشدين ، ويلى ذلك تراجم للصوفية مفردأ طبقات كل قرن على حدة حسب سنى وفاتهم فكانت إحدى عشرة طبقة فى الجزء الأول ، والباقى فى الجزء الثانى ، فقارب ماترجه نحو الألف ، وفرغ من تأليفه سنة ١٠١١هـ ، وبعد أن أتمه وتداولوه فى حياته اتجه إلى تأليف تذييله وهو الطبقات الصغرى المسماة بأرغام أولياء الشيطان ، وتمتاز عن الأولى باتساع القول فى إثبات كرامات الأولياء ، وبأنه أكثر فيها من تراجم صوفية العجم والروم والحجاز والين

والشام بخلاف الأولى التى كان أغلب تراجمها لصوفية مصر. وصدرها بمقدمة ذكر فيها بعضاً من أصول علم التصوف المهمة التى لا يستغنى عنها.



ابن المنور (محمد)

من أحفاد أبى سعيد بن أبى الخير، وأبوه هو أبو سعيد بن أبى طاهر، وله كتاب أسرار التوحيد صنفه نحو سنة ٥٧٤هـ ويؤرخ فيه للشيخ أبى سعيد ويذكر أحواله ورياضاته وحياته من الطفولة حتى وفاته، وأشهر الحكايات عنه وكراماته ووصاياه، وهو بذلك يعتبر من أولى التصانيف الفارسية فى تراجم الصوفية، وهو مرجع من المراجع الكبرى فى آداب المريدين والشيخ والتقاليد الصوفية ومصطلحات القوم.



المهدى (الإمام)

محمد أحمد بن عبد الله (١٢٥٩ - ١٣٠٢هـ) وشهرته محمد المهدى لأنه ادعى المهدية وتلقب سنة ١٢٩٨هـ بالمهدى المنتظر، وتصوفه من نوع التصوف السياسى، وتركيزه على فريضة الجهاد، وله رسالة يدعو فيها إلى تطهير البلاد من مفسد الحكام، وأعوانه يعرفون بالدرأويش، وقد حفظ القرآن وهو دون الثانية عشرة ومات أبوه فكفله عمه واشتغل معه فى تجارة السفن. والمهدى من مواليد جزيرة ضرار، وكانت هجرته مع والده إلى أم درمان، ودرس الفقه فى مسجد ود عيسى بالجزيرة على يد الشيخ محمد الخير فى بربر، ثم تصوف وأخذ الطريقة السمانية على يد الشيخ محمد شريف ثم الشيخ القرشى فى الحصاصيصا. ويفخر الغبش بأن المهدى تخرج من مدارسهم، وفى المدة التى أقام فيها فى الغبش كانت له خلوة بناها له عبد الماجد محمد الغبشاوى ابن أخ الشيخ محمد الخير. وللتصوف تاريخ كبير فى السودان، وخاصة الطرق الصوفية، ومن ذلك الطريقة القادرية، والطريقة القادرية السمانية وشيخها هو محمد شريف نور أستاذ المهدى، وهو ابن السيد نور الدائم بن السيد أحمد الطيب ود البشير من أهل المدينة المنورة وإليه يعزى دخول الطريقة السمانية للسودان. وكانت للتصوف رسالة ثقافية فى السودان، وربما كانت المساجد التى يبنها الصوفية هى منارات العلم الوحيدة فى وقت من الأوقات. والمجاذيب فى بربر كانوا منارة يهتدى بها فى التصوف، وكانوا

على الطريقة الشاذلية. والطريقة الختمية كان دعايتها يجوبون السودان مبشرين، ومن الختمية تفرعت الاسماعيلية على يد اسماعيل الولى الذى أخذ الطريقة على محمد عثمان الميرغنى. والطريقة التيجانية واشتهر أتباعها بالصلابة فى الجهاد. وعموماً فإن التصوف بحكم الأحوال الاجتماعية والثقافية ووجود الاستعمار كان لابد أن يتجه أصحابه به إلى الجهاد، وذلك ما حدث مع السنوسية فى ليبيا، ونفس الشيء دعت إليه المهديّة، ومثلما اضطر السنوسى إلى تعليم مريديه فنون الفروسية والقتال فإن المهديّ قاد ثورة على الجهل والظلم والاستعمار والفساد، فكان تصوفه من نوع التصوف الإيجابى، واتخذ أتباعه هتافهم لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد، وأرسل الرسائل بذلك إلى الخليفة فى تركيا لطرده الإفرنج من بلاد المسلمين، وإلى خديوى مصر، واتصل بأهل الشام وعين لهم من يفودهم، واتصل بفباطل فاس ونجد والسنوسية والمدينة يدعوهم إلى الثورة، غير أنه أصيب بالجدري ومات فى أم درمان، وجمعوا ما وجد من كتاباته فى كتاب اسمه «مجموع المناشير». وكانت البيعة التى يأخذ بها مريديه هكذا «بايعنا الله ورسوله، وبايعناك على طاعة الله، وأن لا نسرف ولا نزنّى، ولا نأتى بهتاً نفتره، ولا نعصيك فى أمر بمعروف ونهى عن منكر. بايعناك على الزهد بالدنيا وتركها، وأن لا نفر من الجهاد رغبة فيما عند الله». وهونص يوجز طريقة المهديّ فى التصوف ويربطها بطرق السلف أو الطريقة المحمدية الجامعة وأخص أركانها الجهاد.



مورينو

مارتينو مورينو Moreno، إيطالى ولد سنة ١٨٩٢م، كان شديد الاهتمام بالتصوف الإسلامى، وله بحوث فى الإسلام، وترجمات للفران، وكتب فى خصائص الثقافة العربية، والتصوف العربى والتصوف الهندى، وهو بحث مقارن نشره فى حويلات لاتزان سنة ١٩٤٦، ومختارات من التصوف العربى والفارسى صدر بباريس سنة ١٩٥١.



المولوية

ال دراويش المولوية أو الدراويش الراقصون، ينسبون إلى الشاعر الصوفى جلال الدين الرومى صاحب المثنوى والمتوفى سنة ٦٠٤هـ بفونية تركيا، والتاريخ الحق لهذه الطريقة يبدأ بولده الأكبر المسمى سلطان ولد، فهو الذى أنشأ الفروع الأولى للطريقة وساعدها على أن تحظى باحترام أكبر، وكان يطلق على كل تابع من أتباع الطريقة

من قبل وفي حياة مولانا جلال الدين الرومي اسم مولوى، وكانت هؤلاء الأتباع يختارون أوائل الأمر من بين أرباب الصنائع الذين يرتكبون جرماً. وقوام الشعائر الدينية للطريقة السماع والذكر، وذلك شائع في الطرف الصوفية الأخرى إلا أنه يبلغ شأنًا بعيداً عند المولوية، وقد استحدثه أولاً بير عادل چلبى المتوفى سنة ٨٦٤هـ. والمولوية لا يعدون طريقتهم طريقة صوفية بالمعنى المتعارف عليه، ولها جذورها بالطريقة الملامتية التي كانت بدايتها في خراسان وتشبه في بعض نواحيها الطريقة القلندرية من الطرف المرتبطة باللامتية، وبعض الجلبيية أى المشايخ بلغتهم يعيشون معيشة دراويش القلندرية مثل أولو عارف چلبى، وكان أخوه عابد چلبى، وكذلك محمد چلبى المعروف باسم المحبون أو الديوانه أكثر التزاماً بطريقة دراويش القلندرية.

ومن مشايخ الطريقة المولوية سيد برهان الدين الترمذى، من أهل ترمذ ومن مريدى مولانا بهاء الدين ولد، وحضر فترة على بهاء الدين ثم عكف على الزهد والتنسك في ترمذ فالتف حوله المريدون، فلما توفى بهاء الدين في قونية عام ٦٢٨هـ جاءها الترمذى سنة ٦٣٠هـ تلبية لروح استاذة، وعنى برياضات مولانا جلال الدين الرومى، واعتزل الجماعة في فيسارية بعد ذلك بتسع سنوات على الرغم من هواتف مولانا له بالقاء، وظل بها وقد التف حول المريدون إلى أن توفى. وترجع أهميته إلى ما كان له من شأن في شعائر المولوية.



الميرغنى

محمد عثمان الميرغنى (١٢٠٨ - ١٢٦٨هـ) مؤسس طريقة الختمية التي قيل فيها إنها أكبر الطرق الصوفية شأنًا في السودان، فليس فيها ما يضاهاها سعة نفوذ وعدد مريدين، وكان لها أكبر الأثر في تاريخ السودان الفكرى والسياسى والاجتماعى. والختمية كما يقول مؤسسها جماع خمس طرف هي النميشندية والفادرية والشاذلية والجنيدية وطريقة الميرغنية التي كانت لجده عبدالله الميرغنى المشهور بالمحجوب. والميرغنى أول من اشتهر من أسرته، وكانت ولادته بالطائف وتعلم بمكة وتاقت نفسه إلى حياة التصوف فأخذ ينتقل بين الطرق الصوفية إلى أن استقرت به العناية إلى تلميذه أحمد بن إدريس. ومدرسة الميرغنى من مدارس التصوف الإيجابية التي اهتمت بالدعوة إلى الإسلام والتزام الكتاب والسنة والأخذ عن السلف، وقد سافر الميرغنى

بإشارة من استاذة أحمد بن إدريس إلى مصر، وأقام فترة بقية الزينية ثم غادرها إلى السودان سالكاً طريق النيل حتى دنقلة، ومنها اتجه إلى كردفان ووصل الأبيض، فأسس بها مسجداً وتمتدّد عليه كثيرون، وأخذ عليه العهد علماؤها، واتجه إلى بارا وتزوج إحدى سليلات بيوت العلم فأولدها ابنه محمد الحسن الميرغنى، وسافر إلى سنار ثم شندى فأسس بها مسجداً، واتجه إلى الشرف إلى جبال التاكة وأنشأ قرية السنية التي تعرف الآن باسم الختمية، وأسس بها مسجداً، وزار سواكن وأسس بها ثلاثة مساجد ومدرسة لتعليم المرأة هي الأولى من نوعها في السودان. وكانت للمساجد والزوايا التي ينشئها هو وأتباعه فضل اجتماع أبناء الختمية والطرق الصوفية الأخرى، ومقاومتهم للحكم الأجنبي والاتجاه بالسودان نحو الإسلام والعروبة. وسافر الميرغنى إلى الحبشة وأرتريا، فاستقبلته قبائلها العربية بالحفاوة وأخذوا عنه الطريقة، ودعا القبائل الوثنية إلى الإسلام فاعتنقه منها في شهور قليلة عشرات الألوف من الرجال والنساء. وللميرغنى مؤلفات بلغت الثلاثين مؤلف منها تاج التفسير لكلام الملك الكبير، والمدائح النبوية في المدائح المصطفوية. وتصوف الميرغنى من نوع التصوف الذي يكثر فيه السالكون من الصلاة على النبي، وفي كتابه المسمى فتح الرسول ويعرف بالصلاة الميرغنية يقول إن طريقته هي طريقة القطب النبوي السيد أحمد البدوي واهيكل بالرباني عبد القادر الجيلاني والقطب الرفاعي والقطب الحفيقي إبراهيم الدسوقي ومحيي النفوس السيد العيدروس وأقطاب آخرين من حضرموت ومن غيرها كالسيد المتبولي وعبد السلام بن مشيش وأحمد بن إدريس والبكري. ويقول الميرغنى إن التعلق بالذات المحمدية والصلاة عليها أقرب الطرق إلى حضرة الله العلية، وأن حب النبي في السويداء، وأنه يقف بين يدي المصطفى ويستأذنه فيأذن له. ومن الصفات التي يجعلها للنبي في صلواته عليه وضمن طريقته حبيب الله وصفوة الله وعبد الله ومحجوب الحضرات الإلهية، ورئيس ديوان الكبرياء، وإمام أهل بساط القرب، ذو الجمال المحبوب لأهل الحب، وجبل قاف عظمة التجليات، وبحر محيط أسرار الصفات، وسيلة آدم والخليل واسطة موسى ونوح، وعمد عيسى وداود، وخزانة عطاء الملائكة، وولي الخزانة لكل الكائنات، والطبيب الشافي والغياث الكافي، باطن العلوم المرآية، الفاضل نور بيت الأنوار الإلهية.

وعبد الله الميرغنى الجد، والد أبي محمد عثمان الميرغنى، توفي سنة ١٢٠٧ هـ، وطريقته تجمع بين الشريعة والحقيقة، وكانت نشأته بمكة وولد بها، ودرس في المسجد

الحرام وظهر فيه ، وانتهت إليه الرئاسة ، وكان عمدة المحدثين فى عصره ، صاحب عمر
البار وعلى الأهدل وتخرج عليه حسين بن عبد الشكور من أهل المدينة وله ديوان مدح
به شيخه يقول فيه :

كيف ترقى رقيق الأولياء والمراقى لها إليك ارتضاء
أنت من نور من قيل فيه ياسماء ما طاولتها سماء

وطريقة الميرعى طريقة محمدية كذلك ، وله ديوان العقد المنظم أو عقد الجواهر فى
نظم المفاحر ، يقول فى مدح النى :

أنت شمس الوجود والأنبياء ولا نجم له السنا والسناء
وبك العلم والمعلم طمرا وجميع الرسوم والأسماء
وبك الذات والصفات جميعاً والشئون العلى وذاك الثناء
وبك الكون والمظاهر كلا والعالى التى بهن الضياء
وبك الله قد بدا من عماء وبك الختم حسنه وابتداء
فإذا كنت أصل كل ظهور كيف ترقى رقيق الأنبياء
إنما أنت مفرد ومتنى وجوع وكل غيرك هاء

وكلامه شبيه بكلام فلاسفة المتصوفة القائلين بالحقيقة المحمدية ، ويسمى الرسول
واحد الدهر . يقول :

رب إنا بواحد الدهر ندعو ونروم العلا ومنك العطاء
ويقول :

ولك الملك والتصرف دوماً فى أراضى الإله ثم السماء

وأصل تسمية الميرغنية أن الاسم كان لجدهم السادس لأول مرة ، وهو تحريف من
«أمير غنى» الفارسية بمعنى الشريف الغنى ، خفت وصارت لقباً لأعقابيه .



الميقاتی (عبد الخالق)

مصرى ، له الباع الطويل فى علم المعقولات ، وعلم الهيئة ، وعلم التصوف ، وكان مريدوه يحضرونه ليلة الجمعة ، يتذكرون عنده فى أحوال الطريقة إلى الصباح ، وكان لا يعجبه أحد من متصوفة زمانه ويقول : لا ينبغي لأحد أن يتظاهر بطريق القوم ، إلا إن صدق فى طريقهم . وكان يكره لبس الزى ويقول : ليست الطريق بمثل ذلك ، وإنما كان السلف يلبسون الصوف والرقعات لقلة الحلال المناسب لمقامهم ، ثم يقول : وماذا يعنى لبس مئزر الصوف والحبّة ، وصاحبها ينام الليل ، ويفطر النهار ، ولو أنه عكس الأمر لكان خيراً له .





النايلسى

عبد الغنى بن إسماعيل بن عبد الغنى، وشهرته النايلسى، كان حنفياً دمشقياً نقشبندياً قادرياً، ولد سنة ١٠٥٠هـ، وقيل بلغت مؤلفاته ١٨٨ مؤلفاً، منها الحديقة الندية فى شرح الطريقة المحمدية، وجواهر النصوص فى حل كلمات الفصوص للشيخ محى الدين بن عربى، وكشف السر الغامض فى شرح ديوان ابن الفارض، وزهر الحديقة فى ترجمة رجال الطريقة، وإيضاح المقصود فى معنى وحدة الوجود، ومفتاح المعية فى شرح الرسالة النقشبندية، وتحقيق الذوق والرشف فى معنى المخالفة بين أهل الكشف، والنظر فى معنى قول ابن الفارض عرفت أم لم تعرف، والسر المختبى فى ضريح ابن العربى، والفتوحات المدنية فى الحضرات المحمدية، ورد المتين على منتقص العارف محبى الدين، والفتح الربانى والفيض الرحمانى، والصراط المثنوى فى شرح ديباجات المثنوى، وبداية المريد ونهاية السعيد، والعقود اللؤلؤية فى طريقة السادة المولوية. وكان النايلسى شارحاً فخياً للطرق الصوفية فى وقته، وأدمن قراءة ابن عربى، وله المدافعات الجلييلة فيه وعن مذهبه فى وحدة الوجود، وله لطائف فى تفسير شطحات الحلاج والبسطامى وابن الفارض والطارى، واشتهر كتابه تعطير الأنام فى تفسير الأحلام الذى ذهب فيه مذهب تأويل الرؤى بالإشراقات والمكاشفات. ويقول فيه الدكتور زكى مبارك إنه كان موصول العهد بأسرة البكرى بالقاهرة، ويدل على ذلك اهتمامه بتخميس وتشطير ما أثر من أبيات الشيخ محمد البكرى، ولذلك شواهد فى ديوانه الحقائق ومجموع

الرقائق . واتصاله بأسرة البكرى يفسر وجود المواويل التى تغلب عليها المصرية بين شعره ، والتى ينشدها المنشدون فى حلقات الذكر، ومنها :

يا أمة العشق فز بالبصر والسمع قوموا اتركوا الفرق عنكم واقبلوا الجمع
نور الشموع الذى يلمع عليكم لَمْع من حرقة القلب قد سالت دموع الشمع
ومنها :

قوموا بنا كلنا نخرف حجاب الطبع ونَتَّبِع يا جماعة ما أتى فى الشرع
حتى نشاهد جمال الله يلمع لَمْع ولا وجود لنا وهو الوجود الجمع
ومنها :

حبيبنا فى بديع الحسن حيرنا بين الحياة وبين الموت خيّرنا
حكم علينا وبالهجران غيرنا وبعد هذا بسوء الحال غيرنا
وهى مواويل تستقى من التعابير المصرية . وكان للنابلسى فضل إذاعة المعانى الطريفة بين المريدين ، وهو صاحب أنشودة الساقى الرائعة :

ساقى يا ساقى إسقيني من خمره الباقي
واكشف لى عن قيد إطلاقى آه ياساقى ، آه ياساقى
أستأره راحتي عن عيني والزهرة فاحت
والسكرة بالأسرار باحت آه يا ساقى ، آه يا ساقى
اكشف لى عتلك فُيِّى ذاتى وافتح لى دَنَك
واجعلنى يا حبيبى أنك آه يا ساقى ، آه ياساقى
افتح لى باب الحان وأسمعنى من طيب الألحان
وارشفنى من كاسى الملائن آه ياساقى ، آه ياساقى
من يشرب يسكر من خمرى لما يتفكر
والمغرور فى علمه أنكر آه ياساقى ، آه ياساقى
لايعرف أمرى إلا من يشرب خمرى
أحشاؤه تصلّى فى جمرى آه يا ساقى ، آه يا ساقى

ويقسم النابلسى ديوانه أربعة أقسام ، الأول فى صريح المواجيد الإلهية والتجليات

الربانية والفتوحات الأقدسية ، والثاني نفحة القبول فى مدحة الرسول ، والثالث رياض المدائح وحياض المنائح ونفحات المراسلات ونسمات المساجلات ، والرابع خرة بابل وغناء البلابل . ويعد النابلسى من أقطاب شعراء الصوفية وإن كان لا يستطيع اللحاق بابن الفارض ، وهو فى أغراضه أوضح من ابن عربى ، كما أنه فى أشعاره أقرب إلى البيئات الشعبية ولا يخرج عن دائرة التصرف إلا قليلاً . ويبدو أن النابلسى مع ذلك قد لقى العنت فى دعوته حيث قيل إن أهل دمشق أنكروه كثيراً وآذوه ، فصارت تعريه السوداء (أى الاكتئاب) فى أوقاته إلى أن مرض ومات سنة ١١٤٣ هـ .

النخشبى (أبو تراب)

عسكر بن حصين ، إمام المتجربين ولذلك كتبه أبا تراب ، وأما النخشبى فنسبة إلى نخشب مسقط رأسه من بلاد خراسان ، وكان يقول الفقير قُوته ما وجد ، ولباسه ما ستر ، ومسكنه حيث نزل . وكان يفضل لو يسف التراب على أن يتكفف ، ويحذر مريديه : مَنْ ليس منكم مرقعة فقد سأل (يعنى أنه بها يظهر حاله وكأنه بها يتسول) ومن قعد فى خانقاه أو مسجد فقد سأل ، ومن قرأ القرآن من مصحف كما يسمع الناس فقد سأل . ولذلك فقد نظر أبو تراب تلميذاً له يوماً وقد أضناه الجوع ولم يكن قد ذاق الطعام لمدة ثلاثة أيام ، فد يده يتناول قشرة بطيخ ، فهاه وصرفه قائلاً : أنت لا يصلح لك التصوف . وأبو تراب من الجوعى ، وهو أحد أسماء الصوفية ، والتصوف عنده هو الاستغناء عن كل الناس ، فلا يشكو الفقير إلا الله ، وتوكله دائماً بالله ، ولذلك قالوا عن أبى تراب إنه أحد أئمة التوكل . والفقير (أى الصوفى) فى مذهبه لا ينبغي له أن يضيف إلى نفسه شيئاً من المال ، فأخوف ما يخاف عليه من النعم ، وإذا تواترت النعم عليه فأولى به أن يبكى على نفسه لأنها تسلك به فى غير طريق الصالحين . وأنفع العبادات له التوكل وأن يصلح خواطر قلبه ، فالله هو خالقنا وعليه رزقنا ، وهو الذى يحيينا ويميتنا ، ومن يستفتح أبواب المعاشر بغير مفاتيح الأقدام وُكِلَ إلى حوْله وقوته . ومفاتيح الأقدار التى يقول بها أبو تراب هى الرضا بما يرد على العبد فى كل وقت من أسباب الغيب . ويعرف القناعة بأنها أخذ القوت من الله تعالى ، ويقول عن التوكل إنه طمأنينة القلب إلى الله .

وأبو تراب صاحب حاتمياً الأصم ولذلك فهو يروى كثيراً عنه ، كما أن أبا عبد الله بن الجلاء صحبه وروى عنه . والجلاء يروى عنه أن من شروط الاستاذ المعلم فى التصوف أربعة أشياء هى أولاً تمييز فعل الله عن فعل الخلق ، ثم معرفة مقامات الأعمال ، وثالثاً معرفة الطبائع والنفوس ، ورابعاً تمييز الخلاف من الاختلاف . وأبو تراب على عكس المعروف عن الصوفية لا ينصح المريدين بالأسفار ، وهو يقول لا أعلم شيئاً أضر عليهم من أسفارهم على متابعة قلوبهم ونفوسهم ، وما فسد من فسد من المريدين إلا بالأسفار الباطلة . وكان أصحابه كثيراً حتى أن ابن الفرجى قال إنه رأى منهم حوله فى إحدى اللقاءات مائة وعشرين ، ومنهم حدون القصار وأبو الفوارس الكرماني وأبو عبيد البسرى . وكان إذا رأى منهم ما يكره يزيد فى اجتهاده ويمجد توبته ويعتذر عن أخطائهم ويقول إنهم دُفعوا بشؤمى إلى ما دُفعوا إليه . ومع ذلك فلما مات كان وحده بالبادية فنهشته السباع سنة ٢٤٥ هـ .

■ ■ ■ نظامى الجنجوى

أبو محمد إلياس يوسف بن زكى مؤيد ، وتخلصه الذى عرف به فى الشعر هو نظامى عن لقبه نظام الدين ، وله المثنوية الصوفية المشهورة مخزن الأسرار . ونظامى من شعراء الفرس النابيين ، ولد فى جنجة سنة ٥٣٥ هـ وإليها ينسب ، وتوفى سنة ٥٩٩ هـ ، وشعره غزلى صوفى ، ومنه منظومة خسرو وشيرين فى سبعة آلاف بيت ، وليلى والمجنون ، فى أكثر من أربعة آلاف بيت . والمثنوية الأولى على طريقة سنائى فى حقيقة الحقيقة ، وفيها المناجاة لله تعالى والكثير من الحمد له ، ويتلو المقدمة موضوعات بعضها فقهى ، وبعضها أخلاقى ، يصورها الشاعر فى شكل حكايات وأمثلة ، ومن ذلك حكاية أنوشروان مع وزيره ، حيث يمران على قرية خربة ولا يعثران فيها إلا على بومتين يتحادثان ، فيسأل الملك وزيره عن مضمون حديثهما ، فيقول الوزير إن أحد الطيرين قد خطب ابنة الآخر ، وهما يحاولان الاتفاق على المهر ، فيقول له مهر ابنتى أن تترك هذه القرية لى وتبحث لك عن أخرى ، فيقول له الآخر : اطمئن ، فهذا الملك الذى يحكم هذه البقاع لو طال به العمر ستكون هناك قرى خربة كثيرة ، وبدل القرية الخربة الواحدة ستكون لك مائة ألف غيرها !! ويبدو أن نظامى كان يقصد من قصصه الشعرى الغرامى تأكيد الفضائل والدعوة إلى الحب الروحى أو حب الله الدائم على حب الإنسان الفانى ، وذلك ما تخلص إليه من منظومته خسرو وشيرين ، فبعد

أن يجتاز خسرو الصعاب، ويعانى الأهوال، ويعود منتصراً إلى حبيبتة، تحاك له كذبة تنطلى عليه، بأنها قد ماتت، فيموت بدوره كمداً، ويسلم روحه لله. ونفس الدرس نخلص إليه من ليلى والمجنون، وبتعبير نظامى أن الدنيا لا نجنى منها إلا العناء، وقد عانت ليلى منها حتى توفاه الله، فأصابته الملك جنة، ونظامى يتخيلها فى جنة إرم، وفيها ينال المحرومون ما حُرِّمُوا منه، ويهلوا من السعادة والهناء، وفى الجنة لا وصب ولا تعب، وإنما هناء مقيم وسعادة أبدية، فإن الذى لا يتحصل فى دنياه على مناه، يتحصله فى أخره.



أبو نعيم الأصبهاني

الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني الشافعى، صاحب الموسوعة الصوفية المشهورة «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» فى عشرة أجزاء، كتبها ليدعم ما أسماه بالتصوف الصحيح، وأملاها من صدره بعد أن نيف على الثمانين، وضمنها ٤٦٩ ترجمة. وكانت ولادته بأصفهان سنة ٣٣٦هـ ووفاته بها سنة ٤٣٠هـ، وكان جده محمد بن يوسف من الصوفية المشهورين، وهو أول من أسلم من أجداده، ويذكره أبو نعيم فى الحلية، وكان والده من العلماء، وقد حرص على أن يلحق ابنه بكبار المشايخ مثل جعفر الخلدى والأصم منذ السادسة من عمره. ودرس أبو نعيم بالعراف والحجاز وخراسان، وكان يعد طيلة أربعة عشر عاماً من خير الثقات فى الحديث، وإن لم يدخله الخطيب البغدادى الذى عاصره، وياقوت، ضمن من ترجأ لهم من العلماء. ونشب الخلاف عنه بين الحنابلة والشافعية، ووجه إليه النقد الشديد أبو عبد الله بن مئذ، مما تسبب فى أن يناله بعض الأذى بحسمه، وأن يتهجم عليه الناس، وأخرجوه من جامع أصفهان، فدعا على من كان بالجامع وشارك فى العدوان عليه وإخراجه، وفيل إن سبكتكين غزا أصفهان وذبح الناس المجتمعين للصلاة فى الجامع فنجا أبو نعيم، وكان إخراجه كان لمصلحته، وعدوا ذلك من كراماته. وهو يقول عن منهجه فى كتاب الحلية أنه يورد- الأساء وقد اختار منها أعلام المتحققين والأئمة، بدءاً من قرن الصحابة فالتابعين وتابعيهم ثم من يليهم من عرف الأدلة وياشر الأحوال والطرائق، فيورد الأحاديث عنهم، وبعض كلامهم. ويقول أبو نعيم إنه يصف هذه الموسوعة وفى باله قدح القادحين فى المتطعين وأهل الدعاوى والمتشبهين والفسفة والإباحية والحلولية،

وليس ما يحل بهؤلاء من إنكار بقادح فى منقبة الأبرار من الصوفية . والمعيار الذى يحتكم إليه أبو نعيم فى اختياره لهذه الأسماء هو ما يمكن أن يكون للصوفية المتحفظين من نعوت ظاهرة يعرفون بها ، وعدد هذه النعوت عنده ثلاثة عشر نعتاً ، فهم الصالحون العقلاء الذين ينقاد لهم الصالحون والعقلاء مثلهم ، والجلوس إليهم يفيد جلّاسهم براً وذكرأ ، وهم المسلمون من الفتن والموقون من المحن ، المضطرون فى الأطعمة واللباس ، والمبرورة أقسامهم ، وليقينهم تنفلق الصخور وتتفتق البحور ، وبإخلاصهم ينصرون ، ولقد نظروا إلى باطن العاجلة فرفضوها ، ووضعوا ظاهر بهجتها وزينتها ، وصانوا أنفسهم أن يغتروا بالدنيا ولم يبصروا منها سوى عظمة صانعها ومدبر أمورها ، وشغفوا به وبوده ، وكلفوا بخطابه وعهده ، فهم الأتقياء والمخلصون ، الحاكمون بالعدل والباذلون للفضل ، المنبسطون جهراً والمنقبضون سراً ، الموفون بالطاعات والموفون بالحقوق . واسم التصوف عند ابن نعيم مشتق من الصفاء عند أهل الإشارات ، وعند أهل اللغة هناك أربعة احتمالات ، فإما أنه مشتق من الصوفانة وهى بقلّة صغيرة تنبت برياً ، ويتفوت بها الصوفية فى سياحاتهم فعرفوا بها لما اختصوا بها ، وإما أنه اشتقاق من الصوفة وهو اسم قبيلة عُرف أفرادها بخدمة الكعبة وأنهم نذروا أنفسهم لهذه الرسالة ، فكل من يفعل فعلهم صار منسوباً إليهم فهو الصوفى ، وإما أنه اشتقاق من الصوف المعروف على ظهور الضأن وهو لباس الصوفية لشدة فقرهم ، وإما أنه من صوفة القفا وهى الشعرات النابتة فى القفا بالنظر إلى أن هؤلاء القوم يطيلون شعورهم فترسل على أفقيتهم لمة اشتغالهم برسومهم وانشغالهم بالعبادة . واسم التصوف يجمع فيه عشرة معان هى : التقلل من كل شىء من الدنيا عن التكاثر فيها ، واعتماد القلب مع الله ، والرغبة فى الطاعات ، والصبر عن فقد الدنيا ، والشغل بالله عن سائر الأشغال ، والتمييز فى الأخذ عند وجود الشىء ، والذكر الخفى عن جميع الأذكار ، وتحقيق الإخلاص ، واليقين ، والسكون إلى الله عز وجل . وكلام المتصوفة على ثلاثة أنواع ، أولها إشاراتهم فى التوحيد ، والثانى كلامهم فى المراد ومراته ، والثالث فى المريد وأحواله . ثم لكل نوع من الثلاثة مسائل وفروع يكثر تعدادها ، فأول أصولهم العرفان ، ثم إحكام الخدمة والمداومة عليها . ومباني المتصوفة المتحققة أركانها أربعة : معرفة الله تعالى ، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفة النفوس وشروها ودواعيها ، ومعرفة وساوس العدو ومكائده ومضاله ، ومعرفة الدنيا وغرورها وتفنيها وتلوينها وكيفية الاحتراز منها والتجافى عنها ، ثم ألزموا أنفسهم بعد توطئة هذه الأبنية دوام المجاهدة وشدة المكابدة وحفظ الأوقات واغتنام الطاعات ومفارقة الراحة والتلذذ بما أيدوا به من المطالعات وصيانة

ما خصوا به من الكرامات . وهم لم يقطعوا عن المعاملات ، ولا ركنوا إلى التأويلات ، ولا رغبوا عن العلائق ، وهم الأحوال الشريفة والأخلاق اللطيفة ، الفرق يربعهم والقلق يهيمهم ، وقد جعلوا جهم للحق ، وفيه حياتهم وفناؤهم .

ويبدأ أبو نعيم كل فصل من فصول الموسوعة بعبارة قال الشيخ ويقصد نفسه . ويختلف كتابه عن الصوفية عن كتاب السلمي الطبقات أو كتب ابن الملحق والشعراني والقشيري وغيرهم حيث أنه لم يقتصر على الأقوال بل ضمَّه الحكايات . وقيل إن أبا نعيم عندما انتهى من تأليفه سافر به إلى نيسابور وعرضه هناك فبيع بأربعمائة دينار . وكان أبو نعيم ثقة في رواياته فنقل عنه ابن الجوزي الكثير من المقتطفات في كتابه « صفوة الصفوة » .

■ ■ ■ النِّفَرِيّ

العارف بالله محمد بن عبد الجبار النفرى ، من نِفر بين الكوفة والبصرة ، اشتهر بالمواقف والمخاطبات ، وله الكلام العالى فى الطريفة ، وكان من العلماء البارعين فى كل العلوم ، ومات سنة ٣٥٤ هـ . ومن موافقه موقف الإسلام ، يقول : أوقفى الله عز وجل فى الإسلام ، وقال لى : هو دينى فلا تتبع سواه ، فإنى لا أقبل . وقال لى : هو أن تسلم لى ما أحكم لك ، وما أحكم عليك . قلت : كيف أسلم لك ، قال : لا تعارضنى برأىك ، ولا تطلب على حصى عليك دليلاً من قبل نفسك ، فإن نفسك لا ندلك على حصى أبداً ، ولا تلتزم حصى طوعاً . قلت : كيف لا أعارض ، قال : تتبع ولا تتبتّع . قلت : كيف لا أطلب على حصى عليك دليلاً من قَبْلِ نفسى ، قال إذا قلت لك : إن هذا لك ، تقول هذا لى ، وإذا قلت لك : إن هذا لى ، تقول إن هذا لك ، فيكون أمرى لك هو مخاطبك ، وهو المستحق عليك ، وهو دليلك ، فتستدل به عليه ، وتصل به إليه . قلت : فكيف اتّبع ، قال : تسمع قولى ، وتسلك طريقي . قلت : كيف لا ابتدّع ، قال : لا تسمع قولك ، ولا تسلك طريقك . قلت : ما قولك ، قال : كلامى . قلت : أين طريقك ، قال أحكامى . قلت : ما قولى ، قال : تحريك . قلت : ما طريقي ، قال : تحكّمك . قلت : ما تحكّمى ، قال : قياسك . قلت : ما قياسى ، قال : عجزك فى علمك . قلت : كيف أعجز فى علمى ، قال : إنى ابتليتك فى كل شىء منى إليك ، بشىء منك إلّى ، فابتليتك فى علمى بعلمك ، لأنظر أتتبع علمك أو علمى . وابتليتك

فى حكمى بحكمك ، لأنظر أتحكم بحكمك أو بحكمى . قلت : كيف أتبع علمى ، وكيف أعمل بحكمى . قال : تنصرف من الحكم بعلمى إلى الحكم بعلمك . قلت : كيف أنصرف عن الحكم بعلمك إلى الحكم بعلمى . قال : تحلّ بكلامك ما حرّمته بكلامى ، وتحترم بكلامك ما حلّته بكلامى ، وتدعى على أن ذلك باذنى ، وتدعى على أن ذلك عن أمرى . قلت : كيف أدعى عليك . قال : تأتى بفعل لم أمرك به ، فتحكم له بحكمى فى فعل أمرتك به ، وتأتى بقول لم أمرك به ، فتحكم له بحكمى فى قول أمرتك به . قلت : لا أتى بفعل لم تأمرنى به ، ولا أتى بقول لم تأمرنى به . قال : إن أتيت به كما أمرتك ، فقولى وفعلى ، وبقولى وفعلى ، يقع حكمى ، وإن أتيت به كما لم أمرك به ، فقولك وفعلك ، وبقولك وفعلك ، لا يقع حكمى ، ولا يكون دينى وحدودى .

وقال لى : إن سوّيت بين قولى وقولك ، أو سوّيت بين حكمى وحكمك ، فقد عدّلت فى نفسك . قلت : لا حكم إلا لقولك وفعلك . قال : ففهمت ، قلت : ففهمت . قال : لا تمل ، قلت : لا أمل . قال : من فقه أمرى ، فقد فقهه ، ومن فقه رأى نفسه فما فقهه .

ويقول النفرى فى المخاطبات : يقول الله عز وجل : يا عبد : لو لم أكتبك فى العارفين قبل خلقك ، ما عرفتني فى مشهود وجدك لنفسك . يا عبد : إن لم تعرف من أنت منى ، لم تستقر فى معرفتى . يا عبد : إن لم تستقر فى معرفتى ، لم تدر كيف تعمل لى . يا عبد : إن عرفت من أنت منى ، كنت من أهل المراتب . يا عبد : أئدرى ما المراتب : مراتب العزة يوم قيامى ، ومراتب التحقيق فى يوم مقامى ، أولئك يلونى ، وأولئك أوليائى . يا عبد : إعرف من أنت ، يكن أثبت لقدمك ، ويكن أسكن لقلبك . يا عبد : أنا أولى بك إن عقلت ، وأنت بى أولى إن حلت . يا عبد : لا أزال أتعرف إليك بما بينى وبينك ، حتى تعلم من أنت منى ، فإذا عرفت من أنت منى ، تعرفت إليك بما بينى وبين كل شىء . يا عبد : أنا الغريب منك ، لولا قربى منك ما عرفتني ، وأنا المتعريف إليك ، لولا تعرفي إليك ما أطعنتني . يا عبد : إلجأ إلى فى كل حال : أكن لك فى كل حال !!

ويبلغ عدد المواقف ٧٧ موقفاً ، وعدد المخاطبات ٥٦ مخاطبة ، بينها بمخاطبة أخيرة يطلق عليها مخاطبة وبشارة وإيدان الوقت ، ثم ينهى الكتابين جميعاً بموقف أخير يسميه موقف الإدراك . والكتابان لهما المكانة العالية بين فلاسفة الصوفية ، وعد أهل الفكر عموماً ، لما يتضمنان من نظرات بعيدة الغور ، وتحليلات تبلغ شأواً كبيراً من الروعة

والعظمة، وقد كثر النقل منها عند الكثيرين، ومنهم الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي صاحب التحفة الفريدة الفتوحات المكية.

النقشبندی

أبو البهاء ضياء الدين خالد النقشبندی المجدى العثماني، تمييزاً له عن أحمد السرهندی المجدى (الهندي) من أقطاب الطريقة النقشبندية، وهو الذي بشر بها في البلاد العربية. ولد سنة ١١٩٠ هـ بقصبة قره داغ بالقرب من السليمانية، وهاجر إلى بغداد في صباه، ثم رحل إلى الشام في أيام داود باشا وإلى العراق سنة ١٢٢٨ هـ واستوطن دمشق وبنى بها مسجداً وأصلح الكثير من الجوامع المندرسية، ومات بها سنة ١٢٤٢ هـ مصاباً بالطاعون. وله الكتب الكثيرة في البلاغة والأصول والفقه والكلام، وجمع له أسعد صاحب رسائله في الطريقة في كتاب اسمه «(بغية الواصل في كتابات مولانا خالد)». ومن وصاياه للمريدين: أوصيكم وآمركم بشدة التمسك بالسنة السنية، والإعراض عن الرسوم الجاهلية والبدع، وعدم الاعتراض بالشطحات الصوفية، وترك صحبة العوام والباشوات والأمراء والوزراء، ولا تدخلوا الملوك والأغوات، ولا تغتابوهم، ولا تسبواهم، وادعوا لهم بالصلاح، ولا تدخلوا الطريقة أحداً منهم ومن أعوانهم، ولا من التجار الجشعين، ولا العلماء وطلبة العلم المستغلين الانتهازيين، ولا من البطالين الذين يستندون إلى الطريقة بسبب البطالة. وأوصيكم بتقوى الله، وإكرام حلة العلم وحفظه القرآن، والاشتغال بالقراءة وبعلم الفقه. ولعثمان بن سند كتاب فيه هو «(أصفى الموارد من سلسال أحوال الإمام خالد)»، وكتب فيه أيضاً محمود الآكوسي «(الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد)»، وابن عابدين «(سلل الحسام الهندي في نصرة مولانا خالد النقشبندی)».

النقشبندية

نسبة إلى مؤسسها بهاء الدين محمد شاه نقشبند المتوفى سنة ٧٩١ هـ. وقيل في معنى نقشبند أو نقش بندر أنها ربط النفس، والمقصود بالنقش انطباع القلب بالذكر، وربطه أي بقاءه من غير محو، حيث تقوم هذه الطريقة في التصوف على الذكر أساساً، وتسمى أيضاً بأسماء عدة بحسب اسم إمام الوقت، فهي كما قيل صديقية نسبة إلى أبي بكر الصديق، وطيفورية نسبة إلى أبي يزيد طيفور البسطامي، وخوجكانية

ونقشبندية أيضاً فى عهد رئيس الجوجكان بهاء الدين محمد شاه نقشبند، وأحرارية بعد عبید الله أحرار، ثم مجددية وخالدية وهكذا، ومن فولهم أنها طريقة الصحابة، ولذلك ينسبونها إلى أبى بكر الصديق، كما ينسبونها إلى البسطامى. وكان إمامهم أحمد السرهندي المتوفى سنة ١٠٣٤ هـ قد اشتغل بالطرق الثلاث التى سادت فى أيامه، وهى القادرية والسهروردية والجشتية، وارتاح إلى الطريقة النقشبندية وأخذ بها، بدعوى أنها الأيسر والأصلح، فقليل كذلك أن النقشبندية أفضل طرق الصوفية للمريد الذى يطمع فى الوصول. ويلاحظ أن الطريقة ظهرت وراجت فى أول الأمر بين المتحدثين باللغة الفارسية، ولذلك فقد كانت الكلمات الفارسية بها كثيرة قبل أن يهاجر الإمام الثالث الذى يرتبط اسمه بها وهو الشيخ خالد النقشبندى إلى دمشق مبشراً بها ومرسلاً دعائه إلى البلاد العربية، وقيل إن الكلمات الفارسية الأساسية الداخلة فى بناء الطريقة هى أحد عشر مصطلحاً هى: هوش دردم هوش حيث هوش بمعنى العفل، ودر ظرف، ودم النفس، والمعنى المراد أنه ينبغي على السالك العاقل أن يحفظ نفسه عن الغفلة ليكون قلبه حاضراً مع الله تعالى فى كل زفرة وشهقة من أنفاسه، ونظر بر قدم حيث بر بمعنى على، والمقصود أنه ينبغي على السالك أن يستبقى نظره عند قدميه، فلا يصعد نظره إلى الآفاق فيشغله ما يشاهد عن الذكر والتفكر فى الله تعالى، وسفر در وطن أى السفر أو الانتقال إلى الوطن أو المقام، فهو انتقال السالك عبر المقامات أو ذهاب السالك عن عالم الحق إلى جناب الحق، وخلوة دار انجمن، وانجمن تعنى جمعية الناس، والخلوة منها الخلوة الظاهرة التى تكون باختلاء السالك فى بيت خال، والخلوة الباطنة بالذهاب عن الخلق إلى الحق، والمقصود أن يكون السالك برغم كونه مع الناس غائباً عنهم وحاضراً مع الحق، ويادکرد، وياد بمعنى الذكر، وكرد أصلها كردن وسقطت النون تخفيفاً، والمعنى تكرار الذكر بالقلب أو باللسان، وبازگشت حيث باز هى الرجوع، والمقصود رجوع الذاكر بذكره إلى الله ليحصل له الوصول بالذكر إلى المذكور عز وجل، ونكاه داشت ومعنى نكاه هو الحفظ، والمقصود أن السالك ينبغي عليه أن يحفظ قلبه من دخول الخواطر إليه، وياد داشت بمعنى حضور القلب مع الله على الدوام، ووقوف عددى أى الوقوف المتعلق بالعدد فى الذكر ووعى الذاكر بعدد مرات الذكر، ووقوف قلبى وهو الوقوف المنسوب إلى القلب، يعنى وقوف قلب الذاكر على المذكور عند ذكره، ووقوف زمانى أى مراقبة السالك لنفسه فى تغير أحواله فى زمنه وعبر مراحل أوقاته.

وفى تعريف الطريقة يقول النقشبندية أنها دوام العبودية لله تعالى، ظاهراً وباطناً،

بكمال الالتزام بالسنّة، واجتناب البدعة والرخصة، فى جميع الحركات والسكنات، سواء فى العبادات أو العادات أو المعاملات، مع دوام الحضور مع الله وبالله تعالى على طريق الذهول والاستهلاك، ولها أصلاً هما كمال اتباع النّبى ﷺ، ومحبة الشيخ الكامل، ولها شرائط لابد منها للمريد عددها أحد عشر، منها أن لا يعترض فى قلبه على أفعال الشيخ، وألا ينسب نفسه إلى القصور، وأن يظهر خواطره بخيرها وشرها لشيخه، وأن يصدق فى طلبه فلا تغيره المحن، وأن لا يقتدى بجميع أفعال شيخه العادية إلا أن يأمره، وأن يبادر بإتيان ما يأمره، وأن يقطع علائقه بما سوى المقصود، وأن لا يكون مراده من الدنيا والآخرة غير الذات الأحدية، وأن يكون منقاداً مستسماً لأمر الشيخ، وأن لا يظهر حاجة لأحد سوى الشيخ، وأن لا يفضب على أحد لأن الغضب يذهب بنور الذكر. وآداب الطريقة التى يتعين بها المريد خمسة عشر أدباً، منها أن يقصر اعتقاده على الشيخ، وأن يكون راضياً بتصرفاته ومنقاداً لها، وأن يسلب اختيار نفسه باختيار الشيخ، وأن لا يفعل ما يكرهه شيخه، وأن لا يتطلع إلى تغيير الوقائع والمناسبات والمكاشفات، وأن يغض الصوت فى مجلس الشيخ، وأن يعرف أوقات الكلام معه، وأن لا يكتم عنه أياً من أحواله وخواطره وكشوفه والكرامات التى تقع له، وأن لا ينقل من كلام الشيخ إلى الناس إلا القدر الذى يناسبهم ويليق بأفهامهم وعقولهم، وأن لا يطلب من الشيخ بعد قبوله له سوى أن يخدمه عن ميل ورغبة، وأن لا يتحمل تبليغ سلام الغير إلى الشيخ، وأن لا يتوجه إلا لما أراه الشيخ، وأن لا يتوضأ بمرأى الشيخ، وأن يبادر بإتيان ما أمره، وأن يأخذ بالتأدب الإلهى والذوق والوجدان الوهيبى. وطرق الوصول فى النقشبندية أربعة، أولها هو أقواها وأعلها، وهو صحبة الشيخ الكامل السالك، بشرط أن تكون صحبته له هى لخدمة الشيخ والانتساب إليه والافتخار به والإقبال عليه، وأن لا يعترض على أفعاله ولا ينكر له قولاً، لافى الظاهر ولا فى الباطن، وأن يكون بين يديه كالميت بين يذى الغاسل فلا يخالفه فى شىء، وثانيها هو الرابطة أى الارتباط بالشيخ، وربط قلب السالك بقلبه وتعلقه به لأنه الكامل المتحقق بالصفات الذاتية، والموصل إلى مقام المشاهدة، وثالثها الالتزام، أى أن يلزم السالك نفسه بما يتلقنه عن الشيخ، ورابعها الذكر، والمقصود أن يكون حال السالك هو حال الذاكر لله على الدوام، وحال التأدب بالذكر فيتطهر قلبه من المنهيات والهوى والحرص واتباع الشهوات، والذكر منه ما يكون باللسان، وما يكون بالقلب، وفى ذكر اللسان يحرص على أن يوقف قلبه على الله وينسى به ما سواه، وهو يفعله بالحرص الشديد على الأداء الأمثل فيقول اسم الجلالة «الله» لاصقاً باللسان بسقف

الحلق، والأسنان بالأسنان، والشفة بالشفة، ويطلق تنفسه مع نطق الاسم بكل وعيه ووجدانه، وكأنه يتخلل به كل جسمه ويملاً به قلبه وبصره وعقله، مذكراً نفسه في ابتداء الذكر وبين كل مائة منه فيقول اللهم أنت مقصودي، ورضاك مطلوبى. وهناك ذكر آخر بخلاف ذكر اسم الذات، وهو ذكر النفى والإثبات، فالنفى هو لا إله، والإثبات هو إلا الله، ومع نطقها يتخيل لا تسرى في الدماغ، ثم إذا وصل إلى إله كان السريان بتخيله قد وصل إلى الكتف، فإذا كانت إلا الله كان قد بلغ القلب، يقولها بجملة وفي صدق وإخلاص، وجماع نفسه وعقله وبدنه وقلبه، فينفى بالنفى في لا إله كل المحدثات، ويثبت بالإثبات في إلا الله ذات الحق، ويقول في آخرها محمد رسول الله، يريد التقييد بالاتباع، ويكرر ذلك على قدر طاقته واستعداده وبكل ما يقر عليه من نفس، ومع كل توحيد يذكر قلبه بأن يذهب عقله مردداً اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبى، وذلك هو مناط الذكر: القصد إلى الله وطلب رضاه والتحقق به عن سواه. والطريق الرابع هو المراقبة بأن يسقط السالك كل تدبير إلا تدبير الله، وأن يحاسب نفسه ويراقبها واضعاً في اعتباره أن الله مطلع عليه في كل ما يقول ويفعل، وفي كل شهقة وزفرة وخلجة وخطرة. (أنظر أحمد السرهندى وخالد النقشبندى).



نلليـنو

كارلو نلليـنو Nallino (١٨٧٢ — ١٩٣٨ م) مستشرق إيطالى، كانت عنايته بالتصوف والفلسفة والفقه والفلك والأدب والتاريخ الإسلامى، وكان استاذاً للتاريخ والدراسات الإسلامية بجامعة روما، وانتخب عضواً بالمجمع العلمى الإيطالى والمجمع العلمى العربى بدمشق والمجمع اللغوى بالقاهرة، وتولى الإشراف على مجلة الدراسات الشرقية ومجلة الشرق الحديث، ونشر كتاب البيان لابن رشد، وحاضر فى الجامعة المصرية، وله تاريخ الأدب العربى، وحياة محمد وشعر ابن الفارض والتصوف الإسلامى، وقصة سلمان وأبسال لابن سينا، والفلسفة الإشراقية لابن سينا، وقد نقله الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية. وكتب فى دائرة المعارف الإيطالية عن ابن رشد وابن سينا والفارابى وابن جابر والغزالى وإخوان الصفا والإباضية.



النهرجورى

أبو يعقوب إسحاق بن محمد، نسبته إلى نهرجور بالقرب من الأهواز، وكان من علماء الصوفية، صاحب الجنيد وعمرو بن عثمان المكى وأبا يعقوب السوسى، وأقام بالحرم مجاوراً سنين كثيرة ومات بمكة سنة ٣٣٠هـ، وكلامه فى المعرفة والفناء والبقاء والصدق، فأعزف الناس بالله أشدهم تحيراً فيه، والذي اجتمع عليه المحققون فى حقائقهم أن الله تعالى غير مفقود فيطلب، ولاله غاية فيدرك، ومن أدرك موجوداً فهو بالموجود مغرور. وعنده أن الموجود معرفة حال وكشف علم بلا حال، ومن عرف الله لم يغير به. والمشاهدة كما يراها نوعان، مشاهدة أرواح وهى تحقيق، ومشاهدة قلوب وهى تعريف. وسئل عن التصوف فقال متحسراً تلك أمة قد خلت. والطريق إلى الله تعالى تكون باجتناب الجهلاء ومصاحبة العلماء واستعمال العلم ودوام الذكر. وقال لما طلب أهل الله الحقائق سادوا الخلائق. واليقين مشاهدة الإيمان بالغيب. والجمع عين الحق الذى قامت به الأشياء، والتفرقة صفوة الحق من الباطن. والفناء هو فناء رؤية قيام العبد لله، والبقاء هو بقاء رؤية قيام الله فى الأحكام. والعارف لا يصل إلى ربه إلا بقطع القلب عن ثلاثة أشياء: العلم والعمل والخلق. يقول:

العلم بى منك وطأ العُذر عندك لى حتى اكتفيت فلم تعدل ولم تلم
أقامك علمك لى، فاحتج عندك لى مقام شاهد عدل غير متهم

وقال: الناس بما يكون به شبعهم، فن كان شبعه بالطعام لم يزل جائعاً، ومن كان غناه بالمال لم يزل مفتقراً، ومن قصد بحاجته الخلق لم يزل محروماً، ومن استعان فى أمره بغير الله لم يزل مغدولاً. والمفاوز فى الدنيا والآخرة، ومفاوز الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب.

النورى (أبو الحسين)

أحمد بن محمد النورى البغدادى المتوفى سنة ٢٩٥هـ، ويعرف بابن البغوى نسبة إلى قرية اسمها بُغشور بخراسان وإن كان قد ولد ونشأ ببغداد، وقيل اسمه النورى نسبة لقرية يقال لها نور، أو لنور أو حُسن فى وجهه، وطريقته يسمونها النورية وتشبه طريقة الجنيد فقد كان من أقرانه. والنورى صاحب السرى السقطى وابن أبى الحوارى والقصاب، وأساس طريقته الإيثارة، وهو اجتماعى يكره العزلة ويذم الانزواء

ويعلم مريديه الصُّحبة وحُسن العشرة. وحقيقة الإيثار عند النورية إنهم يحفظون حق صاحبهم في الغيبة ويضحى كل منهم بنصيبه لصاحبه ويحتمل التعب ليرجحه. ويروى عن النورى أنه لما سَوا عند الخليفة عن متزندقة الصوفية قبض العسكر على النورى وجماعته ضمن من قبضوا عليهم، وقضى الخليفة بإعدام الجميع بتهمة نشر الإلحاد، وجاء السياف وصقَّهم بعد أن قيدهم فطلب النورى منه أن يسبق أصحابه، ولما ناقشه برَّر عمله بأن طريفته مبنية على الإيثار، وهؤلاء أصحابه يفتديهم ولو بهذه الأنفاس القليلة، مبيناً أن التَّقَس الواحد فى الدنيا خير من ألف سنة فى الآخرة، لأن الدنيا هى دار الخدمة والآخرة دار الغربة، ولا تُنال القربة إلا بالخدمة. وحمل السياف ماجرى بينه وبين النورى إلى الخليفة فتعجب وأمر بإعادة محاكمة جماعة النورى، واستمع القاضى لهم فكتب إلى الخليفة لو أن هؤلاء ملاحدة فليس على وجه الأرض مؤحد واحد، فأطلق الخليفة سراحهم. وروى عن النورى أيضاً أنه كان يحمل غداءه من بيته فى الصباح متوجهاً إلى خانوته فيتصدق به فى الطريق، ويظل صائماً بقية اليوم، فيظن أهل بيته أنه يأكل فى الخانوت، ويظن أهل السوق أنه يأكل فى بيته، وظل على هذه الحال عشرين سنة. ومذهبه فى التصوف أنه ترك كل حظوظ النفس، وأن التصوف ليس رسوماً ولا علوماً ولكنه قبل كل شىء أخلاق، وهو المعرفة بالله، ولكنها معرفة تكون فى الدنيا قبل الآخرة، فمن لم يعرفه أولاً فى الدنيا لن يعرفه فى الآخرة، ويقول إنه منذ أن عرف ربه ما اشتى شيئاً ولا استحسن شيئاً، وأن الانقطاع عن ذكر الله عقوبة ينزلها العارف بنفسه، وأن الجمع بالحق هو التفرقة عن غيره، والتفرقة عن غيره هى سبيل الجمع به. ولما توفى النورى أبىه الجنيد فقال منذ مات رحمه الله لم يخبر عن حقيقة الصدق أحد.



النيسابورى (أبو حفص)

عمر بن سلمة، وينسب لنيسابور، وصناعته الحدادة، ولذلك يقال أبو حفص الحداد، قيل توفى سنة ٢٧٠ هـ أو نحوها، وتخرَّج عليه عامة أعلام صوفية نيسابور، ومنهم أبو عثمان النيسابورى وشاه الكرمانى، وكان من أصحاب أحمد بن خضرويه، وكلامه وسلوكه فى الفتوة فهو الفتى حقاً، والتصوف عنده ليس إلا الآداب، ولكل وقت أو مقام أدبه، ومن لزم الآداب بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيَّع الآداب فهو بعيد

من حيث يظن أنه قريب ، ومردود من حيث يرجو القبول . وعلامة الفتوة عنده أن الفتى إذا رأى الفتيان لا يستحى منهم فى شمائله وأفعاله ، فهو مثلهم إن لم يبرزهم ، والفتوة سلوك وليست أقوالاً ، وهى أداء الإنصاف للناس وترك الانتصاف لنفسه ، والرجولة هى التى يقول فيها الله تعالى : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » ، أى كانوا بفعلهم وقولهم عندما عاهدوا الله عليه ، فتركوا ما لهم والتزموا ما أمرهم به ، والرجولة أخذ وعطاء ، ومن يفعل ذلك فهو الرجل ، وأما من يعطى ولا يأخذ فهو نصف رجل ، ومن لا يعطى ولا يأخذ فهو هج لا خير فيه ، ويفسر أبو عثمان كلامه بأن من يأخذ من الله ويعطى لله فهو الرجل ، لأنه لا يرى فيه نفسه بأى حال من الأحوال ، ومن يعطى ولا يأخذ فهو نصف رجل لأنه يرى نفسه كريماً وصاحب فضل ، ومن لا يأخذ ولا يعطى فهو الهمج لأنه يظن أنه الآخذ والمعطى دون الله تعالى . واسم السخى لا يستحقه من يذكر العطاء أو يلمح به بقلبه ، واسم البخيل يستحقه من لا يؤثر والناس فى حاجة . والفتوة مع النساء تعنى المعاشرة بالمعروف وحسن الخلق فيما ساءك ومن تكره صحبتها . وأبو حفص لا يدعى الخلق فهو يعرف أنه كان حداداً ، وأنه سريع الغضب وقوى ، وأنه ينسى نفسه فى كثير من الأحوال ، ومن نسيانه أنه أدخل يده فى النار ليخرج الحديد منه حتى أن غلامه لما شاهد ذلك غشى عليه ، إلا أنه يحاول أن لا يظهر عليه غضبه وأن يكبت غيظه ، ويلتزم فى ذلك طريقة طريفة ، فكان إذا استشعر الغضب تحدث فى الأخلاق وما ينبغى أن يتحلى به المرء منها ، وعندئذ يهدأ رويداً ، فإذا هدأ استأنف ما كان فيه . وتعليمه لمريديه كله رجولة وفتوة ، ومؤداه حسن العشرة مع الإخوان ، وحفظ حرمان الشيخ ، والنصيحة للأصغار ، وترك الخصومات ، وملازمة الإيثار ، ومجانبة الادخار ، وترك صحبة من ليس على طريقهم ، ومعاونة الإخوان فى أمور دنياهم وآخرتهم . وهوى شخص الفساد فى التصوف بأنه بسبب فسق العارفين وكذب المريدين ، ويفسر أبو عثمان فسق العارفين بأنه تهافتهم على الدنيا ومنافعها ، وكذب المريدين أن يكون ذكرهم للخلق أغلب على قلوبهم من ذكر الله ، وشوقهم لرؤية الناس أشد من شوقهم لرؤية الله تعالى .



نيكلسون

رينولد ألن نيكلسون Nicholson (١٨٦٨ — ١٩٤٥ م) مستشرق إنجليزى ، اشتهر

بتحقيقاته وبحوثه فى التصوف ، ومن ذلك إخراجہ للمختارات من ديوانى شمس
تبريزى الرومى سنة ١٨٩٨ ، وتذكرة الأولياء للعطار (بين سنتى ١٩٠٥ و ١٩٠٧)
وفارس نامہ بالاشتراك مع لستراىج سنة ١٩٠١ ، والمتنوى والمعنوى لجلال الدين
الرومى مع ترجمة إنجليزية له (بين سنتى ١٩٢٥ و ١٩٣٠). ونشر بالعربية الكتاب
المرجع فى التصوف وهو اللمع للسراج سنة ١٩١٨ ، وترجمان الأشواق لابن عربى
مع ترجمة وتعليق سنة ١٩١١ ، ومن ذلك ترجمته لكشف المحجوب للهجويزى سنة
١٩١١ ، وأسرار النفس لإقبال سنة ١٩٢٠. ومن بحوثه القيمة «دراسات فى
التصوف الإسلامى» و«مذكرات عن كتاب فصوص الحکم لابن عربى» ،
وكتابه «صوفية الإسلام» وكتابه «فكرة الشخصية فى التصوف الإسلامى» .
وهو يقول فى مقدمة كتاب اللمع أنه قد آلى على نفسه أن يؤرخ للتصوف الإسلامى
وبخاصة لنشأته ، وأن الزهد بخلاف التصوف ويمهد له ، والزهد إسلامى خالص ،
ولكن التصوف يرجع فى نشأته إلى عوامل كثيرة ، نظرية أبرزها الأفلاطونية المحدثة
المتأخرة متمثلة فى أفكار ذى النون المصرى ومعروف الكرخى ، والديانة المسيحية
والمذهب الغنوصى ، وعملية نتيجة احتكاك المسلمين بثقافات الهند وفارس الدينية
متمثلة فى مذهب أبى يزيد البسطامى ، وعلى ذلك فلا يمكن القول بأن التصوف
إسلامى خالص أو أنه هندى فارسى ، أو مسيحى ، وإنما هو جاع كل ذلك . وله
ترجمات لابن الفارض ومعروف الكرخى ومحمى الدين بن عربى وإبراهيم بن
أدهم ، وبحث فى تطور التصوف وثبت بمصطلحاته عند الصوفية .





الهجویری

أبو الحسن علی بن عثمان بن علی الغزنوی الجلابی الهجویری، صاحب کتاب «كشف المحجوب» ویعد أقدم الكتب باللغة الفارسیة فی التصوف وأشهرها، ولسنا نعرف الكثير عن الهجویری، ومن المحتمل أنه توفي بین سنتی ٤٦٥ و ٤٦٩ هـ فی لاهور، وقبره بها یزار، ویذكر الهجویری أن له کتابین هما الديوان ومنهاج الدین فی التصوف أيضاً ولكنها ينسبان إلى غیره، ولذلك فقد تحاشی فی تألیفه لکتاب کشف المحجوب أن يتمكن أحد من نسبة الکتاب إليه فذكر نفسه فيه كثيراً. وكان تألیفه للکتاب من الذاکرة، وذلك أنه کما یقول احتجّز فی لاهور عندما بلغها ولم یُسمح له بمغادرها فألفه فیها، وكان ذلك احتمالاً فی أواخر حیاتہ، وكان بناءً علی أسئلة قدمت إليه من واحد من أصحابه يدعی أبا السعيد الهجویری، وتوخی أن یجیء کتابه بحیث یقدم صورة متكاملة عن التصوف لا مجرد أسماء وحکایات ومأثورات للصوفیة، ویمخاطب المؤلف القاریء علی طريقة المعلم الذی یدرس لتلميذه، وهو یناقش الآراء التی یقدمها ویفتد بعضها إذا لزم الأمر، وعلی ذلك فإن طریقته تتميز علی طريقة القشیری فی الرسالة، فضلاً عن أن المؤلف له مایل فلسفیة واضحة وإن کان فی السنة وليس من الشیعة، وهو یحاول أن یؤلف بین الدین والفلسفة، وتقوم نظریته علی مقولة الفناء ولكنه لا ینذهب فیها إلى حد أن یُدمج مع أصحاب وحدة الوجود، ویؤثر مع الجنید حالة الصحو علی حالة السكر، ویحذر المریدین من نذ الشریعة، فالعمدة فی التصوف هو التزام الکتاب والسنة، ومع ذلك فهو یدافع عن الحلاج ضد حصومه

الذين اتهموه بانتحال الكرامات وافتعال ما من شأنه أن يبدو أن له كرامات، ويقول إن الحلاج قد يبدو من ظاهر كلامه أنه من أصحاب وحدة الوجود ولكنه ليس كذلك وإن كان الهجویری لا يتابعه على أفكاره، ومع ذلك فإن ادعاء الهجویری التزام السنة لا يستقيم مع شروحه التي يبيدها مختلف مدارس التصوف التي يعرضها، فهو في كثير من الأحيان يبدو متعاطفاً معها ويحاول باستمرار أن يستعين بالتأويل لمداغة الاتهامات التي قد تكال ضد هذه المدارس أو تلك. وعلى أى الأحوال فإن خصيصة الهجویری في هذا الكتاب أنه فارسی المشرب، وأنه ينتمى لنفس المدرسة التي أنجبت أبا سعيد بن أبى الخير وفريد الدين العطار وجلال الدين الرومى. ويبدو واضحاً أنه رغم نقله عن الذاكرة فإنه قد قرأ لمع الطوسى وطبقات السلمى، وأن هذين الكتائين فى باله وهو يعد مصنفه فى التصوف. والكتاب يتضمن خمسة وعشرين فصلاً عن التصوف والفقر ولبس الخرقه والملازمة والملازمة وأهل الصفة والتابعين وتابعيهم والمحدثين من أهل التصوف، ومعرفة الله (وبها ينكشف الحجاب الأول)، والتوحيد (يكشف الحجاب الثانى)، والإيمان (يكشف الحجاب الثالث)، والتطهر من الذنوب (يكشف الحجاب الرابع)، والصلاة (وينكشف بها الحجاب الخامس)، والزكاة (وينكشف بها الحجاب السادس)، والصيام (وبه ينكشف الحجاب السابع)، والحج (وينكشف الحجاب الثامن)، والصحة وقواعدها وأصولها (وهى مناط كشف الحجاب التاسع)، ولغة الصوفية ومدلولاتها (وفهمها يكشف الحجاب العاشر)، والسماع (وفيه يكشف الحجاب الحادى عشر). ويبدو أن أهم فصول الكتاب هو الفصل الرابع عشر ويتناول أفكار بعض أعلام الصوفية كالجنيد والخواص والتسترى واختلافاتها عن أفكار الآخرين فى موضوعات كالفناء والأحوال والمقامات وترتيبها، ويوردها كمدارس عقائدية فالجنيدية نسبة للجنيد، والخرازية للخراز، والسهلية لسهل التسترى، والنورية لأبى الحسين النورى، والطيفورية لأبى يزيد طيفور البسطامى، والحلاجية عند الحلاج، والحكيمية عند الحكيم الترمذى، والخفيفية لابن خفيف الشيرازى، والسيارية للسيارى، والمحاسبية للحارث المحاسبى، وكل مدرسة لها متربها وروحها واهتماماتها التى تصطبغ بميول صاحبها الفكرية والمزاجية والنفسية وتتأثر بمحيطه الثقافى والشيوخ الذين أخذ عليهم، وعلى ذلك فهذه الدراسة هى أول دراسة من نوعها فى التصوف، وقد أثارت لذلك اهتمامات المستشرق نيكلسون فنقل الكتاب إلى اللغة الإنجليزية، واشتهرت ترجمته كما اشتهر الكتاب عن طريقه.

الهروى (الأنصارى)

شيخ الإسلام أبو اسماعيل عبدالله بن محمد بن على الأنصارى الهروى الحنبلى (٣٩٦ - ٤٨١ هـ) ونسبته الأنصارى لأنه من نسل الصحابى أبى أنوب الأنصارى ، ونسبته الهروى لأنه من مواليد هراة ، وبها نشأ وتوفى ، وكان حنبلى المذهب وتديد التحمس للإمام أحمد بن حنبل ، وصنف فيه كتاب «سيرة الإمام أحمد بن حنبل» ، وكان قد بدا شافعيًا ، وتسبب له انتماءؤه للحنابلة وتصوفه فى نفس الوقت فى الكثير من الحرج حتى تهددت حياته خمس مرات وفى من بلده ثلاث مرات ، فلا هو انتهى عن التحنبل ، ولا هو امتنع عن مريديه ، ولا سكت عن مخالفه ، وكان شديد الوطأة على خصومة واشتهر بكتابه «ذم الكلام وأهله» ، وله فى التصوف «المفاجأة» و«منازل السائرین إلى رب العالمين» ، و«طبقات الصوفية» ، وأشهر هذه الكتب الثلاثة كتاب منازل السائرین ، ولولم تكن له قيمة فى ذاته فمقد اكتسب هذه القيمة بالشروح التى صنف علىه ، ولعل أبرزها «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية ، ومع أن كتاب الهروى لا يعدو الوریفات فإن كتاب ابن القيم كان فى ثلاثة مجلدات ، وربما كان تطلع ابن القيم لشرح كتاب الهروى من منطلق أن الهروى كان حنبليًا وصوفيًا فى نفس الوقت ، وهو الاتجاه الذى اصطلح النفاد على إطلاق اسم التصوف السنى عليه تمييزاً له عن التصوف الفلسفى عند ابن عربى وابن سبعين وابن مسرة وغيرهم ممن قيل فيهم إنهم من أصحاب مذهب وحدة الوجود . ولقد اهتم الهروى بأنه من أنصار هذا المذهب ، فقد ذهب فى تعريفه للقاء والتوحيد مذهباً يعبره من الاتحاديين ، وقد عظمه الاتحاديون لهذا السبب ، وعذوه منهم ، وانتفده ابن تيمية وأخذ عليه هذه السقطة المستبشرة من شيخ كبير ، وعالم جليل مثله ، متهود له بمجاهدة أهل الباطل ، وهو الذى يصف نفسه فيقول :

أنا حنبلى ما حييت ، وإن من فوصيتى للباس أن يتحنلوا

والحقيقة أن تعريف الهروى كان تعريفاً مشكلاً ، وربما كان تناول ابن القيم لكتابه لرفع اللبس عنه أولاً ، ولإعادة الهروى إلى المدرسة السلفية كواحد من أقطابها ، قد أثراها باتجاهاته الصوفية التى كان لابن القيم نفسه ميول إليها ، فبنى على كتابه وطور أفكاره ووسع منها . وقد حاول الأئمة أن يدافعوا نهمة التجسيم عن الحنابلة ، كما حاولوا أيضاً أن ينهوا إلى أن الهروى لا يمكن أن يكون اتحادياً ، وأن التفسيرات التى

أضيفت إليه من باب الاعتساف أو الإنكار عليه فقد كان الهروى حرباً على المتكلمين وراسخاً فى السنة لا يتزلزل ولا يلين، وقال بعض من أصحابه ليته لم يصنف هذا الكتاب، أو ليته كتب فى الزهد مثلما فعل ابن حنبل. ولكن يبدو أن التصوف كان غالباً على العصر، وابن حنبل نفسه ما كان بمتنع عن مجالسة الصوفية، وكان لا يستنكف عن سؤالهم فى مجلسه كلما كان هناك من المسائل ما كان جوابه عند الصوفية.

والهروى عندما يتناول التصوف فإنه يؤرخ لصوفية وقته ويذكر غيرهم، ومنهجه فى طبقات الصوفية يتوسط منهجى عبد الرحمن السلمى وعبد الرحمن جامى. وعندما يذكر الصوفية يقول عنهم الفقراء، وتأريخه لهم كان بناء على طلب مريديه، وهو يكتب عنهم وعن أحوالهم ومقاماتهم سواء منهم من كان من أهل هراة أو من الغرباء على حد وصفه. وهو فى منازل السائرين يرتب هذه المقامات ترتيباً يشير إلى تواليها ويدل على الفروع التى تليها، ويحلى كلامه من كلام غيره، ويختصره ويربط المقامات بالقرآن والحديث، ليكون الكلام ألطف فى اللفظ وأخف على الحفظ، وجعل عدد المقامات مائة وقسمها إلى عشرة أقسام، وعنده أن العبد لا يصح له مقام حتى يرتفع عنه، ثم يشرف عليه فيصححه. ويعيب على من سبقوه من المصنفين فى مجال التصوف أن تصانيفهم غير كافية ولا مغنية، حيث قد أشار بعضهم إلى الأصول ولم يف بالتفصيل، وجمع بعضهم الحكايات ولم يلخصها، ومنهم من لم يميز مقامات الخاصة وضرورات العامة، ومن عد شطح المغلوب مفاعاً وجعل بوح الواجد ورمز المتمكن شيئاً عاماً، غير أن الاتفاق بين الجميع على أن النهايات لا تصح إلا بتصحيح البدايات، كما أن الأبنية لا تقوم إلا على الأساس، وتصحيح البدايات كما يراه الهروى هو إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص ومتابعة السنة وتعظيم النهى ورعاية الحرمة وبذل النصيحة ومجانبة كل صاحب يفسد الوقت وكل سبب يفتن القلب. والناس فى هذا الشأن ثلاثة نفر: رجل يعمل بين الخوف والرجاء، شاخصاً إلى الحب مع صحبة الحياء وهو الذى يسمى المريد، ورجل مختطف من وادى التفرق إلى وادى الجمع ويقال له المراد، ومن سواهما مدع مفتون مخدوع. وجميع هذه المقامات تجمعها رتب ثلاث، الأولى أخذ القاصد فى السير، والثانية دخوله فى الغربة، والثالثة حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد فى طريق الفناء. والإسناد فى الرتب الثلاث إلى قول الرسول فى الأولى: سيروا سيق المفردين. قالوا وما المفردون، قال المهتزون الذين

يهتزون فى ذكر الله عز وجل ، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً . وفى الثانية قوله طلب الحق غربة . وفى الثالثة أى معنى المشاهدة قوله فى الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . والفرق بين المقامات الثلاثة هو الفرق بين درجة العامة ودرجة السالك ودرجة المحقق ، ولكل منهم شرعة ومنهاج ووجهة . والأقسام العشرة التى يقسم المقامات إليها هى : البدايات والأخلاق والأحوال والأبواب والأصول والولايات والنهايات والمعاملات والأودية والحقائق . البدايات مثلاً عشر ، هى اليقظة والتوبة والمحاسبة والإنابة والتفكير والتذكر والاعتصام والفرار والرياضة والسماع ، وكل واحدة منها يقسمها بدورها ثلاثة أقسام ، فالتوبة مثلاً لا تصح إلا بعد معرفة الذنب ، وهى أن تنظر إلى ثلاثة أشياء : إلى انخلاعك من العصمة حين إتيانه ، وفرحك عند الظفر به ، وقعودك على الإصرار عن تداركه مع يقينك بنظر الحق إليك . وشروط التوبة ثلاثة أيضاً : الندم والاعتذار والإقلاع . وحقائق التوبة ثلاثة كذلك : تعظيم الجناية وإتھام التوبة ، وطلب إعدار الخليفة . وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة : تمييز التقية من العزة ، ونسيان الجناية ، والتوبة من التوبة أبداً . ولطائف سرائر التوبة ثلاثة ، وتوبة العامة تدعو إلى ثلاثة ، وكذلك توبة الأوساط ، وتوبة الخاصة ، وأيضاً فإن مقام التوبة لا يتم إلا بثلاثة . وهكذا فى كل الأقسام فإنه يجعلها عشرة ، ثم يجعل كل قسم ثلاثة . وكلامه فى التعريفات شديد الإيجاز وقد يغمض لذلك فى كثير من الأحيان ، وهو ما استدعى من الشارحين أن يشرحوه ، وقد حملوه أحياناً ما لا يحتمل فجرّحوا الهروى ، وكان نقد الكثيرين له سواء من الأشاعرة خصومه أو من السلفية من أصحابه كما سبق أن نوهنا . ويتبقى مع ذلك كتاب منازل السائرين تحفة فى الأدب الصوفى بأسلوب الهروى الرفيع فيه ، وهو ما اشتهر عنه ، فقد كان مبدعاً غاية الإبداع فى تخريجاته وألفاظه ومصطلحاته وتعبيراته .



هيار Huart

(١٨٥٤ — ١٩٢٣ م) مستشرق فرنسى كانت له اهتمامات بالطرق الصوفية خاصة البكتاشية والمولوية ، وتوفر على دراسة القيمة التاريخية لمذكرات الدراويش ، وروى الكثير من الطرائف والحكايات عنهم ، وترجم منتخبات من الشعر الصوفى لعفيف الدين التلمسانى ، وكتاب مناقب العارفين لشمس الدين أحمد الفلكى ، وكانت

له الكثير من البحوث فى المجلة الآسيوية، واشترك فى مؤتمر المستشرقين الذى عقد بالجزائر سنة ١٩٠٥، ثم فى مؤتمر كوبنهاجن سنة ١٩٠٨، وكان استاذاً للعربية والفارسية والتركية بمدرسة اللغات الشرقية، ومديراً لمدرسة الدراسات العليا، وكان يحاضر فى تفسير القرآن باللغة العربية، وانتخب رئيساً لمجمع الكتابات والآداب وعضواً بالمعهد الفرنسى والجمعية الآسيوية والمجمع العلمى بدمشق.





ابن واسع

أبو بكر محمد بن واسع بن جابر الأزدي (المتوفى سنة ١٢٣هـ)، كان قَرَّاءً وبكَّاءً، وصفه الحسن البصري فقال إنه زين القُرَّاء، وقال مالك بن دينار الفراءون ثلاث طوائف، فقراءون للأغنياء أو للدنيا، وقراءون للملوك، وقراءون للرحمن. ومحمد بن واسع من قُرَّاء الرحمن. وكان يبكي لدى سماعه القرآن، وكلما تفكر في الله، وفي الآخرة. وبكاؤه متكتم، وكان يعيب على من يسمع القرآن ولا يبكي، ويعيب على من يكون بكاءه مسموعاً، ويقول: أدركنا الناس وهم ينامون مع نسائهم على وسادة واحدة، ويبكون حتى تبتل الوسادة من دموعهم فلا تشعر نسائهم ببكائهم لعشرين سنة. وكان رحمه الله يلبس الصوف، ودخل على الوالي يوماً فسأله مادعاه إلى لبس الصوف، فسكت، فقال له أكلمك فلا تحيبنى، فقال أكره أن أقول: «زاهد» فأزكى نفسى، أو «فقير» فأشكو ربى عز وجل. وكان يقول: من زهد فى الدنيا فهو مالك الدنيا والآخرة. ويقول: من أقبل بقلبه على الله أقبل بقلوب العباد إليه. وكان شديد الإحساس بالذنب حتى قال: لو كانت للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنو منى من نزن ريحى، يقصد أنه كثير الذنوب. وعرضوا عليه قضاء البصرة فرفض، وهدهد الوالى فقال: ذل الدنيا ولا ذل الآخرة، وعاتبته زوجته على رفضه وقالت: لك عيال وأنت محتاج، فقال: مادمت ترىنى أصبر على الحل والبخل فلا تطمعى فى هذا منى، يقصد قبول منصب القضاء. وكان رحمه الله من ثقات أهل الحديث، وروى أنه دخل على بلال بن أبى بردة وقال له: يا بلال، إن أباك حدثنى

عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «إن في جهنم وادياً يقال له ههيب، حقاً على الله أن يسكنه كل جبار»، فإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه. واشترك مع يزيد بن المهلب في غزو خراسان، واستأذن منه للحج فأذن له، فسأله: أتأذن به للجيش كله، فقال يزيد لا، فقال ابن واسع: إذن لا حاجة لى بالحج. وتلك سخاوة نفس فلم يرخص لنفسه دون إخوانه في الجهاد. وكان مع قتيبة بن مسلم في خراسان، وخرج عليهم الترك فأرسل قتيبة يجمع المجاهدة وسأل عمن يكونون بالمسجد، فقيل له ليس إلا محمد بن واسع يضمنن بإصبعه نحو السماء، فقال: تلك الإصبع أحب إلّى من ثلاثين ألف سيف.

ومن كلامه في الخطايا: أربع يمتن القلب، الذنب على المذنب، وكثرة مثافئة النساء وحديثهن، وملاحة الأحن — تقول له ويفول لك — ومجالسة الموتى. وسأله ما مجالسة الموتى، قال: مجالسة كل غنى مترف وسلطان جائر. وكان يدعو الله ويقول: استغفرك ربى من كل مقام سوء، ومقعد سوء، ومدخل سوء، ومخرج سوء، وعمل سوء، وقول سوء، ونية سوء. استغفر منه فاغفرلى، وأتوب إليك منه فتب على. وكان يصوم ولا يُظهر للناس صيامه، والمبدأ الذى يصدر عنه فى زهده عن الطعام أن: من قلّ طعامه فهِمَ وأفهِمَ، وصفت ورقاً، وإن كثرة الطعام لتثقل صاحبه عن كثير مما يريد.



وفا

أبو الحسن على بن محمد بن وفا، القرشى الأنصارى الشاذلى المالكى، كان مولده سنة ٧٦١هـ بالقاهرة، ووفاته بها سنة ٨٠٧هـ، وله التصانيف منها المسامع الربانية، ومفاتيح الخزائن العلية، والباعث على الخلاص فى أحوال الخواص، والعروش، والكوثر المترع من الأبحر الأربع، وله ديوان شعر وموشحات، وشعره كما يفول السخاوى ينطق بالاتحاد، وكذلك كان شعر أبيه محمد وفا فى مرحلته الأخيرة، وكثر أتباعه وأتباع أبيه من أصحاب الطريقة الوفاية، وكان يرتب لهم الأذكار بالتحسين التى يستميل بها القلوب، وقال عنه المقرئى والشعرانى أنه كان مهيباً عظيماً، وفى غاية الظرف والجمال حتى لم ير فى مصر من هو أجل منه وجهاً ولا ثياباً، وأعطاه الله لسان الفرق والتفصيل زيادة على الجمع، وله كلام عالى فى الأدب، ووصايا نفيسة،

ومن ذلك قوله فى العارف بالله والمريد والأستاذ والدعاة : كل ما أرضى العارف بالله أرضى معروفة ، وكل ما أغضب أغضب معروفة ، فاعلموا أيها المريدون على أن يرضى عنكم العارفون إن أردتم رضا ربكم ، واحذروا فإن العكس فى العكس . والمريد الصادق ليس له أن يفارق إمام حضرة هدايته أبداً ، واعرف يا مريد من هو مرادك ، ويا تلميذ من هو أستاذك ، والزم تغم . وأستاذك أعلم بك منك ، لأنه حقيقتك وأنت ظلمة ، ومعرفتك بحقيقتك على قدر معرفتك بأستاذك . وما لم يرتفع حكم المغيرة لأستاذك عندك فأنت بالحقيقة لاشك ضائع . وصورة الأستاذ الناطق مرآة سر المريد الصادق ، إذا نظر فيها ببصيرته شهداها على صورة سريرته ، فأول مبادئ المريد أن تتجلى طويته بسمات أهل الفلاح والولاية ، فإذا كشف لبصيرته عن أستاذه رأى صورة صلاحه وولايته فى صفاء صورة أستاذه ، فينطق أن أستاذه هو الصالح الولي ، فيستمد من بركات ملاحظته المتوالية وهمه العالية ، ولا يزال مطلبه من الأستاذ دعواته وخواطره ، فيتودد إليه ويراه عظيماً فيسفر حجاب صورته الآدمية عن جمال ما خصه الله من الروح المحمدية ، فهناك يشهد أستاذه سيداً محمدياً ، ويكون له عبداً ، ولا يجعل له فى سواه أرباً ولا قصداً ، إلى أن ينزع الله منه نزع الزرع ويغنى سدره سر الأنوار الروحانية ، فينظر إلى أستاذه ، فلا يرى إلا الواحد يتجلى فى كل مشهد على قدر وسع الشاهد ، فيصير عدما بين يدي وجوده ، ومحواً فى حضرة شهوده ، فهكذا يكون المريد الصادق مع أستاذه : أول أمره توفيق ، وأوسطه تصديق ، وآخره تحميق . واعلموا أن من ليس له أستاذ ليس له مولى ، ومن ليس له مولى فالشيطان به أولى . والمريد من تحق بمراده فى عين أستاذه . ومن وافق أستاذه فى أفعاله ، طابقه فيما أخبر له من معارفه ، ومن خالفه فى أفعاله فقد المطابقة بتوهم معانى أقواله . ولفلاح المريد مع أستاذه ثلاث علامات : أن يحبه بالإيثار ، ويتلقى منه كل ماسمعه بالقبول ، ويكون معه فى سنونه كلها بالموافقة . ومن تقرب إلى أستاذه بالخدم تقرب الله إليه بالكرم . ومن أثر أستاذه على نفسه كشف الله تعالى له عن حظيرة قدسه . ومن نزهة حضرة أستاذه عن النفاص زاده الله تعالى من الخصاص . ومن احتجب عن أستاذه طرفة عين أوثقه الله فى موايق البين ، وما بين المريد وبين مشاهدة أستاذه إلا أن يجعل مراده بدلاً عن مراده ، ومن لم ينبه أستاذه عن النفاص لم تكن له فرحة بحضرة بالخصائص ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . وسئل هل لمريد الحق أن يتعاطى ما يشغله عن مراده ، فقال : لا ، فقلل فما الحكمة فى إذن الشارع ﷺ لأئمة فى التزويج ، وفيه من التسغل مالا يخفى ، فقال : لأنه لما رأى النفوس البشرية مغلوطة لعوارضها المزاجية ، أذن لها فيما يفك عنها غلبة تلك

العوارض عليها، لئلا تشغلها عنه، وشرط عليها مساس الحاجة ليكون الشغل فى ذلك به لاعنه. ألا ترى قوله تعالى: **ذلك أدنى أن لا تعولوا**، والعول الزيادة، أى أدنى أن لا تميلوا عن مولاكم إلى مادونه، فمن تزوج بتيّة صالحة كان عابداً لله تعالى بتزوجه، مع أن ذلك من ضمنه العصمة له من الزنا الذى يشغله الزواج عن ربه. والأحق تعالى، وأما من تزوج لمحض الشهوة فقط، فذلك الذى يشغله الزواج عن ربه. والأحق بالعبد هو مبدأ حقيقته الروحانية من مبدأ حقيقته الجسمية، فإذا علمت هذا فقدم أمر ربك الذى هو مبدؤك. يقول تعالى **فنفخت فيه من روحي**، فهو تعالى أحق بك وأرحم، وأفرح بك من أمك وأبيك ومن كل شيء دونه، فافهم. ولما كانت حواء مظهر صورة شهوة آدم الباطنة، كانت المرأة لا ترى قط إلا شهوة جسمية، لا تدرى ما فوق ذلك، ولا تتوجه همها إلى أعلى منه، ولا تنظر قط فى العواقب، وإنما تسرع إلى ما يحرك الوهم البهيم شهواتها إليه. وكم من الأشياء تعد كمالاً فى الخلق وهى نقص فى الحق، كالأزواج والذرية، فإن قيل لولا الزواج ما حصل النتاج، فقل لهم بل كان يحصل من حيث حصل فى آدم عليه السلام، وإنما محض التعريف للأسباب هو أكلة النهى، الموجبة لتسليط مافى الضرورات من العقاب، فافهم.



وفا

محمد بن محمد بن عمر بن شاهين (١١٧٩ — ١٢٦٤هـ) ولقبه الشيخ **وفا الرفاعى** أو الشيخ **وفا** أو **وفائى**، من شيوخ حلب، وله «**الفصول الوفية فى السادة الصوفية**» ورسالة فى **جوامع حلب وتكايها وأسماء الأولياء المدفونين فيها**، وله موشحات وقدود كانت تنشد بين يديه فى حلقات الذكر.



وفا

أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد السكندرى، رأس **الوفائية**، كان شاذلياً، ولد بالإسكندرية سنة ٧٠٢هـ، وتوفى بالقاهرة سنة ٧٦٥هـ، وأصله مغربى، وقيل أصل الوفائية من صفاقس، وقيل كنيته كذلك أبو الفتح وأبو التدانى، وفى بعض المراجع اسمه محمد وفاء، وسبب التسمية بوفاء فيما يظهر أن الشيخ كانت له كرامات، ومنها

أن النيل تأخر فيضانه، ونهددت المزروعات، فكان أن ذهب الشيخ إلى الشاطئ في الروضة وأمر النيل بالوفاء. فحدث أن الماء زاد فيه في تلك الليلة زيادة كبيرة حتى أوفى، فسموه «وفا». وكان نابغاً في النظم رغم أنه أُمى، وأنشأ القصائد على طريقة عمر بن الفارض، وكان قد ترك الإسكندرية إلى أخميم من الصعيد، وصار له المريدون والأتباع، فانتقل إلى القاهرة، وكان واعظاً وله لسان غريب في التصوف، وله مؤلفات كثيرة، منها نفائس العرفان من أنفاس الرحمن، وشعائر العرفان في ألواح الكتمان، والمقامات السنية المخصوص بها السادة الصوفية. ولما حضرته الوفاة خلع منطقته على الأبنزرى صاحب الموشحات، واستودعها عنده حتى يكبر ابنه علي، فلما كبر وأسلمها له قيل إنه لم يعد يعرف عمل الموشحات كالسابق. ومن كلامه: أعوذ بالله من شياطين الحق والكون، وأبالسة العلم والجهل، وأغيار المعرفة والنكرة. اللهم إني أعوذ بك وبسبق قدمك من سرحدوك.. وأعذني يا الله بك منك، واغني بديمومتك وبإحاطة وجودك وقيوميتك.. وغيتني في ظلمة ذاتك التي تعجز فيها الأبصار والبصائر، ويستحيل فيها معارف العقول الإلهية ذات الأسرار والسرائر. واستغفرك بلسان الحق لا بلسان الوقاية والنظر، وبعين التلاشى لا بعين الرعاية. سبحانك من وجه ما أنت، لا من وجه ما أنا.. وسبحانك في الحيث الذي لا يلتحق به البقاء ولا الفناء.. اللهم أرني وجهك لا من حيث كل شيء هالك. اللهم إني أسألك بذات عدمك وبذات وجودك، وبالذات المجردة، وبالذات المتصفة بذات التكوين والتلوين، وبالذات الفاعلة، وبالذات المنفعلة. اللهم اجعلني عينا لذات الذوات، ومشرفاً لأنوارها المشرقات، ومستودعاً لأسرارها المكتتمة في غيوبها المبهمة. اللهم إني أنزهك عن أوصاف الجسم والنفس والعقل والقلب، وأنزهك عن كل ذلك ونذّه ومثله وخلافه وغيره، تزنيهاً معجوزاً عن تصوره وتوهمه. ويقول: قال لى الحق: أيها المخصوص، لك عندى كل شيء مقدار، ولا مقدار لك عندى، فإنه لا يسعنى غيرك، وليس مثلك شيء. أنت عين حقيقتى، وكل شيء مجازك، وأنا موجود فى الحقيقة معدوم فى المجاز. يا عين مطلعى، أنت الحد الجامع المانع لمصنوعاتى إليك، يرجع الأمر كله إلى مرجعك، لأنك منتهى كل شيء، ولا تنتهى إلى شيء. طويت لك الأرضين السبع فى سبع من الحب والنوى، المتنوعة بالفعل إلى أصناف من نبات شتى، فإذا شئت نشرها أوجلت فيها جواهر السماء فاهترت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج. إن الذى أحيها لحى الموتى وهو على كل شيء قدير، فإذا تكامل خلقها وتكون، وتزين كونها، سعت على أقدام الإقدام لمسجدك الأقصى بحكم الاستقصا، فتخر ساجده سجود

العبودية لأرباب حواسك الكلية والجزئية ، تسبحك باللسنة المقديس ، وتقديسك بأفواه
التنزيه ، وتعظيمك تعظيم مخلوق لخالق ، فأملأكها تسبح وتحمد ، وأفلاكها تقوم وتسجد ،
وأنت جالس فى مجلس سلطانك ، مستو على عرش ناطقة إنسانك ، قد تلا لسان
الإحسان بمحضر الأكوان ، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً .





اليافعى

عفيف الدين عبدالله بن أسعد اليافعى (٦٩٨ - ٧٦٨هـ) نسبته إلى يافع من حمير، ومولده ونشأته فى عدن، وله «نشر المحاسن الغالية فى فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية»، و«روض الرياحين فى مناقب الصالحين» و«أسنى المفاخر فى مناقب الشيخ عبدالقادر»، قال فيه الدكتور زكى مبارك مؤلفاته الصوفية تعد من المراجع وفيها أدب وذوق، وأشهر كتبه روض الرياحين ويفيض بأنخبار الكرامات، وهو من هذه الناحية كتاب ضعيف لأنه «يضيف المؤلف إلى طائفة المغفلين الذين يصدقون كل شيء»، ولكنه مهم جداً لما فيه من الأخبار الصوفية التى تنفع من يهيمه أن يعرف شمائل أولئك الناس. وأما كتابه نشر المحاسن الغالية فهو ممتع لأنه شرح للأحوال والمقامات بأسلوب جميل، ولأنه دون فيه أكثر ما أنشأ من المنظومات الصوفية. ومنظومات اليافعى فن وسط، فلا هى بالشعر المطبوع، ولا هى بالنظم المتكلف، وهى فى جميع أحوالها من أثر الصدق، وأظهر ما فيها الشعر الرمزي الذى تجرى فيه الصبابة على الأساليب الحسية وهى فى ذاتها معنوية كقوله:

شربنا حُمَيَا الكأس فى قدس حضرة	وأكرم بها فى حضرة القدس من خمر
لنا عُصرت من كَرَم نور جمال من	سقانا وقد غبنا وحرنا فما ندرى
سكرنا بها من شَمها قبل شربها	نشأوى بِرَيّاها إلى آخر الدهر
أو السكر ذا من رؤية الكأس أو أنت	به رؤية الساقى إلينا ذوى السكر

واليافعى له شعر فى الصوفية يقول :

رجال لهم علم بما جهل الورى	لهم صار مكشوفاً متحى حجابهُ
فأسرار غيب عندهم علم كشفها	وقد سكرُوا مما يطيب شرابه
أولئك هم أهل الولاية نالهم	من الله فيها فضله وثوابه
وقربه وأنس واجتلاء معارف	ووارد تكليم لذيد خطابه
بترك الهوى أمسوا يطيطرون فى الهوا	ويمشون فوق الماء آمنٌ جنابهُ
ملوك على التحقيق ليس لغيرهم	من الملك إلا إسمه وعقابه

واليافعى من أشد المدافعين عن الحلاج وعبد القادر الجيلانى ، ويفرد كلاماً كثيراً يشرح به قول الجيلانى «قَدَمِيْ هَذَا عَلَى رَقَبَةِ كُلِّ وَلِيٍّ»، والبيت الذى يختم به منظومته التى أولها :

ما فى المناهل منهل مستعذب لا وليّ فى الألد الأطيب
ويقول فيه :

أفلت شمس الأولين وشمسنا أبدأ على فلك العلى لا تغرب

ولعل الجديد عند اليافعى هو اعتذاره عما يصدر من بعض الصوفية من التخريب المقتضى للإنكار، كتعاطى ما يؤدى إلى إساءة الظن بهم وسقوطهم من قلوب الخلق ورميهم لهم بالعظائم، لا يحتفلون بمدح الخلق ولا يذمهم استجلاباً لكمال الإخلاص واستبراء للنفس من شوائب الشرك الخفى الذى لا يسلم منه إلا الخواص، لا يبالى أحدهم بكونه بين الخلق زنديقاً إذا كان عند الله صديقاً، فبعضهم يوهم الناس أنه لا يصلى ولا يصوم، وهو يصلى ويصوم فى الباطن فيما بينه وبين الله تعالى، وبعضهم يكشف عورته بين الناس، وبعضهم يشتم الناس بالألفاظ القبيحة، وبعضهم يجعل قصبته بين رجله ويعدو عليها كأنها فرسه، وبعضهم يشتم بعض الحرف الدينية، وبعضهم جاء بعض الملوك فاستدعى بطعام وجعل يأكل أكلاً شريعاً شنيعاً، وبعضهم يأخذ شيئاً للناس حتى ينسبوه إلى اللصوصية وتزول عنه شهرة الصلاح، وإلى ذلك يشير اليافعى فى شعره فيقول :

كما فعل الخواص فى لبس خُلعة ابن ملكٍ بحمامٍ لغسل تجرداً

حيث أن الخواص وقد أراد أن يزيل عنه شهرة الصلاة فدخل الحمام ووجد لباس ابن الملك قد نزع ووضع عند الحمامى ليحفظه له، ففعل الحمامى عنه فلبسه الخواص، ولبس من فوقه ثيابه وخرج يمشى رويداً حتى يلحقوه وينسبوه إلى اللصوصية فتزول عنه شهرة الصلاح، وقد لحقوه فعلاً وضربوه وأطلقوا عليه اسم لص الحمام، فقال لنفسه ههنا طاب المقام.

ويقول الدكتور زكى مبارك إن أهمية شعر البياعى أنه ينشر الثقافة الصوفية، ولكن غرامه بنظم الشعر فى كل شيء، وفى جميع المعانى والأغراض، يدل على أنه كان فى أكثر أحواله من المتكلفين.



ابن يزدانيار

أبو بكر الحسين بن على بن يزدانيار من أرقية وإن كان الشعرانى والقشيري يذكran أنها أرمينية، وأرمية إحدى مدن أذربيجان وقيل هى مدينة زرادشت. وابن يزدانيار عاش قبل القرن الرابع الهجرى وكان شديد النقد على الصوفية وله طريقته الخاصة وتعريفاته، وما يروى له أن صوفية خراسان عمل ولا قول، وصوفية بغداد قول ولا عمل، وصوفية البصرة قول وعمل، وصوفية مصر لا قول ولا عمل، وهو فيما نعلم أول قول تظهر فيه الشعوية فى محال التصوف، ويظهر التحامل على مصر والمصريين بشدة لدرجة تجريد التصوف المصرى من كل قول وعمل بما يعنى أنه لا وجود للتصوف فى مصر، ويبدو أن هذا الصوفى الفارسى قد ووجه بالإنكار عليه من قبل صوفية العراق فتراجع عن قوله فيهم وادعى أنه رأى فى المنام أنه كما لو كان يوم القيامة وآدم عليه السلام يسلم عليه الناس فذهب ليصافحه فقال له آدم: أغرب عنى. أنت الذى وقعت فى أولادى الصوفية ولقد قرت عيناي بهم. ويعقب ابن يزدانيار فيقول: أترانى تكلمت بما تكلمت به إنكاراً على التصوف والصوفية؟ والله ما تكلمت إلا غيرة عليهم حيث أفشوا أسرار الحق وأبدوها إلى غير أهلها، فحملتى ذلك على الغيرة عليهم والكلام فيهم، وإلا فهم السادة ومحبتهم أتقرب إلى الله.

وقيل فى طريقة وكلام ابن يزدانيار أنه كان أميل إلى الظاهر فقد كان من علماء الظاهر، وأن أغلب كلامه فى المعاملات والمعارف، وفى الحياء خصوصاً حتى ليدور

مذهبه فى التصوف عليه ويقسمه إلى واحد وثلاثين قسماً، منها **حياء الجناية** كالذى جرى لآدم بعد أن ارتكب جنايته أو معصيته فى الجنة فأوحى إليه ربه أفراراً منى يا آدم فقال بل حياءٌ منك يا رب، و**حياء التقصير** تقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، و**حياء الإجلال** كما روى أن إسرافيل تسربل بجناحيه حياءً من ربه، و**حياء الغيرة** كما روى أن النبى دخل عليه عينة بن حصن وعنده عائشة فرفع النبى يده فسترها عنه فسأله عينة عن ذلك فقال النبى ما يعنى إن هذا هو الحياء الذى أعطيتناه ومنعتموه. ومنها **حياء الكرم** لقوله تعالى فى تأديب الصحابة فإذا طعمتم فانتشروا، ولا مستأنسين لحديث، إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم، و**حياء الحق** كما فى قوله تعالى والله لا يستحى من الحق، و**حياء الوقار** كحياء النبى من عثمان وقوله ألا أستحى ممن تستحى منه الملائكة، و**حياء الغربة** كقوله تعالى فى حق ابنة شعيب فجاءته إحداهن تمشى على استحياء، و**حياء الأمثال** لبيان الحق كقوله تعالى إن الله لا يستحى أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها، و**حياء المراجعة** ليلة الإسراء لقوله ﷺ إني قد استحييت من ربى، و**حياء الواجب** كما روى عن عائشة فى ثنائها على نساء الأنصار بقولها إني لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن رسول الله ﷺ عن الصفرة والكدره يعنى من دم الحيض، و**حياء الرحمة** كما فى الحديث أن الله يستحى من ذى الشبهة أن يعذبه بالنار، و**حياء المعرفة** كما رأى بعض الصالحين فى منامه أن يخاطب أهل البصرة فيقول يا أشباه اليهود كونوا على حياء من ربكم، و**حياء الإيمان** كما روى عن النبى قوله الحياء من الإيمان الحياء من الجنة، و**حياء المراقبة** فى الاتعاظ كما فى قول الله تعالى لعيسى عليه السلام يا عيسى عظم نفسك، فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى، و**حياء قصر الأمل** كما فى قول النبى استحيوا من الله حق الحياء، و**حياء الإحسان** كما قال النبى فى حق المتورعين عن المحارم إن الله يقول إني لأستحى أن أحاسبهم، وهو حياء إحساناً لأنه يقول هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، فجازاهم بإحسان ورعهم إحساناً ترك المحاسبة، و**حياء المعاودة** كما فى الخبر إن العبد إذا دعا الله تعالى يارب فيعرض عنه ثم يقول يارب فيعرض عنه فيقول الثالثة والرابعة فيقول الله إني استحييت من عبدى من كثرة ما يقول يارب إلى آخر الأقسام التى يستوفىها ابن يزدانبار.

اليسوى

أحمد إبراهيم اليسوى (نحو ٤٩٩ - ٥٦٢ هـ) نسبة إلى مدينة يسي من تركستان، وله ديوان الحكمة أو المناجاة بالتركية العامية، وقصائده فيه تهذيبية فى لغة شعبية، تعبر عن السنن الإسلامية والمعتقدات الصوفية، وكانت أساس لون جديد من الأدب التركى هو الأدب الشعبى الصوفى. وهو أصلاً من مواليد سيرام ولكنه انتقل مع أسرته إلى يسي بعد وفاة أبيه وهو فى السابعة فتتلمذ على بابا أرسلان؛ وبعد وفاته ارتحل إلى بخارى وأصبح من مريدى الشيخ يوسف الهمذانى وخلفه على الطريقة سنة ٥٥٥ هـ، وعاد إلى يسي وأقام بها حتى وفاته، وانتشرت منها الطريقة اليسوية فى آسيا الوسطى جميعها. وقيل إن اليسوى لم يلجأ إلى العامية إلا لكى يمكن بها لطريقته وليحظى بالقبول لدى العامة، ولعلها لذلك أكثر الطرق الصوفية شعبية ورواجاً لدى جمهور الناس. واليسوى من الموحدين، وأفكاره لا يميل فيها إلى الفلسفة، ولكنها تلهج بحجة الله والإخلاص له والتوكل عليه، فهو الرزاق والشافى والمعافى والمعين والميسر والمغنى والمرجو فى الشدائد، وله الأسماء الحسنى والصفات الفضلى. وأسلوبه الشعرى رمزى ويلجأ فيه إلى القصة وسرد الحكايات والحكم والأمثال، ولغته سهلة وإن قيل إن أتباعه من بعده أدخلوا على لغته الكثير من التعديلات بحسب الأحوال لتناسب التغير فى وسائل التعبير مع انتشار التعليم.

وأكثر ما تروج اليسوية بين البدو من التركمان، وهو يحاكى فى لغته فى الشعر لغة هؤلاء البدو، ويضم فى شعره كل الأدب التركمانى الشعبى قبله وما كان سائداً بين الناس من أساطير. ولما مات اليسوى بنى تيمور على مدفنه ضريحاً فخماً، وخلفه على الطريقة أبنائه وأحفاده.



أبو يعزى

يَنَور بن ميمون المتوفى سنة ٥٧٢ هـ، عاش فى فاس، وله زاوية يؤمها الناس فى بليدة، وحول قبره أقيمت قرية تسمى باسمه «مولاي بوغزى»، وشهرته أنه قد تخرج بصحبته جماعة من أعلام الصوفية بالمغرب، ومنهم أبو مدين الغوث، وكتبت فيه رسالات منها المُعزى فى مناقب أبى يعزى لأحمد الصومعى المتوفى سنة ١٠١٣ هـ، وعنده أن طلب الحق دون أن يكون الطالب من الصوفية يوصل إلى المطلوب،

والتحقيق يكون بالفضل . وليس التصوف مسألة كلام فإن اللغة فيه أولى أن تكون إشارات ، والإشارات فيه أنفع من كل كلام ، وخاصة إذا كانت تعبيراً عن مشاهدات . والولى لا يكون ولياً حتى يكون له قدم ومقام وحال ومنازلة وسر ، والقدم هو ما يسلكه من الطريق إلى الحق ، والمقام ما تقره عليه سابفته فى العلم ، والجمال ما بعثه من فوائد الأصول وليس نتائج السلوك ، والمنازلة ما خُص به من تحف الحضور بنعت المشاهدة ، والسر ما أودعه من اللطائف عند هجوم الجمع ومحو السوى وتلاشى الذات ، وتبرير ذلك أن حفظ حكم المقام يفيد الفقه فى الطريق ويفيد الاطلاع على خبايا معانيه ، وحفظ حكم الحال يفيد بسطة التصريف لله وبالله ، وحفظ حكم المنازلة يؤيد الفتح اللدنى ، وحفظ حكم السر يوسع قدرة الاطلاع على مكامن المكنونات ، وحفظ حكم الوقت يورث المراقبة ، وحفظ الأنفاس يوصل إلى مقام الغيبة فى الحضور .

ويُحكى عن طريقته مع مريديه أنه كان لا يجامل ولا بدارى وإنما يصف الكذاب بالكذب والسارق بالسرقة ويستعمل الألفاظ الجارحة فتكون النتيجة استشعار المسيء بإساءته فيكون الندم والتوبة والاستغفار والاستقامة ، فإذا خاطب أبو يعزى فى الرفق قال إنه مأمور ولولا ذلك ما فضحت أحداً ولسترت على الخلق . وشكاه مؤذنه وقال عنه مقالة المنكرين عليه «إن الرجل جاهل لا علم عنده فيقول للواصلين إليه سرقت يا هذا ، وزنيت يا هذا ، وفعلت يا هذا كذا وكذا ، فيذكر لكل واحد فعله» ، ومرض المؤذن فعاده الشيخ ومسح عليه وقال : يا بنى صدقت فأنا جاهل ولا أعلم إلا ما علمنى مولاي ، فقال المؤذن : أتوب إلى الله تعالى ، فقال أبو يعزى : مما تتوب يا بنى وأنت قلت الحق ؟ أنا جاهل لا أعرف إلا ما عرفنى مولاي .

ويحكى أبو مدين عن طريقته معه فيقول إنه لما سمع عنه توجه إليه فى جماعة حتى دخلوا جبل إيروجان على أبى يعزى فأقبل على القوم دونه ، فلما حضر الطعام منعه من الأكل ، فقع أبو مدين فى ركن الدار ، فكلما أحضر الطعام وقام إليه نهزه ، وظل على هذه الحال ثلاثة أيام وقد أجهدته الجوع وناله الذل ، فلما انقضت الثلاثة أيام قام أبو يعزى من مكانه «فأتيت إلى ذلك المكان ومرغت وجهى فيه ، فلما رفعت رأسى نظرت فلم أر شيئاً وصرت أعمى فبقيت أبكى طول ليلتى وأنشد :

قليل لمثلنى زفرة ونحيب وليس له إلا الحبيب طيب
وأمثل ما يلقي الحب خضوعه إذا كان من يدعوه ليس يجيب

فلما أصبحت استدعانى وقال لى : أقرب يا أندلسى ، فدنوت منه ، فمسح بيده على

عينى فأبصرت ، ثم مسح بيده على صدرى وقال للحاضرين : هذا يكون له شأن عظيم
أو قال كلاماً هذا معناه وأذن لى فى الانصراف». وعلى الرغم من هذا اللقاء
القاسى عاد أبو مدين إليه مرة ثانية وثالثة وكرر الجلوس إليه فقد كانت هذه طريقة
أبى يعزى فى تربية مريديه .

يونس المصرى

يونس بن حسن المصرى المتوفى بعد سنة ٨٩٦هـ، له فى التصوف «غايات
السرائر وآيات البصائر» الذى فرغ من تأليفه سنة ٨٩٦هـ.

الفهرس

(أ)

الآملى بهاء الدين	الإباحية	الأبيارى عبد الهادى	ابن أبى الخير أبوسعيد
ابن أبى العشائر	الأحمدى أبوالفضل	ابن إدريس أبوالعباس	ابن أدهم إبراهيم
أربرى أرثر	الأسفرايينى أبوالمظفر	الأسنوى عماد الدين	الأصم حاتم
ابن الأعرابى أبوسعيد	أق شمس الدين	أقصرى يوسف	الأنصارى زكريا
الأنطاكى عبد الله	الأنطاكى داود	أوران نصر الدين	الأوسية

(ب)

بابا طاهر	البابائية	ابن باخلا داود بارجيس	باعلوى
الباعونى	باقى بالله	باقى خانلى	بالمرداود
البدليسى	البدوى أحمد	البراقية	ابن برجان أبوالحكم
البسطامى أبوزيد البسطامى	زين الدين البصرى الحسن	البغدادى أبوحزة	البقاعى برهان الدين
البكتاشية	البكرى مصطفى	بلا ثيوس أسين	البنورى معز الدين
البوصيرى محمد	البونى أبوالعباس	البيرامية	البيومية

(ت)

التبريزى شمس الدين التجانية	الترمذى الحكيم	التستري سهل	التفتازانى أبوالوفا
التفتازانى سعد الدين	التلمسانى عفيف	التوحيدى أبوحيان	ابن تيمية

(ج)

جامى أحمد	جامى عبد الرحمن	الجرجاني على	الجريري أحمد	الجزولي
الچشتية	الجعفريه	الجلوتية	إبن الجوزي	الجوعى القاسم
الجمالى حامد	الجمالى علاء الدين	الجنيد أبو القاسم	الجوانية	جولد تسيهر
الجيلانى عبد القادر جينورينيه				

(ح)

الحافى بشر	حتى فيليب	الحراق محمد	الحروفية	الحفنى عبد المنعم
الحلاج الحسين	الحفنى شمس الدين	ابن حيان جابر	إبن حزم	إبن أبى الحواري

(خ)

الخراز أبو سعيد	إبن الخطيب لسان الدين	إبن خضرويه	إبن خفيف محمد
إبن خلدون	الخلدى جعفر	الخواص إبراهيم	الخواص على

(د)

الدارانى أبو سليمان	الدباغ عبد الرحمن	الدرديري أحمد	الدسوقي إبراهيم
الدسوقي إبراهيم (سیدی)	الدمياطى شمس الدين	إبن أبى الدنيا	الدهلوى أبو الفتح
الدهلوى شاه ولى الدين	دى تاسى	دى ساسى	دى كورتى
دى ماتيو	دى مينار	إبن دينار	

(ذ)

ذوالنون المصرى

(ر)

الرازى أبوبكر	الرازى أبوزكريا	الرازى زين الدين	الرازى الفخر
رابعة العدوية	إبن رجب أبو الفرج	رضوان حسن	الرفاعى أحمد
الرفاعية	الرقى إبراهيم	روزبهان البقلی	الرومى جلال الدين
رويم أبو محمد			

(ز)

الزاهد أبو العباس	زروق أحمد	الزهرأوى عبد الحميد	زاد ٥٥ شربانه
ابن زيد عبد الواحد			الزبيدي أحمد

(س)

ابن سبعين	السراج الطوسي	السرعيني محمد	السعودي عبد اللطيف
السقاوية	السري السقطي	السلمي عبد الرحمن	السملاي أحمد
السمتاني أحمد	سمتون المحب	سناني الغزنوي	السنوسي
السهروردي أبو حفص	السهروردي عبد القاهر	السهروردي المقتول	السهرندي
سوى أحمد	السيوطي جلال الدين	السياري القاسم	ابن سينا

(ش)

الشاذلي أبو الحسن	الشاذلي أبو الهادي	الشاذلي محمد المغربي	الشاطبي إبراهيم
الشبلي أبوبكر	ابن شرفاوى	الششتري	شقيق البلخي
الشلمغاني	الشرنوبى أحمد	الشريشى السلوى	الشعراني عبد الوهاب
الشياني أبوبكر			

(ص)

ابن الصباغ القوصي	الصفة	الصفوة	الصوفى محمد
الصومعى محمد			

(ض)

ابن ضيف الله	أبو طالب المكي
--------------	----------------

(ط)

الطرق الصوفية	ابن طفيل	الطمستانى أبوبكر	الطهطاوى أبو القاسم
ابن طورخان	الطيفورية		

(ع)

عامر بن عامر	ابن عباد	عبد الرازق مصطفى	عبد محمد
ابن عجيبة	ابن عربى	ابن العريف	أبو العزائم

ابن عطاء الأدمى	ابن عطاء الله	الخطاف فريد الدين	ابن علوان
عنقا على	ابن عياض الفضيل	العبدروسية	

(غ)

الغزالي أبو حامد	الغزالي أحمد	الغمري محمد
------------------	--------------	-------------

(ف)

ابن الفارض عمر	الفاسي شمس الدين	فالين جوج	الفرجى أبو جعفر
الفلاي أحمد	الفيضي السيد		

(ق)

القارى على	القاشاني أبو الغنائم	ابن قاضي سمانو
القسطلاني أبو العباس	ابن قسي أبو القاسم	القشيري أبو القاسم
القصار حمدون	ابن قضيب البان	القناني عبد الرحيم
القونوي صدر الدين	ابن قيم الجوزية	قلندرية

(ك)

كبرى نجم الدين	الكلاباذي	الكشخانوني	الكوفي أبو هاشم
----------------	-----------	------------	-----------------

(ل)

لوليوراموندو

(م)

ماسينيون	مبارك زكي	مبارك على	المبولي إبراهيم
الحاسبي الحارث	أبومدين شعيب	مرجليوث	المصفي على
ابن مسرة	ابن مشيش	معروف الكرخي	ابن منلح
المقرزي	ملاهمة	الملطي أبو الحسين	ابن الملقن

إبن منازل	المنياوى	إبن المنور محمد	المهدى الإمام
مورينو	المولوية	الميرغنى	الميقانى عبد الخالق

(ن)

النابلسى عبد الغنى	النخشى أبو تراب	نظامى الجنجوى	أبونعيم الأصهبانى
النفرى	النقشبندى خالد	النقشبندية	نللىنو
النهرجورى	النورى أبو الحسين	نيكسلون	النيسابورى أبو حفص

(هـ)

الهجوبرى	اهروى الأنصارى	هيار
		(و)

إبن واسع محمد	وفا على	وفا الرفاعى	وفا محمد
اليافعى العفيف	إبن يزدانبار	أبو يعزى	يونس المصرى

■ ■ ■

تم الكتاب بحمد الله

رقم الإيداع : ١٨٧٣ / ١٩٩٢ .

محرية للطباعة والنشر
١٠٠٧ شارع السلام - أرض اللواء المهندسين
ت : ٣٤١٩٠٩٨